

محمد مهدي البصير

جامعة بغداد  
المكتبة المركزية  
قسم الهدايا والتبادل  
ص ب - ١٢  
بغداد - الجمهورية العراقية

# في الأدب العباسي

الطبعة الثالثة

سنة ١٩٧٠ م

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب





المكتبة المركزية  
جامعة بغداد

محمد مهدي البصير

# في الادب العباسي

الطبعة الثالثة

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب

م ١٩٧٠

---

مطبعة النعمان - النجف الاشرف تلفون ٢٠٩٧ المسكن ٢٢٧

PJ  
7553  
.B3  
1970

## مقدمة

٥٦٢  
٦-٢٣-٧٦  
٢٤

كان لصدور « عصر القرآن » أثره الحسن في تنفيذ المنهج الذي نسير عليه في دار المعلمين العالية ، فقد جنبنا ما كنا نعاني من الصعوبات التي تنشأ عادة عن إملء الدروس على الطلبة ، وأتاح لنا الوقت الكافي للقيام بكثير من العمل لم يكن القيام به ميسوراً فيما مضى .  
وقد صارحتك في مقدمة « عصر القرآن » بأني لا أضع بين يديك موسوعة تستوعب أدب ذلك العصر درساً واستقصاءً وتستوفيه عرضاً وتسجيلاً ، وإنما أرجو أن أضع بين يديك مجموعة فصول تحتوي على المادة المقرر تدريسها في دار المعلمين العالية من أدب ذلك العصر .  
وأصارحك الآن بأني لا أضع بين يديك موسوعة في الأدب العباسي العتيق ، وإنما أضع بين يديك سفرًا يحتوي على ما أتولى تدريسه من هذا الأدب .

على أنني لا أظن ، من جهة أخرى ، أنني أزوي عنك أكبر جزء من الأدب العباسي إذا كنت أحدثك عن ابن المقفع والجاحظ والخوارزمي وبيدع الزمان الهمداني والحريري من الكتاب ، وعن بشار وأبي نواس وأبي تمام والبحثري وابن الرومي وابن المعتز والمنتبي وأبي فراس الحمداني والشريف الرضي ومهيار من الشعراء .

هذا إلى أنني أحب أن ألفتك إلى اتباعي في تبويب هذا الكتاب طريقة غير الطريقة التي أتبعها في تبويب عصر القرآن وسبب ذلك أن مجرى الأدب تغير كثيراً في هذا العصر ، فقد انقرضت المدارس الشعرية العتيقة التي يعتنق كل منها مذهباً خاصاً في صناعة القريض كمدرسة أوس ومدرسة آل ثابت ، واختفت الطوائف الأدبية التي كان يجتمع

كل منها حول مبدأ من المبادئ السياسية أو الاجتماعية أو الأدبية  
كشعراء العلويين وشعراء الخوارج وشعراء الغزل العفيف وشعراء  
الغزل الأباحي • وقام مقام ذلك كله نبوغ الشخصيات الأدبية القوية  
المستقلة التي لا تنتمي إلى مدرسة ما كبشار وأبي تمام والمنتبي والشريف  
الرضي ، فهؤلاء كلهم شعراء كبار ، ولكن أحداً منهم لا ينتمي إلى  
مدرسة ذات طابع خاص • وقل مثل ذلك عن أكثر الكتاب • كالجاحظ  
وأبي بكر الخوارزمي وبيدع الزمازيهمذاني ومع ذلك فقد رأيت أن  
أفرق بين الشعراء والكتّاب من ناحية التصنيف والتبويب ، فقسمت  
الكتّاب إلى قسمين يتألف أحدهما من الكتّاب المترسلين وثنائهما من  
كتّاب السجع والمقامات ، وأفردت لكل من هذين القسمين باباً خاصاً •  
أما الشعراء ، فقد رأيت أن أجمع بينهم بطريق الزمن ، فدرست  
بشاراً وأبا نؤاس مثلاً على أنهما أكبر شعراء القرن الثاني للهجرة ،  
وأبا تمام والبحثري وابن الرومي وابن المعتز على أنهم أكبر شعراء  
القرن الثالث للهجرة ، وهكذا •

وشيء آخر أحب أن أقوله لك ، وهو أنني لم أخضع بحثي لطريقة  
عامة معينة وإنما عالجت كل موضوع بالشكل الذي بدا لي أنه يلائمه  
فقد أتحدث عن لغة المترجم وأسلوبه وقد لا أتحدث ، وقد أتحدث عن  
رأيه في الدين والسياسة وقد لا أتحدث ، كل ذلك تبعاً لطبيعة البحث  
ودرجة الحاجة ومبلغ الفائدة •

وعلى الأجمال بذلت كل ما في وسعي لجعل هذه الفصول وافية  
بالغرض كقيلة بما أهدف إليه من خدمة الأدب وتاريخه ، ومن الله  
التوفيق •

محمد مهدي البصير

١١ أيلول ١٩٤٨

## الباب الاول

### في الكُتَّاب المترسلين

تمهيد في تآثر النثر العباسي بمذاهب القرآن وأساليبه

ينقسم الكُتَّاب العباسيون من حيث مذاهبهم في الآداء وأساليبهم في الكتابة إلى معسكرين يتألف أحدهما من المترسلين وثنائهما من كُتَّاب السجع . والمترسلون هم الذين لا يلتزمون السجع ولا يتقيدون بالأزدواج ولكنهم يرسلون أنفسهم على سجيتهما ويطلقون أعنة أقلامهم في ميادين الأَنْشاء فتجول كما تشاء . وكُتَّاب السجع على النقيض من ذلك فانهم يؤثرون أن تكون جملهم مقفأة أو شبه مقفأة وأريد بالمقفاة تلك التي يلتزم في اثنتين منها أو أكثر حرف واحد كما في قوله تعالى « ب س » إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم » فان الميم الملتزمة في آخر كل من هاتين الآيتين تجعل منهما كلاماً مسجوعاً وبشبه المقفاة تلك التي تتشابه أواخرها في الوزن ولا يلتزم في أواخرها حرف ما كما في قوله تعالى « ب س » إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة » فكلمتا واقعة . وكاذبة اللتان تختم بهما هاتان الآيتان تتفقان وزناً ولكنهما تختلفان في الحرف الآخر وهذا ما يسمى بالازدواج .

وليس لأبي من المعسكرين فضل الابتكار في شيء فقد سبق القرآن إلى كل هذا فألتزم السجع وراعى هندسة الجمل ونظر إلى عدد الكلمات في عدد كبير من سوره وصرف النظر عن السجع وتحلل من

قيوده وأهمل هندسة الجمل ولم ينظر إلى عدد الكلمات في عدد كبير آخر من سوره وقلده الراشدون وكبار الصحابة في خطبهم وكتبهم وقد فصلنا ذلك في الفصلين الثاني والثالث من الباب الاول من عصر القرآن • وإذا فليس لابن المقفع ولا لغيره من المترسلين وليس للمصاحب ابن عباد ولا لغيره من كتّاب السجع أن يفخروا بأنهم أصحاب مذاهب جديدة في صناعة الأبناء لأنهم جميعاً متبعون غير مبتدعين ومقلدون غير مبتكرين والقرآن هو أستاذهم وإمامهم الذي عنه أخذوا وعليه تخرجوا شاؤوا أم أبوا •

نعم إن كتّاب الأسجاع تطرفوا في التزام مذهبهم ففرضوا السجع على أنفسهم سواء أكان سهلاً سمحاً مستساغاً أم نافعاً ألياً مستكرها وأفرطوا في استعمال المجانسات والمطابقات وما إليها من الزخارف البيانية التي سبق القرآن إلى استعمالها جميعاً ولكنه فعل ذلك بأعتدال وبدون تكلف • وما أظن أن التطرف في اصطناع مذهب من المذاهب أو أسلوب من الأساليب يعد ابتكاراً •

وكتّاب الدولة العباسية من مترسلين وأصحاب سجع كثيرون جداً • وقد كتبت الأسفار العديدة الضخمة في تأريخ حياتهم ودراسة آثارهم ولكني قد لا أخطيء إذا لاحظت أن ابن المقفع والجاحظ والخوارزمي والهمداني والحريزي أطولهم بقاءً وأعلاهم كعباً في صناعة الأبناء على اختلاف طرقهم ومذاهبهم فيه أو من أطولهم بقاءً وأعلاهم كعباً في هذه الصناعة على أقل تقدير وعلى هذا سأقتصر هنا على تراجم هؤلاء الخمسة ودراسة آثارهم مبتدئاً بابن المقفع كما يقتضي ذلك الترتيب الزمني •

## الفصل الاول

### ابن المقفع

أ - حياته : اسمه وكنيته ونسبه • سبب تلقيب والده بالمقفع • مولده •  
تعليمه • ما تقلب فيه من أعمال • إسلامه • حقيقته •  
مقتله • أسبابه • عرض قضيته على المنصور • سعي  
أبي أيوب المورياني في إهدار دمه •

ب - أخلاقه : طائفة من الاخبار التي تتعلق بها • رفضها • أثر الدعاية  
الشعوية في صنع هذه الاخبار •

ج - آثاره : الأدب الصغير • حسناته وسيئاته • الأدب الكبير •  
ما يستحسن منه وما يعاب عليه • كليله ودمنة • أصله  
في السنسكريتية • تصرف ابن المقفع في ترجمته • كيف  
أناقشه • محاسنه • مساوئه • فجاجة أحكامه في كثير  
من القضايا التي يعالجها • تناقض ما ينطوي عليه من  
أقوال واعمال • اشتماله على كلام لا معنى له مطلقاً •  
سوء تأليفه على أنه كتاب • نظرة في رسالة الصحابة •

لغة ابن المقفع وأسلوبه :

غموضه • تكراره في غير ما مسوغ • استعماله الألفاظ  
في غير ما وضعت له • عجمة كثير من ألفاظه وتعاييره •

د - لماذا أدرسه ؟ !

هـ - مصدر شهرته •

و - خاتمة : الفصل في أمره •

### أ - حياته :

هو رَوْزِيَّة وكنيته أبو عمرو في المجوسية ، وعبد الله وكنيته أبو محمد في الإسلام • ووالده داؤويه وقيل المبارك ، ولعل المبارك لقب له • وهو من أهل جور ، التي ينسب اليها الورد الجوري ، إحدى مدن جنوبي فارس ، وله ولاء في بني الأهمم بالبصرة ، وهم أهل فصاحة ولسن • أما المقفّع فانه لقب أطلق عليه ، قيل في سبب تلقيبه به إنه كان عاملاً للحجاج على الخراج ، فأختلس شيئاً منه ، فضربه الحجاج حتى تقفّعت يده - أي تشنّجت - فلقب بالمقفع •

ومسقط رأس المترجم وتاريخ ولادته مجهولان • ولكن يغلب على الظن أنه ولد في البصرة نظراً لولاء أبيه في بني الأهمم ، ويغلب على الظن كذلك أنه ولد في أوائل العقد التاسع من القرن الأول للهجرة • لأنه كتب لعمر بن هبيرة في كرمان ، وقد عزل عمر هذا عن العراق والمشرق سنة ( ١٠٥ ) للهجرة ، ومن المستبعد كثيراً أن يستخدم عمر صاحبنا ويأتمنه على اسراره ولما يبلغ الخامسة والعشرين • ويضيف الأستاذ محمد كرد علي صاحب هذا الفرض إلى ما تقدم أن كثرة إنتاج ابن المقفّع تدل على أنه قتل وهو في نحو الستين من عمره • وقد قتل سنة ( ١٤٢ ) أو ( ١٤٣ ) للهجرة ، (١) وهو رأي معقول أيضاً • وكما يجهل الرواة مسقط رأس عبد الله وتاريخ ولادته • يجهلون

(١) أمراء البيان الطبعة الأولى ج ١ ص ١٠٣ •



كذلك أمر تربيته وتعليمه • ولكن يخيل إلي ان والده تولى ذلك منه ،  
فلقنته حكم الفرس وآدابهم وسيرهم واخبارهم ، وعلمه الحساب وسائر  
ما يلزم لخدمة الديوان الذي يظهر أنه أعدّه له إعداداً محكماً • وسواء  
أكان والده هو الذي تولّى أمر تربيته وتعليمه أم غيره فإنه مما لا شك  
فيه أن ثقافته فارسية بحتة (٢) ، يدل ذلك على أنه في خدمة السلطان  
فإنه مما لا يقول به رجل متأثر بالأدب العربي • وغلثوه في كل ما ذهب  
إليه ودعا الى العمل به ، ومن أمثلة ذلك رأيه في الصديق والمرأة ، فإنه  
على جانب كبير من الغلو والاسراف ، ولغته التي طالما أستعملت فيها  
الألفاظ للدلالة على غير ما وضعت له • والتي تظهر فيها العجمة ظهوراً  
لا يقبل الجدل ، وسأشرح هذا شرحاً كافياً عند الكلام في لغته واسلوبه •  
أما علاقته بأبي جاموس ثور الذي كان يقدم البصرة على آل  
سليمان بن علي فإنها ان صحت ، بعيدة كل البعد عن أن تكون ذات  
أثر قوي في تكوينه ، لأنها حدثت في دورٍ نضج فيه أدبه واستحكمت  
ثقافته • وانه لمن الغريب حقاً ان يذهب معظم مؤرخي أدبنا الى أن ابن  
المقفع أخذ الفصاحة عن أبي جاموس ثور هذا في اثناء زيارته للبصرة ،  
كأنّ مشافهة أعرابي من حين لآخر تكفي لخلق رجل فصيح يترك الآثار  
التي تدرس على مر العصور والاجيال •

وكتب صاحبنا لجماعة من الولاة وكبار العمال في العهدين الاموي  
والعباسي ، منهم عمر بن هبيرة والمسيح بن حواري في العهد الأموي ،

(٢) يرى بعض مؤرخي الادب العربي أنه حفظ القرآن وقرأ الشعر  
الجاهلي وعرف الشيء الكثير من خطب علي بن أبي طالب عليه السلام ،  
ولكن يخيل الي ان هذا الرأي مما يصعب اثباته ، لان شيئاً ما من آثار  
ابن المقفع لا يدل دلالة واضحة على أنه ذو الملم قوي بالأدب العربي •

وسليمان وعيسى ابنا علي بن عبد الله بن عباس في العهد العباسي • وعهد  
اليه اسماعيل بن علي تأديب طائفة من أولاده •  
وكان اسلامه على يد عيسى بن علي • وهنا لابد ان نسأل : أكان  
اسلامه حقيقة أم مجرد خدعة ؟ •

لا أريد ان أركن في الاجابة على هذا السؤال الى هذه الروايات  
العديدة التي تتظافر على إتهامه بالزندقة ، فتزعم إحداها انه عارض  
القرآن ، وتزعم اخرى انه ترجم كتب زنادقة الفرس الى العربية عملا  
على أفساد المسلمين ، وتزعم ثالثة انه مر بيت النار بعد إسلامه فتمثل  
بقول الأحوص :

يا بيت عاتكة الذي أتغزلـ حذر العدى وبه الفؤاد موكل  
اني لامنحك الصدود وانني قسماً اليك مع الصدود لأميل  
وتزعم رابعة انه كان صديق حماد عجرد ووالبة بن الحباب ومطيع  
ابن إياس وسائر أخوانهم من خلفاء الكوفة ، يسامرهم ويعاشرهم  
ويعاقرهم الخمر وكلهم متهم في دينه • لا أريد ان أركن الى هذه  
الروايات في الاجابة على سؤالي الآنف ذكره لأنى اعلم أن الأتهام  
بالزندقة هو الستار البراق الذي كان يسدله ولاة الأهور في صدر  
الدولة العباسية على كل جريمة يحلو لهم اقترافها ، فكل من خالفهم  
في السياسة او أي شأن من الشؤون التي تهمهم زنديق يجب قتله ولا  
يحل الابقاء على حياته • وقد قتل عبد الله بن المقفع بأشارة من المنصور  
أو بدسياسة من وزيره ابي أيوب المورياني • إذن فهو زنديق ، وهو  
داعية مخيف من دعاة الضلال والإلحاد • ولكني ، اذ أطرح هذه  
الروايات جانباً ، لا احتفل كثيراً بإسلام الرجل ، اذ الغالب على ظني

انه فكّر في مركزه فرأى ان ولاة الأمور يقدمونه ويقربونه ويحبونه ويعجبون به لأدبه ، ولكنهم لا يتجاوزون به حدود الكتابة نظراً لجوسيته ، فلو أسلم كما أسلم آل برمك لأصبح من الممكن ان يكون وزيراً تفويض له أمور المملكة او والياً تلقى له مقاليد الحكم في إقليم كبير ، وعلى هذا ترك دينه القديم وانتحل الاسلام . على انه من الممكن تماماً ان يكون اسلامه ثمرة تفكير سديد ونتيجة درس موافق . وقد قلت لك انه قتل باشارة من المنصور أو بدسياسة من وزيره أبي أيوب المورياتي ، فأروي لك الآن تفاصيل هذا الحادث .

ما كاد المنصور - ثاني خلفاء بني العباس يرتقي عرش الخلافة سنة ( ١٣٦ ) للهجرة حتى ثار عليه عمه عبد الله بن علي ، وكان هذا يأمل ان تؤول اليه الخلافة يوماً ما لأنه بطل معركة الزاب الفاصلة ولأنه قاطع دابر بني أمية في الشام . ولكن السفاح خيب أمله ، فقد عقد الخلافة لأخيه المنصور على ان يليها عيسى بن موسى من بعده . وقد حدثت هذه الخيبة بعبد الله الى شق عصا الطاعة والخروج على ابن أخيه المنصور ، ورماه هذا بأبي مسلم الخراساني فهزمه وقضى على فتنته . ولجأ عبد الله إلى أخويه سليمان وعيسى اللذين كانا في البصرة ، وكان أولهما والياً عليها ، فقبلاه ومنحاه حمايتهما وطلبا الى المنصور ان يؤمنه فقبل ، ولكنهما تشددا في الأمان خشية ان يغدر المنصور بأخيهما ، ودارت بينهما وبينه رسائل كثيرة بهذا الشأن . وأخيراً عهدا إلى عبد الله بن المقفع كاتب عيسى بن علي ان يضع نص الأمان على أن يشدّد فيه اعظام التشديد ويحتاط ما وسعه الاحتياط . فكتب لهما أماناً جاء فيه ما يلي : « . . وإن انا نلت عبد الله بن علي او أحداً ممن أقدمه

معه بصغير من المكروه أو كبير ، او اوصلت الى أحد منهم ضرراً سراً  
أو علانية على الوجوه والأسباب كلها ، تصريحاً أو كناية أو بحيلة من  
الحيل ، فأنا نفي<sup>(٣)</sup> من محمد بن علي بن عبد الله ومولود لغير  
رشدة<sup>(٤)</sup> وقد حلّ لجميع أمة محمد خلعي وحربي والبراءة مني ،  
ولا بيعة لي في رقاب المسلمين ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم  
الخروج من طاعتي واعانة من ناوأني من جميع الخلق ولا موالاته بيني  
وبين أحد من المسلمين الخ<sup>(٥)</sup> « (\*) » .

وثقلت هذه الصيغة على المنصور ولا سيما ما يتعلق منها بالبيعة ؛  
وسأل عن كتبها ف قيل له : عبد الله بن المقفع كاتب عيسى بن علي :  
فقال : « فما أحد يكفينيه ؟ » وسمع أبو الخصب أحد رجال حاشية  
المنصور هذه الكلمة فكتب بها إلى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب  
الذي خلف سليمان بن علي في ولاية البصرة عندما آوى أخاه عبد الله  
وكان سفيان هذا يعادي عبد الله ويتحين الفرص للفتك به لإحسنة قديمة  
بينهما ، منها ان المسيح بن حواري كان حاكماً لنيسابور وكان عبد الله  
علي ديوانه ، فحدث ان عزل المسيح وعيّن سفيان المتقدم ذكره خلفاً  
له ، فحاول المسيح اولاً أن يتخلص منه بالمال ، ثم ناجزه وفشل في  
هذا كله ؛ ولكن كانت معونة عبد الله له في تنفيذ محاولاته صادقة  
وفعالة . ومنها ان عبد الله كان يهزأ كثيراً بسفيان ويسأله عن الشيء

(٣) نفي : كفني الولد ينفيه أبوه .

(٤) لغير رشدة : أي ولد زنى .

(٥) الوزراء والكتاب للجهمسياري الطبعة الاولى ص ١٠٤ .

(\*) كانت نتيجة هذا التحفظ الشديد أهدار دم ابن المقفع ، أما  
عبد الله بن علي فقد قتله المنصور أشنع قتلة ، وذلك بأن سجنه في بيت  
بناه على أسس من الملح ثم سلط عليه الماء فدفن عبد الله تحت انقاضه .

بعد الشيء فاذا أجابه خطأه وسخر منه ، وبلغ من تحامله عليه ان  
شتم عرض أمه ذات يوم شتما قبيحاً ، ولهذا كان يتربص به الدوائر  
ليثأر لنفسه منه . ويظهر ان أبا الخصيب كان صديقاً له ، فهياً له هذه  
الفرصة الذهبية ليشفي غليله من المترجم . وفي ذات يوم أرسل عيسى  
ابن علي صاحب الترجمة برسالة الى سفيان ، فقال له إنه يخافه على  
نفسه ، وأشار بأرسال جعفر بن جبلة الكندي بدلاً منه . فأصر عيسى  
على رأيه ظناً منه ان سفيان لا ينال ابن المقفع بسوء مكانه منه . واحتاط  
عبد الله لنفسه ، فأخذ جعفرًا المشار اليه وذهبا معاً إلى سفيان . فلما  
صارا ببابه واعلماه مكانهما اذن أولاً لجعفر ، ثم اذن بعد فترة وجيزة  
لعبد الله ، فلما سلك هذا سبيله اليه عدل به الى مقصورة لقي فيها حتفه .

والرواة مختلفون في كيفية قتله ، ولا سبيل الى تحقيق شيء من  
أقوالهم في هذا الباب . ولكن الذي لا نزاع فيه هو أن سفيان قتل  
عبد الله أشنع قتلة يتصورها بشر . ورفع عيسى بن علي قضية كاتبه  
الى المنصور ، فأرسل هذا إلى البصرة من جاءه بسفيان مقيماً ، فلما  
قدم الكوفة لقي بعض أقاربه أبا أيوب المورياني وقالوا له . انهم  
يحملونه تبعة ما يصيب صاحبهم لأنه يقدر على اتقاده . ولقيه سفيان  
فقال له مثل هذا . فخاف أبو أيوب مغبة هذا التهديد وسعى في إهدار  
دم ابن المقفع لدى المنصور فكان ذلك . وعلم عيسى أن أبا أيوب  
يعمل على إهدار دم كاتبه فكف عن المطالبة به . أما حماد عجرد وهو  
صديق حميم لابن المقفع فانه يقول ان أبا أيوب المورياني هو الذي  
دبر مقتل عبد الله بن المقفع لأنه كان يعرف اعجاب المنصور به واكباره  
لفضله وأدبه، ويخشى ان يخلفه يوماً ما في منصبه . وهكذا ذهب ذلك

الكاتب المسكين فريسة الضغائن والاحقاد وضحية الدسائس والاعراض .

### ب - أخلاقه :

وكما تفتن خصوم ابن المقفع في اختلاق الأكاذيب والصاقها به من الناحية الدينية تفنن انصاره كذلك في اختلاق الأكاذيب والتطويل والتزوير بها له من الناحية الأخلاقية . وما أريد ان أنفي انه كان « سرياً سخياً يطعم الطعام ويتسع على كل من احتاج اليه » ولكنني أقتف موقف الشاك المرتاب من هذه الأخبار التي ترفعه الى مصافب أجواد الملوك والأمراء والتي أروي لك مثلاً منها فيما يلي :

زعموا أنه أفاد مالاً لما كان يكتب لعمر بن هبيرة في كرمان ، فأبى عليه طبعه إلا ان يجري على جماعة من أهل البصرة والكوفة مرثبات تتراوح بين خمسمائة وألفي درهم في كل شهر . ورووا أن عمارة بن حمزة الكاتب كان صديقاً لابن المقفع ، فورد عليه في يوم من أيام اقامته بالكوفة كتاب من وكيله بالبصرة يعلمه فيه أن ضيعة مجاورة لضيعته تباع ، وأن ضيعته لا تصلح ان ملكها غيره ، وأن أهلها قد بذلوا له ثلاثين ألف درهم وأنه ان لم يبتعها فالوجه ان يبيع ضيعته . فقرأ عمارة الكتاب وابن المقفع عنده وقال : ما أعجب هذا ! وكيلنا يشير علينا بالابتياح مع الأضاقة والاملاق ، ونحن إلى البيع احوج ؛ ثم كتب الى وكيله يأمره ببيع ضيعته والانصراف إليه . فلم يقل ابن المقفع شيئاً . ولكنه ذهب الى منزله وبعث سفتجة (٦) الى الوكيل بثلاثين ألف درهم ، وكتب اليه على لسان عمارة : « إني كنت قد كتبت

(٦) السفتجة : الحوالة .

اليك ببيع ضيعتي ، ثم حضرني مال وقد أنفذت اليك سفتجة فأبتع الضيعة المجاورة ولا تبع ضيعتي ، وأقم مكانك وأنفذ الكتاب بالابتياح اليّ » • ووجه الكتاب اليه مع رسول خاص ، فورد الكتاب على الوكيل وقد باع الضيعة ، ففسخ البيع وابتاع الضيعة المجاورة ، وكتب إلى عمارة يعلمه ذلك • فلما قرأ عمارة الكتاب عجب أشد العجب وسأل عمّن حضره وقت ورود الكتاب وقراءته فقيل له ابن المقفع ، فعلم انه هو الذي بعث بالمال وأمر بشراء الضيعة وزار ابن المقفع عمارة بعد أيام فقال له : « بعثت بتلك الثلاثين ألف درهم الى الوكيل وكنا اليها هنا أحوج » • فقال له : « فان عندنا فضلاً » • وبعث إليه بثلاثين ألفاً أخرى •

وزعموا أن ابن المقفع حضر مجلس غناء كان فيه معن بن زائدة المشهور ، فغنت جارية معناً فأعطاها ألف دينار ، وغنت أخرى عبد الله ابن المقفع فأعطاها مئة ألف درهم ، أي عشرة آلاف دينار ، فقال معن : « لله درّ الفارسي ، فقد برز علينا » فواضح ان هذه الأخبار مما يصعب بل يستحيل تصديقه ، لأنها لا تتفق وما نعرف من أحوال ابن المقفع في كثير ولا قليل •

إننا نعلم أن والد المترجم كان عاملاً من عمال بني أمية على الخراج ، وانه اختلس شيئاً من مال السلطان فضربه الوالي حتى تفتقت يده ، ونعلم كذلك أن المترجم عمل كاتباً مرة ومؤدباً تارة طلباً للرزق ، ونعلم زيادة على ما تقدم أنه صاحب لهوٍ وشراب • أفنتسح حال كاتب او مؤدب كثير النفقات لمثل هذا الكرم الفياض ؟ ؟ وإذا قيل انه من الجائز أن تكون له ثروة شخصية تمكنه من أغداق هذه العطايا على

الناس ، قلنا أفلا يكون خيراً له وأولى به أن يترك خدمة الدواوين  
وتعليم الصبيان كائنة منزلة هؤلاء ما كانت ، وان يضع نفسه حيث  
وضعها الله بين أولي الثراء الواسع والعطاء الجهم ؟ ؟ أليس من حقنا  
أن نلاحظ أن هذه الأخبار من صنع دعاية شعوية مغرضة تريد أن  
تخلق من عبد الله بن المقفع خليفة محسناً في صورة كاتب او ملكاً  
كريماً في مركز أديب •

### ح - آثاره :

لأبن المقفع آثار عدة ، ذهب بعضها وبقي غير قليل منها • أما ما  
بقي فهو عبارة عن « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير أو الدرّة  
اليتيمة » و « كليلة ودمنة » المعروف • ورسائل أهمها « رسالة الصحابة »  
المشهوره ، وكلمات قصيرة لبعضها صبغة سياسية واجتماعية • وبعضها  
شخصي بحث ، واحداثك فيما يلي عن هذه الآثار مبتدئاً بالادب  
الصغير • وهو مجموعة عضات ونصائح نقلها المترجم عن الفارسية كما  
ينص على ذلك هو في مقدمتها • وأقتبس بعضها من الحديث النبوي  
وكلام الامام علي وقد أغفل الاشارة الى هذا وربما أضاف اليها شيئاً  
من عنده أو حور جانباً منها تحويراً يتفق وطبيعة تفكيره ان صح  
هذا التعبير •

وليس من شك في ان الأدب الصغير يحتوي على نصائح قيمة •  
بعضها ديني وبعضها سياسي • وبعضها اجتماعي • فمن ذلك نصح  
المؤلف قاراه أن يقسم وقته أربعة أقسام يفرغ في أحدها لدينه • وفي  
الثاني لمحاسبة نفسه • وفي الثالث لمجالسة إخوانه ومعاشرتهم • وفي



الرابع لما يحل ويجمل من متع الحياة ولذات العيش (٧) • ومنه وصية المؤلف بالنظر الى ما قيل دون نظر الى من قال ، وهو يشبه الكلمة النافعة باللؤلؤة الثمينة يجب ان تلتقط حيثما وجدت • ومن هذا القبيل إفاضته في النهي عن الكذب الذي هو في رأيه منشأ كل رذيلة ومصدر كل نقيصة • أما اذا كان القاريء من ذوي السلطان فان ابن المقفع يوصيه في هذه الرسالة بأنتخاب عماله انتخاباً حسناً • وتزويدهم بالارشادات والايضاحات الكافية • ومراقبة أعمالهم مراقبة دقيقة • ومكافأة المحسن منهم على إحسانه • ومعاقبة المسيء على اساءته • وفي ثنايا الرسالة نصائح أخرى عديدة حسنة من هذا القبيل •

ولكن إلى جانب هذه النصائح الحسنة • وصايا أخرى كثيرة أقل ما يقال فيها إنها على جانب كبير من الشذوذ والغرابة • فمن ذلك أن المؤلف يوصي قارأه أن لا يعتمد على نفسه في تثقيف عقله • وتقويم أخلاقه • وتوسيع دائرة معارفه ومداركه ، وأن يكل هذا كله من أمره الى من يسميهم المؤلف بـ ( ذوي الألباب ) ••• وبأية طريقة ؟ ! ان المؤلف يطلب الى قارئه ( أن يؤنس ذوي الالباب بنفسه ويجرئهم عليها ) أي أن يكون أضحوكة لهم وهم يعلمونه نظير هذا ويثقفونه ويصرونه بما يهمه من أمور دينه ودنياه ، فهو يقول في ذلك : ( وعلى العاقل أن يؤنس ذوي الالباب بنفسه • ويجرئهم عليها حتى يصيروا حراساً على سمعه وبصره ورأيه فيستقيم الى ذلك ويربح له قلبه ويعلم

(٧) على أن هذه النصيحة مأخوذة في أكثرها من قول الامام علي « للمؤمن ثلاث ساعات ، فساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يرم معاشه ، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل .  
نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٩٩ طبع مطبعة دار الكتب الكبرى بمصر .

أنهم لا يغفلون عنه اذا هو غفل عن نفسه (٨) .

ومن هذا القبيل ما يوصي به المؤلف قارأه من أن يكون شديد الانقباض شديد التحفظ في صلاته مع العامة . شديد الانبساط شديد الاسترسال في صلاته مع الخاصة، أي انه يوصيه أن يكون دجالاً إذا لم أخطيء في فهم كلامه . وأنا أروي لك كلامه في هذا الشأن بنصه لتفهيمه كما تشاء قال : « وعلى العاقل ان يجعل الناس طبقتين متباينتين . ويلبس لهم لباسين مختلفين ، فطبقة من العامة . يلبس لهم لباس انقباض وانحجاز وتحرز وتحفظ في كل كلمة وخطوة ، وطبقة من الخاصة . يخلع عندهم لباس انتشدد ويلبس لباس الأنسة واللطف والبذلة والمفاوضة ، ولا يدخل في هذه الطبقة الا واحد من ألف (٩) \* . ومن هذه النصائح الشاذة ما يذهب اليه المؤلف من أن العاقل ينبغي أن يجبن عن إبداء رأيه إذا شعر أن أحدا لا يوافق عليه . واليك ما يقوله في هذا الشأن : ( وعلى العاقل أن يجبن عن الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً وإن ظن أنه على اليقين ) (١٠) ومن هذا القبيل تفريق المؤلف بين الدين والرأي واعتقاده بأنه ليس لاحد أن يفكر في أمر دينه وأن يكون له

(٨) رسائل البلغاء طبع مطبعة دار الكتب العربية الكبرى سنة

١٩١٣ ص ٢٩ .

(٩) رسائل البلغاء ص ٢٩ - ٣٠ .

(\*) أما أن يكون للرجل عدد قليل من الأخوان يأنس بهم ويأنسون به ويطمئن اليهم ويطمئنون اليه فهذا طبيعي بل ضروري . ولكن الذي ننكره على ابن المقفع هو ما يوصي به من « انقباض وانحجاز وتحرز وتحفظ في كل كلمة وخطوة » بالنسبة الى العامة ، إذ أن ذلك رياء ما بعده رياء .

(١٠) المصدر نفسه ص ٣٠ .

فيه رأياً • وأن كل ما عليه في هذا الشأن هو أن يؤمن وكفى ، وهو يقول في هذا ما نصه : ( فصل ما بين الدين والرأي أن الدين يسلم بالايمان • وأن الرأي يثبت بالخصومة <sup>(١١)</sup> فمن جعل الدين خصومة فقد جعل الدين رأياً • ومن جعل الدين رأياً • فقد صار شارعاً • ومن كان هو يشرع لنفسه الدين فلا دين له ) <sup>(١٢)</sup> • ومن غريب أو فظيح ما يوصي به المؤلف قارأه هو أن يستمتع بما آتاه الله من خير دون أن يحفل بما يصيب غيره من شر ، فهو يقول في هذا ما نصه : ( وأنفع العقل أن تحسن المعيشة فيما أوتيت من خير وألا تكترث من الشر بما لا يصيبك ) <sup>(١٣)</sup> •

ومن هذه العجائب التي يحفل بها الأدب الصغير استدلال المؤلف على عظم شأن الدين بثناء الجهاد عليه ، استمع اليه يقول : « الدين أفضل المواهب التي وصلت من الله تعالى الى خلقه • واعظمتها منفعة واحمدها في كل حكمة • فقد بلغ من فضل الدين والحكمة أن مدحا على السنة الجهاد على جهالتهم بهما وعماهم عنهما <sup>(١٤)</sup> • ومنها كذلك اعتقاد الكاتب أن دين المرء لا يثبت على حالة واحدة وأنه زائد مرة وناقص تارة ، وهو يسجل هذا بقوله : لا يثبت دين المرء على حالة واحدة أبدا ولكنه لا يزال اما زائدا واما ناقصاً <sup>(١٥)</sup> ولكن - إذا لم يخطيء ظني - فاز شدوذ المؤلف في أدبه « الصغير » هذا يبلغ <sup>(١١)</sup> أظن أن المؤلف يريد « بالخصومة » التمحيص ، وهو تعبير غريب .

• <sup>(١٢)</sup> المصدر نفسه ص ٨

• <sup>(١٣)</sup> المصدر نفسه ص ٤٢

• <sup>(١٤)</sup> رسائل البلغاء ص ٣٧

• <sup>(١٥)</sup> المصدر نفسه ص ٤٣

أشده في هذه الحكم الغالية التي يقول فيها : ( من نزل به الفقر  
والفاقة لهم يجد بدأً من ترك الحياء ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ،  
ومن ذهب سروره مُمقت ، ومن مُمقت أُوذي ، ومن أُوذي حزن ، ومن  
حزن ذهب عقله !! ) (١٦) \* . وبعد ، أتصح هذه المقدمات وتلك  
النتائج في رأي أحد من الناس ؟ . أصحيح أن الاصل في الرجل الفقير  
أن يكون رجلاً لا حياء له ؟ . وأن من لا حياء له لا سرور له ، وأن  
من لا سرور له ممقوت لدى الناس ؟ . أصحيح أن من حزن قلبه لأمر  
من الأمور ذهب عقله ؟ أيكتب هذا أم يقوله رجل يملك مثقال ذرة من  
العقل ؟! . أنا لا أطلب الى ابن المقفع أن يصطنع منطق « ديكارت » في  
دراسة مشاكل الكون ولا براعة « ستندال » في تحليل النفوس والعقول .  
ولا لباقية « أناتول فرانس » في معالجة شؤون السياسة والاجتماع .  
وكل ما أطلب اليه هو أن يفهم الأشياء فهماً طبيعياً وأن يحكم عليها  
أحكاماً تنفق ومنطق القرن الثاني للهجرة أو منطق أي قرن من القرون .  
أفتراني واجداً عنده ما أطلب ؟؟ .

أما الأدب الكبير أو « الدرّة اليتيمة » فإنه صورة مكبرة للأدب  
الصغير في محاسنه ومساوئه وكونه منقولاً على الأكثر عن اللغة الفارسية  
ومتأثراً بتفكير ابن المقفع في مواطن عديدة .

ضمن محاسنه أنه يوصي بالاعتدال في كل شيء ، ولا يرى بأساً

(١٦) المصدر نفسه ص ٥٢ .

(\*) يخيل اليّ ان ابن المقفع يجاري بكلامه هذا كلاماً بليغاً للإمام  
علي هذا نصه « من كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن  
قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار »  
نهج البلاغة ج ٢ ص ٨٤ طبع المطبعة العربية الكبرى بمصر . ولكن كم بين  
كلام الامام علي وهذر ابن المقفع من فرق .

في الاستزادة من كريم الخصال • كالشجاعة والسخاء • ويوصي بالوفاء  
للصديق والمبالغة في كرامه ومواساته ان نزلت به نائبة من نوائب الزمن  
ومن طريف ما يوصي به المؤلف في هذا الكتاب التمسك بأدب الحديث،  
فهو يدعوك الى أن تصغي لمن يحدثك • وأن تحترس من أية بادرة  
تدل على أنك عالم بما يقول • وراغب في مقاطعته الى غير ذلك مما  
يقتضيه أدب الحديث • اما اذا كنت ذا ولاية فابن المقفع يوصيك ان  
تتحرز من المدح ، لان حب الثناء موطن ضعف كبير في ولاية الأمور قد  
يؤدي بهم الى الاخلال بواجباتهم والتقصير في انجاز اعمالهم على  
أتم وجه • هذا الى انه يعرضهم الى سخرية الساخرين • وغيبة المغتابين •  
ولعل أئمن نصيحة يسديها اليك المؤلف ، اذا كنت من ولاية الامور ،  
قوله : ( لتكن حاجتك في الولاية الى ثلاث خصال ، رضى ربك ورضى  
سلطانك إن كان فوقك ورضى صالح من تلي عليه )<sup>(١٧)</sup> • ولا يفوتني أن  
أروي لك قوله في كبح جماح الغضب : ( استعن بالصمت على اطفاء  
الغضب )<sup>(١٨)</sup> • وقوله في الدعوة الى الاحتراس من مصائب الزمن  
ومكاييد الناس : ( الضعيف المحترس من العداوة أقرب الى السلامة  
من القوي المعتز )<sup>(١٩)</sup> •

ولكن الى جانب هذه الاقوال الحكيمة اقوال أخرى لا أبالغ اذا  
قلت إنها سقيمة • منها قول الكاتب منوهاً بالقدماء في مقدمة كتابه  
هذا : ( وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظم اجساداً • واوفر مع اجسادهم  
أحلاماً • وأشد قوة • واحسن بقوتهم للأمور اتقاناً • واطول اعماراً •

(١٧) رسائل البلغاء ص ٦٠ •

(١٨) المصدر نفسه ص ١١٩ •

(١٩) المصدر نفسه ص ١٢٠ •

وأفضل بأعمارهم للأشياء اختياراً • فكان صاحب الدين منهم أبلغ في أمر الدين علماً وعملاً • من صاحب الدين منا (٢٠) وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل ، ووجدناهم لهم يرضوا بما فازوا به من الفضل لأنفسهم حتى أشركونا معهم فيما ادركوا من علم الأولى والآخرة فكتبوا به الكتب الباقية وكفونا مؤونة التجارب والفتن (٢١) وقوله في الدعوة الى مسايرة الحكام : ( اياك ان يقع في قلبك تعبت على الوالي او استزادة له ، فانه ان أنست ان يقع في قلبك بدا في وجهك ان كنت حليماً وبدا على لسانك ان كنت سفيهاً ) (٢٢) وقوله في الموضوع نفسه : ( ولا تعدن شتم الوالي شتماً • ولا اغلاظه اغلاظاً • فان ربح العز قد تبسط اللسان بألفاظ في غير سخط ولا بأس (٢٣) وقوله : ( ذل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك مما لا يكاد يخطئك ) (٢٤) وقوله : ( ووطن نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ما تكره ، فانه ليس كالمرأة التي تطلقها اذا شئت • ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخذانه ) (٢٥) وقوله : ( ومن تمام حسن الخلق والأدب ان تسخو نفسك لآخيك بما اتحل من كلامك ورأيك ) (٢٦)

(٢٠) كان هؤلاء القدماء الذين يبالح ابن المقفع في اطرائهم ويفضل صاحب الدين منهم على صاحب الدين من معاصريه مجوساً ، فكيف يفضلهم ابن المقفع من الناحية الدينية على معاصريه وهم مسلمون ؟

- (٢١) رسائل البلغاء ص ٥٥
- (٢٢) المصدر نفسه ص ٧٣
- (٢٣) المصدر نفسه ص ٧٤
- (٢٤) رسائل البلغاء ص ٩
- (٢٥) المصدر نفسه ص ٨٨
- (٢٦) المصدر نفسه ص ٨٣

وقوله : ( اذا كانت لك عند أحد صنيعه أو كان لك عليه طول فالتمس  
احياء ذلك باماتته وتعظيمه بالتصغير له ) ( ٢٧ ) • فواضح ان المثال الاول  
يكشف عن سذاجة منقطعة النظر في عبادة القديم وتعظيم القدماء  
والتعويل عليهم في كل شيء والنزول عن كل ما يلزم الرجل العامل من  
درس وتفكير واختبار ، لأن القدماء فعلوا من ذلك ما يكفيهم ويكفي  
من يأتي بعدهم وان الأمثلة الثاني والثالث والرابع دعوة الى عبودية  
تشمئز منها النفوس وتقشعر الجلود ، وان المثال الخامس يقضي باحلال  
صلة الرجل بصديقه فوق كل شيء وصلته بزوجه دون كل شيء •  
وهذا ما لا يقول به عاقل مطلقا ، وأن المثال السادس تمرين على الضعة  
ونصيحة باصطفاء الاخوان من اراذل الناس ، وان المثال السابع حث  
على التواضع المكذوب والكرم المصطنع وحض على اقتناص الثناء  
والاطراء بالمكر والحيلة • وفي الكتاب فصائح أخرى كثيرة توصي  
بالتقليد والخضوع والجبن والعبودية والشعوذة وما الى ذلك • رأيت أن  
اضرب عنها صفحا •

أما كليله ودمنه ، وهو خير ما نقل ابن المقفع عن الفارسية الى  
العربية ، فانه مجموعة قصص وحكايات وضع معظمها على ألسن الطيور  
والبهائم • ما أظن ان لغة تخلو من امثالها • وما أحسب ان له أصلا في  
السنسكريتية كما زعم ابن المقفع وغيره من مترجميه لانه لو كان كذلك  
لحفظته لنا خزائن الملوك التي قيل انها كانت تحتفظ به كما لو كان  
كنزا من أثمن الكنوز ، أو لأشارت اليه المصادر السنسكريتية القديمة  
على أقل تقدير اشارة واضحة ، ولكن شيئا من هذا لم يكن • وأكبر

( ٢٧ ) المصدر نفسه ص ٩١ •

ظني أن برزويه مندوب كسرى أنوشروان إلى الهند ترجم لسيده قصصاً متفرقة في اللغة السنسكريتية جمعها هو في كتاب أطلق عليه هذا الاسم . وقد تصرف ابن المقفع في قصص كليلة ودمنة تصرفاً أفسدها وذهب بما فيها من لطف وسداجة . ولا أدل على ذلك من هذه النزعة القدرية القوية التي لا تكاد تخلو منها قصة من القصص والتي لا يمكن أن توجد فيما يخيل اليّ على الأقل إلا عند غلاة القدرين من المسلمين (٢٨) . ومن تلکم الاشارات التي لا تحصى إلى الصلاة والصوم وما يجري مجراهما من الأمور الإسلامية الصرف (٢٩) .

وما أريد أن أعرض لباب « الفحص عن أمر دمنة » فإن الرواة متفقون على أنها من وضع ابن المقفع ، ولكنني سأحدثك عن أبواب الكتاب الأخرى وهي : باب الأسد والثور ، وباب الحمامة المطوقة ، وباب البوم والغربان ، وباب القرد والغليم ، وباب الناسك وابن عرس ، وباب الجرذ والسنور ، وباب الملك والطائر فنزة ، وباب الأسد وابن آوى ، وباب بلاذ وإيلاذ وإيراخت ، وباب اللبوة والاسوار والشعهر ، (٢٨) لعل قصة ابن الملك وأصحابه أشد قصص كليلة ودمنة إيماناً بالقدر وأحرصها على التمسك به والاذعان له .

(٢٩) من أمثلة ذلك قول شترية لدمنة عندما جاء ليفسد ما بينه وبين الأسد : « من التمس الرخص من الإخوان عند المشاورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبه أخطأ منافع الرأي والزداد فيما وقع فيه من ذلك تورطاً » - كليلة ودمنة الطبعة الخامسة بمصر ص ٢١٧ - ومن هذا القبيل قول شترية لدمنة في المقام نفسه : « ليس للمصلي في صلاته ولا للمتصدق في صدقته ولا للورع في ورعه من الاجر ما للمجاهد عن نفسه اذا كانت مجاهدته على الحق » - المصدر نفسه ص ٢٢٦ - .



وباب الناسك والضيف ، وباب السائح والصائغ ، وباب ابن الملك  
واصحابه • وباب الحمامة والشعب ومالك الحزين •  
وما أريد أن أناقش كليله ودمنة على انه كتاب من كتب القرن  
العشرين سواء من حيث مقاصده واغراضه ام من حيث تبويبه وترتيبه  
كما انه لا ينبغي ان أفعل ذلك ، ولكني سأناقشه على أنه كتاب كتب  
قبل بضعة وعشرين قرناً ، فأقول : انه يحتوي في بعض أبوابه على حكم  
رائعة وقصص طريفة وحكايات مستملحة ، الا انه في مجموعه أقرب  
الى السخف والسذاجة منه الى أي شيء آخر • وأبرز مساوئه في زعمي  
أربع وهي :

- ١ - فجاجة أحكامه في كثير من القضايا التي يعالجها •
- ٢ - تناقض ما ينطوي عليه من أقوال واعمال تناقضا عجيبا •
- ٣ - اشتماله على كلام لا معنى له مطلقا •
- ٤ - سوء تأليفه على أنه كتاب •

وأول ما يلفت نظرك فيه فجاجة احكامه ، فهو يبدأ باب الاسد  
والثور ، وهو أول الابواب واكبرها ، بقصة التاجر الذي يعظ أبناءه  
بقوله « يا بني » ، ان صاحب الدنيا (٣٠) يطلب ثلاثة أمور لن يدركها  
الا بأربعة أشياء • أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق والمنزلة  
في الناس والزاد للآخرة ، وأما الأربعة التي يحتاج اليها في درك الثلاثة  
فاكتساب المال من أحسن وجه يكون ثم حسن القيام على ما اكتسب  
منه ثم استثماره ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان

(٣٠) يراد بصاحب الدنيا هنا « الرجل العامل » ولو كان المراد  
الرجل المنهمك بجمع المال والسعي الى الجاه وما الى ذلك لما اشار التاجر  
المتفلسف في وصيته الى الزاد للآخرة .

فيعود عليه نفعه في الآخرة • فمن ضيع شيئاً من هذه الاموال لم يدرك ما أراد من حاجته « (٣١) • وواضح ان كلام هذا التاجر المتفلسف غير صحيح ، فان صاحب الدنيا أو الرجل العامل لا يطلب السعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد للآخرة فحسب • ولكنه يطلب أموراً اخرى كثيرة لا ينبغي ان يجهلها رجل يقتبس الفلاسفة نصائحه وتعاليمه • انه يطلب العافية ويطلب المعرفة للمعرفة ، ويطلب تحقيق المثل السامية ويطلب اللذة المادية ، ويطلب سعة الرزق والمنزلة في الناس والزاد للآخرة • على ان هذه المقاصد الثلاثة التي ذكرها التاجر المتفلسف لا تتحقق بكسب المال وحسن تديره واستثماره وانفاقه في وجوه البر والاحسان فقط كما يقول وانما تتحقق بالعلم والعقل وبالخلق وبالمال • ومما هو جدير بالملاحظة هو ان كسب المال من أفضل الوجوه وانفاقه في أفضلها أمر لا يصعب على كثير ممن لا يؤمنون بالآخرة ، فما رأي المؤلف او المترجم في هذا الشأن •

وشيء آخر لا بد من ملاحظته وهو ان سعة الرزق لا تعني أي شيء سوى كسب المال وحسن تديره واستثماره ؛ أفتكون سعة الرزق غاية ووسيلة في وقت واحد ؟ !

إذا لم يخطيء ظني فإن أقل ما يمكن ان يقال في هذه الوصية إنها كلام لا يشف عن رجاحة عقل ولا يدل على غزارة علم • وأنت لا تترك هذه الموعظة الزائفة وتتقدم قليلاً في قراءة الكتاب حتى تواجهك قصة الرجل الذي لم يفلت من الذئب حتى وقع في وادٍ غمره سيل ، ولم ينج من الغرق حتى وجد نفسه أمام جماعة من

(٣١) كليلة ودمنة الطبعة الخامسة بمصر ص ١٦٩ •

للصوص عندهم تاجر يريدون قتله واقتسام أمواله ، ولم يهرب من هؤلاء حتى استند الى حائط دفن تحت أنقاضه • لقد وقفت عند هذه القصة طويلاً وتأملتني ملياً فلم أفهم غرض المؤلف منها ، أيريد ان نلغي عقولنا ونعطل قوانا وننزل عن هممنا وعزائمنا ؟ أيريد ان تترك مقارعة الخطوب ومناهضة الأيام • وأن تترك الحوادث تفعل فينا ما تشاء ؟ ! إن قصة أخرى في الباب نفسه تنصح بغير ذلك ، وهي قصة السمكات الثلاث اللاتي نجت احدهن بعبور الغدير الذي تسبح فيه إلى نهر يجاوره عندما سمعت الصيادين يتواعدان بالرجوع الى الغدير وصيد ما فيه من السمك ، ونجت الثانية منهن باصطناعها مظهر الميت الذي أدى الى اهمالها وطرحها على ضفة الغدير حيث استطاعت التسلل الى النهر ، وبقيت الثالثة وهي اقلهن حيلة في مكانها حيث وقعت في شباك الصيادين •

الواقع ان غرض المؤلف من هذه القصص المتضاربة والحكايات المتناقضة في أغراضها ومغازيها صعب الادراك عسير الفهم ، ومن مواطن زلل كليلة ودمنة الحكم في باب الناسك وابن عرس بالطيش والتسرع والحمق على الناسك الذي تمنى ان يكون حمل زوجته ذكراً ووعد ان يختار له أسماً لطيفاً ومؤدباً ماهراً ، مع انه لم يسرف في أمنية ولم يغفل في أمل • ومن هذا القبيل اعتقاد المؤلف أن الحلم عماد السياسة وقوام الملك (٣٢) ، والذي أعرفه ويعرفه الناس جميعاً هو ان العدل أساس الملك وملاك الحكم • وصحيح ان الحلم خلة لا يستغني عنها السياسي الحكيم : ولكن الحكمة قد تقتضي استعمال الحزم بدلاً منه في كثير (٣٢) أنظر باب بلاذ وايلاذ وايراخت ص ٢٨٠ كليلة ودمنة طبعة مصر الخامسة .

## من الأحيان •

وما يصح في هذه الاحكام يصح في قول المؤلف على لسان دمنة  
« في الرجل الفاضل المروءة » : ( انه لا يرى إلا في مكانين ولا يليق  
به غيرهما ، إما مع المملوك مكرماً او مع النساك متبتلاً ، كالقيل انما  
جماله وبهاؤه في مكانين ، إما في البرية وحشياً أو مركبا للملوك (٣٣) •  
فلست أدري لماذا لا يرى الرجل « الفاضل المروءة » عالماً باحثاً مع  
العلماء أو أديباً فاضلاً مع الأدباء أو طيبياً حاذقاً مع الاطباء أو والياً  
حازماً مع الولاة أو قاضياً عادلاً مع القضاة •

الحق ان منطق كليلة ودمنة في كثير من أحكامه منطق غير مألوف •  
أضف الى ما تقدم ان أقوال ممثلي أدوار هذا الكتاب واعمالهم تتناقض تناقضاً  
عجيباً ، فشتربة في حوارها مع دمنة عندما يأتي لإفساد ما بينه وبين  
الأسد لبيب ثاقب الفكر حاضر الذهن • وافر العلم ، يضرب الامثال  
لصحبة السلطان ودسائس أعوانه ، ويأتي بالتشاييه البديعة في أثناء  
ذلك (٣٤) ، ولكنه يعجز عن ان يقول لدمنة كلمة واحدة يبدي فيها  
شكوكه بأقواله نظراً لما بينه وبين الأسد من كريم الصحبة ووطيد  
العلاقة وجميل الثقة • والغراب يذكر البوم عند الكراكي بكل ما يسيء  
إلى سمعته ويحط من قدره ويحذرهن مغبة تمليكه عليهن تحذيراً  
شديداً ، ولكنه لا يلبث أن يقول لهن : ولكنكن اذا أردتن تمليكه  
عليكن بصورة اسمية فلا بأس ، مع انهن لو فعلن ذلك لكن كمن

(٣٣) كليلة ودمنة ص ١١٨ طبعة مصر الخامسة •

(٣٤) مثال ذلك ان شتربة يشبه نفسه في ركونه الى صحبة الاسد « بالنملة  
التي تجاس على نور النيلوفر » مستطية ريحه وطعمه ، ولكنه متى  
جاء الليل التف عليها فخنقها •

يضع اصبعه في فم الحية على أن يحترس من ان تلدغه ، وبلاذ يسجد  
لحكيم مملكته كباريوس ، أي أنه رجل وثني ، ولكنه يحمد الله تعالى  
على أن تداركه برحمته فعصمه من الاصغاء لنصيحة البراهمة والعمل  
بها ، وإيراخت زوجة بلاذ تفعل فعله فتسجد له عندما يعفو عنها كما  
لو كان ربها ، ولكنها لا تلبث ان تحمد الله على ان نجاها من القتل كما  
لو كانت مسلمة خالصة الاسلام صادقة الايمان ، وهكذا ...

وأغرب من هذا أن الاسفاف يبلغ بمؤلف كليله ودمنة أن يأتي  
بكلام لا معنى له مطلقاً : هذا بلاذ ، أحد ملوك الهند يغضب على  
زوجته إيراخت لأنها كسرت صحن الارز على رأسه وخلطت دمه بالارز  
في أثناء مشاجرة حادة ، ويأمر وزيره إيلاذ بقتلها ، ويذهب بها هذا  
على أن يقتلها ، ثم انه ، أي بلاذ ، يندم على إصدار هذا الأمر ويسأل  
وزيره إيلاذ : أقتل إيراخت حقاً ؟ فيجيبه بكلام يدل على انه فعل ذلك ،  
وهنا يدور بينهما الحوار التالي : « قال الملك : لقد أفسدت أمري  
وشددت حزني بقتل إيراخت . قال إيلاذ : اثنان ينبغي لهما أن يحزنا :  
الذي يعمل الاثم في كل يوم . والذي لا يعمل خيراً قط ، لأن فرجهما  
في الدنيا ونعيمها قليل ، وندامتهما إذ يعانان الجزاء طويلة لا استطاع  
إحصاؤها . قال الملك : لئن رأيت إيراخت حية لا أحزن على شيء  
أبدأ . قال إيلاذ : اثنان لا ينبغي لهما ان يحزنا المجتهد في البر كل يوم  
والذي لم يَأْتِ قط . قال الملك : ما أنا ينظر الى إيراخت أكثر مما  
نظرت . قال إيلاذ : اثنان لا ينظران ، الأعمى والذي لا عقل له ، وكما  
ان الأعمى لا ينظر اسماء ونجومها وأرضها ولا ينظر القرب والبعد  
كذلك الذي لا عقل له لا يعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من

المسيء • قال الملك : لو رأيت إيراخت لاشتد فرحي • قال ايلاذ :  
إثنان هما الفرحان البصير والعالم ، فكما أن البصير يبصر أمور العالم  
وما فيه من الزيادة والنقصان والقريب والبعيد فكذلك العالم يبصر البر  
والاثم ويعرف عمل الآخرة وتبين له نجاته ويهتدى إلى صراط مستقيم •  
قال الملك : ينبغي لنا أن نتباعد منك يا إيلاذ ونأخذ الحذر ولنلزم الاتقاء •  
قال إيلاذ : اثنان ينبغي ان يتباعد منهما ، الذي يقول لابر ولا إثم ولا  
عقاب ولا ثواب ولا شيء عليّ مما أنا فيه ، والذي لا يكاد يصرف  
بصره عما ليس بمحرم ولا أذنه عن استماع السوء ولا قلبه عما تهم  
به نفسه من الاثم والحرص • قال الملك : صارت يدي من ايراخت  
صفراً • قال ايلاذ : ثلاثة اشياء أصفار ، النور الذي ليس فيه ماء  
والأرض التي ليس فيها ملك ، والمرأة التي ليس لها بعل • قال الملك :  
انك يا ايلاذ لتلقي عليّ الجواب • قال ايلاذ : ثلاثة يلقون الجواب ،  
الملك الذي يعطي من خزائنه والمرأة المهداة الى من تهوى من ذوي  
الحسب ، والرجل العالم الموفق للخير » (٣٥) •

أفترى ان بين أجوبة هذا الوزير المخبول وبين أقوال ملكه صلة  
ما ؟ أترى ان كتاباً له مثل مكانة كليلة ودمنة يمكن ان يحتوى على  
مثل هذا الكلام ؟ وأخيراً أترى أنه من العدل ان يتغاضى النقاد القدماء  
والمحدثون عن ورود مثل هذا الكلام في كليلة ودمنة ؟

هذا من حيث الأساس • أما من حيث الشكل ، فأول ما يلفت  
الانتباه من أمر الكتاب هو انه مفرغ بشكل حكاية واحدة ، ذلك ان  
دبشليم الملك يطلب إلى بيدبا الفيلسوف ( ان يضرب له مثل المتحابين

(٣٥) أنظر باب بلاذ وايلاذ وايراخت ص ٣٩٦ - ٣٩٨ من كتاب  
كليلة ودمنة الطبعة الخامسة بمصر •

يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء ( فيحدثه بيدبا حديث الاسد والثور وسعي دمنة بينهما ، وهو حديث طويل ممل فيه مئة حكاية وحكاية لا علاقة لها بالموضوع • ولكنه لا يكاد ينتهي من هذا الحديث حتى يقول له دبشليم : « قد سمعت مثل المتحايين كيف قطع بينهما الكذوب والى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك ، فحدثني ان رأيت عن إخوان الصفاء كيف يتنديء تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض » فيحدثه بيدبا حديث الحمامة والطبي والجرذ والغراب الذين قَدَّرَ لهم أن يتبادلوا أصدق عواطف الاخاء والصفاء ، وهو حديث طويل أيضا ، ولا يفرغ بيدبا منه حتى يقول له دبشليم : « قد سمعت مثل إخوان الصفاء وتعاونهم ، فأضرب لي مثل العدو الذي لا ينبغي ان يغتر به وإن أظهر تضرعا وملقا » ، فيحدثه بيدبا حديث البوم والغراب وهكذا • وكان من السهل ان يصنف بيدبا قصصه ونوادره ومواعظه أصنافاً مختلفة وان يميلها في شكل أحاديث متسلسلة يقدم كلاً منها في مجلس او سهرة كما هي الحالة في ألف ليلة وليلة • ولكنه عمد الى هذا الاسلوب الممل لسبب غير مفهوم ، اللهم إلا ان يكون جهله بأبسط طرق التأليف وأساليبه •

وليس هذا كل شيء ، بل ان المؤلف يستطرد استطرادات كثيرة لا حاجة به اليها مطلقاً ويقحم القصص على حديثه اقحاما • فمن ذلك استطراده الى قصة وكيل البحر مع الطيطوى ، تلك القصة التي ضربها دمنة مثلاً لاتتصار الضعيف على القوى بفضل حيلته • إن هذه القصة زائدة لأنه ليس من مصلحة دمنة ان يمعن في تحذير شترية صولة الأسد الى حد ضرب الامثال له في هذا الموضوع ولان شترية لا يستضعف

الاسد ولا يستهين بقدرته على البطش ، وقل مثل ذلك عن حكاية الارنب الذي ادعى انه من رعايا القمر بغية القاء الذعر في قلب الفيل ، لان الغراب لم يكن بحاجة الى هذه الحكاية كما انه لم يكن من المنطق في شيء أن يشير على الكراكي بتسليمك اليوم عليهن تمليكا صوريا بعد أن ندد به أشد تنديدا وذمه أقبح ذم وبعد ان أشار على الكراكي بالابتعاد عنه ما استطعن الى ذلك سبيلا .

ومن هذه القصص الزائدة قصة رؤيا ايلاذ وتفسير البراهمة لها وإستياء بلاذ من ذلك التفسير ومن مطالب البراهمة الجنونية التي بنيت على ذلك التفسير .

إن بيدبا يريد ان يذكر لدشليم حلم بلاذ عن زوجته إيراخت وصفحه عن اساءتها المنكرة اليه ، وهذا لا يستدعي ذكر الرؤيا التي تقدمت لها الاشارة وما أستدعت من تفسير ومطالب كلها شذوذ وغرابة . هذا إلى أن صفح الرجل عن زوجته لا ينبغي ان يتخذ مثلاً لمعالجة الامور بالرفق واللين . وفي الكتاب مواطن ضعف أخرى كثيرة لا يتسع لذكرها هذا المقام .

وتسألني رأبي في رسالة الصحابة فأقول لك : إنها عبارة عن تقرير يظهر انه رفع لأبي جعفر المنصور يحتوي على تواسي حسنة ونصائح نافعة تتعلق بتثقيف الجند وتعيين مواعيد ثابتة لدفع أرزاقه ، وبتنظيم القضاء وما إلى ذلك ، ليس لدي ما أقوله بشأنها من حيث المقاصد والأفكار ، ولكنني أزعم أنها مثل في رداءة اللغة وعجمة الاسلوب ، وسأروي لك مثلاً منها عند الكلام في لغة ابن المقفع وأسلوبه .



## لغة المترجم وأسلوبه .

وقد مر بك من كلام ابن المقفع ما يمكنك من تكوين فكرة ما عن لغته وأسلوبه ، ولكن يخيل إليّ أنه من المقيد بل من الضروري ان أقف عند لغة الرجل وأسلوبه ووقفه خاصة ، أتبين فيها خصائصهما وأتعرّف مشخصاتهما وفي زعمي أنه يمتاز من هذه الناحية بالغموض والتكرار بلا مسوغ واستعمال الألفاظ في غير ما وضعت له وعجبة كثير من الالفاظ والتعابير شأنه في ذلك شأن سلفه وأستاذه عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، ولك أن تتصفح كتبه ورسائله لتجد فيها البرهان القاطع والحجة الدامغة على صحة ما أقول . ها هو ذا ابن المقفع يتحدث في الأدب الصغير عن قدرة الله ، ويحاول الاستدلال على وجوده بما أبدع من خلق السموات والأرض وهو موضوع عالجه القرآن وحكماء صدر الاسلام ولا سيما علي بن ابي طالب ( ع ) في خطبه مراراً لا تحصى فيقول : « مما يدل على معرفة الله وهو سبب الإيمان أن وكّل بالغيّب لكل ظاهر من الدنيا صغيراً وكبيراً عيناً فهو يصرّفه ويحرّكه (٣٦) » أفترى أن هذه الجملة تدل دلالة واضحة على الفكرة التي تقدمت لها الإشارة ؟ إنني لا أرى ذلك .

ومن امثلة الجملة السالف ذكرها في الأدب الصغير هذه الحكمة الرائعة . . . « إذا تخالجتك الامور فأستقل اعظمها خطراً ، فإن لم يستبن ذلك فأرجاها دركاً ، فإن أشتبته ذلك فاجدرها أن لا يكون

(٣٦) رسائل البلغاء ص ٣٩ طبع مطبعة دار الكتب العربية الكبرى  
سنة ١٩١٣ .

له مرجوع حين تولي فرصته» (٣٧) . الواقع أني عاجز عن فهم هذه الحكمة أشد العجز . أيكون ابن المقفع قد دعا في هذه الكلمة الى استصغار عظام الأمور والاستهانة بجسام الخطوب ؟ إنه يقرر عكس هذا في مكان آخر من الادب الصغير وذلك حيث يقول : « وعلى العاقل ان لا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأي والزلل في العلم والاغفال في الامور ، فان من استصغر الصغير أوشك ان يجمع اليه صغيراً وصغيراً ، فاذا الصغير كبير • وإنما هي ثلم يثلمها العجز والتضييع • فاذا لم تسد أوشكت ان تنفجر بما لا يطاق ، ولم نر شيئاً قط قد أتى إلا من قبل الصغير المنتهاون به ! » (٣٨) • أفينقض صاحبنا كلامه بكلامه ويضرب رأيه برأيه ؟ ثم ما معنى « أن نستقل من الامور إذا اشتبهت أجدرها ان لا يكون له مرجوع حين تولي فرصته » ؟ • اذا لم يخطيء ظني فان هذه الجملة أيضاً غاية في الغموض والابهام ، ومثل هذا يقال في العبارة الآتية وهي : « حاز الخير رجلان سعيد ومرجوعاً فالسعيد الفالغ والمرجوع من لم يخصص والفالغ الصالح ما دام في قيد الحياة وتعرض الفتن في مخاصمة الخصماء من الاهواء والاعداء » (٣٩) • فقد عملت فكري في هذه العبارة وحاولت مرارا عديدة أن أفهمها على وجه معقول أو شبه معقول فلم يتيسر لي ذلك •

وكما يكرر عبد الحميد كلامه على الغرض الواحد في الرسالة الواحدة يفعل تلميذه وخليفته ابن المقفع ذلك بمقياس واسع فيكرر في كتاب ما قاله في كتاب آخر ويكرر في الكتاب نفسه ما سبق له ان قاله

• (٣٧) المصدر نفسه ص ٣

• (٣٨) المصدر نفسه ص ٣٠

• (٣٩) المصدر نفسه ص ٤٧

فيه • وربما فعل ذلك دون تغيير مهم في الالفاظ ، مثال ذلك انه يقول في الأدب الصغير هذه الكلمة التي قلت لك انه سرقها من الامام علي « وعلى العاقل ما لهم يكن مغاوباً على نفسه ان لا يشغله شغل عن أربع ساعات ، ساعة يرفع فيها حاجته الى ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها الى اخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في أمره ، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل • فان هذه الساعة عون على الساعات الأخر ، وان استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بلغة » (٤٠) • ولكنه لا يفرغ من اسداء هذه النصيحة المسروقة حتى يختصرها ويحذف منها الاستراحة الى الاخوة والاطمئنان الى ثقات الاصحاب ويفرغ ما بقي منها في شكل آخر مأخوذ أيضا من الامام علي فيقول : « وعلى العاقل ان لا يكون راغبا الا في احدى ثلاث خصال : تزود لمعاد أو مرمة (٤١) لمعاش أو لذة في غير محرم » (٤٢) ، ولكن هذه الصيغة للفكرة مقتبسة من الامام علي الذي يقول « وليس للعاقل ان يكون شاخصا الا في ثلاث ، مرمة لمعاش او حظوة في معاد أو لذة في غير محرم » (٤٣) • ويقول في الادب الصغير أيضا وهو من شر كلامه : « وعلى العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين طبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض وانحجاز وتحرز وتحفظ في كل كلمة وخطوة ، وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشدد ويلبس لباس الأئمة والالطف والبدلة

(٤٠) رسائل البلغاء ص ١٩ .

(٤١) المرمة ؛ ما يكفي في المعاش .

(٤٢) المصدر نفسه ص ٩ .

(٤٣) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٩٩ طبع المطبعة العربية الكبرى بمصر

والمفاوضة» (٤٤) • وتحلو له إعادة هذه النصيحة فيعيدها في الادب الكبير بنصها تقريبا حيث يقول : « البس للناس لباسين ليس للعاقل يد منهما ولا عيش ولا مرواة الا بهما لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامية فلا تلتفين» إلا متحفظا متشددا متحرزا مستعدا ، ولباس انبساط واستئناس تلبسه الخاصة من الثقات فتلتقاهم بينات صدرك وتفضي اليهم بموضوع حديثك وتضع عنك مؤونة الحذر والتحفظ» (٤٥) • ومن هذا القبيل قوله في الادب الكبير أو الدررة اليتيمة موصيا بأدب الحديث : « تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول» (٤٦)، واعادته مضمون هذه الكلمة في نفس الكتاب بالجملة المفككة التالية وهي : « من الاخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه» (٤٧) ومثل هذا كثير أكتفي منه بما تقدم ايراده تجنبا للاطالة والاملال •

أما استعمال الالفاظ في غير ما وضعت له فإنه شائع في آثار ابن المقفع ، من أمثلة ذلك قوله : « لا تمكن أهل البلاء من التذلل ولا تمكن من سواهم من الاجترأ عليهم والعييب لهم» (٤٨)، يريد : لا تحمل أهل البلاء على التذلل ولا تجرأ عليهم أحدا من الناس • وقوله في

(٤٤) المصدر نفسه ص ٢٩ •

(٤٥) المصدر نفسه ص ٩٠ •

(٤٦) رسائل البلغاء ص ١١٠ •

(٤٧) المصدر نفسه ص ١١١ - ١١٤ •

(٤٨) المصدر نفسه ص ٦١ •

الادب الكبير أيضا : « لا تحضرن عند الوالي كلاما لا يعنيه ولا يؤمر بحضوره الا لعناية به » (٤٩) يريد : لا تسمع الوالي كلاما لا يعنيه ولا يرغب بسماعه . وقوله في باب البوم والغراب من كليلة ودمنة مشيرا الى الفيل الذي خشى صولة القمر : « وشرط ان لا يعود الى مثل ذلك » (٥٠) ، يريد : وقطع على نفسه عهدا أن لا يعود الى مثل ذلك . وقوله في باب الناسك وابن عرس اثناء اشارة الناسك الى ابنه الذي لا يزال حملاً : « اختار له أحسن الاسماء وأحضر له سائر الادياء » (٥١) ، يريد : وأودبه أحسن تأديب ، او انتخب له أحسن المؤدبين .

وليس من شك في أن ما سقته من أمثلة غموض ابن المقفع واستعماله الألفاظ في غير ما وضعت له دليل لا ينقض على تمكن العجمة من لسانه وغلبتها على طبعه ، ومع ذلك أحب ان أروي لك طائفة أخرى من تعابيره الأعجمية الصرف ، فمن ذلك قوله في رسالة الصحابة : « إن بالناس من الاستخراج (\*) والتضاد ما قد علم به اهير المؤمنين » (٥٢) . وقوله في نفس الرسالة : « وإذا كان ذلك لم يقدر أهل الفساد على تريبص الامور » (٥٣) . وقوله فيها أيضاً : « فكان الناس فيما احتبسنا به عنهم من الأخاء على صنفين ، فصنف

(٤٩) المصدر نفسه ص ٧٤ .

(٥٠) كليلة ودمنة ص ٣١١ طبعة مصر الخامسة .

(٥١) المصدر نفسه ص ٣٤٥ .

(٥٢) رسائل البلغاء ص ١٣٠ .

(\*) أحب أن أنبه القاريء الى أنني سأضع تحت كل كلمة يبدو لي انها أعجمية كهذه خطأ يجذب الانتباه اليها بسهولة وقد فعلت مثل ذلك في التنبيه الى مكان العجمة من رسائل عبد الحميد في عصر القرآن .

(٥٣) رسائل البلغاء ص ١٣٠ .

عذرونا بالتعجبس للتخير اذا كان التخير من شأنهم وصنف هم ذوو سرعة الى الإخاء» (٥٤) فمما لا شك فيه ان هذا الاستخراج في الناس وذلك الترييض بالامور الى التعجبس للتخير مما لا يجري به قلم عربي أو مستعرب طويل الباع راسخ القدم في لغة الضاد .

#### د - لماذا أدرسه ؟ !

ستقول : وإذا كان هذا رأيك في ابن المقفع فلماذا تدرسه وتؤرخه وتعنى بآثاره هذه العناية البالغة ؟ وأجيب بأني مضطر الى هذا لأنه ليس في مقدور كاتب ان يؤرخ صناعة الانشاء في صدر الدولة العباسية دون ان يتحدث عن ابن المقفع ويبيدي رأيه فيه . وهناك سبب وجيه آخر يحدوني للكتابة عنه وهو رغبتني في أن يعرف الناس حقيقته ويتبينوا حظه من التفكير السليم والانشاء الفصيح فقد مضى نحو من اثني عشر قرناً والناس يعدونه حجة في البيان وإماماً في صناعة الانشاء ومثلاً في سعة المعارف وسمو الادراك ، ولا ينبغي ان تستمر هذه الهرطقة او الضلالة الأدبية الى الأبد .

#### هـ - مصدر شهرته :

بقي ان نعرف مصدر شهرة الرجل ، وعندني ان الدعاية الشعوية التي خلقت من عبد الحميد بن يحيى على جمود ذهنه وخمود قريحته وتمكن العجمة من طبعه ولسانه علماً من اعلام التفكير وإماماً في صناعة الانشاء العربي ، هي التي خلقت من ابن المقفع آية من آيات النبوغ

(٥٤) المصدر نفسه ص ١٣٧ .

والعبرية وحجة في الافصاح والابانة ومنخرة من مفاخر الأدب العربي،  
وأعانها على بلوغ هذا الغرض ضعف النقد بل انعدامه في الغالب عندنا  
وجمود مؤرخي أدبنا ورغبتهم في الموافقة والمسالمة كائنة نتيجة ذلك  
ما كانت .

### و - خانمه : الفصل في أمره :

أما بعد فإنه اذا كان ما رويت من أقوال ابن المقفع في هذا الفصل  
صحيحاً ، وإذا كان فهمي لهذه الاقوال صحيحاً كذلك ، فاني لا أسرف  
على نفسي إذا زعمت ان رديء الرجل أكثر من جيده وغثه أكثر من  
سمينه وأنه ينقل النفيس والخسيس من آثار لغته الى اللغة العربية  
دون نقد ولا تمييز ، وأنه إلى التبشير برذائل الأخلاق كالجبين والضراعة  
والرياء والانانية والشعوذة وما الى ذلك من ذميم الصفات ، وإلى  
السخف والسداجة في فهم حقائق الحياة والاجتماع ، وإلى الاضطراب  
والتناقض في سرد مقاصده وأغراضه ، وإلى الغموض والركاكة والعجمة  
في لغته وأسلوبه ، أقرب منه إلى أي شيء آخر .

## الفصل الثاني

### أبو عثمان الجاحظ

أ - حياته : اسمه وكنيته ونسبه • مولده • سبب تلقيبه بالجاحظ • ما حرمته الطبيعة وما جادت به عليه • دراسته • أساتذته • شغفه بالقراءة • اشتغاله بالتأليف • حمله كنبه على من سبقه من مشاهير الكتاب • نجاحه في هذه الحيلة • ذيوع شهرته • اتصاله بالمأهون • توليه زعامة ديوان رسائله • استقالته • ما دعا إليها • اتصاله بمحمد بن عبد الملك الزيات • محنته عند الفتنك به • اتصاله بأحمد بن أبي دؤاد وابنه أبي الوليد • اتصاله بالفتح بن خاقان • مشوله بين يدي المتوكل • شيخوخته ومرضه • وفاته •

ب - صفاته : حدة ذكائه • غزارة حفظه • نوادره • قلة مبالاته بالدين  
ج - آثاره : تقسيمها إلى أقسام ثلاثة • ميزة كل من هذه الأقسام • ما لكتبه من محاسن ومساويء على العموم • مساوؤها - غلبة الفوضى عليها • شيوع البذاءة فيها • قلة نصيبها من الثبت • محاسنها • احتواء الحيوان على بحوث علمية مهمة • اشتغال البيان والتبيين والحيوان أيضاً على معلومات أدبية واسعة • اختراعه فن المقامة • لغته وأسلوبه : إطالته • إكثاره من الجمل المترادفة •



قلة عنايته بتهديب كلامه • فصاحته • سماحة طبعه • خلوه  
آثاره من التكلف • كثرة استشهاده بالقرآن والحديث  
والشعر •

د - عذره فيما يؤخذ فيه من هنات •

هـ - مثل من مختار كلامه : شعره ( هامش ) •

و - مقارنة بينه وبين عبد الله بن المقفع •

ز - خاتمة •

### أ - حياته :

أما الآن ، فسأحدثك عن كاتب لعل الدعاية لم تعبت بتاريخه  
عشها بتاريخ ابن المقفع ، ولم تسرف في التهليل والتكبير له إسرافها في  
التهليل والتكبير لابن المقفع ، هذا الكاتب هو أبو عثمان عمرو بن بحر  
ابن محبوب الكناني بالنسب كما يقول هو <sup>(١)</sup> وبالولاء كما يقول  
خصومه <sup>(٢)</sup> الذين يزعمون أن جده محبوباً سليل عبد أسود يدعى  
فزارة كان جمالاً لعمرو بن قلع الكناني • على أننا إذا أخذنا بهذه

(١) أكد الجاحظ أنه كناني صليبة في كلمة ظريفة ختم بها رسالته  
التي كتبها في مدح النبيذ للحسن بن وهب هذه هي : « وأنا رجل من  
بني كنانة وللخلافه قرابة ولي فيها شفعة وهم بعد جنس وعصبة فأقل  
ما أصنع ان اكرت لي منه « أي من النبيذ » أن أطلب الملك وأقل ما يصنعون  
بي أن انفى من الارض » - رسائل الجاحظ طبعة السندوبي ص ٢٩١ .  
(٢) ممن شك في عروبة الجاحظ أو طعن بها في أيام حياته الجماز  
الذي هجاه بقوله :

قال عمرو مفاخرأ نحن قوم من العرب

قامت في طاعة لربك أبليت ذا النسب

« معجم الادباء ح ١٦ ص ٨٣ طبعة مصر » .

الرواية فانه لا معدى لنا من التسليم بأن محبوباً جد الجاحظ ولد او نشأ او عاش على أقل تقدير في بيئة عربية خالصة ، وأن بحراً والده ولد ونشأ وعاش في بيئة عربية خالصة كذلك • ومعنى هذا أن « البودقة » العربية صهرت المترجم إن كان أصله حبشياً كما يزعم خصومه حتى أحالته عربياً خالصاً • أضف الى ذلك أن ثقافته عربية بحتة كما سيجيء • وإذن فهو عربي صميم بأدبه إذا لم يكن عربياً صميماً بنسبه •

وقد ولد في البصرة في أوائل سنة خمسين ومئة للهجرة كما يقول هو في رواية ذكرها يافوت • ولكن الشائع بين الرواة أنه ولد في أواخر العقد السادس من القرن الثاني للهجرة • ومصدر شيوع هذا القول أنهم يجمعون على أنه توفي سنة خمس وخمسين ومئتين للهجرة وأنهم يختلفون في مقدار عمره فيزعمون مرة أنه عمّر ستاً وتسعين سنة وتارة نيفاً وتسعين وطوراً نيفاً وثمانين وحيناً نيفاً وسبعين ، ولا يبلغون به المئة على كل حال مع أن الاختلاف في تقدير عمر الرجل لا يصلح مطلقاً لأن يكون مصدراً لتعيين سنة ميلاده بصورة تقريبية •

وكان دميهم الخلقة قصير القامة جاحظ العينين ، أي ناتئهما ، وقد

لقب « بالجاحظ » و « الحدقي » لهذا السبب • إلا أن الله منحه قلباً ذكياً وذهناً وقادراً عبوّضه بهما عما فاته من حسن الخلقة وجمال الصورة وعما فاته من رغد العيش وسعة الحال أيضاً ، فقد نشأ فقيراً معدماً • روي أنه كان في وقت ما يبيع الخبز والسّمك في البصرة ، ولكنه نشأ محباً للعلم مغرماً بالادب كلّفنا بالدرس فأستقصى علوم عصره او أكثرها درساً ويحثاً • درس العربية وعلومها والدين وما يتصل به ودرس

الفلسفة والمنطق والرياضيات والطبيعات • أخذ اللغة وعلومها عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الانصاري والأخفش الأكبر وأخذ الحكمة والكلام عن ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام ، ولزم المربد وشافه الأعراب الذين كانوا يهدون الى البصرة وجالسهم وتأثر بهم وقرأ ما شاء الله ان يقرأ مما ألف في العربية وما نقل اليها من مختلف العلوم والفنون •

ولم تكن حاله بالطبع تتسع لشراء كل ما يحتاج اليه من الكتب فكان يستأجر حوانيت الوراقين (الكتبيين) ليبيت فيها وليتمكن من قراءة ما يجب أن يقرأ من الكتب •

وما كان ليقرأ دون أن يكتب ليقرأ الناس ، فألّف الكتب العديدة ونحلها مشاهير الكتاب كعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون وغيرهما • وقد نجح في استعمال هذه الطريقة فراجت كتبه وأقبل عليها الناس وتداولوها ورضوا عنها ، فلما رأى ذلك تبتأها وجهه بأنه واضعها ، فعلا قدره وسمت منزلته • ووقع كتابه ( الامامة في حجج الراوندية ) ، وهم فرقة من شيعة بني العباس ، في يد المأمون فأحاله الى رجل من أفراد حاشيته يعرف (باليزيدي) وأمره أن يقرأه ويصفه له ، فقرأه وأثنى عليه عنده ، وآئذ قرأ المأمون الكتاب ووقع من نفسه موقعا حسنا ، فاستقدم الجاحظ وأعرب له عن اعجابه به واكباره له ثم ولاه رئاسة ديوان رسائله ، وأثار هذا حسد سهل بن هارون كاتب المأمون إذ ذاك ، فقال : « ان ثبت الجاحظ في هذا الديوان أقل نجم الكتاب » • ولكنه لم يحتفظ بهذا المنصب سوى ثلاثة أيام استقال بعدها فقبلت استقالته • والمعروف انه استقال بسبب خفة روحه وسماجة منظره اللتين لا تنفقان

وخطورة منصبه • ولكن أكان يجهل هذا قبل تعيينه أم كان المأمون غير عالم به ؟ •

أما انه ليخيّل اليّ أن تصريح سهل بن هارون المتقدم ذكره هو الذي دفعه الى الاستقالة • فأكبر الظن أنه رأى فيه نذيراً بدسائس ومؤامرات خطيرة بدأت خيوطها تحاك من حوله فأثر السلامة ورغب في الانسحاب •

ولكن حضور الجاحظ الى بغداد وغشيانه أندية عظمائها وعلمائها وأدبائها مكثاه من الاتصال بزمرة من أقطاب السياسة والعلم والادب في مقدمتها محمد بن عبد الملك الزيات • فلما صار ههنا وزيراً للمعتصم قرب الكاتب ورفع من شأنه وأغدق عليه العطاء ، فاستمتع بلدات العيش وقام ببعض الاسفار التي قد تكون ذات صبغة علمية ، فزار دمشق وأنطاكية ومصر على قول • وكافأ ابن الزيات على أياديه البيض باهداء أجل كتبه اليه وهو « الحيوان » فأثابه عليه الوزير بخمسة آلاف دينار •

ولكن لهم تكن هذه السعادة لتدوم للجاحظ بقية حياته دون أن يعترضها ما ينغصها ويكدر صفاءها أو يحيلها تعاسة وشقاءً في وقت من الاوقات • فقد كانت بين محمد بن عبد الملك مقرب المترجم وحاميه وبين أحمد بن أبي دؤاد قاضي المعتصم فالمتوكل في أوائل خلافته مشادة عنيفة وكان صاحبنا طبعاً في جانب الوزير ، فلما آلت الخلافة الى المتوكل على الله وكان يبغض الزيات بغضاً شديداً فعذب به وقتله هرب الجاحظ واختفى عن الانظار فطلبه رجال أحمد بن أبي دؤاد قاضي المتوكل وموضع ثقته وشريكه في كثير ما أعماله • وظفروا

به وأحضره الى مجلس سيدهم على أسوأ حال ، فقد كان مغلول  
اليدين مقيد الرجلين ليس عليه سوى قميص خلق ، فقرعه القاضي  
تقريبا شديداً ووصفه بنكران الجميل والخبت بل النفاق والكفر •  
فطالبه أبو عثمان بما يليق بالكريم من الصفح اذا قدر • وكان القاضي  
كان ينتظر هذا منه ليصفح عنه ويغفر له بل وليمهد السبيل لا تخاذه  
صديقا محببا وعشيرا مقربا ، ففك قيده وأمر بأخذه الى الحمام وحمل  
سقط ثياب اليه • فلما أصلح من شأنه دخل عليه فاستقبله بلطف  
وبشاشة وأحله صدر مجلسه ، وقال له تلك الكلمة الشهيرة : « والآن  
هات حديثك يا أبا عثمان » ، وصار الجاحظ سميح ابن أبي دؤاد وعشيرته  
يمدحه ويناديه ويأكل على مائدته ويأخذ عطاياه •

وكما خلد أبو عثمان علاقته بمحمد بن عبد الملك الزيات بكتاب  
( الحيوان ) خلد علاقته بأحمد بن أبي دؤاد ( بالبيان والتبيين ) • ولم  
يقصّر القاضي في تقدير الكتاب فقد أثاب المؤلف بخمسة آلاف دينار •  
وكأنه أراد باعطائه هذا المقدار من المال أن لا تقل مكافأته على  
( البيان والتبيين ) عن مكافأة ابن الزيات على كتاب ( الحيوان ) ولم  
يمض على علاقة الجاحظ بابن أبي دؤاد سوى سنة واحدة حتى فلبج  
هذا وخلفه في منصبه ابنه محمد المكنى بأبي الوليد ، فانقطع اليه  
الجاحظ انقطاعه لأبيه ، ولكنه لم يكن أهلا لمنصبه فغضب عليه المتوكل  
بعد مدة قصيرة لكثرة شكوى الناس منه • وأمر بعزله ومصادرة أمواله  
ولكن الجاحظ لم يعدم من يقربه ويعطف عليه ويعجب به من ولاية  
الامور ، فقد اتصل بالفتح بن خاقان وتودد اليه وقدم له كتباً ورسائل  
منها رسالة أسماها « مناقب الترك وعامة جند الخلافة » • وتقول رواية

إن المتوكل على الله استدعى الجاحظ ليعهد إليه تأديب بعض ولده ،  
فلما رآه استبشع منظره فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه (٣) .  
وطالت حياة أبي عثمان ، وانتابت جسمه الأمراض فأصيب بالفالج  
والنقرس (٤) ولزم بينه في البصرة . وكان الأدباء يختلفون إليه من حين  
لآخر ليعربوا له عن شعورهم الطيب نحوه وليستمتعوا بحديثه العذب  
وفكاهته الحلوة التي لم تفارقه حتى آخر أيام حياته . وتوفاه الله في  
المحرم من سنة خمس وخمسين ومئتين للهجرة ، وقيل إن الكتب  
سقطت عليه فمات تحتها فاذا صح ذلك فإنه يكون شهيد الكتب التي  
وقف عليها عقله وقلبه ونشاطه معظم أيام حياته .

### ب - صفاته :

أما صفات الجاحظ فأهمها حدة الذكاء . وقوة الحافظة . وخفة  
الروح . ورقة الدين . فأما ذكاؤه فإنه يتجلى في كتبه ورسائله التي  
تعد بالمئات ، ويتجلى في نكته اللاذعة ونوادره المستظرفة ، ويتجلى قبل  
كل شيء في خطته الدقيقة المحكمة التي رسمها للاستيلاء على عقول  
معاصريه وعلى عقول من يأتي بعدهم . ذلك أنه عرف نوع الأدب  
الذي يعجبهم ويلائم أذواقهم ومشاربهم . والكتب التي ترضيهم  
وتستهوي أفئدتهم ، فقدم لهم الأدب المطلوب ، أدب الفكاهة والتسلية  
وأدب النادرة والنكتة وأدب الحديث والاستطراد ، الأدب الذي

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٨ طبع المطبعة الميمنية بمصر .

(٤) النقرس علة تصيب مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين شديدة  
الشبه بداء المفاصل .

لا رابط له ولا ضابط ، وألف لهم الكتب التي تمثل هذا الأدب وتجمع شوارده وتتنظم قصصه ونوادره وفوائده أيضاً ، فأعجبوا به أبما اعجاب وتنافسوا في اقتناء كتبه ورسائله تنافسا ما عليه من مزيد • وكما تمثل كتب الجاحظ حدة ذكائه والمعيته • تمثل كذلك سعة حفظه وقوته وغزارته ، ذلك أنه كان يملئها إملاءً ويسوقها في شكل أحاديث متتابعة آخذ بعضها برقاب بعض • مزعومة بالشواهد التي يدل سياق إيرادها على أنها وردت عفواً ورويت في غير عناء ولا تكلف ، وما أظنني بحاجة الى التنويه بنوادر المترجم • فقد تناولتها الكتب وتحدث بها الناس في كل زمان وفي كل مكان ، ومع ذلك أروي لك منها النادرة التالية على سبيل التفكه •

طلب أحدهم الى الجاحظ أن يكتب كتاب توصية الى صديق له برجل لا يعرفه فكتب اليه : ( هذا كتاب مع من لا أعرفه وقد كلمني فيه من لا أوجب حرمة فان قضيت حاجته لم أحمدك وان رددته لم أذمك ) • وفضل الوسيط كتاب الجاحظ ليططلع على ما فيه ، فلما قرأه عاد اليه ، فلما رآه علم أنه فتح الكتاب ، فقال له : « علمت أنك أنكرت الكتاب ، وانما هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعطني به » • وانك لتستطيع أن تتبين أثر النادرة في تكوين مكانة الجاحظ اذا قلت لك ان هذه النكتة كانت سبب اتصاله بالفتح بن خاقان ، فقد أثارت اعجاب الوزير بالكاتب وحملته على الاهتمام به والعطف عليه •

ولكن ، ما دين الرجل ؟ أهو مسلم صادق ؟ أم زنديق مارق ؟ أم بين بين ؟ أي أنه مسلم قليل التمسك بمبادئ دينه وتعاليمه • يعتقد خصومه انه زنديق مارق ويرمونه بترك الصلاة ووضع

الاحاديث وما الى ذلك من المنكرات • وقد لا يكون في هذا شيء من الغلو والاسراف ، اذ الواقع أنه رجل ظرف لا رجل دين ، كما يرى أحمد بن أبي دؤاد ، وصاحب فكاهة لا صاحب نزاهة • يهمله أن تكثر روايته وتشيع نوادره ويقبل الناس على حديثه ، ولا يهمله أن يكون ما حدثهم به صحيحا أو غير صحيح •

حدثت عن نفسه أنه نسي كنيته ثلاثة أيام ، ولم يجد بدا من أن يسأل أهله عنها ففعل (٥) • وأحسب ان نسيانا كهذا لا يمكن ان يحدث لرجل له سعة حفظ الجاحظ وقوة ذاكرته وان التظرف والرغبة في رواية نادرة من أغرب نوادر النسيان هما اللذان دفعاه الى اختلاق هذه القصة •

وروى ، أعني الجاحظ ، أن مولىً فصيحاً كان يختلف اليه ، فقال له ذات يوم ما مضمونه : إنك من الفصاحة بحيث تستطيع أن تنتسب الى أية قبيلة شئت من العرب دون ان ينكر عليك ذلك أحد لفصاحتك • ونزل المولى على نصيحته فلفق له نسبا وحفظته اياه ، فلما حفظه حفظا جيدا ، قال له : ( والآن لا تتع علينا ) فأجابته : ( سبحان الله ، إن فعلت ذلك فأنا اذن دعي ) (٦) • وهو — ان كان صادقا في هذا فانه يسجل على نفسه انه يختلق الانساب ويشجع على الكذب ، وان كان كاذبا فانه يقيم البرهان على انه يستبيح الكذب ويمارسه فيما يروي من أخبار وقصص • وليس هذا كل شيء ، بل انه كثيرا ما قال الشيء وضده وأيد الرأي ونقيضه • وصحيح أن مدحه الكتاب وذمه

(٥) معجم الأدباء ج ١٦ ص ٧٥ طبعة مصر •

(٦) المصدر نفسه ج ١٦ ص ٩٤ •



لهم واطراءه الوراقين ومقتنه اياهم واستحسانه النيذ واستهجانته له  
وما يجري هذا المجرى من متناقضاته ضرب من العبث البريء • الا أن  
خذلانه عليّ بن أبي طالب (ع س) في دفاعه عن العثمانية (٧) خذلانا  
شديدا وخذلانه أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) في دفاعه عن العباسية (٨)  
خذلانا أشد • عمل أقل ما يقال فيه إنه استخفاف بالدين وتهاون شديد  
بمقام كبار الصحابة •

ستقول : وما رأيك بهذه المقدمات الدعائية وهذه البسملات  
وتلكم الحدودات التي تواجهنا في كل كلمة يكتبها الجاحظ وفي كل فصل  
يحرره ؟ وأجيب بأنها ستار يرخيه المؤلف على دخيلة نفسه وحقيقة  
تفكيره لا أكثر ولا أقل • على أنني أحب أن أقول لك ان دينه لا يؤثر  
مطلقا في قيمته الادبية ولا يغير من رأبي فيه من حيث هو كاتب ومؤلف •  
وان الذي حدا بي للكلام على دينه هو الرغبة في استيفاء البحث عن  
شؤونه وأحواله •

### ح - آثاره :

قلت لك ان الجاحظ سبر غور عصره وعرف ميول أبنائه وأهواءهم  
وأذواقهم ، فقدم لهم الأدب الذي يشتهونه ويحبونه وألف لهم الكتب  
التي يرضونها ويعجبون بها • وأقول لك الآن ان هذه الكتب يمكن  
أن تقسم الى ثلاثة أقسام •

فأما القسم الأول فانه عبارة عن رسائل مختصرة أو مقالات مطولة

(٧) رسائل الجاحظ طبعة السندوبي ص : ١٢ •

(٨) رسائل الجاحظ طبعة السندوبي ص ٣٠٠ - ٣٠٣ •

يجذب فيها المؤلف شيئاً من الأشياء أو عملاً من الأعمال أو مذهباً دينياً أو سياسياً أو اجتماعياً أو يستنكره ويندد به • ومن هذا القبيل « دفاعه عن العثمانية » و « دفاعه عن العباسية » وما كتبه في « النساء » عامة و « القيان » خاصة وفي « النبذ » مدحاً وذماً وما إلى ذلك •

وأما القسم الثاني ، فإنه يتألف من أسفار قصص ونوادير ونكت وأضاحيك ، منها « اللصوص » و « البخلاء » و « الصرحاء والهجناء » و « مفاخرة السودان الحمراء » وما جرى هذا المجرى •

وأما القسم الثالث فإنه يجمع الجدل إلى الفكاهة والدرس إلى الدعاية • وأكبر كتب هذا القسم « الحيوان » و « البيان والتبيين » وهما أكبر كتب الجاحظ على الإطلاق وأكثرها فائدة • ولكتب الجاحظ هذه مساويء عديدة ومحاسن عديدة كذلك • فمن أبرز مساوئها غلبة الاستطراد عليها غلبة يختلط معها الحابل بالنابل والغث بالسمين والرديء بالجميل ، فإذا حدثك الجاحظ عن مسألة نحوية مثلاً فإنه لا يلبث أن ينتقل منها إلى حادثة تاريخية على أن يتحول عن هذه إلى مسألة دينية مستطرداً بعد ذلك إلى نادرة أدبية وهكذا •

وعلة ذلك أن الجاحظ يكتب كما يتحدث ، ويتحدث تبعاً لتوارد الخواطر على نفسه والأفكار على ذهنه دون أن يخضع هذه الخواطر وتلك الأفكار لنوع من المناسبة ملحوظ • وأنه لمن الحق أن نقرر أنه لم يفعل هذا جهلاً بالترتيب وعجزاً عن التنسيق والتنظيم ، وإن كان قد سجل على نفسه في مقدمة الجزء الثاني من البيان والتبيين أنه عاجز عن تنظيم أفكاره وآرائه والسيطرة على قلمه فيما أحسبه فعل ذلك إلا تواضعاً وإنما فعله عن تفكير وعمد ، فإنه يقول لك بصريح العبارة وفي

أماكن كثيرة من كتبه : إن القاريء كالسامع يعتريه الملل ويدب إليه السأم إذا طال عليه الحديث ، وانه ليس ثمة شيء أضمن لدوام اقباله واستمرار نشاطه من تنويع الحديث له أنواعاً وتلوينه ألواناً •  
ويظهر أن الجاحظ يعبر بهذا عن رأي معاصريه من علماء وأدباء وشعراء ، فأنت تعلم أنه قدّم كتاب « الحيوان » وفيه من صنوف الاستطراد ما لا يكاد يصدّقه العقل الى محمد بن عبد الملك الزيات وهو من أفضل رجال عصره وأكثرهم علماً وأغزرهم أدباً وأوفرهم عقلاً وأقدرهم على النقد والتمييز فقبله منه وأجازه عليه دون ان يلفت نظره إلى زيادة أو نقيصة فيه • وتعلم أيضاً أنه قدّم البيان والتبيين وهو لا يقل عن سابقه ولو عا بالاستطراد والانتقال من بحث الى آخر دون أن تكون بينهما صلة ما إلى أحمد بن أبي دؤاد الذي تزعم القضاء في الدولة العباسية مدة من الزمن فقبله منه كذلك وأجازه عليه ، ولم يعبه في شيء •

ومعنى ذلك أن طريقة الجاحظ في الاستطراد والانتقال من موضوع الى آخر دون أن تكون بينهما علاقة • كانت محببة إلى كبار القراء في ذلك العصر أثيرة عندهم (٩) • ولكن اذا كانت الفوضى في الأدب مما يستسيغه أو يكلف به أبناء القرن الثالث للهجرة فانها مما ياباه أبناء القرن الرابع عشر كل الالباء ويرفضونه أشد الرفض • ومن مساويء هذه الكتب أقدام المؤلف على ايراد نكت ونوادير بذينة جداً ، وما كان له - وهو المفكر المتكلم المتفلسف - أن يجنح إلى المجون ويركن (٩) مما يدل على هذا أيضاً قول أبي تمام واصفاً إحدى مدائحه لمحمد بن عبد الملك الزيات :  
الجد والهزل في توشيع لحمتها والنبل والسخف والاشجان والطرب

الى بنديء القول وفاحشه بحجة الاستجمام وراحة العقل والنفس ،  
فان للاستجمام أدباً ولإراحة العقل والنفس حدوداً ، وأشهد أن الجاحظ  
قد سخر من هذا الأدب وتجاوز تلك الحدود في مؤلفاته مراراً كثيرة  
ولا سيما في كتاب « الحيوان » الذي كان عليه ان يتحاشى فيه وحده  
على الأقل هذا النوع من الدعاية المستهجنة لأنه كتاب جد ودرس •  
وكتاب عظة وعبرة كما يقول المؤلف ، غايته الدلالة على حكمة الله  
وبيان درجة إبداءه في خلقه ، ولكن هيهات ، ما كان الجاحظ ليتغلب  
على طبعه ويسيطر على نزعاته ويكف من بوادر عبثه ومجونه ، أما  
رأس هذه المساويء فهو عدم التثبت في رواية الحوادث والاخبار أو  
قل خلق بعضها خلقاً وافتعاله افتعالاً • ومصدر ذلك ان المؤلف صاحب  
عبث ومجون ، يهمل أن يهزل وأن يضحك الناس كائنة وسيلة ذلك  
ما كانت • وقد رأيت عند الكلام على أخلاقه أنه يكذب ويحمل غيره  
على الكذب • ورجل هذا شأنه لا يمكن ان يحملك على الثقة بما  
يقول والاطمئنان الى ما يكتب •

ومع ذلك يخيل اليّ ان (الحيوان) و (البيان والتبيين) لا يحتويان  
إلا على القليل جداً مما لا يمكن الاطمئنان اليه ، لأنهما كتبا لرجلين  
من أقطاب الحركة العقلية في القرن الثالث للهجرة • ولكن أليس الى  
جانب هذه المساويء محاسن جديرة بالذكر ؟

بلى ، إن هناك لمحاسن تستوقف نظر الباحث وتسترعي انتباه  
الناقد واهتمامه • ففي الحيوان مثلاً بحوث علمية مفيدة تدل على ثقافة  
واسعة وخبرة طويلة وجلد عظيم على البحث والدرس • ولك ان تتصفح  
هذا الكتاب لتبين أن الجاحظ لهم يقصر في دراسة أي حيوان تصدى

إلى درسه • اقرأ ما كتب عن الأفعى والعقرب والحمام والديك والكلب وغير ذلك من صنوف الحيوان ، تجدد أنه وسفى كلاً من هذه المخلوقات حقه ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة تتعلق به إلا احصاها ، وهو اذ يحدثك بما وصل إلى علمه من شؤون هذه الحيوانات لا يؤمن به إيمان « العجائز والباعة » على حد قوله ، ولكنه يبحث ويمحص ويناقش وينقض ويبرم حتى ينتهي الى الحقيقة العلمية الثابتة • وفي ( البيان والتبيين ) بل وفي ( الحيوان ) أيضاً طائفة كبرى من شعر وخبر وحكمة ومثل وعظة تمثل حياة العرب الأدبية والاجتماعية قبل الاسلام وبعده يعسر جداً ان تجددها في أي مكان آخر • وقد كتب كل ذلك بلغة متينة سلسلة وأسلوب قوي سمح لا أثر فيه للتكلف • أفترى ان ذلك شيء يستهان به ؟

ولكن هل استحدث الجاحظ نوعاً جديداً من الادب ؟

إذا لم يخطيء ظني فانه أول من صنع المقاومة في الادب العربي ، إذ لا جدال في ان رسالته التي يتحدث فيها عن صنائع القواد مقامات رائعة يديرها بطلان هما الجاحظ والمعتصم ، وموضوعها سياسي خطير لأنها تهدف الى نقد سياسة المعتصم في اختيار قواده من بين الخياطين والخبازين والطباخين وأمثالهم من أرباب الحرف والاعمال التي لا تتطلب ثقافة سامية ومدارك ممتازة (١٠) • واذا كان بطلا هذه المقامة حقيقيين

(١٠) المعروف أن بديع الزمان الهمداني هو الذي ابتكر فن المقامة في الادب العربي وقد أنفرد أبو اسحق الحصري في القول بأن بديع الزمان الهمداني قد عارض بمقاماته أحاديث ابن دريد التي رواها القالي في أماليه « زهر الآداب ج ١ ص ٣٠٧ الطبعة الاولى » . وقد توفي ابن دريد هذا سنة ٣٢١ للهجرة ، وأنا أزعّم ان الجاحظ هو الذي ابتكر فن المقامة في الادب العربي وأن احداً اليها لم يسبقه .

ولم يكونا خياليين كأبي الفتح الاسكندري في مقامات الهمداني وابي زيد السروجي في مقامات الحريري ، فان حوادثها خيالية دون أدنى ريب ، فما أشك في ان الجاحظ لم يدخل على المعتصم ولم يتحدث اليه هذا الحديث الطويل عن اللسان ومزاياه وعن ضرورة تعدد مناحي الثقافة الشخصية وفي انه لم يشر الى صنائع قواده قبل ان يكونوا قواداً هذه الاشارة العابثة الماجنة ، وما أشك كذلك في أن المعتصم لم يسمع هذا الحديث ولم يوافق على شيء منه ولم يأمر مؤدب أولاده بتعليمهم جميع العلوم المعروفة في عصره . واذن فالرسالة خيالية ، واذن فهي مقامة رائعة . واذن فالجاحظ صاحب أول مقامة في الادب العربي وكم كنت أود أن أروي لك هذه المقامة لولا ان ما فيها من عبث ومجون لا يسمحان بذلك ، ولكنك تستطيع ان تقرأها في ( رسائل الجاحظ ) وهي مطبوعة ومتداولة .

### لغته وأسلوبه :

وقد حدثتك عما يمتاز به أسلوب الجاحظ من الاستطراد والبذاءة عند الكلام على محاسن كتبه ومساوئها ولكن هذا غير كاف لمعرفة أسلوب الرجل ولا بد لي من ان أفرد كلمة خاصة في هذا الفصل للغته وأسلوبه . وأنا فاعل ذلك . فأقول : إنه مطيل الى درجة قد تبعث على الملل ، مكثر من إيراد الجمل المتشابهة التي ربما أغنى بعضها عن بعض ، قليل التهذيب أو قل عديمه لكلامه . إلا انه فصيح اللفظ متين العبارة بعيد عن التكلف كثير الاستشهاد بالقرآن والحديث والشعر .

فمن الغريب حقاً أن الجاحظ وهو الكاتب الذي يحرص على رضى  
القاريء كل الحرص ويبدل كل ما في وسعه في سبيل استبقاء نشاطه  
وإستمرار اقباله يطيل الى درجة لا يجد معها القاريء مفراً من السأم .  
وتضطره هذه الاطالة الى أن يبديء ويعيد في غير موجب ولا مسوغ  
وان يأتي بالجميل الفارغة التي لا فائدة فيها ولا طائل تحتها . خذ مثلاً  
على ذلك انه يصف النبيذ ويعدد فوائده وفضائله فيقول : « لأن  
النبيذ اذا تمشى في عظامك والتبس بأجزاءك ودبّ في جنانك منحك  
صدق الحس وفراغ النفس وجعلك رضى البال خليّ الذرع قليل  
الشواغل قرير العين واسع الصدر فسيح الهم » (١١) .

ثم انه لا يلبث ان يكرر هذا الوصف فيقول : ( ولو لم يكن  
من أياديه وهننه ومن جميل آلائه ونعمه ، الا انك ما دمت تمزجه  
بروحك وتزواج بينه وبين دمك ، فقد أعفك من الجد ونصبه وحسن  
اليك المزاح والفكاهة وبغض اليك الاستقصاء والمحاولة وأزال عنك  
تعقد الحشمة وكده المروءة وصار يومه جمالا لأيام الفكر ) . (١٢)  
ولا يلبث ان يكرر هذا الوصف في مكان آخر من الرسالة ولكن  
باختصار في هذه المرة فيقول : ( ان كنت جدلان كان باراً بك ، وان  
كنت ذا هم نفاه عنك ) (١٣) . وواضح ان هذا تكرار لا فائدة فيه ولا  
مبرر له ، ومن هذا القبيل قوله في مخاطبة رجل يظهر انه عاب كتبه  
خاصة والكتب عامة : ( فعبت الكتاب ونعم الذخر والعقدة هو ونعم  
الجلس والعدّة ونعم الشرة والنزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم

(١١) رسائل الجاحظ طبعة السندوبي ص ٢٨٨ .

(١٢) المصدر نفسه ص ٢٨٨ .

(١٣) رسائل الجاحظ طبعة السندوبي ص ٢٨٩ .

الانيس ساعة الوحدة • ونعم المعرفة ببلاد الغربية • ونعم القرين والدخيل  
 ونعم الوزير والنزيل (١٤) • وبعد ان يفيض في وصف فوائده الكتاب  
 وصفا يغلب على ظني انه اقرب الى السهولة منه الى أي شيء آخر  
 يعود الى تعداد صفاته التي سبق ذكرها فيقول : ( وعبت الكتاب ولا  
 أعلم جاراً أبرّ ولا خليطاً انصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً  
 أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية ولا أقل جنابة ولا أقل املاً وابراماً  
 ولا أجمل أخلاقاً ولا أقل خلافاً واجراماً ولا أقل غيبة ولا أبعد من  
 عضيهة (١٥) ولا أكثر اعجوبة وتصرفاً ولا أقل تصلفاً وتكلفاً ولا أبعد  
 من مرأء • ولا أترك لشغب • ولا أزهد في جدال • ولا أكف عن قتال من  
 كتاب (١٦) • ويستمر في وصف هذه الجمل المتشابهة والفقر المتماثلة  
 الفارغة فيقول : ( ولا أعلم قريناً احسن مؤاخاة ولا أعجل مكافاة ولا  
 أحضر معونة ولا أخف مؤونة ولا شجرة اطول عمراً ولا أجمع امراً ولا  
 أطيب ثمرة ولا أقرب مجتنى ولا أسرع ادراكاً ولا أوجد في كل ابان  
 من كتاب (١٧) • ومثل هذا كثير في كتبه ورسائله • اضف الى ذلك  
 ان لغته لا تخلو من هنات وشطحات مصدرها قلة عنايته بتهديب كلامه  
 وتنقيحه ، فمن ذلك قوله : ( فبأي شيء بلغت الافهام واوضحت عن  
 المعنى ) (١٨) اذ الصواب : ( واوضحت المعنى ) • وقوله : ( وهم الذين  
 جلوا بكلامهم الأبصار العليلة ) (١٩) فقد

(١٤) الحيوان ج ١ ص ٣٨ طبعة مصطفى البابي الحلبي الاولى •

(١٥) العضيهة : البهتان والكلام القبيح •

(١٦) الحيوان ج ١ ص ٤١ •

(١٧) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٢ •

(١٨) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٣ طبعة مطبعة الفتوح الادبية بمصر •



كان الصواب ان يقول ( البصائر العليقة ) • وقوله  
مشيرا الى خطب العرب وكونها تنقسم الى طوال وقصار : ( ووجدنا  
عدد القصار اكثر رواة العلم الى حفظها أسرع ) (٢٠) اذ الصواب أن  
يقول ( ووجدنا اكثر رواة العلم أسرع الى حفظ القصار ) • وفي  
الامكان اعطاء امثلة أخرى لهذه الهنات ، ولكن ليس من الضروري  
احصاؤها جميعا •

بيد انه ان كان في اسلوب الجاحظ ولغته كل هذه المساويء ،  
فانه من ناحية اخرى مطبوع على الكلام • سميح الخاطر • فياض  
البديهة • لا يلتزم سجعا ولا يتكلف ازدواجا ولا يستكره جناسا ولا  
طباقا ولا تشبيها ولا يحكك ولا ينقح ولا يضع جملة مكان جملة  
ولفظا مكان آخر وانما يأخذ من الكلام ما تجود به قريحته السمحة  
عفوا وتتفتح عنه بديهته المواتية طوعا ويصرفه في أغراضه المتنوعة  
ومقاصده المتعددة ومذاهبه المتشعبة كما يشاء • ومن خصائصه الحسنة  
كثرة الاستشهاد بالقرآن والحديث والشعر ، فما يكاد يتحدث اليك  
عن شأن من الشؤون أو غرض من الاغراض حتى تنثال الشواهد عليه  
انشيالا وتزدحم الأمثلة في حديثه ازحاما • ولا غرابة في ذلك فان حافظته  
العجيبة وضعت يده عنى كنوز اللغة العربية ويسرت له من الاحاطة بالادب  
العربي على اختلاف أنواعه ما لا يتيسر الا لأفذاذ الرواة والحفاظ •  
د - عنده فيما يؤخذ فيه من هنات :

وقد نقلت كتب. ابي عثمان نقداً صارما عنيفا وحاسبته حسابا

(١٩٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢ •

(٢٠) البيان والتبيين ج ٢ ص ٣ طبعة مطبعة الفتوح الادبية بمصر.

لا هوادة فيه ولا لين • ولكن لا بد لي من أن أنصفه وان أعيدل في الحكم عليه ، وذلك بأن أسجل انه معذور في كثير مما أخذته فيه • فان الكتب التي نقدتها انما كانت كتب شيخ متهدم بلغ من العمر عتياً • واقتابت جسمه العلل فأصاب الفالج نصفه والنقرس نصفه الآخر • وكان من الحق ان يستريح في هذه الفترة من حياته استراحة تامة ، ولكنه اضطر الى مواصلة جهاده اضطراراً • وارغم على متابعة عمله المتعب الشاق ارغاماً • فقد فرغ من وضع ( الحيوان ) بعد ان جاوز السبعين ، ومن وضع ( البيان والتبيين ) بعد ان جاوز الثمانين • ومن لا يسامح في ضعف اتاجه اذا بلغ هذه السن ؟ ! •

ستقول ومن أضطره الى مواصلة جهاده هذا ؟ وأجيب : أكان عليه اذن أن ينهي حياته كما بدأها خاملاً ، وأن يخرج من الدنيا كما دخلها فقيراً معدماً ؟ وليس هو المعاتب إذا كان الزمان لم يؤاته • والحظ لم يتسهم له إلا في أيام شيخوخته ومرضه •

#### هـ - مثل من مختار كلامه :

والآن ، وقد أدنت الجاحظ وبرأتته • ونقدته وقرضته • أحب أن أروى لك مثلاً من كلامه الذي يمثل لغته واسلوبه ورأيه في صناعة الاثشاء وتأليف الكتب الى حد لا بأس به • قال يشرح مذهبه في الكتابة مستطرداً : « وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضيات أن تحمل أصحابها على الجد الصرف • وعلى العقل المحض • وعلى الحق المر • وعلى المعاني الصعبة التي تستكد النفوس وتستفرغ الجهود • وللصبر غاية والاحتمال نهاية ، ولا بأس بأن يكون الكتاب موشحاً ببعض الهزل ،

على ان الكتاب إذا كثر هزله سخف ، كما أنه اذا كثر جده ثقل • ولا بد للكتاب من ان يكون فيه بعض ما ينشط القاريء • وينفي النعاس عن المستمع « (٢١) • وقال يصف الكلام البليغ : « بسم الله الرحمن الرحيم — قال علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام : ( قيمة كل إنسان ما يحسن ) فلو لم تقف ، من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية ، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية • وغير مقصرة عن الغاية ، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره • ومعناه في ظاهر لفظه • وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة • وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله • فاذا كان المعنى شريفاً • واللفظ بليغاً • وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال • مصوناً عن التكلف • صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة • ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة • ونفذت من قائلها على هذه الصفة • أصبحها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة • ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة • وقد قال تامر بن عبد القيس « الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » (٢٢) • وقال يحدد صفات الكاتب : « ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي اللسان • عذب ينابيع البيان ، اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى ، لا يكلم العامة بكلام الخاصة • ولا الخاصة بكلام العامة » (٢٣) • وقال في فصل من رسالته في النساء :

(٢١) رسائل الجاحظ طبعة السندوبي ص ٢٧٥ .

(٢٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧ طبعة مطبعة الفتوح الادبية بمصر

(٢٣) معجم الادباء ج ١٦ ص ٨٧ طبعة مصر .

« وقد علم الشاعر • وعرف الواصف • أن الجارية الفائقة الحسن  
أحسن من الطيبة • وأحسن من البقرة • وأحسن من كل شيء تشبّه  
به • ولكنهم اذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون ، ويقول  
بعضهم : كأنها الشمس ، وكأنها القمر ، والشمس وان كادت بهية فانما  
هي شيء واحد • وفي وجه الجارية الحسناء وخلقتها ضروب من الحسن  
الغريب والتركيب العجيب • وهن يشك أن عين المرأة الحسناء أحسن  
من عين البقرة ، وأن جيدها أحسن من جيد الطيبة • والامر فيما بينهما  
متفاوت • ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبهه لهم تظهر بلاغتهم  
وفطنتهم » (٢٤) • وقال محذراً من الأصدقاء : « إحذر من تأمن كأنك  
حذر ممن تخاف » (٢٥) •

(٢٤) رسائل الجاحظ ص ٢٧٤ طبعة السندوبي .

في هذه النبذة من كلام الجاحظ دليل واضح على مكان الشاعرية  
من طبعه ؛ وأحب بهذه المناسبة أن أذكر أن له شعراً لا بأس به ، روى  
ياقوت مثلاً عديدة منه . وأنا أروي لك هنا بعض هذه المثل قال الجاحظ :

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| يطيب العيش أن تلقى حليماً | غذاه العلم والرأي المصيب |
| ليكشف عنك حيلة كل ريب     | وفضل العلم يعرفه الأريب  |
| سقام الحرص ليس له شفاء    | وداء البخل ليس له طبيب   |

وقال - والبيتان من ظريف شعره - :

|                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| ان حال لون الرأس عن لونه | ففي خضاب الرأس مستمتع    |
| هب من له شيب له حيلة     | فما الذي يحتاله الاصلع ؟ |

وقال في أحد عظماء عصره :

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| وعهدي به والله يصلح أمره  | رحيب مجال الرأي منبلج الصدر |
| فلا جعل الله الولاية سبة  | عليه فاني بالولاية ذو خبر   |
| فقد جهدوه بالسؤال وقد أبى | به المجد الا أن يلج ويستشري |

(٢٥) معجم الادباء ج ١٦ ص ٨٤ طبعة مصر .

و - مقارنة بينه وبين عبد الله بن المقفع :

بقي ان نقارن بينه وبين من سبقه وعاصره من كبار الكتاب • ولا سبيل الى عقد مقارنة بينه وبين سهل بن هارون ، لأن ما بلغنا من آثار هذا • لا يسمح بعقد مقارنة بينه وبين كاتب له مثل غزارة انتاج الجاحظ وتعدد آثاره • ولكننا نستطيع ان نقارن بينه وبين ابن المقفع ، وما أشك في أنه أصح تفكيراً • وأفصح تعبيراً • وأمتن لغة • وأقوى أسلوباً • مئة مرة من ابن المقفع • ففي أي كتب الجاحظ تقرأ كلمة كنتك التي يقرر فيها عبد الله أن من لا مال له لحياء له ومن لحياء له لا سرور له ومن لا سرور له لا عقل له ••• الى آخر ما هنالك من أمثال هذه الترهات ؟ وفي أي رسائل الجاحظ تجد نصيحة كنتك التي ينصحك فيها عبد الله - ان كنت عاقلاً بالطبع - ( أن تؤنس ذوي الألباب وتجراًهم على نفسك ) ؟ ! • ( حتى يصيروا حراساً على سمعك وبصرك ورأيك ، فتستنيم الى ذلك وتريح له قلبك • وتعلم انهم لا يغفلون عنك اذا أمت غفلت عن نفسك ) ؟ • وفي أي أحاديث الجاحظ تجد وصية كنتك التي يحضك فيها ابن المقفع على ان تكون عبداً في قرارة نفسك وأعماق ضميرك لأولئك الذين يملكون مقاليد الحكم ليتصدقوا عليك بالمال والجاه ؟

وقد أحصيت على الجاحظ هئات عديدة في لغته وأسلوبه ، ولكني لا أعرف له عبارة يبلغ منها السخف مبلغه من قول ابن المقفع : « إذا تخالجتك الأمور فاستقل أعظمها خطراً ، فان لم يستبن ذلك فأرجاها دركاً ، فان اشتبه ذلك فأجدرها ان لا يكون له مرجوع حين تولي

فرصته » ♦ وقوله : « ان بالناس من الاستخراج والفساد ما قد علم  
أمير المؤمنين » ♦ وقد ضربت الك الأمثال على سوء لغة ابن المقفع  
ورداءة أسلوبه في فصل سابق من هذا الكتاب ولا داعي الى التكرار ♦

### ز - خامسة :

الحق ان الجاحظ شيخ صناعة الانشاء في العصر العباسي الأول ♦  
وإمام المترسلين فيه ، وأن أحداً من كتابه الذين قرأنا أخبارهم وعرفنا  
آثارهم لا يستطيع ان يزاحمه في مركزه هذا او ينافسه ♦



## الباب الثاني

في كُتَّاب الاسجاع والمقامات

### الفصل الاول

أبو بكر الخوارزمي

أ - حياته : اسمه ونسبه • نسبتته الى طبرستان وخوارزم • مولده • نشأته ودراسته • أسفاره • فوائدها الأدبية والمادية • إتصاله بسيف الدولة • عودته الى المشرق • تطوافه في حواضره وأقاليمه • في بخارى • في نيسابور • في سجستان • في غرستان • في نيسابور ثانية • عند صاحب ابن عباد بأصبهان • تقديم ابن عباد إياه الى عضد الدولة • رحلته الى شيراز • نجاحها • عودته الى نيسابور • ابتسام الحياة له فيها • منح عضد الدولة إياه مرتباً ثابتاً • نغمته على ملوك خراسان تزلفاً للبويعيين • ما جنت عليه هذه النعمة • التجاؤء الى صاحب بن عباد • عودته الى نيسابور بفضل أبي الحسن المزني • ابتسام الحياة له فيها مرة أخرى • وفاته سببها •

ب - صفاته : حيويته • حفظه • خبث لسانه • نكرانه الجميل • بخله • رأي فريق من شعراء عصره فيه •

ج - آثاره : ١ - شره : غلبة الروح الشعري عليه • خصائصه الفنية •

بعض هناته • أثر الروح الفارسي فيه • بعض ما يمثل  
هذا الروح • مثل من كلامه المختار • رسالة له كتبها الى  
تلميذ له مكابر • كلمة له في وصف الشعراء • من رسالة  
له كتب بها الى مسكويه وقد تزوجت أمه •

٢ - شعره : مثل منه •

د - خاتمة : غلبة النثر على أدبه •

### أ - حياته :

حدثتك في الباب السابق عن شيخي الترسلي في الانشاء • وهما  
عبد الله بن المقفع والجاحظ ، وأحدثك في هذا الباب عن أكبر كتاب  
الاسجاع والمقامات • وهم أبو بكر الخوارزمي • وبديع الزمان الهمداني  
والحريري • وأبدأ بالخوارزمي • لأنه أقدم الثلاثة في الترتيب الزمني  
فأقول :

هو محمد بن عباس الخوارزمي أو الطبري ، والأولى أشهر •  
وقد نسب الرجل الى طبرستان لان أصله منها ، وإلى خوارزم لأنه  
ولد ونشأ فيها على رواية ( اليتيمة ) • أما صاحب ( الوفيات ) فيقول :  
انه نسب إلى طبرستان لأن أمه منها ، والى خوارزم لأن أباه من هذه  
المدينة • ويضيف ابن خلكان الى ذلك ان المترجم ابن أخت أبي جعفر  
محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ المشهور ، وليس بين أيدينا  
من المصادر التاريخيه ما يمكننا من ترجيح أحد القولين • ولكن مهما  
يكن من شيء فان الرجل نسب إلى طبرستان فعرف بالطبري • ونسب  
الى خوارزم فعرف بالخوارزمي • بل لقد اتخذت له نسبة مركبة من



هاتين النسبتين فقبيل « الطبرخزي » أو « الطبرخزمي » \*  
وقد ولد في خوارزم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة للهجرة ، ونشأ  
حيث ولد وتلقى علومه وفنونه \* ولسنا نعرف لسوء الحظ أحداً من  
أساتذته ، ولكننا نعلم إجمالاً أنه كان محباً للعلم شغوفاً بالدرس ،  
وأنه كان على جانب كبير من غزارة العلم ووفرة الادب عندما برح  
مسقط رأسه خوارزم في ريعان صباه \* ولكنه لم يفتر عن طلب العلم  
في اثناء تجواله الواسع ، فقد اتصل بكثير من علماء فارس والعراق  
والشام وأخذ عنهم ، كما انه خرج كثيراً من أولي الادب والفضل \*  
وقد اتصل بسيف الدولة الحمداني بحلب ومدحه فأكرم وفادته واجزل  
صلته \* ثم عاد أدراجه الى المشرق فقصده بخارى وعرف بها أبا علي  
البلغمي ، ولكن سرعان ما ساءت علاقته به فهجاه بقوله :

إن ذا البلغمي والغين عين وهو عار على الزمان وشين

إن يكن جاهلاً بخفي حنين فهو الخف والزمان حنين

ثم رحل إلى نيسابور واتصل فيها بجماعة من الكبراء \* عرفوا  
فضله وأحسنوا معاشرته ، أكبرهم الامير أبو نصر أحمد بن علي  
الميكالي ، ثم ترك نيسابور الى سجستان ومدح واليها طاهر بن محمد  
فقبل هذا مدحته وأجازه عليها \* ولكنه لم يلبث أن أغضب الوالي  
فسجنه وطال مكثه في السجن وساءت حاله كثيراً ، فبعث الى أبي نصر  
أحمد بن علي الميكالي بقصيدة مطولة يشكو فيها حاله ويصور بؤسه  
وشقاءه يقول فيها :

كتابي أبا نصر إليك وحالتي كحال فريس في مخالبي ضيغم  
أرق من الشكوى وأدجى من النوى وأضعف من قلب المحب المتيغم

غدوت أخا جوع ولست بصائم ورحت أخا عرى ولست بمحرم

وقعت بفتح الخوف في يد طاهر وقوع سليك في حبائل خثعم (١)

وأفرج عنه ، فذهب إلى غرستان ، ولم يكن واليها عند حسن ظنه به فهجاه بمقطعات عدة • وهنا أدرك ضرورة العودة إلى نيسابور التي راج فيها أدبه • وطاب عيشه فترة من الزمن فعاد إليها • ووفد منها على الصاحب بن عباد بأصبهان ، فاستحسنه هذا الاستحسان كله • وقربه التقريب كله ، وأغدق عليه الهبات جرياً على مألوف عاداته مع أولي الادب والفضل • ولم تقف رعايته لأبي بكر عند هذا الحد ، بل انه زوده برسالة إلى عضد الدولة ، وكان يومئذ بشيراز ، كانت سبب حظوته عنده وفوزه نديه • ويظهر أن نيسابور كانت أحب المدن التي زارها اليه وأطيبها أثراً في نفسه • فعاد إليها من شيراز واستوطنها واقتنى بها ضياعاً كثيرة وأقام فيها على خير حال • ثم وفد على عضد الدولة مرة أخرى ممتدحاً إياه ، فأجزل عطيته وفرض له مرتباً سنوياً يحمل اليه في دار اقامته بنيسابور • فطابت حياته وعلت كلمته وسمت منزلته ، وفرغ للاستمتاع بما أوتي من نعمة العلم ونعمة المال ؛ فكان على حد قول الثعالبي : « يقسم أيامه بين مجالس الاليس ومجالس الدرس » • ولكنه كان شديد التعصب لآل بويه شديد النعمة على ملوك خراسان • وبلغ أحد وزرائهم « أبا الحسن القبي » أنه هجاه فكتب الي عامله بنيسابور يأمره بحبسه ومصادرة أمواله ، فحبس وفرضت عليه غرامة قدرها مئة ألف درهم فدفع بعضها وهو في السجن ،

(١) يشير الى وقوع سليك بن السلكة العداء المشهور في أسر أنس ابن مالك الخثعمي •

وأرسل مخفوراً الى بيته فأحتال على حراسه وألهاهم بالطعام والشراب،  
 وفرّ متنكراً الى صاحب بن عباد ، وكان يومئذ في جرجان ، فحمّاه  
 وأكرم مشواه • ولم يزل عنده قرير العين ناعم البال الى أن قتل أبو  
 الحسن القبي وخلفه في منصبه أبو الحسن المزني ، وكان هذا من محبي  
 أبي بكر وعشاق فضله وأدبه • فاستدعاه إليه وأعرب له عن عظيم  
 إعجاب به وتقديره له ، وكتب الى نيسابور برد ما أخذ من ماله اليه  
 فكان ذلك • وسعدت أيامه بنيسابور مرة أخرى فكان موضع التجارة  
 والاعظام في هذه الحاضرة يحترمه، حكامها ويجله سراتها وأشرفها فلم  
 يزل على هذا الى أن ابتلى بزيارة أحمد بن الحسين ( بديع الزمان  
 الهمداني ) لنيسابور ومساجلته له ، تلك المساجلة التي أدت الى  
 انحطاط قدره وخمول ذكره • والتي سنذكرها في ترجمة البديع ان  
 شاء الله ، فمرض لشدة ما أصابه من ذل الهزيمة ومرارة الانكسار •  
 ومات في شوال من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة للهجرة • وورثاه الهمداني  
 بأبيات يقول فيها :

يقولون أنت به شامت      فقلت الثرى بفم الشامت  
 وتزنت على معاداته      ولا متدارك للفئات

#### ب - صفاته :

لم يدرس مؤرخو الرجل خصاله وخلاله ولم يدونوا ماله وما  
 عليه في هذا الباب اللهم الا ما ورد عرضاً في اثناء الكلام عنه • ولكننا  
 إذا رجعنا الى اخباره وآثاره علمنا منها انه كان عالي الهمة شديد المراس  
 قوي العزيمة غزير الحفظ طويل اللسان منكرّاً للجميل بخيلاً الى أبعد

حدود البخل • وليس من العسير أن نقيم البرهان على ماله من مضاء  
العزيمة وعلى الهمة ، فقد برح مسقط رأسه خوارزم وهو في ريعان  
الصبا ، فما زال يطوف في الآفاق ويجوب البلاد من المشرق إلى المغرب  
وبالعكس يطلب العلم وينشد الأدب ويبحث عن المال والجاه والشهرة  
حتى ظفر من كل ذلك بالشيء الكثير • ولا يشك أحد من معاصريه في  
أنه آية في الحفظ ، وهم يتناقلون في هذا الشأن حكاية خلاصتها أن  
أبا بكر لما وقف على باب الصحاب بن عباد قال لآذنه : قل له في الباب  
أديب يريد الدخول عليك • وأدعى الآذن الرسالة ، فقال له الصحاب :  
قل له ، قد ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء • الا من يروي  
عشرين ألف بيت من شعر العرب • وابلغ الآذن جواب سيده أبا بكر  
فقال له : قل له هذا التقدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ ! •

وما أريد ان أقبل هذه الرواية فانها ظاهرة التكلف والافتعال •  
ولكنني استنتج منها ان حافظة أبي بكر كانت من القوة بحيث حملت  
معاصريه على أن ينسجوا حولها الأساطير •

بيد انه كان طويل اللسان خبيث الهجاء هجا كثيرا من الولاة  
والامراء بعد ما مدحهم والتمس عطفهم وطلب معرفتهم • ولم يكن  
هؤلاء من رحابة الصدر وكرم الخلق بحيث يساء بحونه ويصفحون عن  
زلاته دائما فحبس وصدورت أمواله مرارا عديدة • بل لقد فكر بعض  
عمال خراسان بقطع نسانه جزاء تطاوله على ملوك ذلك الاقليم • وإذا  
صح ما رواه ابن خلكان من انه هجا الصحاب بن عباد بهذين البيتين :  
لا تحمدن ابن عبّاد وإن هطلت يداه بالجدود حتى أخجل الديما

فانها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما (٢)  
أقول : اذا صح ذلك فانه يكون من نكران الجميل وكفران  
المعروف بحيث يستحق ما رواه ابن خلكان أيضا من تعقيب صاحب  
ابن عباد على وفاته ، وهو قوله :

أقول لركب من خراسان قافل أمات خوارزميكم ؟ قيل لي : نعم  
فقلت : اكتبوا بالجص من فوق قبره ألا لعن الرحمن من كفر النعم  
وكان الى هذا بخيلا شديد البخل ، ولو لم يقع له في هذا الباب  
الا رفضه ملتئم بديع الزمان الهمذاني لكفى . فقد قدم هذا نيسابور  
وهو في حال يرثى لها ، فكتب إليه كتابا نفيسا ورقيقا جدا يستضيفه  
فيه فأعاره أذنا صماء وزوى وجهه عنه وقد أعرب بعض معاصري ابي  
بكر من الشعراء عن رأيهم فيه ، فقال ابو سعيد احمد بن شهيد  
الخوارزمي أيضا :

أبو بكر له أدب وفضل ولكن لا يدوم على الوفاء  
مودته إذا دامت لخل فمن وقت الصباح الى المساء

وقال آخر :

مات ابو بكر وكان امراً ادهم في آدابه الغر

(٢) لم يفت ابن خلكان ان يذكر انه قرأ هذين البيتين ومعهما بيت  
ثالث في معجم الشعراء للمرزباني لمعاوية بن سفيان المعروف بأبي القاسم  
الأعمى في الحسن بن سهل وهذه هي رواية المعجم .  
لا تحمدن حسناً بالجود ان مطرت كفاه غزراً ولا تدممه ان رزما  
فليس يمنع ابقاء على نشب ولا وجود لفضل الحمد مفتنما  
لكنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما  
ولكنه - أي ابن خلكان - أكد انه رأى البيتين منسوبين للخوارزمي  
في الصحاح بن عباد في مجاميع طائفة من الادباء .

ولم يكن حراً ولكنه كان امير المنطق الحر

### ح - آثاره :

١ - نشره : لابي بكر ديوان رسائل ومقدار لا بأس به من الشعر .  
يدل كل منهما على توقد ذهن وسعة خيال وقوة عارضة ولطافة أسلوب .  
والذي يهمننا الآن هو ديوان رسائله ، وقد طبع هذا في مصر سنة ١٣١٢ للهجرة طبعة لا بأس بها . وأنت إذا تصفحت هذا المجموع رأيت انه في مقاصده واغراضه وفي أخيلته وخواطره اشبه بديوان شعر منشور .  
ذلك انك تنتقل فيه من مديح الى هجاء ومن تهنة الى رثاء ومن استعطاف الى عتاب . ومعلوم ان هذه هي أهم أبواب القريض في زمن المؤلف . على انه لا يخلو من عظات ونصائح ذات طابع اجتماعي كتلك التي ينحى فيها أبو بكر باللائمة على تلميذ له مكابر ، ولكن هذه قليلة جداً .

أما من حيث اللغة والأسلوب فانه فصيح اللفظ متين السبك حافل بالزخارف البيانية كالجناس والطباق والاستعارة والتشبيه وما إلى ذلك ، جم الاسجاع عامر بالازدواج دون أن يخلو من كلام مرسل . وهذا على الرغم من زعم المؤلف في رسالة كتبها الى أحد أساتذته أنه صاحب ترسل ، إذ الصحيح أنه شديد الالتزام للسجع والازدواج . ولكنه من علو الكعب في صناعة الانشاء بحيث يخيل لك أنه يرسل نفسه على سجيتها ولا يستكره شيئاً من هذه الزخارف البيانية التي تحفل بها رسائله وإنما ينطق بها عفواً وتجري على لسانه طوعاً .  
على أن لغة الرجل وأسلوبه لا يخلوان من هنات وهفوات منها

قوله : « واستحالت تلك المواهب وهي مصائب <sup>(٣)</sup> » • إذ الصواب ( واستحالت تلك المواهب مصائب ) • وقوله في رثاء شاب : « وفقد الشباب الطري أكثر جزعا <sup>(٤)</sup> » • إذ الصواب ( وفقد الشباب الطري أدعى الى الجزع ) • وقوله : « ثم يعود العاقل منهم لما يرفو به الخرق ويرتق به الفتق فيقبل الزلة » <sup>(٥)</sup> • إذ الصواب ( فيقبل العذر أو يصفح عن الزلة ) • وقوله في رثاء أيام خلت : « أكلت الوجع وشربت الجزع » <sup>(٦)</sup> • فلا جدال في أن المجازين الذين تنطوي عليهما هاتان الجملةتان مما يمجج السمع ولا يرتاح له الطبع بيد أنه من الحق ان نلاحظ ان هذه الهنات وتلك الهفوات ليست كثيرة في كتب الرجل •

ولكن هل في هذه الكتب ما يذكر بفارسية الكاتب ؟ نعم ، ان غلوه يضطرك في كثير من الاحيان الى التفكير بأنك انما تقرأ كاتباً فارسياً يطيب له أن يخلق من الذرة قفراً ومن القطرة بحراً • وقد يعجبك ان أقتطف لك مثلاً من كلامه الذي يمثل غلوه ، اسمع قوله في وصف بستانه الذي بصغر من شأنه لسبب ما : « بقية طولها باع وعرضها ذراع ، أعني باع البقة وذراع الذرة ، وأقل من لا وأصغر من الجزء الذي لا يتجزأ ، لو طارت عليها ذبابة لغطتها أو دخلتها نملة لسدتها ، تسقى بالمسعط <sup>(٧)</sup> صباحاً وتنكت بالخلال <sup>(٨)</sup> مساءً ،

(٣) رساؤ الخوارزمي طبعة مصر سنة ١٣١٢ هـ ص ٣ •

(٤) المصدر نفسه ص ٢ •

(٥) المصدر نفسه ص ١٤ •

(٦) المصدر نفسه ص ١٧ •

(٧) المسعط : ما يجعل فيه السعوط يصب في الانف •

(٨) الخلال : ما تخال به الاسنان •

أشجارها مئة الا تسعة وتسعين وأنهارها خمسون الا تسعة وأربعين» (٩) .  
 وقوله في وصف قصيدة بعث بها اليه أحد تلاميذه: «وردت القصيدة الغراء  
 بل الدررة العذراء بل الهدية العظيمة بل الشمسة الكريمة بل الياقوتة  
 اليتيمة بل فريدة الدر بل غرة الغر بل شمس الكرام وغريبة الايام بل  
 الخطاب الجزل والمنطق الفصل بل الحسن والاحسان بل التبيين  
 والبيان بل واحدة القصائد وخاتمة القلائد وآبدة الأوابد بل أميرة النظم  
 والنثر بل ملكة الرجز والشعر بل حسنة الالسن ونزهة القلوب والأعين  
 بل بستان الافكار وجلاء الابصار بل روح المعاني والمباني وهيكل  
 الاوزان والقوافي بل عقيلة الدهر ونادرة العصر وثررة العمر وبيضة  
 العقر وترياق القلب بل ملبس تاج الفخر ومورثي كنز الذخر لا بل ليلة  
 القدر فانها خير من ألف شهر وهذه خير من ألف بيت شعر ، ولم أعن  
 البيت الموزون إنما أردت البيت المسكون . . . الخ » (١٠) .

فاكبر الظن أنك توافقي على ان كاتبها عربيا لا يبلغ في تصغير  
 ما يريد تصغيره وتعظيم ما يريد تعظيمه ما بلغه أبو بكر في تصغير شأن  
 بستانه وتعظيم شأن قصيدة تلميذه ، فقد غلا في كلا الامرين غلوا لا  
 يستسيغه ذوق كاتب عربي ، اللهم الا ان يكون قد تأثر بمخالطة الفرس  
 ومعاشرتهم وبدراسة أدبهم وتدوقه تأثرا كبيرا . ومع ذلك ففي امكاننا  
 أن نقرر ان للخوارزمي رسائل بليغة تلذ قراءتها وتفيد روايتها ، اليك  
 منها هذه الرسالة التي كتب بها الى تلميذ له بلغه أنه كابر في مناظرة  
 فجعل الباطل حقا والحق باطلاً :

(٩) المصدر نفسه ص ٨ .

(١٠) المصدر نفسه ص ٧٣ .



« بلغني أنك ناظرت ، فلما توجهت عليك الحجة كبرت ، ولما  
وضع نير (١١) الحق على عنقك ضجرت وتضاجرت • وقد كنت أحسب  
أنك أعرف بالحق من أن تعقه ، وأهيب لحجاب العدل والانصاف من أن  
تشقه ، كأنك لم تعلم ان لسان الضجر ناطق بالعجز وان وجه الظلم  
مبرقع بالقبح ، وانك اذا استدركت على نقد الصيارفة وتتبع خطأ  
الحكماء والفلاسفة فقد طرقت الى عيبك لعائبك ونصرت عدوك على  
صاحبك ، وقد عجت من حسن ظنك بك وأنت انسان ، والله  
المستعان » (١٢) •

وهذه النبذة التي يصف بها الشعراء والتي أقتطفها لك من رسالة  
تقدم بعضها (١٣) :

« وإني لشاعر اذا أحس من لسانه بسطة ، ووجد في خاطره فضله  
وأصاب من القول جريانا ، ووجد ميدانا قال ما وجدت بيانا ، وما ظنك  
بقوم الاقتصاد محمود الا منهم ، والكذب مذموم الا فيهم ، اذا ذموا  
ثلبوا واذا مدحوا سلموا ، واذا رضوا رفعوا الوضيع ، واذا غضبوا  
وضعوا الرفيع ، واذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ، ولم  
تمتد اليهم بالعقوبة يد • غنيهم لا يصادر (١٤) ، وفقيرهم لا يحتقر ،

(١١) النير : هو الخشبة التي توضع على عنق الثور وهو مستعمل  
هنا على سبيل المجاز .

(١٢) رسائل الخوارزمي طبعة مصر سنة ١٣١٢ هـ ص ٨ .

(١٣) كان ما تقدم من هذه الرسالة وصف البستان .

(١٤) لا يصح هذا بالنسبة للبحثري . فقد صودرت أمواله  
واستردت منه عطايا الخلفاء في أيام الفتن والاضطرابات التي تلت مصرع  
المعتز .

وشيخهم يوقر ، وحدثهم لا يستصغر ، وسهامهم تنفذ في الأعراس ،  
إذا نبت السهام عن الأعراس ، وتصل الى البعيد كما تصل الى القريب  
شهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ، ولم يشهد بها عدل ، وسرقتهم  
مغفورة وان جاوزت ربع دينار ، أو بلغت ألف قنطار (١٥) ، ان باعوا  
المعشوش لم يرد عليهم وان صارموا الصديق لم يستوحش منهم ، بل  
ما ظنك بقوم هم صيارقة أخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال ،  
بل ما ظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل ، واسم صناعتهم مشتق من  
العقل (١٦) بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام يقصرون طويله ويخففون  
ثقله ويقصرون ممدوده ، ولم لا أقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون  
وفي كل واد يهيمون ويقولون مالا ينعون (١٧) .

وهذه القطعة التي أوردتها لك من رسالة كتب بها الى مسكويه وقد  
تزوجت أمه :

« العاقل ، أعزك الله تعالى ، لا يرى المحنة اذا تخطت دينه محنة ،  
ولا يرى النعمة اذا نعلقت بذنب خطيئة نعمة ، ولا يريد الشرف الا  
بالتقوى ، ولا يرى الضعة الا ما وضع من رتبته في الدار الأخرى ،  
وبلغني ما اختارته الوالدة صانها الله تعالى فحمدت الله الذي  
رزقك والداً لا يلزمك حق أبوته ، ووعدك أخاً لا يحملك حق أخوته .

(١٥) سرقات الشعراء مغفورة اذا كانت أدبية « وهذا لا يخلو من  
تحفظ » فانهم يحاسبون عليها حساباً أدبياً أيضاً اما اذا كانت مادية  
فانهم يعاقبون عليها كما يعاقب أي فرد من الافراد اذا سرق .

(١٦) يشير أبو بكر بهذا الى ما تنص عليه معاجم اللغة من ان كلمة  
« شعر » تعني « علماً » و « فطنة » و « عقلاً » .

(١٧) رسائل الخوارزمي طبعة مصر سنة ١٣١٢ هـ ص ٨ .

وقد كنت أسأل الله تعالى أن يبارك لك في حياتها والآن أسأله ان يعجل  
لك بوفاتها « (١٨) » .

٢ - شعره : وشعر أبي بكر لا يقل عن نثره لطف خيال ورقة  
شعور وجمال لغة وصفاء أسلوب . ولكن الناس تواضعوا قديماً وحدثاً على  
اعتباره كاتباً أكبر منه شاعراً ، وناثراً أبلغ منه ناظماً ، وأحسب أنهم  
على حق في هذا اذا استثنينا صفحات قليلة جداً من شعره . ومهما يكن  
من شيء ، فقد جاريت الناس في أمره ، فدرسته على انه كاتب ، ولكنني  
أروي لك مثلاً من شعره دون درسٍ ولا تحليل . قال يصف ليلة سعيدة:  
وكم ليلة لا أعلم الدهرَ طيبها      مخافة ان يقتصَّ مني لها الدهر  
سهاد ولكن دونه كل رقدةٍ      وليل ولكن دون إشرافه الفجر

وقال متغزلاً :

ولقد ذكرتك والنجوم كأنها      درر على أرض من الفيروز  
يلمن من خلل السحاب كأنها      شرر تطاير في دخان العرفج (١٩)  
والأفق أحلك من خواطر كاسب      بالشعر يستجدي اللئام ويرتجي  
فمزجت دمعي بالدماء ولم أكن      صرفه الهوى والعهد إن لم أمزج

وقال يهجو بني العباس لاسرافهم في منح الألقاب لمن يستحق ومن

لا يستحق :

مالي رأيت بني العباس قد فتحوا      من الكنى ومن الألقاب أبوابا

(١٨) المصدر نفسه ص ١٠٢ . ولابن العميد كتاب في مثل هذا  
الغرض لم يباغ فيه شأو أبي بكر .  
(١٩) العرفج : شجر .

ولقّبوا رجلاً لو عاش أولهم  
قلّ الدراهم في كفّي خليفتنا  
ما كان يرضى به للحش (٢٠) بوّابا  
هذا فأنتق في الأقوام ألقابا

### وقال في الفقر والغنى :

ولقد بلوت الأصدقاء فلم  
وكذاك لم أر في العدا أحدا  
أر فيهم أوفى من الوفر  
أنكى لمن عادى من الفقر  
وقال يرثي صديقاً قديماً انقلبت صداقته له عداوة :

صديق قد فقدناه قديم  
مصاب وهو عند الناس نعمى  
وتكل قد وجدناه جديد  
ونحس وهو عند الناس عيد  
تهنيني الأنام به ولكن  
وسيف قد ضربت به مرارا  
وعندي منه بعد دم "جسيد" (٢١)  
يبيد وأن حزني لا يبسد  
وأن النصف من قلبي جليد  
نهاها الهجر منه والصدود  
إذا سفحت عليه دموع عيني

### وقال يرثي أبا الحسن المحتسبي :

وصاحب لي لو حلّت رزيتيه  
عاشرته عشرة لو أنها وقعت  
بالطير ما هتفت يوماً على فنن  
بين الضحى والدجى سارا على سنن

(٢٠) في القاموس : الحش مثلثة المخرج ، لانهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين .  
(٢١) جسيد : يابس .

حتى اذا نلت سؤالي من مواهبه      وصادني بشباك الوصل والمنن  
ثكاته بعد ما سارت محاسنه      في العظم واللحم سير الماء في الغصن  
وقال مضمناً قول زهير بن أبي سلمى « ومن لا يظلم الناس يظلم »،

وهو معروف بتضمينه شعره أبياتاً أو أشطراً أو بعض أشطر من  
أقوال من تقدمه من الشعراء :

عذيري من ضحك غدا سبب البكا      ومن جنة قد أوقعت في جهنم  
لأنك لا تروين بيتاً لشاعر      سوى بيت من لم يظلم الناس يظلم

#### د - خاتمة :

الواقع ان أبا بكر الخوارزمي شاعر في منشوره كما انه شاعر في  
منظومه • وان نثره في معانيه ومبانيه صورة طبق الاصل من شعره •  
ولكنه يدرس ويؤرخ على أنه كاتب لأنه عادل بالنثر عن طريق الترسل  
الذي نهجه ابن المقفع ثم الجاحظ من بعده الى السجع •  
ولم يكن السجع طبعاً من صنع الخوارزمي • فأنت تعلم أن  
القرآن يحتوي على شيء كثير منه ، وان خطب الراشدين وعهودهم  
ورسائلهم تحتوي على شيء كثير منه كذلك • ولكن الخوارزمي فضّله  
على غيره من أنواع الكلام والتزمه وتقيده به في معظم رسائله ، وشايعه  
في ذلك جماعة من كتاب القرن الرابع للهجرة بقصد وبدون قصد ،  
فصار كأنه صاحب طريقة جديدة في صناعة الانشاء • وبذلك شغل في  
تاريخ الأدب العربي مكاناً لا يمكن تجاهله •

## الفصل الثاني

### بديع الزمان الهمذاني

أ - حياته : اسمه ونسبه وكنيته ولقبه • مواده • نشأته وتعليمه •  
اسفاره • غرضه منها • عند الصاحب بن عباد • مع  
الاسماعيلية في جرجان • ما حدث له في طريق نيسابور •  
تودده الى أبي بكر الخوارزمي وفشله في ذلك • تناظرهما  
أو تهاثرهما في دار نقيب نيسابور • اصلاح ذات بينهما •  
تجدد الخصومة بينهما على يد الوزير أبي القاسم •  
اندحار الخوارزمي • سوء حال الهمذاني في نيسابور •  
خروجه منها • تطوافه في خراسان وما وراء النهر • مقامه  
في هراة • زواجه • ابتسام الحياة له • وفاته •

ب - صفاته : ما يجمع بينه وبين الخوارزمي من سمات وصفات •  
ما يمتاز به • رباؤه بعض ما يمثله • بداءته • كرمه •

ج - آثاره : مميزاتها الفنية • بعض ما يعاب عليها • مثل منها • نبذ

من رسالة يطربي فيها العرب ويندد بالمجوس • نبذة في

وصف انكساب • رسالة الى سائل ألحف في التماس

صلته • مثل من وصيته • مقاماته • نظرة فيها • مثل منها •

شعره : مثل منه •

د - خاتمة: الفصل بين الخوارزمي والهمذاني •

## أ - حياته :

أخصب قريحة ووسع خيالاً وأقوى عارضة واکرم خلقاً أيضاً  
من أبي بكر الخوارزمي خصمه ووارث مكائمه وشهرته في عالم صناعة  
الانشاء أحمد ابن الحسين بن يحيى التغلبي المكنى بأبي الفضل والملقب  
ببديع الزمان الهمداني وبالحافظ لسعة حفظه .

ولد في همدان، حيث تقيم أسرته سنة ثمان وخمسين وثلثمائة  
للهجرة ، وبها نشأ وتلقى علومه . وليس من شك في أنه درس على  
اساتذة عديدين ، ولكننا لا نعرف من أساتذته سوى رجلين ، وهما  
احمد بن الحسين المعروف بابن فارس صاحب المجمل في اللغة وعيسى  
ابن هشام الأخباري الذي نحلّه فيما بعد مقاماته الآتي ذكرها . ويقول  
الرواة إنه استنفذ علم استاذه ابن فارس وما ذلك عليه بعسير . وخرج  
من همدان سنة ثمانين وثلثمائة للهجرة . يطلب المال والجاه والصيت  
الدائع والشهرة الواسعة . ومن يدري لعله كان يحلم بأكثر من هذا ،  
فانه يقول لخلف بن أحمد والي سجستان في رسالة . « فما ازعجني عن  
همدان فقير ولا جوع وعري ، ولا ساقني إلى سجستان طمع في شبع  
وري ، وإنما نحوم حول المراد :

ولو ان ما اسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال  
لا يكثر الأمير علي من خلعه وصلاته ، فوالله لو علمت ان قصارى  
أمري سجستان أليها ، ضياعها أقتنيها . وغلمانها اشتريها ، وأمواها  
أتسع فيها ولا مطمع في زيادة ، لآثرت الزهد على الطلب » (١) .

(١) رسائل الهمداني طبعة مطبعة هندية ١٣١٥ ص ١٦٣ .

وواضح ان من يقول هذا لا ينوي ان يكتبني بالدنانير والخلع  
وبالصيت المدوّسي والشهرة البعيدة المدى • وليس الهمداني أول أديب  
ينتجع الملوك والأمراء بالمديح • ويخفي في نفسه اطماعاً واسعة • ترمي  
إلى اقتناص الحكم واغتصاب الملك والسلطان ، فقد سبقه المتنبّي إلى  
مثل هذا ، وفي فوضى ذلك الزمان واضطراب أحواله ما يسمح لأمثال  
ذيك الأديبين الشجاعين باضمار مثل تلك المطامع •

ومهما يكن من شيء فقد بدأ بديع الزمان تطوافه بزيارة الصاحب  
ابن عباد فراجت عنده سوقه ونفقت بضاعته ، ولكنه ما عثم ان تركه  
إلى جرجان حيث أتصل بدعاة الاسماعيلية ولا سيما بأبي سعد محمد بن  
منصور • وكان هذا رجلاً فاضلاً ومفضلاً أيضاً ، فأكرم وفادة البديع  
وغمره بالهبات • ولكن لم يطل الوقت حتى برح صاحبنا جرجان إلى  
نيسابور إحدى عواصم العلم والأدب في ذلك العصر • وهنا خانه الحظ ،  
فقد خرجت عليه عصابة من قطاع الطريق سلبته كل ما كان معه من  
نقود وخلع • ولم يرو أحد من المؤرخين هذه الحادثة • ولكن الهمداني  
يشير إليها في أولى رسائله إلى أبي بكر الخوارزمي كما ستري • ووصل  
نيسابور وهو بالحالة التي أشرنا إليها ، فرأى ان يستعين بالخوارزمي  
على ما ألم به من بؤس وشقاء فكتب إليه رسالة رقيقة بهذا نصها :

« أنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاءه ( كما طرب النشوان مالت به  
الخمير ) ومن الارتياح للقاءه ( كما أنتفض العصفور بلله القطر ) ومن  
الامتزاج بولائه ( كما التقت الصبهاء والبارد العذب ) ومن الابتهاج  
بمراه ( كما أهتزت تحت البارح الغصن الرطب ) • فكيف نشاط الأستاذ  
لصديق طوى إليه ما بين قصبتي العراق وخراسان ، بل ما بين عتبتني



نيسابور وجرجان ؟ وكيف اهتزازه لضيف في بردة جمّال وجلدة حمال  
رث الشائل منهج (٢) الأثواب بكرت عليه مغيرة الأعراب  
كمهللٍ وربيعه بن مكدّم وعيينة بن الحارث بن شهاب  
وهو أيده الله وليّ انعامه بانفاذ غلامه الى مستقري لأفضي اليه  
بسرّي ان شاء الله » (٣) .

وكان من واجب الخوارزمي أن يكون عند حسن ظن البديع به ،  
ولكنه لم يكن كذلك لضيق نظره وتقصص مروأته ومع ذلك فقد زاره  
الهمذاني ، ولكنه تمادى في تقصيره نحوه فاستقبله استقبالا فائرا كما يتبين  
من رسالة بعث بها اليه البديع . وهنا دارت بين الرجلين رسائل هي إلى  
السخف أقرب منها الى أي شيء آخر . فقد كان الهمذاني يعاتب  
الخوارزمي على عدم استقباله إياه بلطف وبشاشة ، ويقارن بين مسلكه  
في قرى الضيف وبين مسلك العرب في هذا الشأن . وكان الخوارزمي  
يعتذر عما وقع له بأنه فعل كل ما في طوقه وبذل كل ما في وسعه في  
أكرام البديع . ثم بدأ للمترجم ان يناظر الخوارزمي ويساجله في كل  
ما يتشدد به من سعة حفظ ووفرة علم وحضور بديهة ، وشجعه على  
ذلك نفر من علماء نيسابور وأدباؤها كانوا مستوحشين من الخوارزمي .  
فعقد أبو علي نقيب الأشراف في نيسابور مجلساً لهذا الغرض ، ودعا  
الخوارزمي فترفع عن الحضور ، ولكن النقيب ألح ، وبعث الى أبي  
بكر مركباً فلم يجد بداً من تلبية الدعوة . وحضر المجلس ومعه عدد  
كبير من تلاميذه . وعرض عليه الهمذاني أن يناظره في أي فن من فنون

(٢) منهج : من أنهج الثوب خلق وبلي .

(٣) رسائل الهمذاني طبعة مطبعة هندية سنة ١٣١٥ هـ ص ٨

ومعجم الادباء لياقوت ج ٢ ص ١٦٨ .

الأدب أراد ، فأختار الخوارزمي المبادهة « أي المسابقة في سرعة  
الخاطر » • ورضي الهمداني بذلك ، ونظم أبياتاً مدح فيها النقيب  
وندد بالخوارزمي ، مطلعها :

الشعر أصعب مذهباً وهصاعداً من أن يكون مطيعه في فكه  
فردّه عليه الخوارزمي بأبيات من نفس العروض والقافية « لم  
يخرجها من غلافها » • ثم اقترح عليهما النقيب أن يقولوا شيئاً على غرار  
قافية المتنبي التي مطلعها :

أرق على أرقٍ ومثالي يأرق وجوىً يزيد وعبرة تترقرق  
فنظم أبو بكر أبياتاً أقل ما يقال فيها إنها لا تستحق الذكر ، وأجابه  
الهمداني بأبيات لا أسرف إذا قلت لك انها على جانب كبير من البذاءة  
وسوء الأدب • واعترض الخوارزمي على بيت من أبيات البديع •  
فأجابه الهمداني جواباً لا أثر فيه للمجاملة (٤) • وعاود النقيب الكرة ،  
فأقترح على الشاعرين المتساجلين أن ينسجا على منوال قصيدة أخرى  
للمتنبي مطلعها :

أهلاً بدار سباك أعيدها أبعد ما بان عنك خردها

فقال البديع :

يا نعمة لا تزال تجحدها ومئة لا تزال تكندها  
فأنكر الخوارزمي استعمال « كند » بمعنى « كفر » وخطأه

(٤) اعترض الخوارزمي على صرف الهمداني كلمة « أحقق » في قوله:  
« يا أحققاً وكفاك تلك فضيحة جربت نار معرفتي هل تحرق »  
فقال له الهمداني : « لا تزال نصفك حتى ينصرف وتنصرف »  
معجم الادباء ج ٢ ص ١٧٦ طبعة مصر •

الحاضرون مذكورين إياه قوله تعالى « ان الإنسان لربه لكنود » •  
وتقدم الليل ، ومال النعاس بالرؤوس ، فأوى المجتمعون الى مضاجع  
أعدت لهم في دار النقيب ، فلما أصبحوا تفرقوا : وبعضهم يقضي  
بغلبة البديع والبعض الآخر بغلبة أبي بكر • وسعى أهل الخير لاصلاح  
ذات بين الأديبين ، ونزل الهمداني على رغبة هؤلاء فأعذر الى أبي بكر  
وسأله الغفران قائلاً : « ان الصفو بعد الكدر والصحو بعد المطر » •  
وقبل أبو بكر عذره ورجاه أن يقضي سحابة نهاره عنده ففعل • ولكن  
الوزير أبا القاسم أبي إلا أن يلقح الفتنة بين الرجلين من جديد ، فعهق  
في داره مجلساً كبيراً حضره فقهاء نيسابور وأدباؤها وفتح باب المساجلة  
بين الخوارزمي والهمداني مرة أخرى وكانت مهاترات وكانت مشاتمات  
انتهت بغلبة البديع بنى الخوارزمي غلبة تامة • وانك لتستطيع ان  
تبين غرض الوزير أبي القاسم من هذا الاجتماع إذا علمت أنه قال  
للبيديع في ختام المساجلة « ملكت فأسجح » وهي كلمة قالتها عائشة  
للامام علي ( رض ) عندما ظفر بها يوم البصرة •

وأمعن البديع بعد هذا في هجو أبي بكر ، فهجاه بشعره وثره  
واصفاً إياه بما فيه وما ليس فيه من العيوب والنقائص • ذلك هو  
حديث البديع مع الخوارزمي بايجاز • ولكن كيف كانت حال الأول  
بنيسابور من الناحية المادية ؟

لا يقول مؤرخو الأدب لنا شيئاً في هذا الصدد ، ولكن البديع  
يقول لنا : أن فضلاء نيسابور كانوا يحبونه ولكنهم لا يعينونه ، حتى  
لقد أضطر للاستجداء إبقاءً على رفقته • استمع اليه يتحدث عن هذا  
في رسالة كتبها إلى الشيخ العميد يسأله عملاً يقتاب به :

« أنا أطال الله بقاء الشيخ العميد مع أحرار نيسابور في صنعة  
لا فيها أعان ولا عنها أصان ، وشيمة ليست بي تناط ولا عني تماط ،  
وحرفة لا فيها أدال ولا عني تزال ، وهي الكدية التي عليّ تبعثها  
وليست لي منفعتها • فهل للشيخ أن يلفظ بصنيعته لطفاً يحط عنه درن  
العار وسمة التكسب والافتقار ، ليخفف على القلوب ظله ويرتفع عن  
الأحرار كفته ، ولا يثقل على الأجفان شخصه باتمام ما كان عرضه عليه  
من أشغاله ليعلق بأذياله ، وليستفيد من خلاله فيكون قد صان الفضل  
عن ابتذاله والادب عن أذلاله واشترى حسن الثناء بجاهه كما يشتره  
بماله • وللشيخ العميد فيما يجيب به صنيعته عن وعده يعتمده ووفاء  
يتلو ما يعده ، عالي رأيه ان شاء الله • » (٥)

وما من أحد يجهل أن الهمداني أملى في نيسابور أربعمئة مقامة  
في الكدية نحلها أبا الفتح الأسكندري • وعندي أن أبا الفتح  
الاسكندري هو أبو الفضل الهمداني نفسه • وأن الأيام العvisية التي  
مرّت به في نيسابور هي التي أوحى إليه هذه المقامات • بيد أنه  
استطاع بعد لأي أن يفلت من مخالب الفاقة التي كانت آخذة بخناق  
في نيسابور ، وربما كان ذلك على يد عدنان بن محمد رئيس (هراة) •  
فاننا نجد للهمداني رسالة يشكو فيها إليه سوء مقامه بنيسابور ويقول  
له إنه ( بعث إليه بما عنده وهو المدحة ) وبقي عليه هو الآخر ( أن  
يبعث بما عنده وهو المنحة ) •

ومهما يكن من شيء فقد ترك الهمداني نيسابور غير آسف عليها ،  
وزار سجستان وخراسان ومدح كثيراً من الأمراء والكبراء ، فنظف

(٥) رسائل الهمداني طبعة مطبعة هندية سنة ١٣١٥ هـ ص ١٠٢ .

بالمال الكثير والجاه العريض • وفي رسالة كتبها إلى عمه ما يدل على أنه تقرّب من بعض الملوك فعلت منزلته وعظمت ثروته • ولكننا لانعرف لسوء الحظ ذلك الملك ولا نعلم كيف ومتى ظفر بعطفه وأستولى على قلبه • وقد لا يخلو من فائدة ان أقتطف لك شيئاً من هذه الرسالة رغبة في استقصاء حال الرجل على قدر المستطاع قال :

« إني في بلاد وان لم يكن لأهلها تمييز ، فأنا بينهم عزيز ، يعظمونني تقليداً ويرونني فريدا ، والمال يجري فيضاً ولكني لا أبلعه ريقاً ولا آلوه تفريقاً • فهو يأتي مدناً ويذهب جزراً ، والسلطان مقبل غاية الاقبال بالجاه والمال » (٦) •

ها هي ذي الدنيا أذن تبسم للهمداني وتقبل عليه الاقبال كله في ظل ملك كريم يكبر فضله ويعجب بأدبه ويفتح له أبواب قلبه وخزائنه على السواء • ولكن الهمداني يحدثنا في رسالة أخرى عن غضبة ملك تنذر بزوال نعمته بل بدنو منيته ولسنا نعلم أهذا الملك الساخط المنذر بالويل والشبور هو نفس الملك المنعم المحسن الذي تقدمت الاشارة اليه أم غيره ؟ ••

وعلى كل حال ألقى الهمداني عصا تسياره في هراة احدى مدن خراسان واقتنى بها ضياعاً فاخرة وأصهر الى أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي أحد فضلاء هذه المدينة ، فاطمأنت به الدار وطاب له المقام وعاش عيشة هنيئة مدة من الزمن • بيد ان هذه السعادة لم تطل • فقد فارق الدنيا في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة للهجرة ولم يجاوز الأربعين إلا قليلاً • ويقال انه

(٦) رسائل الهمداني طبعة مطبعة هندية سنة ١٣١٥ هـ ص ١٥٣ •

جنّ في أواخر أيامه ، ويقال كذلك انه مات مسموما ، وقد دفن في حالة اغماء شديد فأفاق في قبره وسمع يستنجد ويستغيث ، وكشف عنه القبر فوجد ميتاً وقد انحرف عن مكانه وقبض على لحيته •

### ب - صفاته :

بين الخوارزمي والهمداني وجوه شبه عدة من حيث السمات والصفات ، فكلاهما طالب مال وجاه وصيت ، وكلاهما رحالة مغامر حقق عن طريق الرحلة والمغامرة شيئا غير قليل من مطامعه وآماله ، وكلاهما عظيم الحفظ الى درجة تبعث على الاستغراب ، وكلاهما سليلت المسان كثير السباب • ولكن الهمداني يمتاز بكثرة التصنع وشدة الأنفة وبشيء آخر هو الرغبة الصادقة في اصطناع المعروف • وقد حدثك بشيء من التفصيل عن سجايا الخوارزمي في فصل سابق فأحدثك الآن بشيء من التفصيل كذلك عن سجايا الهمداني •

ويؤسفني ان أقول لك انه شديد الرياء كثير التصنع يقول بلسانه ما ليس بقلبه • فيعان الحب وهو يكتهم البغض ، ويظهر الرضا ، وهو يضر السخط ، ولا أدل على ذلك من هذه الاشواق الحارة التي يتحدث بها الى الخوارزمي <sup>(٧)</sup> بعد أن أبى هذا أن يسعفه ويقدم له معوته • ولم يكن الخوارزمي من الغفلة بحيث يصدق هذه الأشواق ، فقد طالبه ان يكف عن مؤاخذته ويمسك عن معاتبته إن كان صادقا في أشواقه (٨) •

(٧) معجم الادباء ج ٢ ص ١٩١ - ١٩٢ طبعة مصر •

(٨) المصدر نفسه ص ١٩٤ •

وبلغ من تكلف الرجل وتغييره حقائق الاشياء ان نحل أباه عدة رسائل زعم انه كتب بها اليه ليقول الناس ان والده صاحب يد طويل في صناعة الانشاء (٩) .

وكما يسرف الهمداني على نفسه في الرياء والتصنع يسرف على نفسه كذلك في ثلب الناس والنيل من أقدارهم . وما أظنني أغلو اذا قلت لك ان كثيراً من رسائله في العتاب تعيد الى الذاكرة أهاجي جرير والفرزدق والاختل (١٠) . وفي الواقع أن الخوارزمي خبيث اللسان مرّ الهجاء ، إلا انه يتحاشى استعمال الالفاظ البذيئة التي يحظر الادب أستعمالها بينا لا يرى الهمداني شيئاً يمنعه من استعمال أي لفظ . بيد أنه سريع الخاطر قوي الحافظة إلى درجة لا تكاد تصدق فصاحب اليتيمة ، وهو رجل يعرفه معرفة شخصية ، يقول عنه في هذا الشأن ما نصه تقريباً ، انه يرتجل القصيدة البليغة ويحبر الرسالة الجيدة على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه ، ويسمع القصيدة التي تتألف من خمسين بيتاً مرة واحدة فيعيدها دون ان يخرم منها حرفاً ، وينظر في الاوراق العديدة التي لم يرها قط نظرة واحدة فيهد ما تحويه هذه (١١) .

وغني عن البيان أني أروي هذه الاقوال بتحفظ . ولكنني أستدل منها على أن حظ المترجم من سرعة الخاطر وقوة الحافظة عظيم وليس

(٩) من هذه الرسائل المنحولة التي حملها بديع الزمان على أبيه اذا صح ما يقول جامع رسائله قوله : « الابوة باطلها حق والبنوة حقها باطل . ولو علمت أن مناظرة الولد بالحجة عقوق ومجاهرته بالشبهة فسوق لم تلقني بأبر من القبول وأحسن من ترك الفضول . رسائل الهمداني طبعة مطبعة هندية سنة ١٣١٥ هـ ١٦٦٩ .

(١٠) انظر رسائل الهمداني ص ٨٧ و ٨٨ و ١٤٣ و ١٩٥ وغيرها كثير .

(١١) يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٦٧ طبعة دمشق .

هذا كل شيء ، فان صاحبنا شديد الأتفة شديد الحرص على كرامته شديد الاعتداد بفضله وأدبه ، وربما كان هذا هو السبب في كونه كثير البرم بأصدقائه من السراة والنبلاء ، كثير العتب على إخوانه • وهو لا ينكر معروف ذي المعروف منهم ، ولكنه لا يسمح لأحد مهما كان أن يجرح كبريائه أو يعض من ثمائه ، أو أن لا يوفيه حقه أو ما تصبو اليه نفسه من التجلة والاحترام • وأشرف خصاله دون شك رغبته الاكيدة في اصطناع المعروف ، وقد رأيت أنه يقول لعمه في رسالة كتب بها اليه : « المال يأتي مدءاً ويذهب جزرا ، وأنا لا ابلعه ريقاً ولا ألوه تفريقاً » • وما أريد ان اصدق أن إنساناً يطلب المال كما يطلبه الهمداني ويلقى في سبيل تحصيله ما يلقي من صعاب ومشاق ، يفرقه بهذه السهولة ، ولكني لا أشك في أنه كان يستخدم نفوذه في سبيل مصالح الناس إلى أبعد حدٍ مستطاع ، ويبدل شفاعته لكل من احتاج اليها • وفي رسائله العديدة التي يشنع فيها لدى أولياء الأمور للناس أفراداً وجماعات خير شاهد على ذلك (١٢) •

### ح - آثاره :

للهمداني رسائل ومقامات وديوان شعر • طبعت كلها وأعيد طبع بعضها • وأتحدث هنا عن رسائله ومقاماته على أن أتبع هذا طائفة من شعره دون درس ولا نقد ، لأنني أدرسه وأؤرخه على أنه كاتب لا شاعر ، وإن كان شعره خليقاً بالنقد جديراً بالدرس لمتانته وجودته • وأنت اذا تأملت رسائل المترجم رأيت أنها عبارة عن قصائد

---

(١٢) انظر رسائل الهمداني ١٤٥ و ١٤٦ - ١٤٧ و ١٤٨ وغيرها .



منشورة لاشتغالها على المديح والرثاء والعتاب والهجاء • وغير ذلك من أبواب الشعر القديم • وهي من هذه الناحية تشبه رسائل الخوارزمي - كما تشبهها في اصطناع السجع وإيثار الازدواج دون اخلال بفصاحة اللفظ ومثانة التعبير وصفاء الديباجة على العموم • ولكنها تمتاز بكثرة الاستشهاد بالشعر والاتيان بالجمل المترادفة التي يشبه بعضها بعضاً ويعني بعضها عن بعض ، وبالزخرفة البيانية التي يعنى بها المترجم على اختلاف أنواعها عناية صادقة • والتي يضحّي أحياناً في سبيلها بسلامة أدائه وصفاء ديباجته وجلاء مقاصده وأغراضه • كما في قوله عن العرب انهم « أظى وألطف وأحصى وأحصف » • فان المعنى المعقول الوحيد الذي يمكن أن يحمل قوله « أظى » هو أنهم أكثر التجاءً الى الصخور والكهوف ، وهو مما لا يحسد عليه جيل من الناس • أما قوله إنهم « أحصى » فانه منقوض بالبداهة اذا كان يعنى أنهم أعرف بالحساب وتديير أمور الدواوين • اذ من المعلوم أن العرب اعتمدوا في صدر دولتهم على الروم والفرس والقبط في تديير أمور الحساب • وأكبر ظني أن الجنس وحده هو الذي حدا بالهمداني الى تركيب هاتين الجملتين • على أن في لغة الهمداني وأسلوبه هنات أخرى لا بد من مؤاخذته عليها • منها استعمال الألفاظ البذيئة التي لا يبيح الأدب استعمالها وما أظن أنه كان سيء الادب • ولكنني أظن أن حدة مزاجه (١٣) هي التي كانت تدفعه الى استعمال هذه الألفاظ ، فلا يحتاط ولا يتحفظ • ومنها تحميل اللغة أكثر مما تستطيع ، أو قل غموضه الشديد في بعض الاحيان • ومن الامثلة على ذلك قوله : « ورد للخوارزمي كتاب يتقلب

(١٣) وصف الهمداني نفسه في رسالة فقال انه « نارى المزاج ضعيف

البنية يابس العظام حاد الطبع » رسائل الهمداني ص ٩٨ •

فيه على جنب الحر» (١٤) وقوله: «احتكنا الى الحجارة والتعبير نصف التجارة» (١٥) وقوله: «أنا أخاطب الشيخ الإمام والكلام معجون والحديث شجون» (١٦) اذ ما معنى «يتقلب على جنب الحر»? وما معنى «احتكنا الى الحجارة والتعبير نصف التجارة»? وما معنى «الكلام معجون»?! الواقع أن الهمداني كان في غنى عن أمثال هذه التعابير .

ومنها الامعان في تكلف السجع الى درجة تبعث على النفور والاشمئزاز . ومن الامثلة على ذلك قوله: «مد لها اللحظ فلم يحظ ، وهذا ابن عبّاد شد لها الرحل فلم يحل» وقوله: «هذا والرحيل غدا وإن رغم أنف أبي الدردا وقرت عيون الاعداء وعلا نفسي الصعدا وانطوى القلب على الدا» (١٧) .

ولكن من الانصاف أن نقرر أن هذه الهنات قليلة في آثاره ، وأنه في الغالب فصيح اللغة تقي الديباجة متين التأليف . وهو كذلك في رسائله وفي أكثر مقاماته على حد سواء . وهناك من رسائله ومقاماته ما يفي بتأييد هذا الزعم قال من رسالة يندد فيها بعيد من أعياد انجوس ويفخر بالعرب :

« نحن أطال الله بقاء الشيخ اذا تكلمنا في فضل العرب على العجم وعلى سائر الامم أردنا بالفضل ما أحاطت به الجلود ولم ننكر أن تكون

(١٤) رسائل الهمداني ص ١٢٢ طبعة مطبعة هندية بمصر سنة ١٣١٥ هجرية .

(١٥) المصدر نفسه ص ١٣٤ .

(١٦) المصدر نفسه ص ١٥٣ .

(١٧) رسائل الهمداني طبعة مطبعة هندية ١٣١٥ هـ ص ٢٠٢ .

أمة أحسن من العرب ملابس • وأنعم منها مطاعم • وأكثر ذخائر وأبسط  
 ممالك • وأعمر مساكن ولكننا نقول : العرب أوفى • وأوفر • وأوقى •  
 وأوقر • وأنكى • وأنكر • وأعلى • وأعلم • وأحلى • وأحلم •  
 وأقوى • وأقوم • وأبلى • وأبلغ • وأشجى • وأشجع • وأسمى •  
 واسمح • وأعطى • وأعطف • وألطف • والطف • وأحصى • وأحصف •  
 وأتقى • وآتق • ولا ينكر ذلك الا وقح وتوح<sup>(١٨)</sup> • ولا يججده الا نغل  
 نغر<sup>(١٩)</sup> • وانما قدم الله تعالى ملك العجم ليحتج عليها وانما أخرج  
 ملك العرب ليحتج بها<sup>(٢٠)</sup> • ومنها : « ان عيد الوقود لعيد إفك •  
 وان شعار النار لشعار شرك • وما أنزل الله بالسدق<sup>(٢١)</sup> سلطانا •  
 ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا • وانما صب الله سيوف العرب على  
 فروق<sup>(٢٢)</sup> العجم لما كره من أديانها • وسخط من فيرانها • واورثهم  
 ارضهم وديارهم وأمورهم حين مقت فعالهم • وان أنصف الشيخ  
 الرئيس أيام الله لديه وجدها كلها أعيادا ضاحكة المباسم • ظاهرة  
 المواسم • فلا وقدت نار المجوس ، والله ما أقول ذلك الا غيرة على  
 نعمته وشفقة على خطته<sup>(٢٣)</sup> •

(١٨) الوتح : الخسيس .

(١٩) نغر : حاقد .

(٢٠) المصدر نفسه ص ١٦٩ .

(٢١) عيد السدق أحد أعياد الفرس الكبرى وهي النيروز والمهرجان  
 وهو ، وقد اعتاد الفرس القدماء ان يشعلوا فيه نيرانا كثيرة تقديسا  
 لاسطورة من الاساطير .

(٢٢) الفروق : جمع فرق ، وهو هنا وسط الرأس .

(٢٣) رسائل الهمداني ص ١٧٠ طبعة مطبعة هندية سنة ١٣١٥ هـ .

وقال من رسالة كتب بها الى أبي نصر بن المرزبان :

« كنت - أطل الله بقاء سيدي ومولاي - في قديم الزمان •  
أتمنى للكتاب الخير • وأسأل الله أن يدر عليهم أخلاف الرزق • ويمد  
لهم أكتاف العيش • ويوطنهم اعراف المجد • ويؤتيهم اصناف الفضل  
ويركبهم أكتاف العز • وقصاراي أن أرغب الى الله تعالى في أن لا ينيلهم  
فوق الكفاية • ولا يمد لهم في حبل الرعاية • فشد ما يطعون للنعمة  
ينالونها • والدرجة يعلونها • وسرعان ما ينظرون من عال بما ينظمون  
من حال • ويجمعون من مال وتنسيهم أيام اللدونة أوقات الخشونة •  
وأزمان العذوبة ساعات الصعوبة • وللكتاب مزية في هذا الباب •  
فبيناهم في العطلة أخوان كما انتظم السمط ، وفي العزلة أعوان كما  
أنفج المشط ، حتى نحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة • أوصك  
جعالة ، فيعود عامر ودهم خرابا ، وينقلب شراب عهدهم سرايا • فما  
علت أمورهم حتى أسبلت ستورهم ، ولا غلت قندورهم الا خلت  
بدورهم • ولا اتسعت دورهم الا ضاقت صدورهم ، ولا أوقدت نارهم  
الا انطفأ نورهم ، ولا زاد مالهم الا نقص معروفهم ، ولا ورمت أكياسهم  
الا ورمت أنوفهم ، ولا تبلجت عتاقهم الا فظعت أخلاقهم ، ولا صلحت  
أحوالهم الا فسدت أفعالهم ، ولا حسنت حالهم الا قبحت خلالهم ،  
ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم ، ولا لانت برودهم الا صلبت  
خلدودهم ، ولا علت جدودهم الا سفل جودهم ، ولا طالت أيديهم الا  
قصرت أياديهم » (٢٤) •

(٢٤) رسائل الهمداني طبعة مطبعة هندية سنة ١٣١٥ هـ ص

٩٢ - ٩٤ •

وقال يخاطب مستميحاً عاوده مراراً :

« عافاك الله ، دثل الانسان في الاحسان ، مثل الأشجار في الإثمار .  
سبيل من أتى بالحسنة أن يرفه الى السنة • وأنا كما ذكرت لا أملك  
عضوين من جسدي ، وهما فؤادي ويدي • أما الفؤاد فيعلق بالوفود ،  
وأما اليد فتولع بالجوود ، ولكن هذا الخلق النفيس لا يساعده الكيس  
وهذا الطبع الكريم ليس يحتمله الغريم • ولا قرابة بين الأدب والذهب  
فاهم جمعت بينهما • والأدب لا يمكن ثرده في قصعة ولا صرفه في ثمن  
سلعة • ولي مع الأدب نادرة : جهدت في هذه الأيام بالطباخ أن يطبخ  
من جيمية الشماخ لونا فلم يفعل ، وبالقصاب أن يسمع أدب الكتاب  
فلم يقبل • واحتيج في البيت الى شيء من الزيت ، فأنشدت شيئاً من  
شعر الكميت ، ألفاً ومثني بيت ، فلم يغن • ولو وقعت أرجوزة العجاج  
في توابل السكباغ ما عدمتها عندي • ولكن ليست تقع ، فلما أصنع ؟ !  
فان كنت تحسب اختلافك إلي افضل علي ، فراحتي أن لا تطرق  
ساحتي ، وفرجي في أن لا تجي • والسلام » (٢٥) .

وقال في وصيته :

« أوصى إذا جاءه الحق وأشخصه الأمر وجد به الجدة وتوفاه  
الموت ، أن لا تعقد عليه مناحة • ولا يلطم خد ولا يخمش وجه ولا  
ينشر شعر ولا يمزق ثوب ولا يشق جيب ولا يهال تقع ولا يرفع صوت  
ولا يدعى ويل ولا يسوء باب ولا يخرق متاع ولا يقلع غرس ولا يهدم  
بناء ولا يطرق الشيطان اليه طريقاً ولا يمثل له أمراً • فمن فعل ذلك

(٢٥) المصدر نفسه ص ١٣٦ .

فليس من الله تعالى في حل ولا من الميت في حل • وإنما يفعل ذلك من لا يرى الحياة عارية ولا يرى العارية مردودة ومن علم أن الدنيا دار جهاز وأن الموت جسر جواز استشعره قبل حلوله ولم يرعه وقت نزوله • وأن يكفن في ثلاثة أثواب بيض قباطي لا سرف فيها • وخرج على من يتولى أمره أن يقرنه ثوب خيلاء مطرّزاً أو معلماً أو إبريسما أو منسوجاً بذهب الله لمحتاج أن يستكين ويتشبه بالمساكين • فمن بدله بعد ما سمعه فائمه على الذين يبدلونه • ان الله سميع عليم • وأن يتولى الصلاة عليه أصحاب الحديث وأهل السنة ، وأن يلحد ولا يبني عليه • ولا تشهد النساء فيحملهن على الصراخ والعيويل • « (٢٦)

وكلام الهمداني المختار في رسائله كثير ، آتتني منه بهذا المقدار رغبة في الايجاز •

أما مقاماته فانها مجموعة حكايات كثرتها الكبرى في الكدية تتخللها نكت وطرائف أدبية وفوائد لغوية معظمها مردول وقليل منها مقبول • وقد قلت لك عند الاشارة اليها بصدد إقامة المؤلف في نيسابور إن بطلها أبو الفتح الاسكندري هو أبو الفضل بديع الزمان الهمداني نفسه • وأحسب أنني اقامت البرهان على هذا عندما تحدثت اليك عن أيام الضيق والضنك التي مرت به في نيسابور وقلت لك في مكان آخر إن راويتها عيسى بن هشام رجل خيالي نحله المؤلف اسم استاذه الذي روى عنه الأخبار • والآن إليك هذه المقامة الموسومة بالقزوينية والتي يخيل اليّ أنها من أقل مقامات المؤلف خسة وأولاها بالقبول ان صح هذا التعبير • قال :

(٢٦) رسائل الهمداني طبعة مطبعة هندية ص ٣٢٨ - ٣٢٩ •

« حدثنا عيسى بن هشام قال : غزوت الثغر بقزوين ، سنة خمس وسبعين ، في من غزاه • فيما أجزنا حزناً ، إلا هبطنا بطنا • حتى وقف المسير بنا على بعض قراها • فمالت الهاجرة بنا إلى ظل اثلاث في حجرتها (٢٧) بين كلسان الشمعة ، أصفى من الدمعة ، تسيح في الرضراض سبيح النضناض (٢٨) • فلنا من الطعام ما نلنا ، ثم ملنا إلى الظل فقلنا • فما ملنا النوم حتى سمعنا صوتاً أنكر من صوت الحمار ، ورجعاً أضعف من رجح الحوار • يشفعهما صوت طبل كأنه خارج من ماضغي أسد ، فزاد عن القوم رائد النوم • وفتحت التوأمتين (٢٩) إليه ، وقد حالت الأشجار دونه ، واصغيت فاذا نهر يقول على إيقاع الطبول :

أدعو إلى الله فهل من مجيب      إلى ذرى رحبٍ ومرعى خصب  
وجتة عالية ماتني      قطوفها دانية ما تغيب  
يا قوم اني رجل تائب      من بلد الكفر وأمرى عجب  
إن أك آمنت فكم ليلة      جحدت ربي وأتيت المرعب  
يا رب خنزير تمششته (٣٠)      ومسكر أحرزت منه النصيب  
ثم هداني الله وانتاشني (٣١)      من ذلة الكفر اجتهاد المصيب  
فظلت أخفي الدين في أسرتي      وأعبد الله بقلب منيب  
أسجد للات حذار العدى      ولا أرى الكعبة خوف الرقيب  
وأسمأل الله اذا جنني      ليل وأضاني يوم عصيب

(٣٧) في حجرتها : في ناحيتها .

(٢٨) النضناض : الأفعى .

(٢٩) المراد بالتوأمتين : الأذنان .

(٣٠) تمششته : مصصت عظامه .

(٣١) انتاشني : خلصني .

ربي كما انك أنقذتني      فنجتني ، اني فيهم غريب  
 ثم اتخذت الليل لي مركباً      وما سوى العزم أمامي جنيب  
 فقدك (٣٢) من سيري في ليلة      يكاد رأس الطفل فيها يشيب  
 حتى اذا جرت بلاد العدا      الى حمى الدين تفضت الوجيب  
 فقلت إذ لاح شعار الهدى      نصر من الله وفتح قريب  
 فلما بلغ هذا البيت قال : يا قوم وطئت داركم بعزم لا العشق  
 شاقه ، ولا الفقر ساقه • وقد تركت وراء ظهري حدائق وأعنابا وكواعب  
 اترابا ، وخيلاً مسومة وقناطير مقنطرة ، وعدة وعديداً ومراكب وعبيداً ،  
 وخرجت خروج الحية من جحره وبرزت بروز الطائر من وكره ، مؤثراً  
 ديني على دنيائي ، جامعاً يمني الى يسراي ، واصلاً سيري بسراي •  
 فلو دفعتم النار بشرارها ، ورميتم الروم بحجارها • واعنتموني على  
 غزوها • مساعدة واسعاداً • ومرافدة وارفاذاً ، ولا شطط فكل على  
 قدر قدرته وحسب ثروته ، ولا استكشر البدره واقبل الذرة ولا أرد  
 التمرة ، ولكل مني سهمان ، سهم اذلقه (٣٣) للقاء ، وآخر افوقه  
 بالدعاء وارشق به أبواب السماء عن قوس الظلماء • قال عيسى بن  
 هشام : فاستفزني رائع ألفاظه • ونضوت جلباب النوم وعدوت الى  
 القوم • فاذا والله شيخنا أبو الفتح الاسكندري بسيف قد شهره  
 وزى قد نكثره • فلما رأي غمز إلي بعينه وقال • رحم الله من أحسن  
 عشرته • وملك نفسه وأعاننا بفاضل ذيله ، وقسم لنا من نيله • ثم أخذ  
 ما أخذ • وخلوت به فقلت أ أنت من أولاد بنات الروم ؟ فقال :

أنا حالي مع الزما      ن كحالي مع النسب

(٣٢) قدك : حسبك .

(٣٣) اذلقه : احده .



نسبي في يد الزمان إذا ساممه انقلب  
أنا أمسي من النسيب وأضحى من العرب

شعره:

أما شعر الهمداني فإنه يشبه نثره من حيث مقاصده وأغراضه ،  
أعني أنه شخصي بحت يدور حول المديح والرثاء والهجاء والعتاب وما  
إلى ذلك • ولكنه يقل عنه بعض الشيء من حيث لغته وأسلوبه • إليك  
منه هذه الأرجوزة في المديح :

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| يا آل عصم أتم أولو العصم (٣٤) | لم تؤسموا إلا بنيران الكرم   |
| طابت مبانيكم وطبتم لا جرم     | يا سادة السيف وأرباب القلم   |
| تهمي سجاياكم بعقيان ودم       | أتم فصاح ماخلا في لا ولم     |
| الجار والعرض لديكم في حرم     | والمال للأمال نهب مقتسم      |
| أتم أسود المجد لأسد الأجم     | يا سيداً نيظ له بيت القدم    |
| بالعمد الأطول والفرع الأشم    | هل لك أن تعقد في بحر الشيم   |
| عارفة تضرم ناراً في علم       | ويقصر الشكر عليها ؟ قل نعم   |
| أما وإنعامك انه قسم           | وثر مجدٍ عن معاليك ابتسم     |
| إنك في الناس كبرء في سقم      | يا فرق ما بين الوجود والعدم  |
| وبعد ما بين الموالي والخدم    | ما أحد كهاشم وإن هشم         |
| ولا امرؤ كحاتم وإن حتم        | ليس الحدوث في المعالي كالقدم |

وهذه الابيات في ذم الزمان :

قبحاً لهذا الزمان ما أربه في عمل لا يلوح لي سببه

(٣٤) العصم : كعنب جمع عصمة وهي المنعة .

ماذا عليه من الكرام فما      تظهر إلا عليهم نوبه  
ألم يجد في سواهم سعة      ممن يسوسى برأسه ذنبه  
لا يعرف الضيف أين منزله      ولا يرى المجد أين منقلبه  
مالي أرى الحرّ ذاهباً دمه      ولا أرى النذل ذاهباً ذهبه

وهذين البيتين في الزمن أيضاً :

إنما الدهر عدو      ولمن أصغى نصيح  
ولسان الدهر بالوعظ لواعيه فصيح

#### د - خاتمة :

إذا لم يخطيء ظني فان الهمداني أطول بقاءً وأعلى كعباً من  
الخوارزمي في صناعة الانشاء • ولكن الخوارزمي أنفذ بصرًا وأثبت  
يداً منه في معالجة القريض •

أما مقامات الهمداني فانها جناية لا تغتفر على الأدب العربي ذلك  
انه خلق فيها أدب الشحاذة خلتاً وأنشأ انشاءً • ولم يخل الادب  
العربي من الشحاذة لسوء الحظ على السن الشعراء المدحجين ولكنها  
ظهرت في هذه المرة بأبشع صورها وأقبح اشكالها واخس طرقها  
واساليبها •

سامح الله الهمداني ، فانه أساء الى الادب بمقاماته أكثر مما  
أحسن إليه بشعره ورسائله •

## الفصل الثالث

### الحريري

أ - حياته : اسمه ونسبه وكنيته ولقبه • مولده • نشأته وتعليمه •  
ما شغل من مناصب الحكومة • أقاويل الرواة في مقاماته •  
وفاته •

ب - صفاته : ما ساء منها وما حسن •

ج - آثاره : مجمل القول فيها • مقاماته • راويتها • خاصته • بطلها •  
مميزاته • تنازعهما وتصافيهما • تقليدهما عيسى بن هشام  
وأبا الفتح الاسكندري • حظوة هذه المقامات الكبرى  
عند القدماء • أهليتها لهذه الحظوة • قيمتها بالقياس إلى  
العصر الحديث • اشتغالها على معلومات أدبية وتاريخية  
 واجتماعية مهمة ••

لغته وأسلوبه : مساوئهما • ميله إلى استعمال الغريب • استعماله  
ألفاظاً في غير ما وضعت له • نحته ألفاظاً على غير القياس  
تنافر بعض كلامه وضعف تأليفه • فشله أحياناً في استعمال  
المحسنات البيانية • محاسنه • فصاحته وجودة تأليفه على  
العموم • معرفته بموسيقى الجملة • خصائصها عنده •  
تأثره بالسُّور المكِّيَّة من القرآن • ما يستحسن من  
مقاماته في هذا العصر • مثل منها • المقامة الحرامية •

د - خاتمة : الحريري والتأريخ •

أما فارس حلبة المقامات الذي لا يشق له غبار فهو القاسم بن علي ابن محمد ابن عثمان البصري الحرامي ، نسبة الى بني حرام قوم من العرب • والمكثني بابي محمد ، ومحمد هذا كبير ولديه اللذين يشير اليهما ابن خلكان ، والملقب بالحريري نسبة الى بيع الحرير او صنعه • ولد سنة ست واربعين وأربعمائة للهجرة في المشان ( بفتح الميم ) بليدة بقرب البصرة كثيرة النخل سيئة المناخ • ونشأ بالبصرة • وفيها أخذ الأدب عن ابي القاسم الفضل بن محمد القصباني البصري • وكان صاحب الخبر<sup>(١)</sup> في ديوان الخلافة بالبصرة ، وقد احتفظ أولاده وأحفاده بهذا المنصب من بعده أجيالاً متعاقبة فيما يقول العماد في ( الخريدة ) •

وتأريخ الرجل انما هو تأريخ مقاماته • إذ كل ما يتحدث به الرواة عنه أو جلته لا يعدو ان يكون اجابة عن أحد هذه الأسئلة الثلاثة ، لمن كتبت المقامات : ومن راويتها الحارث بن همام : ومن بطلها أبو زيد السروجي : ••• وقد فصل ابن خلكان في الاجابة عن السؤال الاول ، إذ قال لنا انه أطلع في القاهرة على نسخة من المقامات كتبت بخط المؤلف نفسه مكتوب على ظهرها بخط المؤلف أيضا « انه صنفاها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي العز علي بن صدقة وزير

(١) هكذا في معجم الادباء . ولم أجد تفسيراً شافياً لهذه الجملة . بيد أنه من المحتمل أن يكون « صاحب الخبر » مدير قلم الاستخبارات في زماننا أو من يشبهه .

المسترشد» (٢) ، وبهذا لم يبق محل للنظر في هذه الروايات العديدة المتضاربة التي تحدث عن صلة المقامات الموهومة بشرف السدين أفوشروان وزير المسترشد أو السلطان مسعود السلجوقي وفصل ابن خلكان كذلك في الاجابة عن السؤال الثاني فقال ان الحارث بن همام هو الحريري نفسه . وأضاف الى ذلك ان هذه التسمية مأخوذة من قول النبي ( ع س ) « كلكم حارث وكلكم همّام » أي كلكم كاسب وكلكم شديد الاهتمام بأمور معيشتة ، لأن الحارث هو الكاسب . والهمّام هو الرجل الكثير الاهتمام بما يعنيه (٣) .

أما أبو زيد السروجي فان الرواة يختلفون في أمره . فمنهم من يزعم انه شحاذ فصيح دخل مسجد بني حرام في البصرة وزعم ان الروم أسروا ولدا له ، وسأل الناس فديته ، فسألوه عن كنيته ، فقال انه يكنى أبا زيد ، وعن بلده ، فقال انه سروج . ومنهم من يزعم انه تلميذ من تلاميذ الحريري اسمه المطهر بن سلام في رواية ابن خلكان وسلام « بالتشديد » في رواية ياقوت . وتذهب هذه الرواية الى أبعد من هذا فتقول : ان المطهر هذا شرب الخمر ذات يوم وبلغ استاذة الحريري خبره فكتب اليه :

أبا زيد اعلم أن من شرب الطلا تدرّس ، فافهم سرّ قولي المهذب  
ومن قبل سميت المطهر ، والفتى يصدق بالافعال تسمية الأب  
فلا تحسها كيما تكون منّها والا فغفّر ذلك الاسم واشرب  
وتقول هذه الرواية ان الايات المذكورة فعلت فعلها في نفس

(٢) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٢٠ .

(٣) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٢٠ .

المطهر • فجاء الى استاذة حافيا وييده مصحف فأقسم به ان لا يعود الى شرب مسكر • فقال له الحريري : « ولا تحاضر من يشرب » (٤) • وأحسب ان تناقض هاتين الروايتين المتعلقتين بابي زيد السروجي يشعر بأنهما مكدوبتان ، وأن أبا زيد رجل خيالي لا وجود له • ومما يقوي هذا الظن سكوت الحريري عنه في مقدمة مقاماته سكوتا تاما • وليس هذا كل ما لفق حول المقامات من الكذب • بل ان هناك أكذوبة أخرى تناقلها الرواة على انها حقيقة واقعة ، خلاصتها : ان الحريري كتب في البصرة عشر مقامات ، وقيل اربعين مقامة ، وقدم بها بمداد • فلما عرضها على أدبائها وذوي الفضل فيها شكوا في نسبتها اليه • فقالوا مرة انها من صنع رجل مغربي من أهل الفضل • مات في البصرة واستولى الحريري على أوراقه • وقالوا تارة : انه ، أي الحريري وجد هذه المقامات في حقيبة اشتراها من عصابة أخذتها فيما أخذت من بعض المسافرين • وكان من نتائج هذا التشكك بدعوى الحريري أن امتحن في صناعة الانشاء ففشل في الامتحان وان شاعرا يعرف بابن جكينا هجا الحريري بسبب فشله فقال :

شيخ لنا من ربيعة الفرس (٥) ينتف عشونه من الهوس  
انطقه الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالخرس  
وأنت اذا رجعت الى خطبة المقامات رأيت ان الحريري يقول :  
ابن مشيرا « اشارته حكم وطاعته غنم » أشار عليه بانشاء مقامات يتلو فيها تلو البديع ومعنى هذا ان المقامات اقترحت عليه اقتراحا ، وانه لم

(٤) معجم الادباء ج ١٦ ص ٢٧٢ طبعة مصر .

(٥) كان الحريري ينتسب الى ربيعة القبيلة المشهورة ، ويظهر ان هذا أمر مشكوك فيه عند الرواة .

يتقدم بصنع شيء منها من تلقاء نفسه ، وان الذي اقترحها عليه رجل نافذ الكلمة مسموع الاشارة ، وهذا الرجل هو بالطبع جمال الدين الذي تقدم ذكره . وواضح ان هذا يناقض الاكذوبة التي تقدمت خلاصتها مناقضة تامة .

وتوفي المترجم عام ٥١٦ للهجرة .

### ب - صفاته :

يتحدث الرواة عن صفات المترجم فيقولون : انه بخيل قصير القامة . دميم المنظر . قدر الملبس رثا الهيتة . وهم يحدثوننا ان رجلا سمع بفضل له ولم يعرفه عن كذب جلس اليه ذات يوم ليأخذ عنه ، فلما رآه استصغره وازدرى هيئته ومنظره . وشعر الحريري بدبيب هذا الشعور في نفسه ، فلما استملاه أملى عليه هذين البيتين :

ما أنت أول سار غرّه قمر ورائد أعجبتة خضرة الدمن  
فاختر لنفسك غيري انبي رجل مثل المعيدي ، فاسمع بي ولا ترني  
فخجل الرجل وقام . وليس ما تقدم من عيوب الحريري كل ما ابتلاه الله به ، بل انه كان مبتلىا بنتف عشونه . وقد زعموا ان أحد ولاة البصرة نهاه عن هذا وتوعده عليه ، فامتنع عن اتيانه مدة من الزمن ولكنه فاه عنده ذات يوم بكلام بليغ أعجب به اعجابا شديدا فسأله حاجة يقضيها له تقديرا لذلك الكلام . فما كان منه الا ان سأله الاذن له بنتف لحيته ، فضحك وأذن له .

ولكن أليس الى جانب هذه المساويء محاسن ترفع من قدر الرجل وتعلي منزلته ?? بلى انه لذكي القلب . متوقد الذهن . واسع

الخيال • خصب القريحة • كثير الحفظ غزير الاطلاع • وفي آثاره عامة •  
ومقاماته خاصة • ادلة لا تنقض على صحة جميع هذه الأقوال •

### ح - آثاره :

للحريري آثار عدة منها « درة الغواص في أوهام الخواص »  
وهو كتاب نبه فيه الى كثير من الأغلط اللغوية التي يرتكبها حملة  
الأقلام من معاصريه • ومنها منظومة في النحو اسمها ( ملححة الإعراب )  
ومنها ديوان شعر يحنوي على غير ما ورد في المقامات من شعره • وخير  
آثاره دون شك وأكبرها شأنًا وأشيعها ذكرًا مقاماته التي تناقلها  
الناس في مشارق العالم الاسلامي ومغاربه وتدارسوها جيلا بعد جيل •  
وهي عبارة عن مجموعة أقاصيص تقصر غالبًا وتطول أحيانًا يرويها  
احارث بن همّام عن أبي زيد السروجي ، كما يروي عيسى بن هشام  
مقامات الهمذاني عن أبي الفتح الاسكندري • فأما الحارث بن همّام  
فهو رحالة يجوب البلاد ويطوف الآفاق متجراً مرة ومنتزهاً تارة •  
وأما أبو زيد السروجي فانه شحاذ كثير الطمع شديد الجشع<sup>(٦)</sup> ، الا  
انه فصيح اللسان قوي الجنان واسع الحيلة ، وهو يفتن في الكدية  
افتنانا ويستنبط منها ضروبا وألوانا • فيسلك اليها مرة طريق الوعظ •  
ويتذرع لها حيناً بنشر الفوائد وتقييد الشوارد في الأدب واللغة ،  
ويتوصل اليها حيناً عن طريق مخاصمته زوجته • ويبيع أحد اولاده •  
وربما ندب زوجته للقيام بها نيابة عنه • ولعل أغرب ما توصل به أبو  
زيد الى المال • حراسة القوافل من أذى اللصوص • وشر قطاع الطرق

(٦) تستثنى المقامتان النصيبية والفرانية من هذا الحكم •



ولكن بأية وسيلة؟! • بانشاء الدعوات وتلاوة الصلوات •  
 والحارث بن هشام يعاتب أبا زيد على كثير من أقواله واعماله •  
 ويؤنبه على اقتناص المال بالمكر والحيلة • ولكنه ينتهي معه دائما أو  
 غالبا الى صلح ، بل والى صداقة واعجاب • وأبو زيد في عمله وأدبه  
 وشجاذته ودنائه ولصوصيته • صورة صادقة من أبي الفتح الاسكندري  
 كذلك الحارث بن همام في كثرة أسفاره وطول تجواله وضعف ذاكرته  
 وبلادة طبعه (٧) صورة صادقة أيضا من عيسى بن هشام • بيد أن أبا  
 زيد يختم حياته بتوبة صادقة تغسل عاره وتحط عنه أوزاره • بينما  
 يستمر أبو الفتح الاسكندري في ارتكاب جرائمه وآثامه حتى الموت •  
 وقد رزقت مقامات الحريري حظوة كبرى فتناقلها الناس في حياة  
 المؤلف وبعد مماته وتدارسوها بعناية واتقان •

قال جابر بن هبة الله : قرأت على الحريري مقاماته سنة أربع عشرة  
 وخمسائة فلما انتهيت الى قوله في المقامة الكوفية :

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا      ولا لقيتم ما بقيتم ضرا  
 قد دفع الليل الذي اكهرا      الى ذراكم شعثا مغبرا  
 وضعت سهوا ( سغبا معترا ) مكان ( شعثا مغبرا ) • فصمت  
 الحريري برهة ثم قال • والله لقد آجدت في التصحيف فانه أجود • فرب  
 شعث مغبر غير محتاج ، والسغب المعتر موضع الحاجة • ولولا أنني  
 قد كتبت خطي الى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرأت عليّ لغيرت

(٧) يستحق الحارث بن همام ان يوصف بضعف الذاكرة وبلادة  
 الطبع لانه لا يعرف أبا زيد عندما يلتقي به الا بعد جهد ومشقة على كثرة  
 ما يلتقي به وعذره - ان كان له في هذا عذر - هو انه مضطر الى ان يعيد  
 الى الاذهان أبا الفتح الاسكندري في كل ما له من محاسن ومساويء •

الشعث بالسغب والمغبر بالمعتر» (٨) •

وقيل لعلي بن الحسن الشميمي الحلبي أحد كبار القرن السادس للهجرة وأدبائه ، وكان كثير الإعجاب بنفسه شديد الاعتداد بفضله وأدبه : « لم لا تجاري الحريري بمقامات تخمل بها ذكره وتقضي على شهرته ؟ » فقال : « لقد جربت هذا ثلاث مرات ففشلت ، وما أظن أن الله خلقني إلا لظهار فضل الحريري » (٩) •

وليس هذا كل شيء ، فقد عني العلماء بشرح هذه المقامات فشرحوها شروحا لا تحصى • بعضها مطول وبعضها مختصر • أهمها شروح الشريشي والعكبري والزيدي • وجارها فريق كبير من حملة الأقلام • أشهرهم الزمخشري الذي حلف بالله أنها حرية أن تكتب بالذهب» (١٠) ، والشيخ ناصيف اليازجي وأبو الثناء الألوسي • ولكن ، أكانت هذه المقامات أهلاً لهذه الخطوة ؟ !

كان القدماء منذ القرن الخامس للهجرة ، وهو بداية انحطاط في تاريخ الأدب العربي ، يريدون من الكاتب أن يكون فصيح اللفظ متين التعبير • ماهراً في استعمال المحسنات البيانية • جيد الحفظ لمتن اللغة • وكانوا يفهمون الأدب على أنه وسيلة حسنة لترويح النفس وتزجية الفراغ لما فيه من نكت وحكايات ونوادير • وليس من شك

(٨) معجم الأدباء ج ١٦ ص ٢٦٦ طبعة مصر •

(٩) المصدر نفسه ص ٢٦٧ •

(١٠) فعل الزمخشري هذا في أبيات هذه هي :

أقسم بالله وآياته      ومشعر الحج وميقاته  
أن الحريري حري بأن      نكتب بالتبر مقاماته  
معجزة تعجز كل الورى      ولو سروا في ضوء مشكاته

في أن الحريري جهذ من جوسابذة اللغة • وإمام من أئمة الانشاء ،  
يعرف كيف يلعب بالالفاظ وكيف يحمل القاريء على الاعجاب بمهارته  
الفائقة في الانشاء • وعلمه الواسع باللغة • هذا الى أن بطله أبا زيد مثل  
في غرابة النادرة وبراعة النكتة • وإذن فلا عجب أن تكون مقاماته متعة  
القاريء • وبغية الباحث • وضائلة المتأدب • يقرأها الجميع فيجدون  
فيها ما يطلبون • ويظفرون منها بما يشتهون •

بقي ان نسأل ما قيمة هذه المقامات بالقياس إلينا نحن أبناء هذا

القرن ؟

الواقع أنها تحتوي على معلومات أدبية واجتماعية وتاريخية كثيرة  
لا يستغني عن معرفتها مؤرخ الادب العربي في القرنين الخامس والسادس  
للهجرة • فأنت تفهم من المقامة المغربية مثلاً كيف يتحلّق الشيوخ بعد  
فراغهم من الصلوات • وكيف يتناجون وفيهم يتناجون • وتفهم من  
المقامة القطيعية (١١) كيف يخرج ظرفاء بغداد في أيام الربيع الى أرباض  
مدينتهم • وكيف يستمتعون بلذات الشراب والسماع • وكيف  
يتحدثون ، وفي ماذا يتحدثون اثناء ذلك • وتعلم من المقامة الواسطية •  
كيف كانت تقام حفلات الزواج • وكيف تلقى خطب النكاح في ذلك  
العصر ، بل تعلم منها أن ( البنج ) الذي يظن كثير من الناس أنه من  
مستحدثات هذا العصر • كان معروفاً بأسمه ومسمّاه على عهد المؤلف •  
وتعلم من المقامة الدمشقية • أن ولاية الامور في أيام الحريري كانوا  
عاجزين عن تأمين السبل وحماية القوافل التي تقطع الصحراء بين دمشق  
وبغداد ، وأن هذه القوافل كانت تسير بحراسة زعماء القبائل نظير

(١١) نسبة الى « قطيعة الربيع » محلة معروفة في بغداد .

جعل تدفعه لهم • وتعلم من المقامة الصناعية (١٢) أن الوعظ في ذلك الزمان أو فريقاً منهم على الأقل يحتالون على الناس • فيحثونهم على الزهد • ويدعونهم إلى التقشف والنسك ، ولكنهم يفعلون في خلواتهم كل ما ينكرون ، ويستبيحون كل ما يحرمون ، وهكذا • •  
وتحتوي كذلك • أي المقامات - على لطائف وطرائف وفوائد أدبية ولغوية كثيرة •

### لغته وأسلوبه :

وتسألني رأيي في لغة الحريري وأسلوبه ، فأقول لك : إنهما على جانب كبير من الجمال والروعة • وليس معنى هذا أنهما مبرعان من كل عيب منزهان عن كل نقص كما كان يظن القدماء • كلا فأنت تجد في ثنايا مقاماته اللفظ الغريب الذي يمجه السمع وينفر منه الطبع كما في قوله « يا يلا مع القاع ويرامع البقاع » (١٣) • أي يا أشباه السراب وأمثال الحجارة البيضاء • وكما في قوله : « ثم انه جلس محقوقاً وأجرتم مقققاً » (١٤) ، أي جلس منحنيًا منضماً بعضه إلى بعض • وتجد فيها اللفظ المستعمل في غير ما وضع له كما في قوله : « فلما خشمت الاصوات والتأم الانصات » (١٥) فكلمة ( التأم ) وهي تعني ( اجتمع ) مستعملة هنا في غير ما وضعت له ؛ ولو استعمل الحريري مكانها كلمة ( تم ) لصحَّت جملته وكانت وافية بالغرض • وكما في

(١٢) نسبة إلى صنعاء وهو اشتقاق على غير قياس •

(١٣) مقامات الحريري ص ١٩٦ طبعة مصر سنة ١٩٢٥ •

(١٤) مقامات الحريري ص ٣٥٣ طبعة مصر سنة ١٩٢٥ •

(١٥) المصدر نفسه ص ٢٠٣ •

قوله : « فعبجت إليه لأسبك سرّ جوهره » (١٦) ، فكلمة ( أسبك ) مستعملة هنا في غير ما وضعت له ، وكان الصواب أن تحل محلها كلمة ( لأتبين ) أو ( لأجتلي ) وكما في قوله : « فسولت لي النفس المضلة والشهوة المذلة المزلة أن نادمت الابطال وعاطيت الارطال » (١٧) فكلمة ( ابطال ) مستعملة هنا في غير ما وضعت له ، لأن النديم يوصف بالظرف ورقة الحديث وجمال العشرة ولا يوصف بالبطولة • بل تجد فيها اللفظ المنحوت على غير قياس كما في قوله : « فعبجت الى سرحة كثيفة الاغصان • وريقة الاغصان لاغورّ تحتها الى المغيربان » (١٨) فكلمة ( مغيربان ) تصغير للمغرب على غير قياس ، هذا فضلا عن أن (القبيلولة) وهي المقصودة بقوله ( لأغورّ ) لا تدوم الى المغرب عادة • وتجد فيها الكلام المتنافر الضعيف التأليف كما في قوله : « أما بعد أن سحقتم حقي لأجل سحقي » (١٩) يريد أما بعد أن غمظتم حقي ورمتم سحقي • وتجد فيها الاستعارة غير الموفقة كما في قوله : « وهم يتعاطون كأس المناقثة » (٢٠) ولو وضع ( محادثة ) موضع ( مناقثة ) لحسنت الاستعارة واستقامت الجملة • وهناك مواطن ضعف أخرى كثيرة في هذه المقامات وليس من الضروري احصاؤها جميعا •

ولكنك تستطيع ان تقرّر رغم كل ذلك • أن الحريري على العموم بل في الكثرة الكبرى من مقاماته • منشىء فصيح اللفظ • شديد الأسر • حسن التأليف • بديع الجرس • يجيد اختيار الألفاظ وتأليفها

(١٦) المصدر نفسه ص ٣٨٤ •

(١٧) المصدر نفسه ص ٥٦٣ •

(١٨) المصدر نفسه ص ٢٧٣ •

(١٩) المصدر نفسه ص ٢١٨ •

(٢٠) مقامات الحريري ص ٥٠ طبعة مصر سنة ١٩٢٥ •

وهندسة الجمل وتقطيعها • بل نعلي أستطيع أن أزعم أنه من أعرف  
كتاب العرب القدماء بالجملة الموسيقية ، وهي عنده قصيرة محكمة  
السبك • لا يتجاوز عدد كلماتها الخمس ، شديدة الشبه بما قبلها وما  
بعدها • ويخيل إليّ أن الحريري من هذه الناحية • عظيم التأثير بالسور  
المكية من القرآن حيث يغلب السجع ويراعى الازدواج مراعاةً كاملة ،  
وحيث تتألف الآية الواحدة من أصغر عدد ممكن من الكلمات ، كما في  
قوله تعالى : ( بسم ) « والضحي ، والليل اذا سجي ، ما ودّعك ربك  
وما قلى » وكما في قوله ( بسم ) « الرحمن ، علّم القرآن ، خالق  
الانسان ، علّمه البيان » •

ولقد كانت هذه المقامات كلها خلال تسعة قرون تقريبا المثل الأعلى  
في بداعة الأداء وبراعة الانشاء وفي ظرافة المبني ورشاقة المعنى • أما  
اليوم فقد فقد أكثرها هذه المنزلة ، ولم يعد لها سوى قيمة تاريخية  
صرف • بيد أنه من الحق ان نلاحظ أنه لا يزال بينها عدد يسير تلذ  
قراءته وتفيد دراسته • من هذا القبيل المقامات الفراتية والنصيبية  
والبكرية والبصرية والحرامية • وأروي لك فيما يلي هذه الأخيرة على  
سبيل المثال ، لأنها في ظني خير ما تحسن روايته من هذه المقامات •  
قال الحريري •

« روى الحرث بن همّام عن أبي زيد السروجي قال : ما زلت مذ  
رحلت عنسي ، وارتحلت عن عرسي وغرسي ، أحن الى عيان البصرة ،  
حنين المظلوم الى النصر ، لما اجتمع عليه أرباب الدراية ، وأصحاب  
الرواية ، من خصائص معالمها وعلمائها ، وماثر مشاهدها وشهادتها ،

• وأسأل الله أن يوطئني ثراها ، لأفوز بمرأها ، وأن يمطيني قراها (٢٠) .  
 • لأفتري قراها (٢١) ، فلما أحلنيها الحظ ، وسرح لي فيها اللحظ .  
 رأيت بها ما يملأ العين قررة ويسلي عن الأوطان كل غريب  
 فغلست (٢٢) في بعض الايام ، حين نصل خضاب الظلام . وهتف  
 أبو المنذر (٢٣) بالنوام ، لأخطو في خططها ، وأقتضي الوطر من توسطها  
 فأداني الاختراق في مسالكها ، والانصلات في سككها ، الى محلة  
 موسومة بالاحترام منسوبة الى بني حرام ، ذات مساجد مشهورة ،  
 وحياض مورودة ، ومبان وثيقة ، ومغان أنيقة ، وخصائص أثيرة ،  
 ومزايا كثيرة .

|                          |                              |
|--------------------------|------------------------------|
| بها ما شئت من دين ودنيا  | وجيران تنافوا في المعاني     |
| فمشغوف بآيات المثاني     | ومفتون برئات المثاني (٢٥)    |
| ومضطلع بتلخيص المعاني    | ومطّلع الى تخلص عان          |
| وكم من قاريء فيها وقار   | أضرا بالجفون وبالجفان (٢٦)   |
| وكم من معلم للعلم فيها   | وناد للندی حملو المجاني      |
| ومعنى لا تزال تغنّ فيه   | أغاريد الغواني والأغاني (٢٧) |
| فصل ان شئت فيهما من يصلي | واما شئت فادن من الدنان      |

(٢٠) قراها : ظهرها .

(٢١) أفتري « هنا » أتبع . وقرى : جمع قرية .

(٢٢) غلاس : خرج في الفلس وهو آخر ظلمة الليل .

(٢٣) أبو المنذر : كنية الديك .

(٢٥) المقصود « بمثاني » الاولى : سورة الفاتحة أو مادون المثني

آية من القرآن و « بمثاني » الثانية ما قتل من أوتاد العود على قوتين  
 وفي القاموس المثاني : من أوتار العود الذي بعد الاول .

(٢٦) قار : مضيف .

(٢٧) تغن : أي تسمع من الغنة وهي الصوت من الخيشوم .

ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات منطلق العنان

قال فيينا أنا أنتض (٢٨) طرقها، واستشف رونقها ، اذ لمحت عند  
دلوك براح (٢٩)، واظلال الرواح (٣٠) ، مسجدا مشتهدا بطرائفه ،  
مزهرا بطوائفه ، وقد أجرى أهله ذكر حروف البذل ، وجروا في حلبة  
الجدل ، فعجت نحوهم ، لا ستمطر نوأهم ، لا لأقتبس نحوهم ، فلم يك  
الا كقبسة العجلان (٣١) ، حتى ارتفعت الاصوات بالاذان ، ثم ردف  
التأذين بروز الإمام ، فأعمدت ظبي الكلام ، وحلت الحبي (٣٢) للقيام  
وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت ، وبالسجود ، عن استنزال الجود  
ولما قضي الفرض ، وكاد الجمع ينفض ، انبرى من الجماعة ، كهمل  
حلو البراعة، له مع السميت الحسن، ذلاقة اللسن ، وفصاحة الحسن (٣٣)  
وقال يا جبرتي ، الذين اصطفيتهم على أغصان شجرتي ، وجعلت  
خطتهم دار هجرتي ، واتخذتهم كرشي وعييتي (٣٤) وأعددتهم لمحضري  
وغيبتي أما تعلمون أذ لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة ، وأن  
فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، وأن الدين إمحاض النصيحة ،  
والإرشاد عنوان العقيدة الصحيحة ، وأن المستشار مؤتمن ، والمسترشد

(٢٨) انفض طرقها : أتبعها .

(٢٩) دلوك الشمس : دنوها الى الغروب وبراح : كحزام علم  
على الشمس .

(٣٠) اظلال الرواح : مجيء العشي .

(٣١) قبسة العجلان : مثل في السرعة .

(٣٢) الحبي : جمع حبة وهي جمع الرجل بين ظهره وساقيه  
بعمامة ونحوها .

(٣٣) المراد بالحسن هنا : الحسن البصري .

(٣٤) كرشي وعييتي : أي أهلي ومحل سري .



بالنصح قمن ، وأن أخاك هو الذي عدلك ، لا الذي عذرك ، وصديقك  
من صدقك ، لا من صدقتك ، فقال له الحاضرون أيها الخل الودود ،  
والخذن المودود ، ما سر كلامك الملعز ، وما شرح خطابك الموجز ،  
وما الذي تبغيه منا لينجز ، فو الذي حباننا بمحبتك ، وجعلنا من صفوة  
أحببتك ، ما نألوك نصحا ، ولا نذخر عنك نصحا (٣٥) ، فقال جزيتهم  
خيراً ، ووقيتهم ضيراً ، فإنكم ممن لا يشقى بهم جليس ، ولا يصدر  
عنهم تلبس ، ولا يخيب فيهم مظنون ، ولا يطوى دونهم مكنون ،  
وسأبشكم ما حاك (٣٦) في صدري ، وأستفتيكم فيما عيل فيه صبري ،  
إعلموا أنني كنت عند صلود الزند (٣٧) وصدود الجد . أخلصت مع  
الله نية العقد ، وأعطيته صفقة العهد ، على أن لا أسبأ (٣٨) مدا ، ولا  
أعقر ندامي ، ولا أحسني قهوة ولا أكتسي نشوة (٣٩) ، فسوالت لي  
النفس المضلة ، والشهوة المذلة المزلة ، أن نادمت الأبطال (٤٠) ، وعاطيت  
الأرطال (٤١) ، وأضعت الوقار ، وأرتضعت العقار ، وامتنطيت مطا  
الكميت (٤٢) ، وتناسيت التوبة تناسي الميت ، ثم لم أقنع بهاتيكم

(٣٥) نصحاً : أي عطاء .

(٣٦) حاك في صدره : أثر وثبت فيه .

(٣٧) صلود الزند : عدم خروج النار منه مع القدح ، ويستعمل

كناية عن الفقر .

(٣٨) أسبأ مدا : أشترى خمرا ، ومنه سميت المدام سبيئة .

(٣٩) يقول شراح المقامات في تفسير هذه الجملة : لا أكتسي نشوة

أي لا أتلبس بسكر . وعندني ان هذا تعسف في التفسير والتأويل ،  
والصواب ان كلمة أكتسي مستعملة هنا في غير ما وضعت له .

(٤٠) سبق ان نبهت الى ان كلمة « أبطال » مستعملة هنا استعمالاً

غير صحيح .

(٤١) الأرطال هنا : الاقداح .

(٤٢) المطا : الظهر ، والكميت : من اسماء الخمر .

المرّة ، في طاعة أبي مره ، حتى عكفت على الخندريس ، في يوم الخميس  
وبت صريع الصهباء ، في الليلة الغراء (٤٣) ، وها أنا بادي الكآبة ،  
لرفض الإنابة ، نامي الندامة ، لوصل المدامة ، شديد الاشفاق ، من  
نقض الميثاق ، معترف الاسراف • في عب (٤٤) السلاف •

فيا قوم هل كفتارة تعرفونها تباعد من ذنبي وتدني إلى ربي  
قال أبو زيد : فلما حل أنشودة نفثه (٤٥) • وقضى الوطر من  
اشتكاء بثه • ناجتني نفسي : يا أبا زيد • هذه نهزة صيد • فشمر  
عن يد وأيد (٤٦) • فانتفضت من مجشمي انتهاض (٤٧) الشهم • وانخرطت  
من الصف انخراط السهم • وقلت :

|                   |                    |
|-------------------|--------------------|
| أيها الأروع الذي  | فاق مجدداً وسوددا  |
| والذي يتعي الرشا  | د لينجو به غداً    |
| إن عندي علاج ما   | بت منه مسهداً      |
| فاستمعها عجيبة    | غادرتني ملددا (٤٨) |
| أنا من ساكني سرو  | ج ذوي الدين والهدى |
| كنت ذا ثروة بها   | ومطاء مسوداً       |
| مربعي مألّف الضيو | ف ومالي لهم سدى    |

(٤٣) الليلة الغراء : أي الليلة البيضاء وهي ليلة الجمعة وقد سميت  
بذلك لما لها من الفضل •

(٤٤) العب : الشرب بلا تنفس أو بغير مص •

(٤٥) الانشودة : العقدة غير المحكمة •

(٤٦) الأيد : القوة •

(٤٧) الشهم : الذكي الحديد الفؤاد •

(٤٨) ملدداً : مستعملاً لذيدي وهما صفحتا العنق ، أي متلفتاً يميناً

وشمالاً من الخوف •

أشتري الحمد باللهي  
لا أبالي بمنفس  
أوقد النار بالينا  
ويراني المؤمنو  
لم يشم بارقي صد  
لا ولا رام قابس  
طالما ساعد الزما  
فقضى الله أن  
بوءاً الروم أرضنا  
فاستباحوا حريم من  
وحووا كل ما استسر  
فتطوحت في البلا  
أجتدي الناس بعدما  
وترى بي خصاصة  
والبلاء الذي به  
استبأ ابنتي التي  
فاستبين محنتي ومد  
وأجرني من الزما  
وأعني على فسكا  
فبذا تنمحي المآ  
وبه تقبل الإنا  
وهو كفارة لمن
وأقي العرض بالجد  
طاح في البذل والندی  
ع اذا النكس أخمدا  
ن ملاذاً ومقصدا  
فانشى يشتكي الصدا  
قدح زندي فأصلدا  
ن فأصبحت مسعدا  
يغير ما كان عودا  
بعد ضغن تولدا  
صادفوه موحددا  
بهمالي وما بدا  
دطريداً مشرددا  
كنت من قبل مجتدي  
أتمنى لها الردى  
شمل أنسى تبددا  
أسروها لتفتدي  
إلى نصرتي يندا  
ن فقد جار واعتدي  
لك ابنتي من يد العدا  
ثم عمّن تمردا  
به ممن تزهّدا  
زاغ من بعدما اهتدي

ولئن قمت منشداً      فلقم فهدت مرشدا  
فأقبل النسخ والهدا      ية واشكر لمن هدى  
واسمح الآن بالذي      يتسنى لتحمدا

قال أبو زيد فلما أتممت هذرمتي (٤٩) ، وأوهم المسؤول صدق  
كلمتي ، أغراه القرم (٥٠) الى الكرم بمواساتي ، ورغبه الكلف بحمل  
الكلف في مقاساتي . فرضخ لي على الحافرة (٥١) ، ونضخ (٥٢) لي  
بالعدة الوافرة ، فانقلبت الى وكري فرحاً بنجح مكري ، وقد حصلت  
من صوغ المكيدة ، على صوغ الشريدة ، ووصلت من حوك القصيدة ،  
إلى لوك العصيدة قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من أبدعك ،  
فما أعظم خدعك ، وأخبث بدعك ، فاستغرب (٥٣) في الضحك ثم أنشد  
دون مرتبك :

عش بالخداع فأنت في      دهر بنوه كأسديشه (٥٤)  
وأدر قنائة المكر حتى      تستدير رحي المعيشة  
وصد النسور فان تعذر      صيدها فاقنع بريشه  
واجن الثمار فان تفتك      فرض نفسك بالحشيشه  
وأرح فؤادك إن نبا      دهر من الفكر المطيشه  
فتغايير الأحداث يؤذن      باستحالة كل عيشه

(٤٩) الكلام الكثير غير المفهوم .

(٥٠) القرم : شهوة اللحم ، والمراد به هنا حب الجود وأحسب أنه

اسراف في التجوز .

(٥١) رضخ لي : أعطاني عطاء قليلاً . على الحافرة : أي في أول الامر .

(٥٢) نضخ : فاض ، يقول : ووعدني بالعطاء الجم .

(٥٣) استغرب في الضحك : أفرط وتجاوز الحد فيه .

(٥٤) بيشنه : مأسدة قيل انها في اليمن .

ليس هناك شك في أن نجم الحريري قد أفل الآن ، وأن أحداً  
لا يسترشد به اليوم في سبل البيان ومذاهب الانشاء • ولكن من  
العدل أن لا ننسى أن نجمة بقي ساطعا في سماء الأدب العربي نحواً  
من تسعة قرون •

## ابواب الثالث

### في شعراء القرن الثاني للهجرة

#### تمهيد في الشعر العباسي وتأثره بالشعر الجاهلي

قلت لك في مسنهل هذا الكتاب إن الكتاب العباسيين من حيث مذاهبهم في الكتابة وأساليبهم في الاداء عيال على القرآن • عنه أخذوا وبه تخرجوا • وأقول لك الآن • إن الشعراء العباسيين من حيث مذاهبهم في النظم وبالأضافة إلى كثير من مقاصدهم وأغراضهم • عيال على الشعر الجاهلي • به يتأثرون وعلى منواله ينسجون • وإثبات هذا أمر غير عسير ، فأنت تستطيع أن ترجع الى ديوان أي شاعر عباسي لتبين أنه يقول القصيدة على روي واحد • وفي عروض واحد • ويتطرق فيها الى المواضيع المختلفة التي لاصلة بينها مطلقا • فمن نسيب الى فخر الى مديح الى غير ذلك مما هو معروف • وهو يفعل هذا كله متأثراً بطريقة امرئ القيس وغيره من الشعراء الجاهليين في تأليف القصيدة وحشر المقاصد والاعراض في طياتها حشرا • وليس هذا كل شيء • بل إنه كثيراً ما ينتحل أخيلة أولئك الشعراء وخواطرمهم في بكاء الأطلال ورتاء الديار ووصف حل الاحباب وترحالهم • وظعنهم وإقامتهم • وفي تصوير كرم المدوح وشمسه وشجاعته وبراعته وصراحته • وفصاحته • ومع ذلك حذار أن تذهب إلى أن الشعراء العباسيين لم يتأثروا بالثقافة العباسية • ولم يصنعوا شيئاً من أحوال الدولة التي نشأوا

في كنفها • وعاشوا في ظلها • وتأثروا بارتقائها وانحطاطها وضعفها  
وقوتها • إذ الواقع أنهم كانوا على الضد من ذلك فقد تأثروا بعلوم  
عصرهم ومعارفه ووصفوا حروبه وسياسته وصوروا حضارته وعمرانه •  
ولكنهم فعلوا هذا كله في حدود التقاليد الأدبية الموروثة وطبقاً  
للأساليب العامة المتبعة • فأحترموا وحدة العروض والروى احتراماً  
لا داعي له • وجمعوا بين المواضيع المختلفة في القصيدة الواحدة •  
ووقفوا على الأطلال والدارسة والآثار الطامسة في ربوع لم يعرفوها إلا  
بالسمع ووقفات لا مبرر لها ألبتة • وبذلك جمعوا بين القديم والحديث  
والابتكار والتقليد جمعاً لا يجيزه تفكير سديد ولا ذوق سليم • فتطور  
أدبهم على مر الايام ولم يتعرض إلى انقلاب مع أنه كان شديد الحاجة  
إلى انقلاب جارف محكم الخطط • ثابت الأسس واضح الغايات •  
وقد وصف بشار بن برد وأبو نواس بأنهما مجددان للقريض  
العربي • يتفق على ذلك الرواة والنقاد القدماء • ويأخذ به كثير من  
النقاد المعاصرين وأحاول فيما يلي أن أدرس حياة هذين الشعارين وأن  
أتبين مخلصاً مقدار ما أدخلوا من الإصلاح على القريض العربي وأبدأ  
ببشار لأنه أقدم الرجلين •

## الفصل الاول

### بشار بن برد

أ - حياته : نسبه • ولاؤه ، عتقه ، مولده ، بركته • كنيته ولقبه ،  
لماذا لقب بالمرعّث • نشأته ، نبوغه • ذبوع شهرته ، خشية  
الناس إِيَّاه • حبه لعبدة ، حبه غيرها من النساء • ثقافته  
ومعتقده ، سادس ستة ، شعوبيته ، صلته بيني أمية •  
صلته بيني العباس : غضب المهدي عليه ، سببه ، هجاؤه  
المهدي • وفاته • تناقض أقوال الرواة فيها ، فرح الناس  
بموته • حكايَتان لهما مغزى •

ب - صفاته : تصوير الأصمعي إِيَّاه ، مجونه ، ظرفه ، سرعة جوابه ،  
قدرته على ارتجال الشعر ، خوفه من الهجاء ، كرمه ،  
بره بأهله ، وفاؤه لأصدقائه •

ج - شعره : كثرته • غزله : خلوصه من العواطف الصادقة ، أصالته  
مظاهرها ، مثل منه • مديحه : اعتداله • مثل منه ، هجاؤه  
بذاته وصرامته ، مخافة الناس إِيَّاه ، جزع الأخفش منه •  
ميميته في هجاء المنصور ، نقدها ، لماذا أوترها بالنقد •  
رثاؤه : تفاهته • فخره : غرابته ، مثل منه • حكمه :  
المبتكر منها والمقتبس ، مثل من كل منهما ، مكان الصديق  
من هذه الحكم ، تغيره •



د - خاتمة : مقارنة بين بشار والحطيئة وجريير ، فيم يفضلانه وفيم يفضلهما • هل كان مجدداً ؟ نفي هذا الزعم •

### آ - حياته :

كان عبد الله بن المقفع رأس مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية من الكتاب أما رأس مخضرمي الدولتين من الشعراء غير مدافع فهو بشار بن برد • وللرجل نسب طويل يختلف فيه الرواة لا أحدثك عنه بشيء لاني اعتقد أنه من وحي خيال الشاعر - فقد كان على ضعة مولده وخمول نسبه - يود أن يوهم الناس ويوهم نفسه أيضاً أنه سليل أسرة لها في فارس ما لآل ساسان من علو المنزلة وسمو الكلمة وضخامة الملك والسلطان :

ورب ذي تاج كريم الجد كآل كسرى وكآل برد  
كما كان على قبح صورته وبشاعة منظره يود أن يوهم الناس  
ويوهم نفسه أيضاً أنه جميل الصورة رشيق القوام لطيف الهندام يخلب  
ألباب النساء ويأسر قلوبهن بماله من صباحة الوجه وملاحاة القدر ،  
وبلغ من اطمئنانه الى هذه الدعاوى الموهومة أن جهر بها أمام الخليفة  
المهدي فقد حدثت راويته يحيى بن الجون العبدي أن المهدي قال له  
فيمن تعتد يا بشار فأجابه أما اللسان والزي فعريبان وأما الاصل  
فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين :

ونبت قوم بهم جنه يقولون من ذا وكنت العلم  
ألا أيها السائلي جاهداً ليعرفني أنا أئف الكرم  
نمت في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قريش العجم

فاني لأغني مقام الفتى وأصبي الفتاة فما تعنصم  
وكان أبو دلامة الشاعر الظريف حاضراً فقال له : « كلا لوجهك  
أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك » (١) وأحسب ان هذا رد فعل نفسي  
شديد يساعد على نموه الخيال الشعري مساعدة كبرى يقع فيه من يبلغ  
حدا بعيدا من خلة من الخلال المدمومة من الشعراء فاذا كان جباناً  
مسرفاً في الجبن ظن أنه شجاع واذا كان بخيلاً مسرفاً في البخل ظن أنه كريم  
واذا كان قبيحاً مسرفاً في القبح ظن أنه جميل ومن أمثلة ذلك ان حسان  
ابن ثابت شاعر الرسول ( ص ) كان جباناً مسرفاً في الجبن ولكنه كان  
يخضب عنقه (٢) « ليكون كأنه أسد والغ في الدم » ومع أنه لم يقف  
بين يدي النبي موقفاً حريياً واحداً لم يحجم عن انشاده بين يديه :

وقد غدوت أمام القوم منتطقاً بأبيض مثل لون الملح قطّاع  
فلم يتمالك ( ص ) عن الابتسام • وقل مثل ذلك عن الفرزدق  
فانه كان جباناً ولكنه كان كثير التحدث عن شجاعته يلقي الأسود  
والذئاب فتراجع أمامه ويلقى بعضها حتفه على يده • وكان كثير عزة  
آخر من تحترمه امرأة وتعجب به لشدة حمقه وقصر قامته وقبح صورته  
ولكنه كان يوهم نفسه أنه أثير عند النساء كبير في أعينهن يقمن له  
اجلالاً اذا حضر ويتحاشين الكلام والضحك بحضرتة :

وكنت اذا ما جئت أجلن مجلسي وأظهرن مني هيبة لا تجهما  
يحاذرن مني غيرة قد عرفنها قديماً فما يضحكن الا تبسما  
وأعود الى بشار فأقول ان أباه برداً فارسي من طخارستان قيل  
إنه كان مملوكاً لخيرة القشيرية زوجة المهلب بن أبي صفرة وكان يعمل

(١) الاغاني ج ٣ ص ٢١ طبعة مطبعة التقدم بمصر .

(٢) العنققة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

في ضيعة لها في البصرة اسمها «خيرفان» مع عبيد لها وإمام فوهبته خيرة بعد ان زوجته لصديقة لها من بني عقيل وولدت له امرأته وهو في ملكها بشارا فاعتقته العقيلية (٣) وقيل انه - أعني بردا - كان مولى أم الظباء العقيلية السدوسية وقد ادعى بشار لهذا أنه مولى بني عقيل (٤) « وفي رواية أن رجلا من أولاد بشار اسمه حمدان كان قصارا أكد ولاء جده لبني عقيل » وتروى في ولاء بشار أخبار أخرى منها أن بشارا وأمه كانا كانا لرجل من الأزدي فتزوج امرأة من بني عقيل فأصدقها فيما أصدقها بشارا وأمه وكان بشار ولدا مكفوزا فاعتقته العقيلية (٥) ومنها أن أم بشار باعته من أم الظباء السدوسية زوجة أوس بن ثعلبة بدينارين فأعتقته أم الظباء سخاءاً وكرماً (٦) وأنت تستطيع أن تشك في هذه الاخبار كلها أو أكثرها وان ترفضها كلها او أكثرها اذا شئت ولكن شيئاً واحدا لا تستطيع أن ترفضه ولا تستطيع أن تشك فيه وهو أن بشارا من أصل فارسي وأنه نشأ في أحضان الرق والولاء عند العرب وأن أسياده من هؤلاء أنعموا عليه بالعنق فصار حراً بعد أن كان عبداً . ويتحدث الرواة بأن بشارا كان شديد الاعتزاز بهذا الولاء مدة من الزمن وفي شعره ما يدل على هذا دلالة صادقة ولكنه آثر الركون الى الشعوية متأثراً بما يجري حوله من مناقشات ومنافسات بين العرب والموالي في البصرة وسأعود الى الكلام على شعوبيته في مكان آخر من هذا الفصل .

(٣) الاغانى ج ٣ ص ٢ طبعة مطبعة التقدم بمصر .

(٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٠ .

(٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٠ .

(٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢١ .

لم يعين الرواة مولد بشار ولكنهم تحدثوا عن تاريخ وفاته ومقدار عمره واختلفوا فيهما فقالوا مرة ان وفاته كانت سنة ١٦٧ هـ (٧) وقالوا تارة انها كانت سنة ١٦٨ هـ (٨) . وقالوا في مقدار عمره حينما انه ناهز الستين (٩) وطورا انه يزيد على السبعين (١٠) وآونة انه يزيد على التسعين (١١) وأحسب انه لم يجاوز السبعين أو أنه لم يبلغها فانه يقول في قصيدة مدح بها المهدي مشيرا الى اقلاعه عن التشبيب بالنساء عملا بنصيحة الخليفة العباسي :

وأخرجني من وزر خمسين حجة فتى هاشمي يقشعر من الوزر  
فاذا فرضنا أن هذه الخمسين حجة تبتيء ببلوغه الحلم فانه  
يكون وقت نظمه هذه القصيدة في نحو الخامسة والستين من عمره  
وقد قتل بعدها بمدة قصيرة قد لا تتجاوز السنة وعلى هذا لا يكون  
قد بلغ السبعين عندما وافاه أجله .

وولد بشار في البصرة أو في أحد ارباضها مكشوف البصر فلم ير  
من الدنيا شيئا . ومع هذه النكبة التي صبت على رأسه في بدء حياته .  
كانت ولادته مبعث خير وبركة لأسرته فيما يظن والده الذي كان في  
ذلك التاريخ طيبا . وكان دخله من هذا العمل قليلا لا يكفيه . فلما  
ولد له بشار بارك الله في رزقه . فلم يحل عليه الحول حتى جمع مائتي  
درهم . فكان يذكر هذا وينوه به عندما يتحدث عن ابنه الميمون (١٢) .

(٧) وفيات الاعيان ج ١ ص ٨٩ طبعة المطبعة الميمنية بمصر .

(٨) الاغاني ج ٣ ص ٧٠ طبعة مطبعة التقدم بمصر .

(٩) الاغاني ج ٣ ص ٦٩ .

(١٠) الاغاني ج ٣ ص ٧٠ .

(١١) وفيات الاعيان ج ١ ص ٨٩ .

(١٢) الاغاني ج ٣ ص ٥١ .

وكان بشار يكنى بأبي معاذ • وأكبر الظن أنه كتب بهذا عندما  
كبر ونبه شأنه • ويلقب بالمرعث • ويقال انه لقب بهذا لقوله :  
قال ريم مرعث سحر الطرف والنظر  
لست والله نائبي قلت أو يغلب القدر  
أنت ان رمت وصلنا فانج هل تدرك القمر (١٣)

وقيل بل انه لقب بهذا • لأنه كان يلبس قميصا له جيبان • جيب  
عن يمينه وجيب عن شماله • فاذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل  
رأسه فيه • واذا أراد نزعته حل ازرارها وخرج منه • فشبهت تلك  
الجيوب بالمرعث لاسترسالها وتدليها • ولقب من أجلها بالمرعث (١٤) •  
وهناك رواية تقول انه لقب بالمرعث • لأنه كان يلبس في صغره رعاثا في  
أذنيه • والرعاث جمع رعثة • وهي القرطة • وربما كانت هذه الرواية  
أقرب الروايات الثلاث الى الصحة وأولها بالقبول •

ونشأ صاحبنا نشأة متواضعة • يغلب عليها الخمول والفقير • ومن  
المحقق أنه لم يرسل الى الكتاب • ولم يعن بتربيته وتعليمه أحد (١٥) •  
ولكنه عوّض عن كل ما لحق به من فقد بصر • وبشاعة صورة •  
وضعة مولد • ورقة حال • بخيال خصب • واحساس قوي • وشعور

(١٣) الاغانى ج ٣ ص ٢٢ •

(١٤) الاغانى ج ٣ ص ٢٢ •

(١٥) في خبر يذكره أبو الفرج : أن بشاراً يعزو أدبه وفصاحته الى  
نشأته في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف  
كلمة من الخطأ • ولو كان مثل هذه النشأة يكفي لخلق الادباء الفصحاء  
من أمثاله • لخلق من أخويه بشر وبشير القصابين أديبين فصيحين والواقع  
أن بشاراً كغيره من الشعراء النوابع مدين بأدبه لفطرته قبل كل شيء  
على ان للبيئة أثرها • ولكنه يأتي دون شك بعد أثر الفطرة •

فياض • ولسان ذرب • كما هوض الحطيئة عن كل ما لحق به من فقر  
وضعة نسب • ودمامة منظر • بأدبه وشاعريته قبل ١٥٠ سنة تقريبا •  
وقال بشار الشعر ولما يبلغ العاشرة • وقد فكر وهو في تلك  
السن المبكرة • فرأى أنه لن يحرز مالا ولن يصيب جاهاً الا اذا خافه  
الناس • ولن يخافه الناس الا اذا سلط عليهم قوارص الهجاء • فجرى  
على سنة سلفه الحطيئة • ووجد عليهم سيف لسانه البتار • وأسمعهم  
في نفوسهم وفي أحسابهم وأنسابهم ما يكرهون • وفزع هؤلاء الى  
أييه يشكونه اليه • وأصغى الأب الساذج لشكواهم • فأخذ يضرب  
ولده ضرباً مبرحاً • وشق هذا على أم الغلام • فقالت ذات يوم لأبيه :  
« كم تضرب هذا الصبي الضرير أما ترحمه » فقال لها : « بلى والله  
إنني لأرحمه • ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلي » وسمعه الصبي  
« فطمع فيه • وقال له يا أبت • ان هذا الذي يشكونه مني اليك •  
هو قول الشعر • واني ان ألمت عليه أغنيتك وسائر أهلي • فان شكوني  
اليك فقل لهم ليس الله يقول : « ليس على الأعمى حرج » •  
وعاود بشار هجاء الناس • فعاود هؤلاء شكواهم الي أييه فقال  
لهم هذا ما قاله له بشار « فانصرفوا وهم يقولون فقه برد أغيظ لنا  
من شعر بشار » •

ولم يطل الوقت حتى ذاع صيت الشاعر الضرير • وطارت شهرته  
في الآفاق • فخشى الناس معرفة لسانه وتحاموا هجاءه • وافتدوا أحسابهم  
وأعراضهم منه بأموالهم • ويقول الرواة ان عمر بن هبيرة أول من منحه  
جائزة سنوية على مديحه • أجازته على بائيته التي يمدحه فيها والتي  
منها قوله :

إذا الملك الجبار صعّر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه  
بعشرة آلاف درهم ومنذ ذلك الحين علا قدره - فيما يقول  
صاحب الأغاني وارتفع ذكره • وكان إذا تأخرت عليه جوائز ممدوحيه  
هددهم بالهجاء • أو لدعهم به دون سابق انذار • فيبادرون الى  
استرضائه ومضاعفة صلته والاعتذار اليه •

مدح عقبة بن سلم بأرجوزته التي مطلعها : « يا طلل الحي بذات  
الصمد » فأثابه عليها بخمسين ألف درهم • ولكن وكيله آخر دفع المبلغ  
اليه ثلاثة أيام • فما كان من بشار الا أن أمر غلامه ان يكتب على  
باب عقبة هذا الانذار :

ما زال ما منيتني من هشي والوعد غم فأزح من غمّي  
ان لم ترد مدحي فراقب ذمي

فلما خرج عقبة من داره وقرأ ما كتبه بشار على بابه • قال لخازنه  
أدفعت الى بشار ما أمرت به • فأجابه « نحن مضيقون وغدا أحملها  
اليه » فقال له زد فيها عشرة آلاف درهم واحملها اليه في الحال •  
وكان سهيل بن عمرو أحد أعيان قريش يهدي بشارا قواصر من  
تمر في كل سنة • فأبطأ عليه ذات سنة فكتب اليه بشار :

تمر كم يا سهيل درة رهل يط - سمع بالدر من يدي تمتع (١٦)  
فاجبني يا سهيل من ذلك التمر - سر نواة تكون قرطاً لبنتي

فبعث اليه سهيل بقواصر التمر وضاعفها ملتسماً منه ألا يضيف  
شيئاً الى البيتين • وبهذه الطريقة عاش بشار مخشي الجانب مقضي

(١٦) التمتع : السائل اذا الحف في المسألة • يقول بشار لسهيل  
انت من السؤال المالحفين في المسألة فكيف يطمع طامع باخذ الدر منك •

الحاجة بل قل موفور الجاه والمال • يلهو • ويلعب • ويستمتع بأطايب  
الحياة • ويزوره الناس نساء ورجالا ليأخذوا عنه ويسمعوا منه •  
ويشعروه احترامهم له ويتأق في استقبالهم فيستقبلهم في مجلسين  
مختلفين أحدهما خاص بالصباح اسمه ( البردان ) وثانيهما خاص  
بالمساء اسمه ( الرقيق ) •

وفي ذات يوم زاره فريق من النساء يلتمسن منه شيئاً من شعره •  
بينهن جارية حسناء اسمها عبدة فتنته بصوتها الرخيم وحديثها العذب •  
فبعث اليها مع غلامه رسالة غرامية قبلتها بسرور • ولكنها لم تسعفه •  
وانما كانت تشببه على رسائله الرقيقة برسائل مماثلة • فتشوق اليها  
وشبب بها مدة من الزمن • حتى صارت بظلة نسييه • وسأروي لك  
مثلا من شعره فيها في مكان آخر من هذا الفصل •

وقد أحب بشار نساء عديدات غير عبدة • وراسلهن وتغزل بهن •  
بعضهن معروف وبعضهن غير معروف • ومن المؤكد أن بشارا لم يحمل  
بين جوانحه حبا طاهرا عفيفاً لعبدة ولا لغيرها من النساء • وانما كان  
يهوى النساء • كما يهواهن أمرؤ القيس • وكما يهواهن عمر بن أبي  
ربيعة والفرزدق •

وقد قلت لك اني أجزم بأن بشارا لم يرسل الى الكتاب وأن أحداً  
لم يعن بتدريبه وتخريجه • وانما هو تلميذ طبعه وخرّيج فطرته •  
وأقول لك الآن انه طلب العلم عندما بلغ أشده • وعمل على توسيع  
معارفه فنظر في أمر الكون ووجود الخالق والجبر وما الى ذلك من  
العلوم الشائعة في عصره • ويعده سعيد بن سلام أحد ستة كلهم  
أصحاب كلام • وهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وصالح بن عبد



القدوس وعبد الكريم بن أبي العوجاء وجريير بن حازم الأزدي الذي  
كان بيته ناديا لهذه الفئة وهو • فأما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال •  
وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة • وأما جريير بن حازم فدان  
ببعض خرافات الهند • وأما بشار فقد شك وتحير • ومن شعره الدال  
على حيرته قوله :

طبعت على ما في غير مخير      هواي ولو خيرت كنت المهذبا  
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد      وقصر علمي أن أنال المغيبا  
ذأصرف عن قصدي وعلمي مقصر      وأمسي وما أعقت الا التعجبا  
ويعتقد الرواة أنه دان بالرجعة • وكفّر الأمة كلها بعد رسول الله •  
وسئل عن رأيه في علي بن ابي طالب بهذه المناسبة فقال :

وما شر الثلاثة أم عمر      بصاحبك الذي لا تصبحينا  
ومما لاشك فيه أن بشاراً قال بتفضيل إبليس على آدم معللاً ذلك  
بأن الاول من نار والثاني من طين والنار خير من الطين لأنها مضيئة  
والطين مظلم :

الارض مظلمة والنار مشرقة      والنار معبودة مذ كاتت النار  
وقد أحدث رأي بشار هذا ضجة عالية في الاوساط العلمية  
الدينية المعاصرة • فحمل عليه صديقه القديم واصل بن عطاء حملة  
شعواء • وجاهر برغبته في قتله • لولا أنه يترفع عن الغيلة • ورد عليه  
صنفوان الانصاري بتصيدة طويلة يشرح فيها مزايا الارض وأسباب  
تفضيلها على النار • أروى لك منها هذه الايات القليلة لظرافتها :  
زعمت بأن النار أكرم عنصراً      وفي الارض تحيا بالحجارة والزند  
ويخلق في أرحامها وأرومها      أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد

وفي القعر من لج البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد  
 كذلك سر الارض في البحر كله وفي الغيضة الغناء والجبل الصلد (١٧)  
 وكما حاد بشار عن النهج القويم في الدين • حاد كذلك عن النهج  
 القويم في السياسة • فأعتنق الشعوية ودان ببغض العرب • وانكر  
 ولاءه لهم • بعد أن ملأ الدنيا به فخراً بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك  
 فحرض من بالبصرة من الموالي على مناهضة أسيادهم • والخروج من  
 طاعتهم • وقد عاتبه أحد سراق البصرة في ذلك فرد عليه رداً موجعاً •  
 وشتهم عرضه شتماً قبيحاً • على أني أرى في تفضيل بشار إبليس على  
 آدم • وتمجيده النار لونها آخر من ألوان الشعوية • فأنت تعلم أن  
 النار معبودة الفرس القدماء ومعبودة من بقي منهم على المجوسية • في  
 ظل الاسلام • ومن أجل ذلك يخيل إلي أن مذهب بشار في تقديس  
 النار سياسي أكثر منه ديني •

ولم يمدح بشار أحداً من بني أمية - فيما نعلم - سوى سليمان  
 بن هشام بن عبد الملك الذي كان أميراً على « حران » مدحه بقصيدة  
 يقول فيها :

وقائلة لي حين جد رحيلنا      وأجفان عينيها تجود وتسكب  
 أغاد إلي حران في غير شيعة      وذلك شأو عن هواها مغرب  
 فقلت لها كلفتني طلب الغنى      وليس وراء ابن الخليفة مذهب (\*)  
 وأجاز سليمان بشارا على مديحه بخمسة آلاف درهم فاستقلها

(١٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١٦ طبعة مطبعة الفتوح الأدبية بمصر  
 (\*) أخذ أبو نواس معنى هذه الابيات الثلاثة وحوره قليلا وزاد  
 فيه في أبياته المشهورة التي يمدح بها الخصب من قصيدة وهي :  
 تقول التي من بيتها خف مركبي      عزيز علينا نراك تسير . . الابيات

وردها وهجا سليمان وآل مروان قاطبة بهذه الايات التي أروىها كلها  
لا لبيان موقفه من آل مروان فحسب • بل لدلالاتها على أشياء عديدة  
من خصاله واحواله قال :

إن أمس منقبض اليدين عن الندى      وعن العدو مخيس (١٨) الشيطان  
نلقد أروح على اللئام مسلطاً      تلج المقييل منعم النـدمان  
في ظل عيش عشيرة محمودة      تندى يدي ويخاف فرط لساني  
أزمان خيبي الشبـاب مطاوع      وإذ الأمير علي من حران (١٩)  
ريم بأحوية العراق اذا بدا      برقت عليه أكلة المرجان  
فأكحل بعبدة مقلتيك من القذى      وبوشك رؤيتها من الهملان  
فلقرب من تهوى وأنت متيم      أشفى لدائك من بني مروان

ولم يفد بشار بمديحه على السفاح ولا على المنصور من خلفاء  
بني العباس بل إنه هجا الثاني هجاء مرأ بميميته الآتي ذكرها • وذلك  
عندما ثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي ولكنه وفد على  
المهدي في أيام خلافته ورجا يزيد بن مزيد أحد رجال دولته أن يقدمه  
إليه فوعده يزيد ما أراد ولكنه مظه وأمعن في مظه • فانتهمز روح بن  
حاتم - وكان قد زار بغداد - هذه الفرصة وقدم بشاراً إلى المهدي  
دون أن يسأله ذلك • ودون ان يعلم به أيضا •

فدخل على الخليفة العباسي وأنشده ملاحه له • كان قد أعدها  
فقبلها منه وأثابه عليها بعشرة آلاف درهم • وخلع عليه خلعا كثيرة

(١٨) المخيس هنا المذل •

(١٩) هكذا في الاغاني ج ٣ ص ٥٦ طبعة مطبعة التقدم بمصر • وربما  
كان الصواب : ازمان السعف والشباب مطاوع •

واعطاه عبداً وقينة (٢٠) وبقيت صلته بالقصر حسنة الى أن نظم أبياتاً  
 في الغزل • أحب أن أنزه عنها هذا الفصل بلغت المهدي وكان غيراً  
 شديد الغيرة على النساء • فغضب ونهاه عن التشبيب بهن • وأطاع  
 بشار اشارة الخليفة • ونوه بذلك مراراً في شعره • ولعل الايات  
 التالية خير ما قال في هذا الباب وهي :

|                        |                         |
|------------------------|-------------------------|
| يا منظرًا حسنًا رأيتُه | من وجهه جارية فديته     |
| بعثت إلي تسوومني       | برد الشباب وقد طويتُه   |
| والله رب محمد          | ما إن غدرت ولا نويتُه   |
| أمسكت عنك وربما        | عرض البلاء وما أبتغيتُه |
| إن الخليفة قد أبى      | وإذا أبى شيئاً أبيتُه   |
| ومخضب رخص البناء       | ن بكى علي وما بكيتُه    |
| ويشوقني بيت الحبيب     | إذا أدكرت وأين بيتُه ؟  |
| حال الخليفة دونه       | فصبرت عنه وما قليتُه    |
| ونهاني الملك الهما     | م عن النساء فما عصيته   |
| لا بل وفيت فلم أضع     | عهداً ولا رأياً رأيتُه  |
| وأنا المظل على العدى   | وإذا غلا الحمد اشتريتُه |

وأنشد بشار المهدي هذه الأبيات في إحدى قدماته عليه • وأتبعها  
 مديحاً لا تشبيب فيه • فحرمه مع ذلك ولم يعطه شيئاً • وشق هذا  
 الحرمان على بشار وقيل له إن المهدي لم يستجد شعرك • فقال كلا  
 والله • لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد •  
 ولكننا نكذب في المديح فنكذب في الآمال • ثم سولت له نفسه أن

(٢٠) الاغاني ج ٣ ص ٥٤ طبعة مطبعة التقدم بمصر .

يهجو المهدي فقال فيه هجاء أقله هذان البيتان :

بني أمية هبوا طال نومكم      إن الخليفة يعقوب بن داود  
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا      خليفة الله بين الزق والعود  
وكان يعقوب بن داود وزير المهدي واجداً على بشار . لأنه هجا  
أخاه صالحاً الذي كان والياً على البصرة بقوله :

هم حملوا فوق المنابر صالحاً      أخاك فضجت من أخيك المنابر  
فأطلع الخليفة على هجاء بشار له فتميز غيظاً . ولكنه آثر الأناة  
والثبوت . فطلب إلى وزيره أن يقيم البينة . على أن يشاراً هجاء بما  
أطلعته عليه . فأقامها . وعند ذلك عقد المهدي النية على التنكيل بالشاعر  
تنكيلاً يقضي على حياته . فكان ذلك . وتختلف الروايات في كيفية  
تنكيل المهدي ببشار . فتزعم رواية أنه انحدر إلى البصرة . فلما بلغ  
البطيحة سمع أذاناً في وقت الضحى . فأمر بالبحث عن فعل هذا .  
فاذا هو بشار . فلما أتى به وكان سكران قال له يازنديق أتلهو بالاذان  
في غير وقت صلاة وأنت سكران . والله لقد علمت أن غيرك لا يفعل  
هذا ثم أمر بضربه على صدر الحرقاة فكان إذا أوجعه الضرب قال  
« حس » وهي كلمة تقال في الشيء إذا أوجع فقال أحد الحاضرين  
أنظر يا أهبير المؤمنين إلى زندقته يقول حس ولا يقول بسم الله . فقال  
له بشار أظعم هو فأسمي عليه ؟ ثم ترك بعد الضرب وقد أشفى على  
الموت فمات وسلمت جثته إلى أهله ، وتزعم أخرى أن يعقوب بن داود  
وشى ببشار في أثناء زيارة من زيارات المهدي للبصرة . فأمر المهدي  
( صاحب الزنادقة ) وهو عبد الجبار أو حمدويه أن يأخذ بشاراً ويحتفظ  
به . فلما بلغ البطيحة عائداً إلى بغداد ذكره وأمر بضربه فضرب حتى

أشرف على الموت • وتقول ثالثة إن المهدي أمر صاحب الزنادقة بضرب  
بشار في البصرة فمات من الضرب • وفرح الناس بموته فحملوا إلى  
صاحب الزنادقة هدايا كثيرة •

والشيء المؤكد الذي يستخلص من هذه الروايات المتضاربة هو  
أن بشاراً مات بسبب ضربه ضرباً مبرحاً • وأنه ضرب لزندقته في الظاهر  
واهجائه المهدي في الحقيقة •

وهناك قصتان تتعلقان بوفاة بشار قد لا تخلو روايتهما من فائدة  
ولرافعة • تقول إحداهما إن المهدي لما قتل بشاراً أمر بتفتيش داره  
فوجد فيها « طوماراً فيه بسم الله الرحمن الرحيم إني أردت هجاء آل  
سليمان بن علي لبعلمهم فذكرت قرابتهم من رسول الله (ص) فأمسكت  
عنهم إجلالاً له علي أني قد قلت فيهم :

دينار آل سليمان ودرهمهم كالبايليين حفناً بالعفراريت  
لا يبصران ولا يرجى لقاءهما كما سمعت بها روت وما روت

فلما قرأه المهدي بكى وندم على قتله وقال « لا جزى الله يعقوب  
بن داود خيراً فانه لما هجاه لفق عندي شهوداً على انه زنديق فقتلته ثم  
ندمت حين لا يعني الندم » (٢١) •

وتقول الأخرى إن المهدي لما قتل بشاراً وسلم جثته إلى أهله  
دفنه هؤلاء بقرب حماد عجرد الذي كان يهاجيه في أيام حياته فوقف  
على قبريهما أبو هشام الباهلي - وهو شاعر بصري كان يهاجي بشاراً  
أيضاً : فقال :

قد تبع الأعمى قفا عجرد فأصبحا جارين في دار

(٢١) الاغانى ج ٣ ص ٧٠ طبعة مطبعة التقدم بمصر .

قالت بقاع الارض لامرحباً      بقرب حماد وبشار  
تجاورا بعد تنائيهما      ما أبغض الجار الى الجار  
صارا جميعا في يدي مالك      في النار والكافر في النار (٢٢)

### ب - صفاته :

وصف الأصمعي بشاراً فقال : « كان بشار ضخماً عظيم الخلق والوجه مجدوراً طويلاً جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر فكان أقرب الناس عمى وأفظعهم منظرًا وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحى وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب » (٢٣) وأنا أضيف الى ما تقدم أنه كان ماجناً ظريفاً فياض البديهة بالجواب الحاضر والشعر المرتجل شديد الإشفاق من الهجاء كريماً متلافاً باراً بأهله وفيه لأصدقائه وأخبار الرجل الدالة على مجونه كثيرة اليك منها هذا الخبر وهو من أقلها امعانا في المجنون ، روي أن سعد بن القعقاع كان ينادم بشاراً فقال له ذات يوم ويحك يا أبا معاذ قد نسبنا الناس الى الزندقة فهل لك أن تخرج بنا الى الحج لننفي هذه التهمة عنا قال نعم ما رأيت وخرجا الى الحج فلما وصلا الى الكوفة ومرا بزراعة وهي محلة فيها ندم ابن القعقاع على القيام بهذه المجازفة • فقال لبشار ويحك يا أبا معاذ ثلاثمائة فرسخ من هنا الى مكة متى نقطعها ؟ هل بنا الى زراة نلهو ونلعب • فاذا قتل الحاج عارضناهم بالقادسية وجزنا رؤوسنا • فلم يشك الناس أنا جئنا من الحج • فقال له بشار نعم ما رأيت • ولكنني أخشى أن تفضحنا • فوعده سعد أن يكتفم سر هذه المغامرة • ومالا

(٢٢) المصدر نفسه ج ١٣ ص ٩٧ •

(٢٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢ •

إلى زرارة • فأقاما فيها يشربان ويلعبان • فلما نزل الحاج بالقادسية  
راجعاً من مكة • أخذنا بعيراً ومحملاً وجزا رأسيهما وأقبلا وتلقاهما  
الاس يهنؤنهما فنكت ابن القعقاع عهده وفضح سر بشار وسره بهذه  
الآيات :

ألم ترني وبشاراً حججنا      وكان الحج من خير التجارة  
خرجنا طالبي سفر بعيد      فمال بنا الطريق إلى زرارة  
فأب الناس قد حججوا وبروا      وأبنا موقرين من الخسارة (٢٤)

قد تقول ولكن ألا يمكن أن يكون هذا الخبر مكذوباً • وأجيب  
بأن ذلك ممكن كل الامكان • ولكنه على هذا منسجم وحياة بشار  
وسائر أخباره انسجاماً تاماً • وظرف بشار معروف تدل عليه نكته  
الكثيرة اللاذعة • ونوادره العديدة الفكهة • التي تمثل حدة ذكائه  
وسرعة جوابه • فمن هذه النوادر ما يروى من أن أحدهم قال له  
« إن الله لم يذهب بصر أحد الا عوضه بشيء فما عوضك » قال « الطويل  
العريض » قال وما هو قال ان لا أراك وأمثالك من الثقلاء • ومنها  
جوابه ليزيد بن منصور الحميري خال المهدي عندما سأله عن صناعته  
فقال له « أثقب اللؤلؤ » وما أشك في أن المهدي استحسّن هذا  
الجواب الظريف الاستحسان كله • ولكنه تظاهر بحماية خاله فقال  
لبشار ويحك أمتنادر على خالي • فأجابه بشار « وما أصنع به يرى  
شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته » •  
ومن أجوبة بشار الظريفة • ما يرى من أنه قرض أبا النضير  
أحد شعراء زمانه • فقال له هذا لعلك تحاييني يا أبا معاذ • فأجابه

(٢٤) الاغانى ج ٣ ص ٤١ .



( أنت أبقاك الله أهون علي من ذلك ) وسرعة جواب بشار هذه • تقودنا الى الكلام عن قدرته على ارتجال الشعر • فقد كان حاضر البديهة سريع الخاطر يقول الشعر متى أراد • وأخباره في هذا الباب كثيرة • منها أن أبا الشمقمق شكاه اليه الضيق ذات يوم فقال له والله يا أبا الشمقمق • ما عندي شيء يعنيك • ولكن قم معي الى عقبة بن سلم • ودخل الشاعران على الرجل وقرض بشار ابا الشمقمق وأثنى عليه فوهب له عقبة خمسمائة درهم فقال بشار على الفور :

يا واحد العرب الذي أمسى وليس له نظير  
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

ودعا عقبة هذا بشارا وحمادا مجرد واعشى باهلة ذات يوم فقال لهم : خطر بيالي البارحة هذا المثل المعروف ( ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذنين ) فاشتبهت أن ينظم شعرا فمن نظمه منكم فله خمسة آلاف درهم • أما اذا لم تفعلوا جلدت كلا منكم خمسمائة جلدة • فقال حماد أعز الله الأمير • اجلنا شهرا وقال الأعشى اجلنا اسبوعين • وكان بشار ساكتا فسأله عقبة أن يتكلم فقال له : أصلح الله الأمير حضرني في قصيدك أبيات انشدها اذا أحبيت قال قل فأنشده :

شط بسلمى عاجل البين وجاورت أسد بني القين  
ورثت النفس لها رنة كادت لها تنشق نصفين  
يا ابنة من لا أشتهي ذكره أخشى عليه علق الشين  
والله لو القاك لا أتقي عيناً لقبلتك الفين  
طالبتها ديني فراغت به وعلقت قلبي مع الدين  
فصرت كالعير غدا طالبا قرناً فلم يرجع بأذنين

ومن غريب صفات بشار انه كان شديد الاشفاق من الهجاء •  
يخافه ويتألم له ويجزع منه •  
روي انه لما سمع قول حماد عجرد فيه :

شبيه الوجه بالقرد اذا ما عمى القرد

بكى فليل له أتبكي لهجاء • فقال والله ما ابكي من هجائه ولكن  
ابكي لأنه يراني فيصنفي ولا أراه فأصفه • وقد يكون في هذا الخبر  
شيء من المبالغة ولكن اشفاق بشار من الهجاء أمر لا شك فيه • وكان  
شاعرا برماً بالناس يضيق بهم وينفر منهم ويعيب عليهم أقوالهم وافعالهم •  
الا أنه كان باراً بأهله وفياً لأصدقائه • وليس هذا كل ما عنده من حميد  
الخلال • بل انه كان كريماً متلاًفاً ينفق كل ما يصل الى يده من المال  
وقد مر بك قوله « تندي يدي » وقوله : « واذا غلا الحمد اشتريته »  
ونحن نضيف الآن الى هذا قوله من أبيات :  
ناري محرقة وبيتي واسع للمعتفين ومجلسي معمور

ج - شعره :

في رواية أن بشاراً زعم ان له اثني عشر الف أو ثلاثة عشر الف  
بيت شعر عين • فليل له ان هذا مالا يدعيه أحد • فأجاب بأن له اثنتي  
عشرة الف أو ثلاث عشرة الف قصيدة فلعنها الله ولعن قائلها ان لم يكن  
في كل واحدة منها بيت عين واحد (٢٥) • وأحسب أن هذه الرواية  
مكذوبة أو أن بشاراً غلا غلوفاً فاحشاً في التحدث عن كثرة إنتاجه فاننا

(٢٥) الاغاني ج ٣ ص ٢٤ •

لو فرضنا أن بشارا عاش سبعين عاما • وأنه كان يقول مائة قصيدة في  
العام • منذ أن بلغ العاشرة من سنه • لما تجاوز شعره نصف هذا المقدار  
الذي تقدمت له الإشارة • وهذا مع العلم بأن نظم مائة قصيدة في السنة  
أمر يصعب تصديقه جدا • اللهم إلا إذا كان الشعر من نوع :  
ألا يا عتبة الساعة أهوت الساعة الساعة

فإن نظم مائة قصيدة في الأسبوع من هذا النوع من الشعر أمر  
لا يصعب على أحد • وليس هذا ما يعنيه بشار إذا صح أنه صاحب الزعم  
المذكور • وقد طبع ديوان المترجم بمصر بين سنتي ١٣٦٩ هـ و ١٣٨٦ هـ  
و ١٩٥٠ م و ١٩٦٦ م • وهو ديوان ضخمة • يتألف من أربعة أجزاء من  
القطع المتوسط •

مصدر بترجمة وافية للشاعر • ومقدمة ضافية • فيها ما يفيد  
وما لا يفيد • ومشتمل على شروح وتعليقات كثيرة :  
وشعر الرجل يتألف من الغزل والمديح والهجاء والرثاء والفخر  
والحكم • وتقع كثرته في الابواب الثلاثة الأولى • وهذا طبيعي لان  
بشارا صاحب مجون وتكسب بالشعر قبل كل شيء •

غزله : وأحدثك أول ما أحدثك عن غزله فأزعم أنه لا يحتوي  
على ما يمكن أن يسمى عواطف غرامية صادقة • ولكنه يحتوي على  
ما يمكن أن يسمى خواطر لطيفة وأخيلة طريفة • ومعاني دقيقة أو غير  
دقيقة - ذلك أن بشارا رجل شهوة • وصاحب لذة • يهيمه من المرأة  
جسمها ولا يهيمه عقلها ولا خلقها ولا أدبها وهو يتودد اليها ويشبب بها  
طمعا بقضاء أوطاره منها • واذن فلا بد له من أن يقول لها انه يسهر  
الليل هيأما بها وشوقا اليها وانه يهذي بها ليل نهار وان الناس يلومونه

في ذلك وانهم يسرفون في هذا اللوم • ولكنه يعيرهم أذنا صماء • ولا  
يحفل بلومهم كثيرا ولا قليلا وان الآلام برحت به فأوهنت قواه •  
ونهكت جسمه حتى أنها - أي المرأة - لو توكأت عليه لا نهدم مع  
انه على جانب غير قليل من ضخامة الجثة ومثانة البنية ، هو مضطر الى  
ان يقول لها هذا • والا فانها تنبذه وتطرحه وتحرمه عطفها • وتمنعه  
وصلها ، وغني عن البيان أن هذه المعاني متداولة مألوفة • قالها شعراء  
كثيرون قبل بشار • فهل لهذا الشاعر الماجن المجيد غزل أصيل يمثل  
حياته ويصور مقاصده وأغراضه • ولا يظهر فيه أثر الاقتباس والتقليد •؟  
بلى ان له لغزلا أصيلا لا يمثل الا حياته • ولا يصور سوى  
مقاصده وأغراضه ، من أهمه هذه المقطوعات العديدة التي يصف فيها  
غرامه بعبدية وغيرها من النساء • رغم فقدانه حاسة البصر • ويتحدث  
عن قيام أذنه مقام عينيه في تعرف معالم الجمال وتبين ملامح الصبغة  
والفتنة •

فأنت عندما تقرأ هذا القسم من غزله • مضطر الى أن تشعر في  
الحال أنك انما تقرأ غزل عاشق ضير • يهمه أن يشارك ذوي الابصار  
في الاتصال بالنساء والظفر بعطفهن والاستمتاع بقربهن • ويهمه أن  
يؤكد لهم أنه يعرف من الجمال ما يعرفون • ويدرك منه ما يدركون •  
وبالتالي يعشق منه ما يعشقون ، بل انك مضطر عندما تقرأ هذا  
القسم من غزل بشار الى ان تشعر انك انما تقرأ غزل بشار نفسه •  
لأن بشارا في مجونه وقوة شعره وشدة حرصه على أن يظهر بمظهر  
ذوي الابصار في كل شيء نسيج وحده في الأدب العربي كله • ومن  
طريف غزله في هذا الباب قوله :

يزهدني في حب عبدة معشر  
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى  
فما تبصر العينان في موضع الهوى  
قالوبهم فيوها مخالفة قلبي  
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب  
ولا تسمع الأذنان الا من القلب

وقوله :

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم  
ما كنت أول مشغوف بجارية (٢٦)  
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة  
الأذن كالعين توفي القلب ما كانا  
يلقى بلقيانها روحاً وريحاناً  
والأذن تعشق قبل العين أحياناً

وقوله :

وكأعب قالت لأتراها  
هل يعشق الانسان من لا يرى ؟  
ان تك عيني لا ترى وجهها  
يا قوم ما أعجب هذا الضرير  
فقلت والدمع بعيني غزير  
فانها قد صورت في الضمير  
ومنه • أي من غزل بشار الاصيل الذي يمثل حياته ويصور  
مقاصده وأغراضه • هذه القصائد والمقطوعات التي يتحدث فيها عن  
مغامراته الغرامية ويروي ما يدور بينه وبين خليلاته من غزل وحوار  
كله عبث ومجون • وهو في هذا النوع من غزله يعيد الى الذاكرة عهد  
عمر بن أبي ربيعة • وإن كان ما يروي له من الغزل القصصي الأباحي  
قليلاً • ولعل خير كلمة له في هذا الباب رأيته التي مطلعها :

قد لامني في خليلتي عمر واللوم في غير كنهه ضجر  
على أن غزل بشار النبي لا يمتاز بالتحديث عن الدور الذي تلعبه

(٢٦) ويروي : « هل من دواء لمشغوف بجارية » .

أذنه في شؤونه الغرامية • ولا يمتاز كذلك بالتحدث عن مغامراته ورواية  
ما يجري بينه وبين خميلاته • يمتاز في كثير من الأحيان بدقة معانيه  
وجمال أخيلته ولطافة أسلوبه •

وما أظنك الا موافقاً لي على هذا الزعم اذا قرأت قوله :

هل تعلمين وراء الحب منزلة      تدني إليك فان الحب أقصاني

وقوله :

أنا والله أشتهي سحر عينيك      وأخشى مصارع العشاق

وقوله :

كأن فؤاده كرة تنزى      حذار البين لو نفع الحذار  
كأن جفونه سميت بشوك      فليس لنومه فيها قرار  
أقول وليتي تزداد طولاً      أما ليل بعدهم نهار  
جفت عيني عن التغميض حتى (٢٧)      كأن جفونها عنها قصار  
ففي هذه الأمثلة من غزل بشار من دقة المعنى وجمال الخيال  
ولطف الأسلوب مالا يخفى على أحد •

مديحه : أما مديح بشار فانه في الغالب قريب إلى الاعتدال • بعيد  
عن الغلو والإسراف • وهو يسلك فيه سبيل زهير بن أبي سلمى  
وتلميذه الحطيئة وكثير في عرض فضائل الممدوح وأخلاقه كما هي •  
ووصفها وصفاً يكاد يكون جائداً لشدة قربه من الحقيقة • وماذا تنكر  
من شاعر يقول لممدوحه : إن الصلة الوحيدة التي تجمع بينه وبينه هي  
(٢٧) يقال . جفاه . ولا يقال . جفاعة . لان جفا فعل متعد رأسا

« أنه عاف وهو جواد » وأنه إن أكرم وفادته وأحسن صلته رزق  
عظيم الأجر وجزيل الشكر • وإلا فإن أرض الله واسعة :

أخالد لم أخطب إليك بدمه      سوى أنني عاف وأنت جواد  
أخالد بين الأجر والحمد حاجتي      فأيهما تأتي فأنت عماد  
فإن تعطني أفرغ عليك مدائحي      وإن تأب لهم تضرب علي سداد  
ركابي على حرف وقلبي مشيع      ومالي بأرض الباخلين بالاد  
إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها      خرجت مع البازي علي سواد

وماذا تنكر من شاعر يقول لممدوحه الذي أثابه على الأبيات  
السالف ذكرها بأربعة آلاف دينار : أيها الجواد المفضل إن الحمد خالد  
والمال بائد • فأشتر الخالد بالبائد • وإن الدنيا عارية فكل منها  
ما تشاء • وأطعم منها ما تشاء • ولا تستبقها فأنها مردودة في يوم من  
الأيام :

أخالد إن الحمد يبقى لأهله      جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد  
فأطعمهم وكل من عارة مستردة      ولا تبقتها إن العواري للرد  
بل ماذا تنكر من شاعر يطري جواداً منحه ستين ألف درهم نظير  
أبيات قليلة من المديح (٢٨) فلا يزيد على أن يقول إنه لا يعطيك رغبة  
في الثناء ولا رهبة من الهجاء • وإنما يعطيك لأنه كريم يسره العطاء :  
ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلد طعام العطاء  
على أن بشاراً قد يتغلغل في مديحه إلى أبعد من هذا فيأتي بالمعاني  
الدقيقة التي لم يسبقه إليها سابق فيما أظن - على الأقل - والتي تبرا

(٢٨) حدث هذا لعقبة بن سلم عندما مدحه بشار بأرجوزته التي  
مطلعها : « باطلل الحي بذات الصمد » والتي لم يتجاوز مديحه فيها  
خمسة وعشرين مصراعاً .

من الغلوّ والاسراف براءة تامة كما في قوله :

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى      ولم أدر أن الجود من كفه يعدي  
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى      أفدت وأعداني فأتلقت ما عندي  
ولكنه لا يفعل هذا دائماً • على أنك قد تقول وكيف يبرأ هذان  
البيتان من الغلو والاغراق • وأجيب بأن العطاء الكثير قد يحمل على  
الانفاق الكثير • وبهذا يعدي خالد بشاراً بمرض السخاء • فينفق كل  
ما يشبه به على مدانحه • وقد قلت لك عند الكلام على أخلاق بشار  
إنه كان كريماً متلاًفاً •

هجاؤه : بيد أنه إن كان بشار معتدلاً في مديحه اعتدالاً لاشك  
فيه • فانه مسرف في هجائه إسرافاً لاشك فيه أيضاً • وعلّة ذلك أنه  
يرى أن الهجاء يجب أن يكون موجعاً ليكون مخيفاً • وليأتي بالنتيجة  
المقصودة • وإلا فلافائدة في نظمه • وقد قيل له : « إنك لكثير الهجاء »  
فأجاب « إني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضع الشاعر من المديح الرائع •  
ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام فليستعد للفقر • وإلا  
فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى » (٢٩) وصدق ظن بشار فقد أخذ الهجاء  
بضبعه ورفع منزلته في عيون الناس • فخافه الأمراء والكبراء والعلماء •  
وأكرمه كل فريق منهم بأسلوبه • وعلى قدر طاقته • بل وفوق طاقته  
أحياناً • أكرمه الامراء والكبراء بالهبات والجوائز السنية • وأكرمه  
العلماء بالتنويه بأدبه والاستشهاد بشعره • ولم يفعلوا ذلك معه إلا  
خوفاً من هجائه واتقاءً لمعرة لسانه • وقد مر بك ما يدل على مخافة  
العظماء إياه • وإليك بعض ما يدل على خوف العلماء منه •

(٢٩) الاغانى ج ٣ ص ٥١ •



حكى ان الاخفش طعن علي بشار في قوله :  
فالآن أقصر عن سمية باطلاي وأشار بالوجل على مشير

وفي قوله :

على الغزلى مني السلام فر بما لهوت بها في ظل مرءومة زهر  
وفي قوله في وصف سفينة :

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

وقال لم أسمع من الوجلى والغزل فعلى • ولم أسمع بنون و نينان •  
فبلغ ذلك بشاراً فقال • ويلى على القصارين متى كانت الفصاحة فيهم •  
دعوني وإياه • فبلغ ذلك الاخفش فبكى وجزع • فقيل له ما يبكيك ؟  
فقال ومالي لا أبكي وقد وقعت في لسان بشار الأعمى • فذهب أصحابه  
إلى بشار واستوهبوه عرضه فوهبهم إياه بعد أن وصفه باللؤم • فكان  
الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره في كتبه ليبلغه ذلك • وليكف سره  
عنه • وفي رواية أن سيبويه هو الذي ندد بأخطاء بشار السابق ذكرها  
لا الأخفش • فهجاه بما لا يسعنا ذكره • فاتعظ واعتبر • وكان بعد  
ذلك يحتج بشعر بشار بدلاً من أن ينقده وينبه الى ما فيه من هنات  
وهفوات (٣٠) •

وقد رويت لك مثلاً قليلة مما يسمح الأدب بروايته من هجاء  
بشار • وأروي لك الآن قصيدة كاملة منه - أستغفر الله - فان القصيدة

(٣٠) الاغاني ج ٣ ص ٥٢ •

التي أريد ان أرويها لا تشتمل على الهجاء فحسب . وإنما تشتمل على  
 المديح وعلى الحكم أيضاً . هذه القصيدة التي أريد أن أرويها لك هي  
 ميمية بشار التي هجا بها المنصور عندما ثار عليه إبراهيم بن عبد الله  
 بن الحسن المشنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ومدح إبراهيم  
 وجاء في أثناء ذلك بحكم ونصائح ربما كانت من خير ما تفتقت قريحته  
 عنه . وقد قمعت فتنة إبراهيم وقتل فخاف الشاعر . وجعل « أبا مسلم »  
 مكان « أبي جعفر » في صدر القصيدة زاعماً أنه نظمها في هجاء الاول .  
 وهذا ما نجاه من فتك المنصور وإلا لضربت عنقه كما ضربت عنق  
 إبراهيم . وكما ضربت عنق أبي مسلم أيضاً . ومهما يكن من شيء .  
 فهذه هي القصيدة كما يرواها أبو الفرج وكما يرويها الديوان :

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| أبا جعفر ما طول (٣١) عيش بدائم | ولا سالم عما قليل بسالم          |
| على الملك الجبار يقتحم الردى   | ويصرعه في المأزق المتلاحم        |
| كأنك لم تسمع بقتل متوسج        | عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم       |
| تقسم كسرى رهطه بسيوفهم         | وأسمى أبو العباس (٣٢) أحلام نائم |
| وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة   | عليه ولا جري النحوس الأشائم      |
| مقيماً على اللذات حتى بدت له   | وجوه المنايا حاسرات العمائم      |
| وقد ترد الأيام غراً وربما      | وردن كلوحاً باديات الشكائم       |
| ومروان قد دارت على رأسه الرحى  | وكان لما أجمت نزر الجرائم        |
| فأصبحت تجري سادراً في طريقهم   | ولا تنقي أشباه تلك النقائم       |
| تجردت للاسلام تعفو سبيله       | وتعربي مطاه لليوث الضراغم        |

(٣١) هكذا في الديوان والاغاني . وربما كان الصواب . ما طيب .  
 وقد تكون هذه سقطه من سقطات بشار .  
 (٣٢) المقصود بأبي العباس هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

فما زلت حتى استنصر الدين أهله  
فرم وزراً ينجيك يا ابن سلامة  
لحى الله قوماً رأسوك عليهم  
أقول لبسام عليه جلاله  
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى  
سراج لعين المستضيء وتارة  
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن  
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة  
وما خير كف أمسك الغل أختها  
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن  
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامه  
وأنت إذا تدبرت هذه القصيدة رأيت أنها تنطوي على مغامز كثيرة  
ينبغي أن يبرأ منها شعر شاعر فصيح مطبوع على الكلام مثل بشار .  
فجمعه نقمة على نقائم في البيت التاسع من قصيدته خطأ . لأن نقمة  
تجمع على نقم . كعنب . ونقم ككلم . ونقمت ككلمات . ولا تجمع  
مطلقاً على نقائم . وكان في وسع بشار أن يتحاشى هذا الخطأ بوضع  
« عظام » موضع « نقائم » ولكن فاته هذا . وقوله . في عجز البيت  
الثالث عشر « وما زلت مرؤوسا خبيث المطاعم » مغلوط لأنه مناقض

(٣٣) غير بشار هذا البيت عندما زعم أنه نظم القصيدة في أبي  
مسلم الخراساني فوضع وشيكة وهي أم أبي مسلم موضع سلامة أم  
المنصور .

(٣٤) ينص الديوان على أن بشاراً وضع « هاشميين » موضع  
« فاطميين » و « هاشم » موضع « فاطم » عندما ألصق القصيدة بأبي  
مسلم الخراساني : انظر الصفحة ١٧٢ من الجزء الرابع من الديوان .

لقوله في صدر البيت « لحي الله قوماً رأسوك عليهم » اذ كيف يكون  
المخاطب رئيساً ومرؤوساً في وقت واحد . وقوله .

( أقول لبسام عليه جلالة غدا أريحيًا عاشقا للمكارم )

رديء أو قل هو أقرب الى الهجاء منه إلى المديح لأن جملة « غدا  
أريحيًا » تعني أنه كان غير أريحي فيما سلف من أيامه وهذا مالا يريد  
بشار أن يقوله ولو وضع « طليق المحيا » أو « شريف السجايا » موضع  
غدا أريحيًا لامكنه تحاشي هذه السقطة ، وقوله :

( سراج لعين المستضيء وتارة يكون ظلاماً للعدو المزاحم )

رديء لأن تشبيه الممدوح بالظلام يشبه أن يكون هجاءً لامديحاً  
ولو وضع « شواظا » موضع « ظلاماً » لاستقام له ما أراد من وصف  
ممدوحه بالهداية لأوليائه وشدة الوطأة على أعدائه دون أن يلجأ إلى  
تشبيهه بظلمة الليل .

**وقوله :**

( اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم )

مستهجن لاشتماله على ترديد لا محل له اذ المفروض في المستشار  
أن يكون حازماً أميناً مخلصاً وإلا لا داعي لاستشارته . ولو وضع  
بشار « ثاقب الفكر حازماً » أو « صائب الرأي حازماً » موضع « أو  
نصيحة حازم » لسلم بيته من الهجنة . هذا إلى اننا لا نعلم متى « يبلغ  
الرأي المشورة » حسب رأي بشار وكيف ؟ واحسب انه لو قال .  
( إذا طرقت احدى الملمات فاستعن . . الخ ) لكان ذلك اقرب الى الفهم .

## وقوله :

( واخل الهويينا للضعيف ولا تكن تؤوما فان الحزم ليس بنائم )  
سخيف إذ من المعلوم جداً أن الحزم والنوم أو الاستغراق في النوم  
أمران متناقضان ، ويزداد شعورنا بسخف البيت إذا تذكرنا أن بشاراً  
يخاطب به ثائراً كبيراً يرشح نفسه لتولي منصب الخلافة ، وقد أخذ  
السيد صالح القزويني أحد شعراء نهضة العراق الأدبية في القرن  
التاسع عشر هذا المعنى فأودعه بيتاً لا أغلو مطلقاً اذا قلت لك انه يفضل  
بيت بشار مراراً عديدة وهو :

أمط عنك أبراد الكرى وامتط السرى

فما في اغتنام المجد حظ لنائم

ذأين قوله « فما في اغتنام المجد حظ لنائم » من قول بشار  
« ولا تكن تؤوماً فان الحزم ليس بنائم » وفي قصيدة بشار موطن  
ضعف أخرى عديدة أقل خطراً من التي ذكرت رأيت أن أضرب عنها  
صفحة •

وقد رويت هذه القصيدة كلها وآثرتها بالنقد لأنها أكبر قصيدة  
وصلتنا من شعر بشار وأجمعها لأغراضه • وأظهرها لعيوبه وسقطاته •  
ولأن الرواة والنقاد القدماء كانوا يعجبون بها إعجاباً شديداً • فأبو  
عبدة مثلاً يفضلها على ميميتي جرير والفرزدق اللتين هما من عروضها  
وقافيتها • ولأن النقاد المحدثين الذين كتبوا عن بشار أظهرها رضاهم  
عنها واستحسانهم لها • وقد علت إعجاب القدماء بها وعدم انتباههم  
إلى عيوبها بموافقتها هوى في نفوسهم — ذلك لأنها تعد بحق وثبة

جريئة في وجه طاغية أرهقهم بظلمه وأشقاهم بعسفه واستبداده • هو  
أبو جعفر المنصور • ولكنني لم أستطع أن أعلل رضاء المحدثين عنها  
وعدم اتباعهم الى عيوبها بشيء •

على أني لا أنفي أن القصيدة تشتمل على آيات نفيسة حقاً ،  
منها هذان البيتان :

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة      فان الخوافي قوة للقوادم  
وما خير كف أمسك الغل أختها      وما خير سيف لم يؤيد بقائهم  
ومنها هذا البيت :

وحارب اذا لم تعط الا ظلامه      شبا الحرب خير من قبول المظالم  
وان كان مثله كثيرا في القريض العربي •

رثاؤه : وما أحدثك بشيء عن رثاء بشار لانه في زعمي تافه  
لا قيمة له • وليس بشار أول شاعر ماجن ميت العاطفة متحجر الاحساس  
نزلت به المصائب وفقد الابناء والاحباب فلم يقل في ذلك كلاما يشف  
عن لوعة صادقة ويدل على احساس متأثر •

فخره : ولكنني أحدثك عن فخره وهو كثير وعجيب وموضع  
العجب منه أنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يفخر به الناس حتى يعرض لها  
ويسجلها ويستغلها لمصلحة الشاعر • فبشار كما يصوره فخره أمير  
جليل ولد في أحضان الملك • ونشأ في ظل النعيم والترف ، له كل مالا أبناء  
الملوك النجباء من جمال وجلال وهيبة ووقار وكرم وشجاعة وفصاحة  
ووسامة • الى غير ذلك مما يبهر ألباب الرجال ويسيل لعاب ربات  
الحجال • وما أريد أن أنكر على بشار ذكاه ولا أدبه ولا فصاحته  
ولا كرم طبعه • ولكن يخيّل الي أنه يسرف بعض الشيء في انتحال

جميع ما ورد ذكره من الصفات والمواهب العالية • وقد رويت لك في صدر هذا الفصل أبياتاً له يفخر فيها بنسبه وشجاعته وجماله • ورويت لك كذلك في مكان آخر منه أبياتاً يفخر فيها بكرمه واريحيته وأروبي لك الآن مثلاً من فخره بأسياده من قيس عيلان (٣٥) الذين ينوه بعددهم وعددهم في بائته الشهيرة التي يمدح بها عمر بن هبيرة ويتحدث عن الدور الحاسم الذي لعبوه تحت راية هذا القائد في دحر الضحاك بن قيس وأنصاره من الخوارج قال بشار :

|   |   |
|---|---|
| رويد <sup>(٣٦)</sup> تصاهل بالعراق جيادنا   | كأنك بالضحاك قد قام نادبه                     |
| وسام لمروان ومن دونه الشجا                  | وهول كلج البحر جاشت غواربه                    |
| ركبنا له جهرا بكل مثقف                      | وأبيض تستسقي الدماء مضاربه                    |
| وجيش كجئح الليل يزحف بالحصى <sup>(٣٧)</sup> | وبالشول والخطى حمر ثعالبه                     |
| غدونا له والشمس في خدر أمها                 | تطالعنا والطلّ لم يجر ذائبه                   |
| بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه                 | وتدرك من نجى الفرار مثالبه                    |
| كأن مثار النقع فوق رؤوسنا                   | وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـه                    |
| بعثنا لهم موت الفجاءة اننا                  | بنو الموت خفاقاً علينا سبائبه <sup>(٣٨)</sup> |
| فراحوا فريق في الإسار ومثله                 | قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربـه                   |
| إذا الملك الجبار صغر خده                    | مشينا اليه بالسيوف نعاتبه                     |

(٣٥) قيس عيلان قبيلة كبرى من مضر منها بنو عقيل الدين نشأ الشاعر بين ظهرائهم في البصرة وانتمى اليهم بالولاء .

(٣٦) إذا أريد التهديد برويد نصبت من غير تنوين .

(٣٧) الحصى هنا العدد الكثير . والشول على ( رواية الديوان )

(٣٨) خفاق : متحرك ، والسبائب : جمع سبيبة ، وهي شقة جمع شائلة . وهي الناقة في بعض حالاتها وفي الأغاني ( وبالشوك ) . علينا راياته .

رقيقة من الكتان ، والمراد بها هنا الراية يقول : نحن بنو الموت تخفق

حكمه : أما حكم بشار فانها قليلة تأتي عرضا في أثناء المديح والهجاء والعتاب ولكنها نفيسة رائعة وقد قال بعضها في مناسبات خاصة أوحنتها اليه وأملتها عليه فأجاد فيها اجادة تامة • ومن هذا القبيل أبياته في الشورى ) فان سياسة أبي جعفر الاستبدادية العاشمة هي التي أملتها عليه املاءً وقال بعضها الآخر على سبيل الافضاء بما يجول في النفس من آراء وخواطر تحتشد في نفس الشاعر من حين لآخر فتشق طريقها الى شعره بمناسبة وبدون مناسبة ومن هذا القبيل قول بشار في ارجوزته المعروفة :

وافق حظنا من سعى بجد ما ضر أهل النوك ضعف الجد  
الحر يلحى والعصى للعبد وليس للملحف مثل الرد

#### النصف يكفيك من التعدي

فهذه الحكم لا ترمي الى معالجة حادث أو موضوع بعينه وانما هي آراء وملاحظات استمدتها الشاعر من تجاربه واختباراته • فأقرغها في هذا القلب التعليمي • والادب العربي غني بأمثال هذه الحكم قبل بشار وبعده ومن أجل هذا يخيل اليّ أنّني لا أظلم بشارا ولا أسوؤه اذا قررت أن أكثر حكمه غير جديد فمن المعلوم أنه أخذ قوله : الحر يلحى والعصى للعبد ) من قول أبي الاسود الدؤلي :

العبد يضرب بالعصا والحر تكفيه المقالة

#### وقوله :

خير اخوانك المشارك في المر وأين الشريك في المر أيننا



من قول المرفّش :

أخوك الذي ان أجرضتك ملمة من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما  
ولو شئت لأفضت في سرد الأمثلة حتى أرد أكثر حكم بشار الى  
أصول جاهلية أو اسلامية ولكن ما أنا بسبيل هذا الآن • على أني  
لا أميل الى القول ان بشارا أخذ هذه الحكم ممن سبقه من الشعراء  
أخذاً ولكني أرجح انها وردت على خاطره بسبب الظروف والأحوال  
التي أحاطت به كما وردت على خاطر من تقدمه من الشعراء • على أن  
هذا لا يعني أننا لا نجد لبشار كلمة أصيلة في هذا الضرب من الشعر  
ذالك الظن أن شاعراً لم يسبقه الى قوله في الشورى :

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافي قوة للقوادم  
وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم (٣٩)

ولكن كم نعد من أمثال هذين البيتين في شعر بشار ؟ •

وللصديق في حكم صاحبنا مكان كبير فهو يوصي برعايته  
والمحافظة عليه ويدعو الى تقدير حسناته والصفح عن سيئاته ويحث  
على معاملته بكرم ورفق وتسامح ذلك لانه يعتقد أن البشر عرضة  
الخطأ قليله وكثيره وأنه لا غنى للانسان عن الأنسان • وعلى هذا  
فخير للاخوان أن يتسامحوا في هفواتهم ويتبادلوا الصفح عن زلاتهم :  
إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه  
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

(٣٩) من طريف ما يحكي في هذا الصدد ان الاصمعي قال لبشار :  
« يا أبا معاذ ، أن الناس يعجبون بابياتك في المشورة » فقال له :  
« يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك فيه »  
فأجابه الاصمعي : « أنت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك »  
الاغاني ج ٣ ص ٢٩ .

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه  
على أن بشارا قد يشور على سياسته التقليدية هذه فيعلن سخطه  
على الإخوان وشكته فيهم ونفوره منهم ويصفهم بأنهم أعداء منافقون  
وخصوم مخادعون :

خير اخوانك المشارك في المر وأين الشريك في المر أيننا  
الذي ان شهدت شرك في الحي وان غبت كان أذنا وعيننا  
مثل سر الياقوت ان مسه النار جلاه البلاء فازداد زيننا  
أنت في معشر اذا غبت عنهم بدّلوا كل ما يزينك شيئا  
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم البرايا علينا  
ما أرى للأنام ودّاً صحيحاً عاد كل الوداد زورا وميننا  
وغني عن البيان أن بشاراً لم يكن أول من خبر الناس فأساء  
الظن بهم ودعا للاعراض عنهم والزهد بهم ولا آخره .

د - خاتمة : أما بعد فان بشارا ثالث ثلاثة هم : الحطيئة ،  
وجرير ، وهو ، ليست له عفة هجاء الأول ولا صحة لغته وصفاء أسلوبه  
وليست له براعة الثاني في الرثاء والعتاب ولا كثرة جوده في المديح  
والهجاء بل ولا رقة غزله وذلك على الرغم مما رويت لك من روائع  
غزل بشار ، ولكن له ضعة نسب الرجلين وسعة مطامعهما وسمو مواهبهما  
وقوة عارضتهما وقدرتهما على التكسب بالشعر على أنهما لا يرتفعان  
من ناحية أخرى الى ما عنده من أنفة وشمم من حيث هو رجل . ومن  
أمثال وحكم من حيث هو شاعر .

أما تجديده القريض العربي فانه حديث خرافة قد لا يعدو أن  
يكون دعاية شعوبية .

## الفصل الثاني

### أبو نواس

أ - حياته : اسمه ونسبه وكنيته • مولده • مسقط رأسه • فشأته ،  
في حانوت عطار • مع أدباء البصرة المجان ، مع والبة ،  
خروجه الى البادية ، عودته منها ، قفوله الى البصرة ،  
تناقض أخباره فيها ، جد ولعب ، سفره الى بغداد ،  
خيئته فيها ، رحلته الى مصر ، نجاحها ، خاتمتها السيئة ،  
عودته الى بغداد ، حبسه ، سببه ، الافراج عنه ، اتصاله  
بالأميين ، حظوته عنده ، أثره في سمعته ، دعوة الأميين  
اياهم الى تحسين سلوكهم ، طاعته في الظاهر ومخالفته في  
الباطن ، حبسه ثانية • التفكير في قتله ، توبته في السجن ،  
شفاعة الفضل بن الربيع له ، اطلاقه ، ما يقال عن توبته  
خارج السجن ، وفاته ، سببها • تاريخها •

ب - صفاته : محاسنه ومساوئه •

ج - شعره : جمعه وطبعه ، أبواب ديوانه ، ماذا ندرس منه •

غزله : نصيبه من الاصاله ، مثل منه •

مديحه : تصديره ببيكاء الاطلاق ووصف الناقة ، الجمع  
بين ما تقدم وبين الخمر في صدور مدائحه • قصيدة له  
في مدح الرشيد • بعض عيوب مديحه الأخرى : غلوته ،  
غموضه ، ركائنه ، سرقاته ، مديحه الجيد ، ومثل منه •

هجاؤه : بذائه وصرامته ، سببه وغايبته ، غلبه الفكاهة

على بعضه • مثل من هجائه الفكاهة •

خمرياته : ما أضيف اليها من خمريات الآخرين ، أثر

الخمير في القريض العربي ، في شعر الأعشى ، في شعر

طرفة ، في شعر الأخطل ، في شعر الوليد بن يزيد بن

عبد الملك ، نسج ابي نواس على منوال من تقدمه من

الشعراء في الخمر • مثل من خمرياته ، بعض مجددي

القريض العربي ، الفرق بينهم وبين أبي نواس •

د - خاتمة : الفصل في شاعرية ابي نواس وقدرته على التجديد •

## آ - حياته :

كان بشار حامل لواء الشعر في النصف الاول من القرن الثاني

للهجرة • أما حامل هذا اللواء في النصف الثاني من القرن المذكور ،

فهو فيما يعتقد للرواة ابو نواس : وهو الحسن بن هانئ ، وحسبك

هذا من نسبه ، لأن الرواة يختلفون في جده • فمنهم من يزعم أنه

عبد الأول ، ومنهم من يزعم أنه الصبّاح • وانه لغريب حقا أن يختلف

الرواة في جده الاول ثم يرتقون بنسبه الى يعرب بن قحطان • ثم الى

فوح عليه السلام • وكان صاحبنا يكتنى في أول امره بأبي علي ، الا

انه لما رغب في الانتساب الى تميم • وأن يكون من أبناء الفرزدق

الشاعر • اکتنى بأبي فراس • وهي كنية الفرزدق ، توكيدا لصلته به ،

فلما أبت عليه تميم ذلك • وتحول الى اليمن اکتنى بأبي نواس مشتقا

هذه الكنية من أسم أحد ملوك اليمن ( ذي نواس ) ، وكان ملوك

اليمن يسمون بالذوين فكان أحدهم يدعى ( ذا يزن ) والثاني ( ذا كلاع )  
والثالث ( ذا جدن ) وهكذا . ويقال ان استاذة خلفا الأحمر الذي كان  
يحبها حباً جما وهو ذو ولاء في اليمن . هو الذي أشار عليه باتخاذ  
كنية تدل على صلته الموهومة باليمن . وقيل انه كني بأبي نواس  
لذو ابنتين كانتا تنوسان « أي تتحركان على عاتقيه » .

وكان هانيء والد الشاعر جنديا في جيش مروان بن محمد ، آخر  
خلفاء بني أمية . وأتفق أن ذهب ( الوحدة ) التي يعمل فيها الى  
الاهواز ، فعرف هناك ( جلبان ) - أي وردة البستان - والدة  
الشاعر ، وهي غاسلة صوف أو ناسجة جوارب وأخراج ، فتزوجها  
وأولدها عدة أولاد أحدهم صاحب الترجمة .

وليس من شك في أن ولادة الشاعر لم تسجل في حينها ، وليس  
من شك كذلك في أنها لم تلتفت انتباه أحد . وهذا ما يفسر تضارب  
أقوال الرواة فيها الى الحد الذي نراه . ولكن ربما كان أحق هذه  
الأقوال بالاعتبار قول الجاحظ : « أنا أسن من أبي نواس بسنة ،  
ولدت أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها » (١) .

ومسقط رأس الرجل موضع خلاف شديد أيضاً ، فقد قيل إنه ولد  
في الأهواز ، وقيل انه ولد في البصرة ، وقيل انه ولد في مكان آخر .  
ولكن الرواة متفقون على أن والده مات وهو صغير . فأسلمته  
أمه الى عطار في البصرة . يعمل في حانوته . ليعينها على ما تقاسي من  
ضنك العيش وضيق ذات اليد . ولكنه كان يكره هذا العمل ويميل  
الى رواية الشعر ودراسة الأدب ومجالسة الأدباء . فقاده ذلك الى

(١) معجم الادباء ج ١٦ ص ٧٤ طبعة مصر .

مصاحبة أدباء البصرة المجان ، فكان هؤلاء يقربونه ويستخدمونه  
ويأخذونه معهم كلما خرجوا الى نزهة في ضواحي البصرة • ويعطونه  
ديناراً نظير خدمته لهم •

وكان وهو في تلك السن المبكرة معجبا بشعر والبة بن الحباب  
الأسدي ، أحد مشاهير شعراء عصره الخلعاء ، ويود لو أتيح له الاتصال  
به والتخرج عليه • رقدتم والبة البصرة في شأن من شؤونه • وارادت  
الظروف أن يمر بالعطار الذي يعمل أبو نواس في حانوته • فلقت انتباهه  
جمال الصبي وذكاؤه • فقال له : « يا غلام • إني أرى فيك مخايل  
أرى ألا تضيعها • وستقول الشعر فاتبعني أخرجك » • وسأله الغلام  
عن اسمه فأخبره به فقال له : والله اني لفي طلبك • وقد أردت أن أخرج  
الى الكوفة من أجلك • وذهب والبة بذلك الصبي العاثر الحظ ودربه  
على قرض الشعر • ولكنه تقاضى ثمن ذلك منه غالياً جداً ، فقد رباه  
أسوأ تربية ونشأه أرذل نشأة • فخلق منه فتىً ماجناً سكيراً مستهتراً  
لا يتورع في ارضاء شهوة ولا يحجم عن اتيان منكر • وما كان له أن  
يكون أي شيء آخر • وهو عشير حماد عجرد ومطيع بن إياس ويحيى  
ابن زياد وأضرابهم من زنادقة الكوفة وخلعائها •

وعندما بلغ ذلك الغلام سن الشباب رأى أن يستكمل ثقافته الأدبية •  
فاستأذن والبة بالخروج الى البادية ليشافه الأعراب الفصحاء ويتزود بما  
عندهم من شعر ولغة وخبر • فأذن له • وقيل بل أرسله مع جماعة من  
بني أسد الى باديتهم • حيث أمضى سنة كاملة عاد بعدها الى الكوفة •  
ثم قتل راجعا الى البصرة •

وهنا تتناقض أخبار أبي نواس تناقضاً شديداً • فتصوره لنا رجل

جد واجتهاد ودرس حيناً ، ورجل غرام ولهو ومغازلة حيناً آخر • فهبي  
تقول لنا من جهة انه حذق القرآن على يعقوب الحضرمي حتى قال له  
« اذهب فأنت أقرباً من في البصرة » ودرس الحديث على جماعة من كبار  
محدثي البصرة • منهم عبد الواحد بن زياد العبدي ويحيى القطان وأزهر  
السمان • وأخذ الغريب عن أبي زيد الانصاري • والأخبار وأيام العرب  
عن ابي عبيدة • ودرس الشعر على خلف الأحمر • وراجع نحو سيبويه  
فتمكن منه • ولكنها تقول لنا من جهة أخرى • انه عشق جارية حسناء  
لعبد الوهاب الثقفي • اسمها جنان فكان يلاحقها ويطاردها ويصف ما  
يجري لها في شعره • ويذيعه في الناس • فاذا حضرت حفلة عرس قارن  
بينها وبين العروس • وفضلها عليها فتننةً وجمالاً • واذا حضرت مأتماً  
في دار أحد مواليها نظر إليها من نافذة مجاورة ووصفها وهي تلطم  
وتبكي وتنشج وهكذا •

ويمضون في شرح حديثه معها فيقولون لنا ان سيدتها ( عمارة )  
زوجة عبد الوهاب الثقفي المذكور • خرجت الى الحج فأخذتها معها •  
فما كان من أبي نواس إلا أن خرج حاجاً معها • وواضح أن رجلاً  
ينقطع الى القرآن والحديث • ويقبل على دراسة سائر العلوم المعروفة  
في عصره ذلك الاقبال الشديد - لا يملك من الوقت وفراغ البال ما  
يمكنه من تعقب الغيد الحسان • وملاحقتهم ومطاردتهم • والانتقال  
معهم من بلد الى بلد • ولكن نقلة أخبار أبي نواس لا يرون بأساً في  
الجمع بين هاتين الحالتين المتعارضتين المتناقضتين •

ومهما يكن من شيء فقد غادر أبو نواس البصرة كارها لها بعد  
أن جاوز الثلاثين • ونزل بغداد واتصل ببعض ولد المهدي ونادهم •

ثم بالقاسم بن الرشيد • ومدح الرشيد والعباس بن عبيد الله بن المنصور  
أحد كبار أمراء البيت العباسي • وآل برمك • وآل الربيع • ولكن  
يخيل اليّ أنه لم يلق كبير حظوة عندهم • فليس في شعره ما يدل على  
أنه ظفر بالميال الكثير والجاه العريض عند ممدوحيه في بغداد جميعا •  
أو عند أحد منهم • بل ان في شعره ما يدل على ضعة منزلته وضيق  
ذات يده دلالة قاطعة • فانه يقول متغزلاً في صدر قصيدة يمدح بها  
العباس بن الفضل بن الربيع :

أمشي الى جنبها أضايقتها ولم يكن في الطريق من ضيق  
ويقول متبرماً بأصحابه :

أريد قطعة قرطاس فتعجزني وجل صحبي أصحاب القراطيس (٢)  
فما ظنك بهذا الشاعر الذي يضايق النساء في الطريق ولم يكن  
في الطريق من ضيق • ويذكر هذا في شعره ؟ بل ما ضنك بهذا الشاعر  
الذي يريد قطعة قرطاس فتعجزه ؟ انه بأس كل البؤس دون أدنى شك  
وضيع المنزلة كل الضعة دون أدنى شك أيضاً • وليس في هذا ما يدعو  
الى الاستغراب • فانه كان من شدة الغلوّ في اللهو والاستهتار بالدين  
والأدب بحيث يعترف في صدر قصيدة يمدح بها الرشيد أنه باع ريطته  
وحذاءه واشترى بثمانهما خمرًا :

فما رمته حتى أتى دون ما حوت يميني حتى ريطتي وحذائي (٣)  
وما أريد أن أخلع على الرشيد رداء القداسة • ولكنني أستطيع  
أن أقرر بصورة جازمه • أنه لم يكن من خطل الرأي وضعف السياسة

(٢) أظنه يشير بهذا الى صاحبيه عمرو الوراق واسماعيل القراطيسي •

(٣) الضمير في قوله : « فما رمته » عائد الى « بيت الحان » المذكور

في بيت سابق •



بعيث يقرب شاعراً سكيراً خليعاً مستهترا • يعترف في صدر قصيدة  
يمدحه بها مثل هذا الاعتراض •

اذن فقد كان محروماً من عطف الرشيد محروماً من جوائزه الا  
ما ندر • وصحيح أن آل الربيع كانوا يقربونه ويرفعون من شأنه  
ويجيزونه على مدائح ليتخذوا منه داعية لهم • وليستعينوا به على  
الغض من البرامكة والظعن عليهم ، ولكن يظهر أن جوائزهم كانت  
أقل من أن تفي بنفقات مجالس الطرب التي كان يعقدها على الصراة  
أو في سوق الكرخ مع داود بن رزين • وعمرو الوراق • واسماعيل  
القراطيسي • وغيرهم من الخلاء •

ولهذا صفرت يده وساءت حاله في بغداد • فعول على انتجاع  
الخصيب والي مصر في مقر عمله • وكان قد عرفه من قبل • فشد اليه  
الرحال من بغداد • ومدحه أول ما مدحه برأيته الشهيرة التي مطلعها :  
أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير  
والتي يقول فيها :

تقول التي من بيتها خفّ مركبي عزيز علينا أن نراك تسير  
أما دون مصر للغنى متطلب بلى ان أسباب الغنى لكثير  
فقلت لها واستعجلتها بواذر جرت فجرى في جريهن عبير  
ذريني أكثر حاسديك برحلة الى بلد فيه الخصيب أمير  
إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا فأني فتى بعد الخصيب تزور  
وقد أكرم الخصيب وفادته وأحسن صلته • فبلغت جوائزه له على  
عدة مدائح • ثلاثة آلاف دينار - فيما يقول الرواة - ولكنه أنفق  
جوائز الخصيب كلها في وقت قصير • وطلب المزيد كما كان يفعل مع

ممدوحيه في بغداد ، ورأي الخصيب أنه بلغ حدّ طاقته في اثابة أبي نواس على مبدأحه • فرغب اليه أن يفارقه • وكانت هذه صدمة عنيفة قضت على آخر أمل لأبي نواس في الشراء ورغد العيش • وذكر الشاعر بغداد وأيام لهوه وطربه فيها • فتقطعت نفسه حسرة وألماً • وعبّر عن تلك الحسرة وذلك الألم بهذين البيتين اللذين يرويها له المصريون دون غيرهم من الناس وهما :

إذا ذكرت بغداد لي فكأنما تحرك في قلبي شبة سنان  
وأوية مشتاق بغير دراهم الى أهله من أعظم الحدان  
وعاد الشاعر الى بغداد صفر اليدين كما رحل عنها ، ولسنا نعرف شيئاً واضحاً من تأريخه فيها بعد عودته من مصر • سوى أن الرشيد حبسه لأنه هجا القبائل العدنانية عامة وقريش خاصة هجاء أسرف فيه الاسراف كله اليك منه هذه الايات التي يخيل الي أنه لا حرج في روايتها :

إن قريشاً اذا هي اتسبت كان لنا الشطر من مناسبها  
فأم مهدي هاشم أم مو سي الخير منا فافخر وسام بها (٤)  
إن فاخرتنا فلا افتخار لها الا التجارات من مكاسبها  
وانها ان ذكرت مكرمة جاءت تجاراتها بغالبها

ولكنني أظن ان الرشيد حبس أبا نواس لسبب أعمق من هذا بكثير ألا وهو هجاؤه أخته العباسة • أو هجاؤه بها هجاء قبيحا تجده في الصفحة ١٤٤ من ديوانه طبعة المطبعة الحميدية بمصر سنة ١٤٢٢ هـ • وسواء أحبس الرشيد أبا نواس لأنه هجا العدنانيين عامة • وقريش

(٤) يريد أم المهدي ثالث خلفاء بني العباس لانها يمنية مثله كما يزعم .

خاصة • أم لأنه هجا أخته العباسة أو هجاه بها • فإني ألمح في اقدم  
أبي فواس على نظم هذه الأهاجي رغبة شديدة في الانتحار • فقد  
كسدت سوقه وساعت حاله في بغداد • وقصد مصر « وهو يرجو  
اليسارة على يد الخصيب آخر الدهر » ولكنه رجع من مصر ومن  
الخصيب بخفي حنين - أستغفر الله - بل إنه رجع وحاله أسوء بكثير  
مما كانت عليه من قبل • ولم يكن ذلك نتيجة شحّ الخصيب • فقد  
قلت لك انه أعطاه ثلاثة آلاف دينار • ولكنه كان نتيجة عبث الشاعر  
وأسرافه فضاقت ذراعاً بهذه الحياة التي وصفها بقوله :

ولو أني استزدتك فوق ما بي من البلوى لأعوزك المزيد  
ولو عرضت على الموتى حياتي بعيش مثل عيشي لم يريدوا

وعول على الانتحار ليضع حداً لآلامه • ولكنه لم يكن يملك  
الشجاعة التي تمكنه من أن يتناول جرعة سمّ تقضي على حياته أو  
أن يفعل شيئاً آخر من هذا القبيل • فرأى أن يتحدى الخليفة بهذه  
الأهاجي وكله يقين أن الرشيد قاتله لا محاولة • ولكن الرشيد خيب  
أمله فأمر بحبسه فقط • ظناً منه أن هذه العقوبة تكفي لتأديب شاعر  
بذيء اللسان سيء الأدب • وأساء رجال السجن معاملة الشاعر •  
فضاقت صدره ونفاد صبره • واخذ يتضرع ويستغيث بالرشيد والفضل  
ابن الربيع وكل مقرّب في القصر كبيراً كان أم صغيراً ، فلم يصغ الي  
ندائه أحد • ولكن يظهر أنه كان كبير الأمل بعطف الفضل بن الربيع •  
لكثرة مديحه إياه • ومشايعته له في مناهضة البرامكة ولأنه آخر الامر  
يمني مثله • فلما خيب هذا أمله ولم يشفع له عند الرشيد أو لم تجد  
شفاعته له عنده • صب عليه جام غضبه • وهجاه واليمن التي ينتسب

— أستغفر الله — بل ينتسبان إليها معاً بهذه الأبيات :

على مركبي مني السلام وبزتي      وغدوات لهو قد فقدن مكاني  
فلو أن خلدني القريبين أبصرا      خضوعي للسجان ما عرفاني  
ولو أبصراني والقيود تقودني      ومشبي إلى البواب بالنجشان (٥)  
لحي الله من أمسى يرشح نصره      بنك أسير منه عند يمانني  
ومالي وقحطاناً وبث مهديهما      ونصبي لها نفسي بكل مكان  
فإن أمس لا تخشى لسيفي فتكة      فلا تأمنن يا فضل فتك لساني  
واني لأرجو أن أراك كجعفر      ونصفاك فوق الجسر يقتسمان

والمعروف بين الرواة أن الرشيد لم يصفح عن أبي نواس ولهم يعد  
إليه حريته • وأن الأمين هو الذي فعل ذلك بعد وفاة والده • وقد  
فعله تلبية لرجاء وزيره الفضل بن الربيع • ولكن أبو نواس يقول لنا  
ان الرشيد غفر له وصفح عنه وأطلقه :

هذا أمير المؤمنين اتناشني      والنفس بين محنجر ومخنق (٦)  
نصي فداؤك يوم دابق منعماً      لولا عواطف حلمه لم أطلق  
حرمت من لحمي عليك محملاً      وجمعت من شتى إلى متفرق  
وليس ثمة ما يدل على أن الرشيد حبس أبا نواس مرة أخرى  
ليتسنى التوفيق بين ما يقوله أبو نواس عن نفسه وبين ما يقوله الرواة  
عنه في هذا الشأن •

وتوفي الرشيد فخلفه ابنه الأمين وألقى بمقاليد وزارته أو قل  
مملكته إلى الفضل بن الربيع • ورأى هذا أن يقرب شاعره وداعيته إلى

(٥) النجشان : السوق الشديد .

(٦) اتناشني : انقذني ، ومحنجر : بلغ الحنجرة ، ومخنق بلغ المخنق

يقول انقذني الرشيد من الموت عندما أوشكت نفسي أن ترهق .

الخليفة الجديد ففعل ، ومدح أبو نواس الأمين بميمته التي يقول فيها:  
وتجشمت بي هول كل تنوفة هوجاء فيها جرأة اقدم  
تذر المطي وراءها فكأنها صف تقدمهن وهي إمام  
وإذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام (٧)  
وأجاز الخليفة الشاعر على مدحته بألف دينار • ثم أمره بملازمة  
القصر فكان شاعره المقدم ونديمه المقرب • وإذا صح ما رواه أبو الفرج  
استطرادا في أخبار أبي العتاهية • من أن أبا نواس رؤي ( في نهر طابق )  
جالسا ممدود الرجل • وبنو هاشم وكبار القواد يمرون به ويسلمون  
عليه فيرد عليهم السلام وهو جالس (٨) أقول إذا صح هذا وهو ما  
استبعده فينبغي أن يكون قد حدث في أيام الأمين • لأن الرشيد أكثر  
جدا وأشد حرصا على وقار الخلافة من أن ينال شاعر ما جن كأبي نواس  
عنده مثل هذه الحظوة •

ولكن لم تدم هذه السعادة طويلا فما لبثت الفتنة أن نشبت بين  
الامين والمأمون • والتمست العيوب والمطاعن للاول • فكانت صلة أبي  
نواس من أشدها • وقد وجد الفضل بن سهل في هذا المطلع :  
ألفاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر  
مسوغا لنقض بيعة الأمين • وسببا لاعلان الحرب عليه ، وبلغ  
الأمين ذلك فغير مظاهر حياته وأمر نديمه وشاعره أن يفعل فعله •

(٧) من أغرب ما في هذه الابيات أن أبا نواس يزعم أنه تجشم  
التنائف أي القفار وأعمل المطي الى الامين مع أنه مقيم في بابه يراوحوه  
ويغاديه أضف الى ذلك أن الناقة لا توصف بالجرأة والاقدام وإنما توصف  
بشدة الاسر وسرعة الجري وان كلمة ( اقدم ) عطفت على جرأة بدون  
واو مع ان هذه لازمة في مثل هذا المقام .

(٨) الاغانى ج ٣ ص ١٥٦ طبعة مطبعة التقدم بمصر .

فتظاهر هذا بالطاعة • ووصف طاعته وتوبته واقفلاعه عن غوايته

بهذه الابيات :

أعاذل اعتبت الإمام وأعتبا      وأعربت عما في الضمير واعربا  
وقلت لساقها أجزها فلم يكن      ليأبى أمير المؤمنين وأشربا  
فجّوزها عني سلافا ترى لها      الى الأفق الأعلى شعاعا مطمئنا  
إذا عب فيها شارب القوم خلته      يقبل في داج من الليل كوكبا  
ترى حيث ما كانت من البيت مشرقا      وما لم تكن فيه من البيت مغربا  
يدور بها ساق أغن ترى له      على مستدار الأذن صدغا معقربا  
سقاها ومناني بعينه منية      فكانت الى قلبي ألد وأطيبا

وواضح أن هذه الأبيات لما فيها من وصف طريف للخمر •  
وتشبيب بالساقى • أقرب للدلالة على الاصرار منها للدلالة على التوبة •  
ويؤكد هذا أن أبا نواس لم يغير شيئا من أحواله • بل انه ذهب الى  
أبعد من ذلك فهجا الأمين وسخر منه غير مرة • ولم يكن ذلك ليخفى  
على الأمين فعقد النية على حبسه بل على قتله • واتتهز فرصة نظمه  
قصيدة في الفخر يقول فيها :

وقد زادني تيبها على الناس أنني      أراني أغناهم وإن كنت ذا فقر  
ولو لم أنل فخرا لكان صياقتي      فمي عن سؤال الناس حسبي من الفخر  
ولا يطمعن في ذلك مني طامع      ولا صاحب التاج المحجب بالفصر  
فاستدعاه ووبخه توييخا شديدا وكان عنده سليمان بن أبي جعفر  
فزاد في الطين بلة وذلك بأن شهد على الشاعر أنه من كبار ( الثنوية ) (٩)  
وشهد الحاضرون بذلك فأمر الأمين بحبس الشاعر ويبدو من حبسه

(٩) الثنوية : فرقة من المجوس تعبد النور والظلمة .

بهذه الصورة أن خطة مدبرة كانت مرسومة للإيقاع به • وهنا صحاح  
المترجم من سكره فرأى أجنحة الموت ترفرف على رأسه • وعاوده هلعه  
المعتاد ففزع الى الأمين يستوهبه دمه ويسأله الإبقاء على حياته •  
بك أستجير من الردى متعوذاً من سطو باسك  
وحياة رأسك لا أعو دلمثلها وحياة رأسك  
من ذا يكون أباً نوا سك ان قتلت أباً فواسك  
ولم يعبأ الأمين به • ففزع الى وزيره الفضل بن الربيع يستغيثه  
ويستعطفه • ويؤكد له أنه قد أفلح عن غوايته وتاب توبة صادقة •  
ويعزو اليه الفضل في ذلك :

أنت يا ابن الربيع ألزمتني النسك وعودتنيه والخير عاده  
فارعوى باطلبي وأقصر حبلتي (١٠) وتبدلت عفة وزهاده  
لو تراني ذكرت بي الحسن البه ري في حسن سمته أو قتاده  
المسايح في ذراعي والمصب حف في لبتني مكان القلادة  
وإذا شئت أن ترى طرفة تع جب منها مليحة مستفاده  
فأدع بي لاعدمت تقويم مثلي وتفظن لموضع السجاده  
تر إثرا من الصلاة بوجهي توقن النفس أنه من عباده  
لو رآه بعض المرأين يوماً لاشرأه يعده للشهاده  
ولقد طالما شقيت ولكن أدركتني على يديك السعاده

وغني عن البيان أن الفضل بن الربيع لم يكن لينخدع بهذا الكلام  
المزخرف وما يجري مجراه مما كان يرسله اليه أبو فواس من سجنه  
معلنا توبته • مؤكداً اقلاعه عن مجونه واسرافه على نفسه • ولكنه

(١٠) هكذا في الديوان وربما كان الصواب وأقصر جهلي •

شفع بالشاعر رأفة به ، أو طمعا بمديحه • وقبلت شفاعته فخرج صاحبنا  
من السجن بعد أن كان يخيل له أنه غير خارج منه الا الى القبر • فكتب  
الى أهله يقول :

اني أتيتكم من القبر والناس محتبسون للحشر  
لولا أبو العباس ما نظرت عيني الى ولد (١١) ولا وفر  
ومعلوم أن المقطوعات التي كتب بها أبو نواس الى الفضل بن  
الربيع من سجن الأمين معلناً فيها توبته واقلاعه عن غوايته والتي رويت  
لك مثلاً منها لا يمكن أن تتخذ دليلاً على توبته • لأنها لم تكتب الا  
لحمل الوزير على التوسط في أمر الشاعر لدى الخليفة • ومعلوم  
كذلك ان حياة أبي نواس بعد خروجه من سجن الأمين لم تطل الى

(١١) يتحدث الرواة بأن أبا نواس كان كارهاً للزواج • وان أهله  
أرادوه عليه فتزوج من جارية لم يقض معها يوماً كاملاً • ولكن هذا البيت  
يدل دلالة قاطعة على أنه متزوج وله أولاد • وهناك شواهد أخرى عديدة  
من شعر الرجل تؤيد ما ذهبنا اليه تأييداً قاطعاً منها قوله في ابنة  
له أسمها برة :

الا ان بنتي بنت من لم ير ابنة  
فيا بر بريني حياتي وان أمت  
فذاك ابن سوء لا يرى لعشيرة  
تحب يباها حب من لا أبأ له  
ولا ابنا سواها قد تبر وتؤنس  
فلا تذخريني دمة حين أرمس  
سلاحا ولا يعطى اللواء في رأس  
وتذكره في الصدر وحشى فتأنس  
وقوله في قصيدة يمدح بها الخصيب :

يا ابنتي ابشري بميرة مصر  
انا في ذمة الخصيب مقيم  
وتمني وأسرفي في الاماني  
حيث لا تعندي صروف الزمان

وهناك شواهد أخرى على هذا رأيت ان اضرب عنها صفحا ، رغبة  
في الايجاز ولكن ما تقدم ذكره كاف للبرهنة بصورة قاطعة على أن الرجل  
متزوج وله أولاد • أما الرواية القائلة بعكس هذا فأحسب انها من صنع  
راوية لم يكن له الملام كاف بشعر ابي نواس •



درجة يمكن معها استكناه حقيقة أمره • وعلى هذا يخيل الي أن توبته لم تكن سوى اسطورة من الاساطير الكثيرة التي حملت عليه • وأنه مات دون أن يغير شيئاً من أحواله • أما شعره في الزهد فلا أريد أن أقول انه منحول كله ولكني أظن أنه نظم بعضه في أيام فقره وضيق ذات يده • اذ ما من شك في أنه خير للفاسق المعدم أن يتحدث عن توبته ويتشدد بأنقطاعه الى ربه من أن يتحدث عن فجور وآثام لا يستطيع أن يأتي منها شيئاً •

بقي أن نعلم كيف لقي أبو نواس حتفه ومتى ؟ •

يتحدث الرواة عن سبب وفاة أبي نواس أحاديث شتى • فيزعمون مرة أن آل نوبخت - وهم رهط من الفرس كانوا يكرهون الشاعر ويضيقون به لأنه يكرههم ويهجوهم - داسوا بطنه حتى مات • ويدعون تارة أنه مازح علي بن أبي سهل النوبختي أيضا فهجاه على سبيل المزاح بيت بذيء لم يحتمله له • فضرب به الأرض وبرك على صدره • يوسعه لكما ولطما • ودخل الناس بينهما فخلصوه منه • ولكن أبو نواس مات بسبب هذه الحادثة بعد أيام • ويذكرون حيناً أنه - أعني أبا نواس - كان يهاجي زنبورا الكاتب الشاعر • فنحله هذا أبياتا في سب الامام علي ( ع س ) استحل بها آل نوبخت دمه • أما آل نوبخت فانهم ينكرون أن تكون لهم يد في القضاء على حياته ، ويؤكدون أن الخمرة هي التي قتلته • وليس فيما بين أيدينا من المصادر التي تتحدث عن أبي نواس ما يحملنا على ترجيح بعض هذه الأقوال على بعضها الآخر ولكن قد لا يبعد أن يكون أبو نواس فريسة حقد كان يكره له آل نوبخت •

وكما يختلف الرواة في سبب وفاة أبي نواس • يختلفون كذلك في تأريخها • ولكنهم يضعونها على كل حال بين سنة خمس وتسعين ومائة ( ١٩٥ ) وسنة مائتين ( ٢٠٠ ) وهكذا تنتهي حياة أبي نواس بغموض تام كما ابتدأت بغموض تام •

### ب - صفاته :

لا أحدثك طبعاً في هذا المكان عن خلاعة أبي نواس ومجونه فأنت تعرف هذا كل المعرفة • ولكنني أحدثك عن صفاته الأخرى • والظاهر أنه كان « حسن الوجه • رقيق اللون أبيض حلو الشمائل • ناعم الجسم وكان في رأسه سماجة وتسفيط (١٢) وكان ألثغ بالراء يجعلها غيناً وكان نحيفاً في حلقه بحجة لا تفارقه » (١٣) وهذا ما يقوله ابن منظور • أما أنا فأضيف إلى ما تقدم أنه كان حوَّلاً قلباً • كثير الطمع • شديد الجشع • منكراً للجميل • خبيث اللسان • قليل الصبر • خائر العزيمة •

حاول الاتصال بالعرب بكل وسيلة ممكنة • سواء كان ذلك عن طريق النسب أم عن طريق الولاء • فأقتسب مرة إلى تميم • وتارة إلى حاء وحكم من قبائل اليمن • مريداً بذلك أن تكون له بالعرب علاقة • كائنة هذه العلاقة ما كانت ثم انقلب عليهم واعتنق مذهب الشعوية • فصار يسبهم علانية وينقصهم جهراً • ومدح الرشيد والأمين والفضل ابن الربيع وابنه العباس ، والخصيب • وأخذ جوائزهم جميعاً وعاش

(١٢) أي أن رأسه يشبه السفط •

(١٣) أخبار أبي نواس ص ٦ •

بها مدة من الزمن • ونادم بعضهم وأكل على موائدهم أياماً كثيرة • ثم هجأهم قاطبة أقبح هجاء • وذمهم أشنع ذم • لأنهم لم يجعلوا مواردهم وقفاً على لهوه وعبثه ، وسرفه ومجونه • وأقدم على هجاء قريش وفيها الملك والخلافة وكان ينبغي أن يكون قد وطن نفسه على ما يفضي إليه ذلك الهجاء من نتائج سيئة • وعواقب وخيمة • ولكنه ما كاد يلقى في السجن حتى أخذ يبكي ويتضرع • ويستشفع بالكبير والصغير ملتسماً الرأفة به والصفح عنه • رحمه الله إنه كان كثير العيوب جم الهنات والسيئات •

### ح - شعره :

لأبي نواس ديوان شعر ضخم جمعه راويته يحيى بن الفضل وأبو بكر الصولي وعلي بن حمزة وحمزة بن الحسن الاصبهاني وابن السكيت وأبو سعيد السكرتي وتوزون الطبري - الذي لم يخلف أثراً آخر سواه - على اختلاف في روايته وتبويبه • وطبع مراراً عديدة في « فينا » و « مصر » و « بيروت » ولا يشك أحد في أن هذا الديوان يحتوي على قصائد ومقطوعات كثيرة ليست من نظم أبي نواس • ولكن يخيل إلي أن الذين حملوا عليه الشعر كانوا من ذوي الخبرة الحسنة به • وبمذاهب أصحابه لأنهم حملوا على أبي نواس منه ما يتفق ومقاصده وأغراضه • ويتلاءم ولغته وأسلوبه أيضاً • ولذلك كانت الكثرة الكبرى من الشعر المروي له متجانسة منسجمة • يمكن إلحاق بعضها ببعض • وضم بعضها إلى بعض بسهولة • يتألف ديوان أبي نواس من أحد عشر باباً في المديح والهجاء

والرثاء والعتاب والغزل المذكر والخمر « وما جاء بينها وبين المجون »  
والصيد والزهد والنقائض وهي المساجلات التي جرت بين الشاعر  
وبين معاصريه ومنافسيه من الشعراء • وما أعدك أن اتحدث اليك عن  
كل باب من أبواب هذا الديوان • لأنني لا أجد كبير فائدة في الحديث  
عن كثير من أبوابه • فأنا لا أحدثك مثلاً عن زهدياته لاني أشك في نسبة  
أكثرها إلى أبي نواس • وهذا مع اعجابي بقوله :

وما الناس الا هالك وابن هالك      وذو نسب في الهالكين عريق  
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت      له عن عدو في ثياب صديق

ولا أحدثك عن رثائه • لأن معظمه خلو من المشاعر والانفعالات •  
صفر من الأحاسيس والعواطف • وتقول لي إن أبياته في رثاء الأيمن  
لا تخلو من حسرة مرة • وأسف شديد • وأجيب بأني أرتاب كثيراً في  
نسبة هذه الأبيات الى أبي نواس • لأن ما جرى بينه وبين الأيمن في  
أواخر أيامه لا يحمله على أن يتفجع لفقده • ويأسى لمصرعه • ولا  
أحدثك عن طردياته لأنها في زعمي مجموعة كلام مكرر • لا تكاد تلمس  
فيه أثراً للجمال الفني • ولا أحدثك عن عتابه لأنه مجموعة كلام في  
الهجاء والفخر لا يتخللها العتاب الا نادراً • ولا أحدثك عن غزله المذكر  
لأن الركافة غالبية عليه غلبة تامة • ولا أحدثك عما جاء بين الخمر  
والمجون لأنه مما يجب أن ينزه عنه مثل هذا الفصل • ولا أحدثك  
أخيراً عن نقائضه لأن الكلام فيها يقودنا الى الاطالة على غير طائل •  
ولكنني سأحدثك عن غزله المؤنث ومديحه وهجائه وخمرياته وفي هذا  
كفاية •

## غزله :

وغزل أبي نواس كثير وهو يتحدث فيه عن صلاته العديدة بطائفة  
من النساء • أو قل من القيان اللواتي عرفهن في بغداد وغيرها • فسحرته  
بجمالهن وأدبهن • وفتنته بغنائهن وظرفهن • وانه لمن الغفلة أن نسأل :  
أكان أبو نواس مخلصاً في حبه لهؤلاء القيان ، صادقاً في كلفه بهن ؟  
فما كان لأبي نواس ، وهو هو في إثارة المجون وركونه إلى  
اللذة ان يخلص في صباغة أو يصدق في حب • وما كان هؤلاء القيان  
من عفة النفوس وطهارة الجيوب بحيث يلهمن حبا حقيقيا أو يوحين  
بعاطفة صادقة •

ستقول وما رأيك في حبه لجنان التي تقدمت لها الاشارة والتي  
بلغ من كلفه بها أنه خرج معها من البصرة الى مكة ؟ وأجيب بأنه أحبها  
حب من يريد أن يقضي وطراً • فلما عز عليه بلوغ ذلك الوطر • شكها  
وتألم وألح في الشكوى وأسرف في التألم • حتى خيل لمن يقرأه او  
يسمعه أنه محب متيم • وما هو من الحب الحقيقي في شيء • ولكن  
من الجائز أن يكون الشاعر الغزل كاذباً في غرامه • مدعياً في حبه • كما  
كان كثير عزة • وكما كان الاحوص في غرامه المزعوم بأم جعفر • وكما  
كان عمر بن أبي ربيعة نفسه في كثير من صلاته الموهومة • ولكنه يظل  
مع ذلك قوي النسيب رائع التشبيب لما يتضمن غزله من خواطر ومشاعر  
لا تجدها في كلام غيره من الشعراء • فهل كان أبو نواس من هذا النوع  
في غزله على الأقل ؟ !

الواقع أنه لم يكن كذلك على الأكثر : ولك أن ترجع الى غزله

لنتبين أنه إنما يتحدث في الغالب عن أشواق مضنية • وآلام مبرحة •  
ووعود ممطولة • وعهود منقوضة • وشكاة خائبة • ورسائل مردودة •  
إلى غير ذلك مما تجده تقريباً في كل مكان • ومع هذا لا يخلو غزل  
أبي نواس من شذرات أصيلة قالها في جنان إليك منها هذه الأبيات :  
ياذا الذي عن جنان ظل يخبرنا      بالله قل وأعد يا طيب الخبر  
قال اشتكتك وقالت ما ابتليت به      أراه من حيث ما أقبلت في أثري  
ويعمل الطرف نحوي إن مررت به      حتى ليخجلني من حدة النظر  
وإن وقفت له كيما يكلمني      في الموضوع الخلو لم ينطق من الحصر  
ما زال يفعل بي هذا ويدمنه      حتى لقد صار من همي ومن وطري  
وهذه الأبيات :

إذا التقى في النوم طيفانا      عاد لنا الوصل كما كانا  
يا قرّة العين فما بالناس      نشقى ويلتد خيالانا  
لو شئت إذ أحسنت لي في الكرى      أتممت إحسانك يقظانا  
يا عاشقين اصطلحنا في الكرى      وأصبحنا غضبي وغضبانا  
كذلك الأحلام غدارة      وربما تصدق أحيانا  
وهذه الأبيات أيضاً :

دست له طيفها كيما تصالحه      في النوم حين تأبى الصلح يقظانا  
فلم يجد عند طيفي طيفها فرجاً      ولا رثى لتشكّيه ولا لانا  
حسبت أن خيالي لا يكون لما      أكون من أجله غضبان غضبانا  
جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا      فلم يكن هيناً منك الذي كانا  
فأكبر الظن أن الخواطر التي يتحدث عنها أبو نواس في هذه  
المثل من غزله خواطره ، وأن الذكريات والآلام التي يصورها ذكرياته

وآلامه التي استمدها من حياته واستناده من مغامراته • ولكن  
أمثال هذه الصفحات الأصيلة في غزله قليلة جداً •

مديحه : وقد أدهشك إذا قلت لك إن مديح أبي نواس أقل أصالة  
وأكثر تقليداً من غزله • وإنه صورة مصغرة من مديح زهير والحطيئة  
والأعشى • وأقول صورة مصغرة منه لأنه يمثل أخيلته وخواطره  
ومقاصده وأغراضه • ولا يمثل فصاحة لغته ومتانة أسلوبه • وأزل  
شيء انكره على مديح أبي نواس • تصديره في كثير من الأحيان ببيكاء  
الاطلال أو وصف الناقة أو بهما معاً •

إن شعراء المديح الجاهليين والمخضرمين والامويين معذورون إذا  
صدروا مدائحهم ببيكاء الأطلال • لأن الأطلال محيطة بهم • ماثلة  
أمام أعينهم أينما توجهوا ، وحيثما ساروا ، وهم معذورون كذلك إذا  
صدروا مدائحهم بشيء من وصف الناقة • لأن هذه تحتل مكاناً خطيراً  
جداً في حياتهم • وفي حياة ممدوحهم على السواء •

أما أبو نواس • فإنه غير معذور إذا صدر مدائحه بهذه المقدمات  
العقيمة الفارغة • لأنه يقيم في عاصمة الرشيد • ويستمتع بما فيها من  
نعيم وترف ، ولأنه يختلف إلى أبواب ممدوحيه وينادم بعضهم ويسامرهم  
ويعاشرهم • ثم مالنا ولهذا كله • أليس هو عدو البادية اللدود الذي  
طالما هزأ بحياتها وسخر من أدبها وندد بشعرائها واحتقر عواطفهم  
وازدري أخيلتهم ومشاعرهم ؟ أليس هو القائل :

عاج الشقي على رسم يسائله      وعجت أسأل عن خمارة البلاد  
يبكي على طلل الماضين من أسد      لا درّ درك قل لي من بنو أسد  
ومن تميم ومن قيس ولفثهما      ليس الأعراب عند الله من أحد

لا جفّ دمع الذي يبكي على حجر ولا صفا قلب من يصبو الى وتد  
كم بين ناعت خمر في دساكرها وبين باك على نوي ومنتضد  
أيجمل به وهو الذي يقول هذا وعشرات في معناه ويتخذ  
— على تفاهته — مذهبا يمتاز به بين الشعراء أن يقول في صدر قصيدة  
يمدح بها الأمين :

يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك والايام ليس تضام  
وأن يقول في صدر قصيدة يمدح بها الفضل بن يحيى البرمكي :  
أربع البلى ان الخشوع لباد عليك وانني لم أخنك وودادي  
ويقول في صدر قصيدة يمدح بها محمد بن الفضل بن الربيع :  
لمن طلل لم أشجه وشجاني وهاج الهوى اوهاجه لأوان  
أيجمل به وهو شاعر الحضارة فيما يزعم أن يعمد الى الناقة وهي  
عماد الحياة في الصحراء • وقوام المعيشة في البادية • فيصفها في صدور  
عدد كبير من مدائحه بمثل قوله من قصيدة يمدح بها الرشيد :  
لما نرعت عن الغواية والصبأ وخدت بي الشدنية المذعان  
سبط مشاقرها دقيق خطمها وكان سائر خلقها ببيان  
واحتازها لون جرى في جلدتها يقق كقرطاس الوليد هجان  
ومثل قوله من قصيدة يمدح بها الفضل بن يحيى البرمكي :

سأرحل من قود المهارى شملة<sup>(١٤)</sup> مسخرة لا تستحث بحاد  
مع الريح ما قامت وان هي أعصفت تهوس برأس كالعلاة ونهاد  
فكم حطمت من جنادل بمفازة وخاضت كنيار الفرات بوادي

(١٤) الشملة : السريعة .



قد تقول انه فعل ذلك ارضاءً لرغبات المحافظين من ممدوحيه •  
وايهاماً لهم بأنه محافظ. اللهم وان ما يشاع عنه من الانهماك في وصف  
الخمير افتراء محض • وأجيب بأن هذا غير صحيح • لأنه يجمع بين  
بكاء الاطلال ووصف الخمر تمهيداً للمديح في القصيدة الواحدة •  
استمع الى هذه القصيدة التي يمدح بها الرشيد :

لقد طال في رسم الديار بكائي  
كأنني مريع في الديار طريفة  
فلما بدالي اليأس عدت ناقتي  
الى بيت حان لا تهرّ كلابه  
فان تكن الصهباء أودت بتالدي  
فما رمته حتى أتى دون ما حوت  
وكأس كمصباح السماء شربتها  
أتت دونها الأيام حتى كأنها  
ترى ضوءها من ظاهر الكأس ساطعا  
تبارك من ساس الامور بعلمه  
نعيش بخير ما انطوينا على التقى  
إمام يخاف الله حتى كأنه  
أشهم طوال الساعدين كأنما

وقد طال تردادي بها وغنائي  
أراها أمامي مرة وورائي  
عن الدار واستولى عليّ عزائي  
عليّ ولا ينكرن طول ثوائي  
فلم توقني أكرومتني وحيثائي  
يميني حتى ريطتي وخذائي  
على قبلة أو موعده بلقاء  
تساقط نور من فتوق سماء  
عليك ولو غطيتها بغطاء  
وفضّل هاروناً على الخلفاء  
وما ساس دنيانا أبو الامناء  
يؤمل رؤياه صباح مساء  
يناط نجادا سيفه بلواء

على أني أحب أن أسألك • أتعتقد حقيقة أن الرشيد والأمين وآل  
برمك وآل الربيع ومن لفّ لفّهم من الكبراء والعظماء كلهم محافظون  
متزمتون • وأن أبا نواس وحده مجدد حرّ العقل خفيف الظل ؟ •  
انني اخالف في هذا مخالفة تامة • ونأتي الآن الى مديح أبي نواس

نفسه فماذا نجد فيه ؟ اننا نجد فيه غلوّاً لا يستسيغه عقل • وغموضاً  
لا يهتدي الي ما وراءه فكر • وسقطات بلغة منتهى السخف • وسرقات  
لم يقدر فيها النجاح للشاعر • فمن أمثلة غلوّ أبي نواس قوله في مدح  
الرشيد :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق  
ومن أمثلة مديحه الغامض • قوله في مدح العباس بن  
عبيد الله بن المنصور :

لا تغطي عنه مكرمة برى وادٍ ولا خمرة  
ذلت تلك النجاج له فهو مختار على بصره  
سبق التفريط رائده وكفاه العين من أثره  
ومن سقطاته البالغة منتهى السخف في مديحه قوله  
في مدح الفضل بن يحيى البرمكي :

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد  
هراك لعل الفضل يجمع بيننا  
أمير رأيت المال في نعمائه ذليلاً مهين النفس بالضم موقنا  
وللفضل صولات على صلب ماله ترى المال فيها بالمهانة مذعنا  
وقوله في مدح العباس بن الفضل بن الربيع الذي كان ينادمه  
ويشاركه في فسوقه وفجوره • وهو يصف في هذه الأبيات مسيره اليه  
على متن ناقه نجية سريعة السير :

وسبب قد علوت طامسه بناقة فوقة من النوق  
كأنما رجلها قنما يدها رجل وليد يلهو بدبوق (١٥)

(١٥) الدبوق بفتح الدال لعبة .

كأنما أسلمت قوائمها إذا مرتهن<sup>(١٦)</sup> من مجانيق  
الى امريء أم ماله أبدا تسعى بجيب في الناس مشقوق  
ومن مديح ابي نواس المسروق سرقة غير موفقة قوله :

فتى لا تلوك الخمر شحمة ماله ولكن أياد عوهـد وبواد  
فانه أخذه بعد أن أضاف اليه هذه « الشحمة » الدسمة من قول  
زهير بن أبي سلمى :

أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يتلف المال نائله

وقوله في نفس القصيدة :

فيوم لا لحاق الفقير بذى الغنى ويوم رقاب بوكرت بحصاد  
فانه أخذه من قول جرير في مدح عبد العزيز بن الوليد بن  
عبد الملك :

فيومان من عبد العزيز تفاضلا ففي أي يوميه تلوم عواذله  
فيوم تحوط المسلمين جياده ويوم عطاء ما تعب نوافله  
وقد أخذ هذا المعنى من جرير قبل أبي نواس الحسين بن مطير  
أحد مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية فأفرغه في قالب أفضل من  
القالب الذي أفرغه به أبو نواس وذلك حيث يقول :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ويوم نعيم فيه للناس أنعم  
فيمطر يوم الجود من كفه الندى ويمطر يوم البأس من كفه الدم  
فليس من شك في أن أبا نواس لم ينجح نجاح صاحبيه ولا سيما

(١٦) مرى : جر .

جرير في ابراز هذا المعنى اللطيف • ولكل ما ذكرنا من مساويء مديح  
أبي نواس أمثلة كثيرة يمكنك أن تراجعها في ديوانه •  
على أنني لا أريد أن ابخس أبا نواس حقه او انكر محاسنه فان له  
مدائح حسنة قليلة منها هذه الأبيات التي يمدح بها الفضل بن الربيع:  
قولا لهارون إمام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد  
نصيحة الفضل وإشفاقه أخل له وجهك من حاسد  
لصادق الطاعة ديانها وواحد الغائب والشاهد  
أنت على ما بك من قدرة فلست مثل الفضل بالواجد  
أوجده الله فما مثله لطالب ذلك ولا ناشد  
وليس لله بمستنكر أن يجمع العلم في واحد (١٧)  
وهذه الابيات التي يمدح بها الخصيب من قصيدة :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدققا فكلالكمما بحر  
لا تقعدا بي عن مدى أمني شيئاً فمالكمما به عذر  
ويحق لي أن صرت بينكما ألا يحمل بساوتي فقر  
هجاؤه : أصدق شعوراً وأخصب خيالاً وأظرف لغة وأسلوباً من  
مديح أبي نواس هجاؤه الذي لم ينج من قوارصه أحد فقد طعن أبو  
نواس في كل عرض وأساء إلى سمعة كل كريم • فتناول على الخلفاء  
والأمراء والوزراء والعلماء والزعماء • وعلى الشعوب والقبائل  
الاسلامية الكبرى • كالعذنانيين والقحطانيين • وهذا فضلا عن الأدباء

(١٧) تناقل الناس هذا البيت وحرفوه بعض الشيء فوضعوا  
( ليس على الله ) موضع ( وليس لله ) وعندني ان التحريف أصح من  
الأصل وأحسن •

والشعراء والمغنين ومن يجري مجراهم ممن يسهل على أبي نواس أن يلدعهم بقوارص هجائه متى أعجبه ذلك دون خوف ولا اشفاق • وقد يسبق إلى ظنك أن أبا نواس هجا ولاية الامور في عصره • لأنهم لم يقيموا العدل أو يعملوا على نشر العلم أو قصّروا في حماية الثغور وتأمين السبل • فأؤكد لك أنه لم يهج خليفة ولا أميراً ولا وزيراً ولا أي انسان آخر الا لسبب شخصي بحت • وقد تدهشك سلاطة لسان أبي نواس هذه • ولكن لا باعث على الدهشة فقد كان أبو نواس وضعي الأصل • وضعي النشأة • وضعي المنزلة • بسبب تهتكه وإسرافه على نفسه • وكان مع ذلك يريد أن يخافه الناس • وأن يتقوا شره • ويجزلوا عطاءه ويقضوا حوائجه • ولا سبيل إلى ذلك إلا بالهجاء • وقديماً فعل الحطيئة وجريير هذا ، ونهج بشار الذي أدركه أبو نواس وعاصره قليلاً سبيلهما فأتقى الناس شرهم • وخشوا معرفة ألسنتهم • وقبلوا مدائنهم وأحسنوا جوائزهم •

وهجاء أبي نواس صارم ثقيل الوطأة شديد النكاية بذيء العبارة في كثير من الأحيان ، ولكنه ظريف خفيف الروح لطيف الوقع - في غير نفس المهجو طبعاً - أحياناً كثيرة كذلك • وما أظنك تكلفني أن أروي لك شيئاً من هجائه الثقيل الصارم البذيء • فأروي لك مثلاً من النوع الثاني من هجائه • قال يهجو الفضل ولا أدري أهو الفضل ابن يحيى البرمكي أم الفضل بن الربيع لأن الديوان لا يصرح بشيء من هذا :

رأيت الفضل مكتئباً      يناغي الخبز والسمكا  
فأسبل دمه لماً      رأني قادماً وبسكى

فلما أن حلفت له بأني صائم ضحكا

وقال يهجو سعيد بن مسلم :

رغيف سعيد عنده عدل نفسه  
ويخرجه من كفه فيشمه  
وإن جاءه المسكين يطلب فضله  
يكره عليه السوط من كل جانب  
يقلبه طوراً وطوراً يلاعبه  
ويجلسه في حجره ويخاطبه  
فقد ثكلته أمه وأقاربه  
وتكسر رجلاه وينتف شاربه

وقال يهجو اسماعيل النوبختي :

خبز إسماعيل كالوش  
عجباً من أثر الصن  
إن رفاءك هذا  
سي إذا ما انشق يرفا  
عة فيه كيف يخفي  
أحذق الأمة كفتا

وقال يهجو الخصيب الذي رفعه بمديحه الى السماء :

خبز الخصيب معلق بالكوكب  
جعل الطعام على بنيه محرما  
فاذا هم رأوا الرغيف تطربوا  
يحمي بكل مثقف ومشطب  
قوتاً وحلله لمن لهم يسغب  
طرب الصيام إلى أذان المغرب

لعلك تلاحظ أنني رويت أكثر مما ينبغي من هجاء أبي نواس .  
فأحب أن أقول لك أنني فعلت هذا على سبيل الانصاف للرجل . لأن  
باب الهجاء في ديوانه يكاد يكون أغنى أبوابه بأمثال هذه الملح التي  
إن كانت اساءة لا شك فيها الى المهجور فانها احسان لا شك فيه الى  
الفن .

خمرياته : أبرع وأتقى ديباجة من كل ما تقدم من شعر أبي نواس  
خمرياته التي طار ذكرها في الآفاق والتي تعبد بحق مظهر شاعريته  
وترجمان شعوره ورمز حياته وأخلاقه • وليس من شك في أن الرواة  
أدخلوا فيها أقوال شعراء عديدين لم تسمح ظروفهم بذكر أسمائهم إلى  
جانب أقوالهم في الخمر • بل لا أكاد أشك في أن أبا نواس نفسه سطا  
على أقوال بعض معاصريه في الخمر فادعاها لنفسه • ودسها في شعره •  
فأبو الفرج يحدثنا في الجزء ١٦ من كتابه عن غلام أبي نواس المعروف  
بالدعجى أنه قال : « أنشدت يوماً بين يدي أبي نواس قوله » :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن عيني<sup>(١٨)</sup> ولم أنم  
وكان قد سكر فقال : « أخبرك عن شيء على أن تكتمه • قلت  
نعم قال أتدري من المعنى ب<sup>(١٩)</sup> » يا شقيق النفس من حكم « قلت  
لا • قال أنا والله المعنى بذلك • والشعر لوالبة بن الحباب ، قال وما  
علم بذلك غيرك وأنت أعلم فما حدثت بهذا حتى مات »<sup>(٢٠)</sup> وغنى عن  
البيان أن هذا الخبر يدل دلالة قاطعة على أن أبا نواس يبيح لنفسه أن  
ينتحل شعر غيره إذا أعجبه ويذيعه في الناس على أنه له • وهناك  
أحاديث من هذا القبيل يتناولها الرواة عن سطو أبي نواس على كل  
قصيدة أو بيت أو معنى يعجبه من شعر صديقه وزميله في منادمة  
الخلقاء والوزراء الحسين بن الضحاك الخليع لا مجال للأفاضة في  
ذكرها هنا ، وأحسبك توافقني على أن هذا يجعل تمحيص خمريات

(١٨) طبعا الصواب ليلى كما هو مشهور ولكنه مروى هكذا في هذا

المكان من الاغانى .

(١٩) لا وجود لهذه الباء في الاغانى .

(٢٠) الاغانى ج ١٦ ص ١٤٣ .

أبي نواس وتمييز صحيحها من منحولها من الصعوبة بمكان • وما أريد أن أبذل جهداً في سبيل تدليل هذه الصعوبة الكبرى لأنني لا أتوقع من ورائه كبير فائدة • على أن الذي يعنيني قبل كل شيء في الكلام على خمريات أبي نواس هو أن أتبين ما ذهب إليه بعض النقاد القدماء والمحدثين من أن أبا نواس مجدد في القريض العربي وأن خمرياته هي مظهر هذا التجديد •

كانت الخمر عند العرب منذ أقدم العصور كما كانت عند غيرهم من الأمم مصدر إلهام وإيحاء في الشعر • يستوحىها شعراء اللهو شيئاً غير قليل من أخيلتهم وخواطرتهم وأحاسيسهم ومشاعرهم • ولا نزاع في أن ما وصلنا من خمريات الأعشى قليل جداً • ولكنه على قلته دليل كاف على غرام هذا الشاعر بالخمر • وحبها لها • وبراعته في التحدث عنها • أليس هو القائل :-

تريك القذى من فوقها وهي فوقه إذا ذاقها من ذاقها يتمطق

### والقائل :

نازعتهم قضب الرياحان متكئاً      وقهوة مزة (٢١) راووقها خضل  
لايستفيقون منها وهي راهنة (٢٢)      إلا بهات وإن علّوا وإن بهلوا  
يسعى بها ذوزجاجات له نطف (٢٣)      مقلص أسفل السربال معتمل (٢٤)

(٢١) مزة : ( بفتح الميم ) لذيذة الطعم . والراووق : المصفاة .

(٢٢) راهنة : دائمة .

(٢٣) النطف : جمع نطفة ( بفتح النون والطاء ) وهي القرطة .

(٢٤) معتمل : دائب نشيط .



## والقائل :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها  
ففي هذه المثل القليلة دلالة كافية على عناية الشاعر الفائقة بالخمير  
وعكوفه عليها وتعنيه بوصفها • وقد ذهب طرفة مذهبه في الولع بها •  
فجعلها مظهر حيويته ومبعث لذته ورمز رجوليته • بل لقد جهر انه إنما  
يحيا لها وللحرب والمرأة • وأنه لولا هذه الثلاث لم يبق في الحياة  
ما يحبها إليه أو يرغبه فيها :

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عوّدي  
فمنهن سبقي العاذلات بشربة كسيت متى ما تعل بالماء تزبد  
وكرسي إذ نادى الصريح محنبا (٢٥) كسيد الغضا نبهته المتورد (٢٦)  
وتقصير يوم الدجن (٢٧) والدجن معجب

ببهكنة (٢٨) تحت الطراف (٢٩) المعمد  
بل لقد ذهب طرفة إلى أبعد من هذا فنزل عن ثروته كلها ومكاته  
في قومه في سبيل الخمر :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وانفاقي طريقي ومتلدي  
إلى أن تحامنتي العشيرة كلها فأفردت أفراد البعير المعبد (٣٠)  
وأحسب أن رجلا يضحى بثروته كلها ومكاته في سبيل الخمر

(٢٥) محنبا : بعيد ما بين الرجلين وقيل غير ذلك .

(٢٦) متورد : متصد إلى ورود الماء .

(٢٧) الدجن : اكتساء السماء بالغيوم وقيل غير ذلك في معناه .

(٢٨) البهكنة : المرأة التامة الخلق .

(٢٩) الطراف : الخباء أو الخيمة .

(٣٠) المعبد : المطلي بالقطران لجربه .

سكير عرييد بلغ الغاية في عبادة أم الخبائث وإحلالها المحل الذي لا تستحقه في هذه الحياة ولم يزل شعراء الخمر من العرب يتعاقبون على نعتها والتشويق بشربها والتهتك في هذا السبيل حتى جاء الأخطل فأحلها المكانة الأولى من شعره • وكان بحق امام وصّاف الخمر في العصر الاموي (٣١) وانه لمن الصعب أن تفضل قصيدة ما في الخمر لأميته الشهيرة التي يقول فيها :

تدب ديباً في العظام كأنه ديب نمال في نقا يتهيل  
ولم يطل الوقت حتى ظهر الوليد بن يزيد بن عبد الملك • فأعاد على الناس عهد الأعشى وطرفة والأخطل بعكوفه على الخمر • وتفننه في وصفها • وإجاداته إجابة تامة في هذا الوصف ، وكان هذا خاصة بسبب تحضره ورقة خياله ودقة إحساسه • إماماً لأبي نواس فيما يعتقد أبو الفرج • فانه يقول « وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة • قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم • سلخوا معانيها • وأبو نواس خاصة • فانه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره وكررها في عدة مواضع منه • ولولا كراهة التطويل لذكرتها ههنا على أنها تنبئ عن نفسها » (٣٢) •

أفيصح بعد هذا أن نتخذ أبا نواس اماماً أو مجدداً للقريض العربي من ناحية وصفه الخمر ؟ • ولنأت الآن إلى خمريات الرجل فنسترض أهم معانيها وأكثرها دوراناً على لسانه • وهذه تتلخص على وجه التقريب فيما يأتي :

(٣١) سئل أبو نواس عن رأيه في الأخطل فقال : « امامي في الخمر » .

( معاهد التنصيص ج ١ ص ٣٠ طبعة المطبعة البهية ) •

(٣٢) الاغانى جزء ٦ ص ١٠٧ طبعة مطبعة التقدم بمصر •

إن الناس يلومون الشاعر في شرب الخمر • ولكنهم مخطئون في  
 هذا • لأن لومهم إياه أغراء له فيها • وهم يقولون له انها حرام ولكنهم  
 لا يعلمون أن الحرام يلائمه ويوافق طباعه وأخلاقه • والخمر فتاة  
 كريمة ينبغي أن لا يخطبها إلا فتى كريم • له مال وله حسب • وعليه  
 أن ينزل عن ماله كما ينزل عن حسبه في سبيل هذه الفتاة • والشاعر  
 من ناحيته يغلي مهرها إلى حد يجعل معه ثمنها وزنها ذهباً • وهي  
 قديمة خزنت حتى كاد القدم يأتي على حياتها • ومكرمة لا تجلى إلا  
 في أجمل الأباريق وأظرف الكؤوس • على أنها متى جليت على الندمان  
 هذبت طباعهم ولطفت أخلاقهم فأحالت البيخل منهم كريماً • والجبان  
 شجاعاً • والقدم فصيحاً وهكذا • وأحسب أنك اذا تتبعت هذه المعاني  
 في أقوال شعراء الخمر الذين سبقوا أبا نواس • وجدت أنهم تداولوها  
 وابتدلوها وأفرغوها في صور مختلفة وأشكال متعددة ، على أني لا  
 أريد أن أبخس أبا نواس شاعريته وبراعته في وصف الخمر • بل إنني  
 أعترف أنه أجاد في طائفة من خمرياته أجادة تامة • وأنه من الحق على  
 مؤرخ الأدب أن يلم بهذه النخبة من شعره • وأن يتحدث عنها كثيراً  
 أو قليلاً • وقد ضاق المقام عن أن أنقد أو احلل بعض هذه الخمريات •  
 فأكتفى برواية مثل منها على سبيل الانصاف لأبي نواس ، اسمع قوله:  
 ودار ندامي عطلوها وأدلجوا      بها أثر منهم جديد ودارس  
 مساحب من جر الزقاق على الثرى      وأضغاث ريحان جنبي ويابس  
 حبست بها صحبي فجددت عهدهم      واني على أمثال تلك لحابس  
 ولم أدر منهم غير ما شهدت به      بشرقي سابط الدير البساسب  
 أقمنا بها يوماً ويومين بعده      ويوما له يوم الترحل خامس

تدور علينا الراح في عسجدية  
قرارتها كسرى وفي جنباتها  
فللخمر ما زرست عليه جيوبهم  
حبتها بأنواع التصاوير فارس  
مهلاً تدريها بالقسي الفوارس  
وللماء ما دارت عليه القلانس

### وقوله :

لا تبك ليلي ولا تطرب الي هند (٣٣)  
كأساً اذا انحدرت في حلق شاربها  
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة  
تسقيك من يدها خمراً ومن فمها  
لي نشوتان وللندمان واحدة  
واشرب على الورد من حمراء كالورد  
أجدته حمرتها في العين والخد  
في كف جارية ممشوقة القد  
خمراً فما لك من سكرين من بد  
شيء خصصت به من بينهم وحدي

### وقوله :

بنينا على كسرى سماء مدامة  
فلو ردني في كسرى بن ساسان روجه  
بيد أني أروي لك هذه المثل من خمريات أبي نواس على أنها  
شعر جيد لا على أنها شعر جديد . فأنا مؤمن بأن أبا نواس لم يكن  
في يوم من الأيام مجدداً . وانما كان مقلدا ماهراً . سبقه الشعراء الى  
تمجيد الخمر والتنوية بشربها . والتفنن في وصفها . فمهدوا له

(٣٣) أفهم ان ابا نواس ينهى عن بكاء الاطلال والوقوف على دمن  
الاحباب وان كان قد فعل هذا مرارا كثيرة ولكني لا أفهم نهيه عن البكاء  
على حبيبة مفارقة والطرب لذكرها ، ان في صدر هذا المطلع حملة  
شعواء مباشرة على المرأة التي طالما أحبها او تظاهر بحبها وتغنى بحسنها  
أبو نواس .

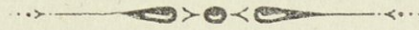
السبيل وأقاموا عليها المعالم الواضحة ، وأتى هو فسلكتها تابعا لهم  
مسترشدا بهم • يقتبس معانيهم مرة ويتوسع فيها تارة • وينسج على  
منوالها طورا • وعلى هذا فليس من العدل ولا من الصواب في شيء •  
أن تعدّه اماماً أو مجدداً •

انك تستطيع أن تقول عن عمران بن حطان - على قلة شعره -  
انه مجدد • لأنه اتخذ الصدق له مذهباً في صناعة القريض • حتى اذا  
فضل رجلاً شجاعاً على أسد • واعترضت زوجته عليه في ذلك التفضيل  
دافع عن نفسه بقوله : ( ان مجزأة فتح بلدة والأسد لا يفتح بلدة )  
وتستطيع أن تصف عمر بن أبي ربيعة بأنه مجدد • لانه وسع القصة  
الغرامية في القريض العربي • وأطالها وهذبها حتى أصبح من الحق أن  
يقال انه امام القصة الغرامية في القريض العربي • بل تستطيع أن تقول  
عن كثير عزة انه مجدد أيضا • لأنه كان صاحب مذهب خاص في المديح  
يحتم عليه ان يصف ممدوحه بما فيه دون زيادة ولا نقصان • حتى لقد  
مدح عبد العزيز بن مروان بالمنع لانه كان يفعل هذا اذا اقتضاه الحزم •  
تستطيع ان تعتبر هؤلاء كلهم مجددين لانهم ذهبوا مذاهب جديدة  
اصطنعوها وتقيّدوا بها • ولكنك لا تستطيع أن تعد أبا نواس مجدداً  
لانه لم يبتكر طريقة ولم يذهب مذهباً جديداً في صناعة القريض •  
ولكنه قلّد فأحسن التقليد • واتبع فحذق الاتباع • على أنه لم يكن  
على الدوام حاذقاً محسناً في اتباعه وتقليده •

هـ - خاتمة :

إما أن أبا نواس شاعر مجيد في بعض ضروب الشعر فهذا ما لا

شك فيه ، ولكنه لم يكن مجددا في يوم من الايام لأي نوع من أنواع  
القريض • على أنه لو أراد ذلك لما تهيأ له • لأنه لم يكن من خصب  
القريحة وسعة الخيال وعمق التفكير بحيث يستطيع أن يكون مجددا  
لشيء من الأشياء • أما هذه القصائد والمقطوعات الكثيرة التي تتلخص  
في بضع كلمات وهي لا تتحدث عن الطلل وتحدث عن الخمر فانها ان  
دلت على شيء فانما تدل على ضعف خياله وتفاهة تفكيره لان فيها  
من التكرار الممل لملاحظة سخيفة مبتذلة مالا يتورط فيه شاعر يثق  
بنفسه ويؤمن بملكاته ومواهبه •



## الباب الرابع

في شعراء القرن الثالث للهجرة

### الفصل الاول

أبو تمام

- أ حياته : اسمه وكنيته ونسبه • الشكوك في نسبه الى طي • مناقشتها •  
مولده • نشأته وتربيته • سفره الى مصر • خيبته فيه •  
مبارحته مصر • علاقته بالمأمون • صلته بالمعتصم ووزرائه •  
تطوافه في الآفاق • بعض ممدوحيه من الولاة والقواد •  
كيف استقبل في البصرة • أثر أسفاره في شعره • تعيينه  
واليا على بريد الموصل • وفاته •
- ب - صفاته : مجونه • تبذيره • غلوه في الاستجداء • حبه الأسفار •  
حدة ذكائه • قوة حافظته •
- ج - رأيه في الدين والسياسة : تشييعه • تذبذبه •
- د - شعره : ديوانه • أبوابه : فخره • موضوعاته • وصفه • مكان  
الطبيعة منه • براعته في تصوير سائر الأشياء • رثاؤه :  
المطبوع منه والمصنوع • ميزة كل منهما • رثاؤه لاهل  
بيته وذوي قرباه • مثل منه • مديحه : أكاذيبه • ما  
ينطوي عليه من حقائق التاريخ • مصدر جماله • هجاؤه :

صرامته وبذاءته \* مثل منه \* لغته وأسلوبه - أبرز ما  
فيهما من محاسن ومساويء \*  
هـ - خاتمة : ما يفيد وما لا يفيد من شعر أبي تمام \*

## آ - حياته :

كانت الشعوية والخلاعة أبرز صفات القريض في القرن الثاني  
للهجرة \* أي في عهد بشار وأبي نواس \* أما في القرن الثالث ولا سيما  
النصف الأول منه حيث يتعاقب أبو تمام والبحثري على زعامة الشعراء \*  
فقد خفت صوت الشعوية \* ولم تعد الخلاعة من أبرز صفات القريض \*  
وحل محل هذين العنصرين - ١ - وصف سياسة الدولة وأعمالها في  
الداخل والخارج - ٢ - تصوير حياة القصور وما فيها من لهو ومرح  
وترف - ٣ - التحدث عن الطبيعة وما فيها من فتنة وجمال وسحر  
- ٤ - ازالة المراثي وتجويدها بشكل لم يسبق له نظير (١) \* هذا الى  
ارتقاء ملحوظ في لغة الشعراء \* وصفاء غالب على أساليبهم \* وسنرى  
هذه الخصائص ممثلة أصدق تمثيل في شعر كبار شعراء القرن الثالث  
للهجرة \* وهم أبو تمام والبحثري وابن الرومي وابن المعتز \* وأبدأ  
بالحديث عن أولهم فأقول :

هو حبيب بن أوس ، وكنيته أبو تمام ، من طي \* وطبي \* من \*  
أمهات القبائل اليمنية \* ويعتقد الآمدي أنه دخيل في طي وأنه من أصل  
رومي وأن اسم أبيه - وهو صاحب حانة - « تيودوس » فحرفه  
وجعله أوسا \* ويذهب ابن خلكان مذهب الآمدي في هذا الشأن مع

(١) يستثنى من هذا شعر ابن المعتز لانه لم يكن من شعراء الرثاء .



أن الآمدي شديد التحامل على أبي تمام • ولك أن تتصفح كتابه  
( الموازنة بين أبي تمام والبحتري ) لتلمس روح التحامل على المترجم  
في أماكن كثيرة منه • ويرى أكثر النقاد المحادّثين - وفي مقدمتهم  
المستشرقون - رأي الآمدي وابن خلكان •

وعندي أنه لو كان أبو تمام من أصل رومي - كما يزعم الآمدي  
وابن خلكان وبعض النقاد المعاصرين - لكان من المعقول أن يفخر  
بهذا الأصل كما فخر به ابن الرومي ، لأنه نبغ في عصر غلبت عليه  
الثقافة اليونانية وراجت فيه ترجمة علوم اليونان وفلسفتهم إلى اللغة  
العربية رواجاً كبيراً • ولو كان أبو تمام من أصل رومي حقاً لما وسعه  
أن ينكر أصله ، وأهله أحياء يدينون بالمسيحية ويتكلمون اليونانية  
ويحملون السحنة (٢) اليونانية في وجوههم ويعتقدون الأخلاق والتقاليد  
اليونانية ، وصلته بهم قائمة مطردة ، فهو يقرع السن ندماً على مفارقتهم  
في لاميته التي يصف بها خبيته في مصر فيقول :

نأيت ، فلا مالا حويت ، ولم أقم فامتع ، اذ فجعت بالمال والأهل  
ويشير إليهم في فصيحة مدح بها محمد بن عبد الملك الزيات بقوله:  
قبيل وأهل لم الاق مشوقهم لو شك النوى الا فواقاكلا ولا (٣)  
كأنهم كانوا لخفة وقتني معارف لي ، أو منزلي كان منزلا  
ويشير إليهم كذلك في استئذانه أبا سعيد الثغري بالانصراف بقوله:  
فمنّ بالاذن على نازح عن أهله ساعته دهر  
وفي ديوانه مرثية بليغة يجمع الرواة على أنه رثى بها أخاه حضر

(٢) السحنة : اللون والهيئة .

(٣) الوشك : القرب . الفواق : ما بين الحلبتين . كلا ولا . أي

كقولهم « لا حول ولا قوة الا بالله » .

وفاته • هذا الى أن أبا الفرج الأصبهاني ينفي كل شبهة عن أصل أبي تمام فيقول انه طائي صميم •

إذا لم يخطيء ظني فان الذين قالوا ان أبا تمام رجل واسع الرواية غزير الحفظ وهو يسرق محاسن الشعراء القدماء التي لم يطلع عليها أحد غيره ويدسها في شعره فتكسبه ماله من جمال وروث هم الذين قالوا انه سليل أسرة رومية •

وبعد ، فان عقل أبي تمام - الذي يود بعض النقاد المحدثين أن يقولوا انه يوناني - عربي بحت لأن ثقافته عربية تماما • والثقافة ، كما تعلم ، هي التي تكون العقول وتوجه القرائح والأفهام قبل أي شيء آخر •

ومهما يكن من شيء ، فمورخو الادب متفقون على أن صاحبنا ولد في ( جاسم ) قرية من قرى دمشق • ولكنهم مختلفون في سنة ولادته ، فقد قيل انه ولد سنة ( ١٩٠ ) هـ وقيل انه ولد سنة ( ١٨٨ ) هـ وقيل أنه ولد سنة ( ١٧٢ ) هـ وأكبرالظن ان هذه الأخيرة أقرب الروايات الى الصحة ، وقد أخذ بها الاستاذ بطرس البستاني في كتابه ( أدباء العرب في الأعصر العباسية ) وبرهن على وجاهتها بقول أبي تمام في قصيدة مدح بها الحسن بن سهل الذي وزر للمأمون من سنة ( ٢٠٢ ) هـ الى سنة ( ٢٠٣ ) هـ :

ست وعشرون تدعوني فأتبعها الى المشيب ولم تظلم ولم تحب  
ويلاحظ الاستاذ بطرس أنه لا مجال للقول ان أبا تمام مدح الحسن ابن سهل بعد سنة ( ٢٠٣ ) هـ أي بعد تنحيته عن منصبه ، لأنه لم ينسح عن الوزارة الا بسبب اختلال عقله هذا الى انه من المرجح أن

يكون أبو تمام قد مدح الحسن بن سهل بهذه القصيدة قبل استيزاره  
لأنه ليس فيها ما يشير الى وزارته اذ على هذا يكون القول بأن أبا تمام  
ولد سنة ( ١٧٢ ) هـ أقرب الاقوال الى الصواب .

وليست نشأة أبي تمام أكثر وضوحاً من تاريخ ميلاده فقد قيل  
إنه نشأ بمصر (٤) وقيل بل انه نشأ في دمشق حيث بدأ حياته عاملاً صغيراً  
في حانوت حائك (٥) وعندى انه نشأ في دمشق وانه رحل الى مصر  
عندما بات في مقدوره ان يفعل ذلك . واكبر الظن أنه قام بهذه الرحلة  
وهو ابن سبع عشرة سنة . فقد أشار إليها في رائيته التي مدح بها أهل  
البيت ( عليهم السلام ) بقوله :

وان تكيرا ان يضيق بمن له عشيرة مثلي أو وسيلته مصر (٦)  
اما كونه ابن سبع عشرة سنة وقت نظمه هذه القصيدة فيدل عليه  
قوله فيها :

وان الذي احذاني الشيب للذي رأيت ولم تكمل لي السبع والعشر (٧)  
ولا مجال للقول بأنه ذهب الى مصر في صحبة ابيه فانه يحمل  
نفسه تبعة القيام بهذه الرحلة الفاشلة . حيث يقول :  
نأيت فلا مالا حويت ولم أقم فامتع اذ فجعت بالمال والاهل  
وحيث يقول في نفس القصيدة :

بخلت على عرضي بما فيه صونه رجاء اجتناء الجود من شجر البخل  
والظاهر ان سبب رحيل ابي تمام عن الشام هو عدم تقدير مواطنيه

(٤) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٢٣ طبع المطبعة الميمنية بمصر .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) فاعل يضيق هو الدهر المذكور في بيت سابق .

(٧) احذاني : أعطاني .

اياه حق قدره ، فقصده مصر ظنا منه أنه سيلقى فيها شيئا غير قليل  
من العطف والتشجيع • ولكن الظروف شاءت أن تعاكسه في مصر كما  
عاكسته في الشام ، فلم يلق في وادي النيل ما كان يتوقع من تكريم  
وترحيب • فشكا خيبة أمله وسوء مغبة عمله في لاميته التي تقدم  
بعضها والتي أروي لك منها الآن هذه الايات :

لقد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طالع سعد ولا طائر سهل  
وساوس آمال ومذهب هممة مخيمة بين المطية والرحل  
وسورة علم لم تسدد فأصبحت وما يتمارى انها سورة الجهل

وقد طال مكث أبي تمام بمصر على الرغم من انه لم يجد فيها  
عملا سوى سقاية الماء في الجامع • فهو يحدثنا في لاميته التي رويت لك  
مثلا منها أنه قضى في مصر خمسة أعوام وبعض عام :

أخمسة أحوال مضت لمغيبه وشهران، بل يومان ثكل من الثكل

وليس هناك ما يدل على أنه ترك مصر على أثر نظم هذه القصيدة  
بيد أنه مما لا شك فيه أنه بدأ تطوافه في الآفاق وهو في عنفوان شبابه •  
وقد قلت لك انه مدح الحسن بن سهل وزير المأمون في السادسة  
والعشرين من عمره ، وأقول لك الآن إن هذا يعني أنه زار بغداد  
وغيرها من الحواضر الاسلامية الكبرى وهو في تلك السن ، لأنه لو  
أرسل مدحته إلى الحسن بن سهل في البريد لجازف بالجائزة التي  
لولاها لما نظمت القصيدة • والغريب أن أبا تمام لم يمدح المأمون مدة  
خلافته بأكثر من قصيدتين اثنتين • ولعل هذا ناشيء عن عدم اهتمام  
المأمون به •

ومهما يكن من شيء فقد سطع نجمه في أيام المعتصم الذي بلغ

من عنايته به أن أستصحبه في غزوة عمورية ثقة منه بقدرته على تصوير  
عظائم الامور وجلائل الأعمال ورغبة في تمكينه من وصف موافقه  
الباسلة المشرفة بشعره الخالد • ولقد صدق أبو تمام ظن خليفته به  
فوصف ظفره الباهر في عمورية ببائته الشهيرة التي تعد بحق غرة  
ديوانه • وله فيه عدا هذه البائية سبع مدائح بليغة ، وكافت منزلة  
أبي تمام عند محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم وأحمد بن  
أبي دواد قاضي قضائه عظيمة أيضاً • إلا أن هذا لم يمنع من النطواف  
في الآفاق وانتجاع ولاية الأقاليم وأمراء الشعوب بالمديح • ولهذا التجوال  
في الارض أسباب خلقية ونفسية سأعرض لها عند الكلام على أخلاق  
المترجم • وممن قصدهم أبو تمام بمديحه عبد الله بن طاهر في خراسان،  
وخلد بن يزيد بن مزيد في أرمينية - ، ومحمد بن يوسف المعروف  
بالثغري في الثغور - أستغفر الله - بل إن الأخير هو الذي خطب  
مودة أبي تمام والتمس مديحه • ولم يستقبل صاحبنا في بلد من  
البلدان بأسوأ مما استقبل به في البصرة ، فقد كتب اليه شاعرها  
عبد الصمد المعروف بابن المعدل عندما بات على مقربة منها هذه  
الآيات :

أنت بين اثنتين تبرز لنا      س وتلقاهم بوجه مذل  
لست تنفك راجباً لوصل      من حبيب أو راغباً في نوال  
أي ماء يبقى لوجهك هذا      بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال ؟!

فعدل عن قصده وقال : لقد استولى هذا على ما يليه ، فلنتركه  
وشأنه » • وقد انتهى تطواف أبي تمام بتعيينه والياً على بريد الموصل •  
عينه والياً عليه الحسن بن وهب كاتم سر محمد بن عبد الملك الزيات ،

نقضى في هذا المنصب نحواً من سنتين • وتوفي في مقر عمله •  
وكما يختلف الرواة في سنة مولده يختلفون كذلك في سنة وفاته •  
فمن قائل انه توفي سنة ( ٢٢٨ ) هـ ومن قائل انه توفي سنة ( ٢٣١ ) هـ  
ومن قائل انه توفي سنة ( ٢٣٢ ) هـ ، وليس لدينا الآن ما يحملنا على  
ترجيح أحد هذه الأقوال والشيء الذي لا نزاع فيه هو أن المترجم  
توفي في خلافة الواثق ، لأنه مدحه وهنأه بالخلافة ولم يفعل مثل ذلك  
مع المتوكل • ومن المعلوم أن خلافة الواثق تمتد من سنة ( ٢٢٧ ) هـ  
الى سنة ( ٢٣٢ ) هـ •

### ب - صفاته :

وأبرز صفات أبي تمام : المجون ، والتبذير ، والغلو في الاستجداء ،  
وحب الاسفار ، وحدة الذكاء ، وقوة الحافظة •  
بدأ أبو تمام حياته فقيراً معدماً ، ولكنه كان يشرب الخمر مع  
ذلك • تدلنا على هذا لأميته التي شكها فيها خبيته في السفر إلى مصر  
والتي يقول فيها :  
وكأسٍ كمعسول الأمانى شربتها ولكنها أجلت وقد شربت عقلي  
وليس في ذلك ما يدعو الى الاستغراب ، فكثيرهم الفقراء الذين  
يزيدون فقرهم باتفاق ثمن الخبز في سبيل « أم الخبائث » زاعمين انها  
تسري عنهم أحزانهم وتنسيهم همومهم • الا أن أبا تمام كان يسرف  
أحياناً في استعمال الشراب • فيشرب حتى يفقد صوابه • ويحمل على  
أكتاف الرجال الى منزله • ويسأل في اليوم التالي عما جرى له في أثناء  
غلبة السكر على عقله • ! ومن أصدق الشواهد على ذلك آياته النونية

التي كتب بها الى الحسن بن وهب على أثر حادثة من هذا القبيل  
ومطلعها :

أفيكم فتى حرّ فيخبرني عني ؟ بما شربت مشروبة الراح من ذهني؟!  
وكان الى هذا يتسرى الجواربي والغلمان مع أنه رب أسرة له  
زوجة وله أولاد . وكانت هذه الحياة المعقدة الماجنة تضطر أبا تمام  
إلى الاتفاق الكثير ، فكان ينفق كل ما يصل الى يده من جوائز ممدوحيه  
ويسألهم المزيد ، ويلحف في المسألة اذا هم أعاروه أذناً صماء . ومن  
الطبيعي أن ذلك يفضي إلى نفورهم منه . واعراضهم عنه . والى  
معاتبته لهم في كثير من الأحيان . ولك أن تتصفح باب العتاب في  
ديوانه لترى أنه عاتب أكثر ممدوحيه برأ به وأشدهم عظماً عليه . فقد  
عاتب عتاباً مرة أبا دلف العجلي الذي أجازته على بائته التي مطلعها :  
على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب  
بخمسين ألف درهم . وعاتب احمد بن أبي دواد الذي اضطر  
بعد منحه اياه الجوائز السنوية الى أن يشبهه على مدائحه الأخيرة له  
بالشكر فقط . وعاتب مراراً عديدة أبا سعيد الثغري الذي دعاه وهو  
نضو أسفار الى الإقامة في كنفه اعجاباً بشعره أو تكريماً له لأنه طائي  
مثله ، وغمره بالعطاء حتى مدحه بتسع وعشرين قصيدة . أكثرها من  
غرر شعره . وعندني أن الرسالة التي زعم أبو تمام أنها وردت عليه  
من أهله وجعلها سبباً لاستئذانه من أبي سعيد انما كانت مفتعلة (٨) .  
والحقيقة هي أن أبا تمام أدرك نفور أبي سعيد منه وضيقه به فعوّل

(٨) أشار أبو تمام الى هذه الرسالة ووصفها بالخطورة في أبيات  
كتب بها الى أبي سعيد مطلعها :

يامن به يفتخر الفخر ومن به يبتهج الشعر

على مفارقتة بهذه الطريقة •

وليس من شك في أن الرجل مفضول على المجازفة وحب التجوال في الآفاق تشهد بذلك أسفاره العديدة البعيدة المدى التي بدأها وهو ابن سبع عشرة سنة والتي قضت عليه أن يموت في دار غربة بعيداً عن أهله وأخوانه • إلا أنه يخيل اليّ أن حياة السرف التي كان يحيها والتي كانت تستدعي نفقات طائلة لا ينوء بعينها ممدوح مهما كثر ماله وغزر عطاؤه كانت عاملاً قوياً أيضاً في ركونه إلى الأسفار والتنقل من بلد إلى بلد رغبة في أن لا يتقل على أحد وعملاً على أن لا يبرم به ممدوح ، وعلى هذا بنى بيتيه الشهيرين اللذين ان صحا على أحد فانما يصحان عليه وهما قوله :

وطول مقام المرء في الحي مخلق لدياجتيه ، فاعترب تتجدد  
ألم تر أن الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد!؟

بيد أنه كان حاضر البديهة سريع الخاطر حاد الفطنة حدة شديدة • قال له أبو العميش يوماً : « يا أبا تمام ، لم لا تقول ما يفهم؟! » فأجابه على الفور . وأنت ، لم لا تفهم ما يقال؟! » • وما أظنك تجهل نقد أبي اسحق الكندي الفيلسوف قوله في الحمد بن المعتصم •

أقدم عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

وأجابته له على الفور بقوله :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس  
فأله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

ومثل ذكاء أبي تمام في شدته وقوته ، حفظه ، قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب عدا القصائد والمقطعات • وقد يكون



في هذا شيء من المبالغة ، إلا أننا نستطيع أن نتبين منه الى حدٍ ما كثرة حفظ أبي تمام وغزارته • ومن يدري لعل « الحماسة » و « الاختيارات من شعر الفحول » و « فحول الشعراء » خير ما حفظ لا خير ما قرأ •

### ح - مذهبه السياسي الديني :

ولكن ، الأبي تمام رأي في السياسة ؟ وبعبارة أخرى : أهو عباسي أم علوي أم خارجي ؟ !

إننا إذا سألنا شعره عن هذا أنبأنا أنه كان علوياً متطرفاً في فجر حياته • الا أنه لم يلبث أن عمد الى الكتمان والمصانعة ( فلبس لكل زمان لبوساً ) وواجه كل فئةٍ بالوجه الذي تقبله وتميل اليه • وقد سبق أن أشرت في هذا الفصل الى رأيته التي مدح بها أهل البيت عليهم السلام وهو ابن سبع عشرة سنة •

وأضيف الآن الى ما تقدم أن هذه القصيدة تتضمن بحثاً مسهباً لموقف جمهور المسلمين من أهل البيت • ففي اعتقاد المترجم أن كثرة المسلمين لم تحفظ عهد الرسول في آله • ولم ترع حقه في ولده • فسلبتهم حقهم وأحلت غيرهم محلهم من الأمر والنهي ، بل انها فعلت بهم « أفاعيل أدناها الخيانة والغدر » • ويحدثنا هذا الغلام أنه ربما سهر الليل حتى الصباح مفكراً في أمر الناس متأملاً في انحرافهم عن جادة الصواب باحثاً عن الوسائل التي تمكنه من إرشادهم وهدايتهم والخروج بهم من الظلمات الى النور • ولكنه ينتهي الى القول بأنه إذا كان الوحي لم يهدهم سواء السبيل فما عسى أن يصنع الشعر ؟ ! • الا أن هذه الحدة في الرأي خفت كثيراً مع الزمان حتى أصبح أبو

تمام علويًا مع العلويين وعباسيًا مع العباسيين • فهو يقول مثلاً في مديح محمد بن عبد الملك الزييات • العلوي برأيه • والعباسي بعمله : وزير حق ، ووالي شرطة ، ورجا ديوان ملك ، و (شيعي) ، ومحتسب ويقول في أبي سعيد الثغري • العباسي برأيه وعمله على السواء : فلو صح قول الجعفرية بالذي تنص من الالهام خلناك ملهما وهكذا يتطور رأي أبي تمام في الدين والسياسة كما يتطور كل شيء في حياته الأدبية والمادية •

#### د - شعره :

لأبي تمام ديوان متوسط الحجم طبع في بيروت ومصر عدة طبعات يحتوي على الغزل والمديح والفخر والوصف والرثاء والعتاب والهجاء والوعظ • وما أريد أن أقف عند غزل أبي تمام • لأنه لا يمثل شعوراً حقيقياً أو عاطفة صادقة ، وهو إن مثل شيئاً فانما هو العبت والمجون • وما أريد كذلك أن أقف عند عتابه أو وعظه لأنه ليس في هذين البابين ما يستوقف الباحث • ولكنني سأتحدث اليك عن أبواب ديوانه الأخرى مبتدئاً بفخره لأنه أقل متعة وفائدة من غيره فيما أظن •

فخره : يعالج أبو تمام في فخره أربعة مواضيع لا يكاد يتعدها إلى غيرها هي : شعره ، وأسفاره ، وأخلاقه ، ونسبه • فكثيراً ما باهى بروائعه وبدائعه ووصفها بأنها ( شديدة الأسر ) ( سالمة من الأقواء )<sup>(٩)</sup> والسناد<sup>(١٠)</sup> ( منزهة عن السقط ) ( مكرمة عن المعنى المعاد )<sup>(١١)</sup>

(٩) الأقواء : هو المخالفة بين القوافي من حيث الاعراب .

(١٠) السناد : هو اختلاف ما قبل الروي من حرف .

(١١) يخيل اليّ ان أبا تمام يفلو في هذا بعض الشيء . اذ الواقع

وهو يشبهها ( بالوشي المنمنم ) مرة و ( بالدر المطلي بالشدرد ) تارة ،  
وينعتها ( بالسحر الحلال ) ، ويعدها أحياناً طعنات نافذة وضربات  
قاصمة • وعلى الجملة هي خير ما تفتقت عنه قرائح الشعراء ونطقت به  
ألسنتهم • ومن جميل فخره في هذا الباب قوله :

خذها مغربة في الأرض آنسة بكل فهم غريب حين تغترب  
من كل قافية فيها إذا اجتنت من كل ما يشتهي المدنف الوصب  
الجد والهزل في توشيع لحمتها والنبل والسخف والأشجان والطرب  
لا تستقي من حفير الكتب رونقها ولم تزل تستقي من بحرها الكتب  
حسبية في صميم المدح منصبها إذ أكثر الشعر ملقى ما له حسب  
وأما أسفاره فأنها تلعب دوراً خطيراً في فخره • وهذا على الرغم  
من أنها كانت مبعث شقائه ومثار شكاته في كثير من الأحيان • وهو  
يفخر بها لأنه يعتبرها رمز نشاطه ومظهر حيويته ودليل مضاء عزيمته  
وعلو همته ، وهي من هذه الناحية مبعث فخر كما يظن لولا أنها كانت  
دائماً وسيلة للاستجداء وسبباً للتكسب بالمدح • والغريب أن أبا تمام  
لا يبتكر شيئاً في هذا الضرب من الفخر على شدة ولعه به • وإنما يقلد  
على الدوام تلك الصورة الجميلة التي رسمها أبو نواس لنفسه ولزوجته  
في رائيته التي مطلعها ( أجارة بيتينا أبوك غيور • الخ ) والتي لم  
يبتكرها أبو نواس بدوره وإنما اقتبسها من بشار وقد أشرت إلى ذلك

أنه مولع بالتكرار ولماً شديداً . فقد كرر وصف بكاء زوجته لسفره  
وتعزيتة إياها تكراراً يبعث على السأم . وكرر كذلك وصف مواقف أبي  
سعيد الثغري في فتنه بابك الخرمي تكراراً مملاً وربما كرر طرق الموضوع  
الواحد في القصيدة الواحدة ومن أمثلة ذلك وصفه نعمة المعتصم عند  
الافشين ، ونفاق هذا في اظهاره الاسلام واسراره الكفر في رائيته الشهيرة  
مرتين تغني أولاهما عن الثانية تماماً .

عند الكلام على حياة بشار • ولكنه هذبها وحسنها فكان أحق بها  
منه واليك مثلاً من فخر أبي تمام بأسفاره ، قال :

خذي عبرات عينك، عن زماعي      وصوني ما أذلت من القناع  
أقلي ، قد أضاق بكالك ذرعي      وما ضاقت بنزالة ذراعي  
أآفة النحيب كم افتراقٍ      ألم ، فكان داعية اجتماع  
وليست فرحة الأبواب الا      لموقوفٍ على ترح الوداع  
وأكثر ما يلفت نظر أبي تمام من أخلاقه • صبره وعلو همته ،  
فهو يفخر بهما دائماً • وعندني أنه صادق في هذا الفخر كل الصدق ،  
فلو لم يكن عالي الهمة لما هجر وطنه دمشق طلباً للرزق وهو غلام لم  
يشتدّ ساعده بعد • ولم يقو على مقارعة الخطوب ، ولو لم يكن على  
جانب كبير من الصبر ورباطة الجأش لما صبر على مكابدة تلك الاحوال  
التي كانت تتقاذفه من مصر الى بغداد الى أرمينية الى خراسان الى  
غيرها من بلاد الله الواسعة • ومن طريف فخره بماله من عالي الهمة  
قوله :

أبدت أسي ان رأيتني مخلص القصب      وآل ما كان من عجب الى عجب (١٢)  
ست وعشرون تدعوني فأتبعها      الى المشيب ولم تظلم ولم تحب (١٣)  
يومي من الدهر مثل الدهر مشتهر      عزما وحزما وساعي منه كالحق (١٤)  
فأصغري أن شيباً لاح بي حدثاً      وأكبري أنني في المهدي لم أشب  
فلا يؤرفك ايماض القتير به      فان ذاك ابتسام الرأي والادب (١٥)

- (١٢) أخلص الشعر : شاب او اختلط بياضه بسواده . القصب  
جمع قصبه - أو هي محرقة - وهي الخصلة الملتوية من الشعر .  
(١٣) لم تحب : لم تصنع حوباً أي اثماً .  
(١٤) الساع : جمع ساعة . والحقب جمع حقبة وهي المدة غير  
المحدودة من الزمن .  
(١٥) القتير : أوائل الشيب .

أما في الصبر فحسبي أن أروي لك قوله :

إذا أناخ عليَّ الدهر كلِّكـه      قراه صبرا وعزما مني اللكرم (١٦)  
وان علتني من أزماته ظلم      صبَّرت نفسي حتى تكشف الظلم  
ولقبيلة الشاعر مكانها اللائق بها في شعره ، ومن رأيه انها اكبر  
القبائل شأنا وأعلاها منزلة وأعزرها جوداً وأشدّها بأساً \* ( أمردها  
كهل ) لرجاحة عقله وحصافة رأيه ، ( وأشيىها حبر ) لسعة علمه وغزارة  
فضله ، ومن معتدل فخره بقبيلته قوله :

أنا ابن الذين أسترضع الجود فيهم      وسمي فيهم وهو كهل ويافع (١٧)  
سما بي أوس في السماح وحاتم      وزيد القنا والأثرمان ونافع  
وكان إياس ، ما إياس ونافع ،      وحرثة ، أوفى الورى ، والأصابع

مضوا ، وكان المكرمات لديهم ،      لكثرة ما أوصوا بهن ، شرائع

هم استودعوا المعروف محفووظ مالنا      فضاع وما ضاعت لدينا الودائع

أصارت لهم أرض العدو قطائعا ،      نفوس لحد المرهفات قطائع  
بكل فتى ما شاب من روع وقعة      ولكنه قد شبن منه الوقائع  
إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر      أعارت عليهم فاحتوته الصنائع  
فتعطي الذي تعطيهم الخيل والقنا      أكف لا رث المكرمات موانع  
وصفه : أدل من فخر أبي تمام على سعة خياله وخصب قريحته

(١٦) الكلكل : هو الصدر ومقدم العنق .

(١٧) اليافع : هو الغلام المراهق للعشرين : وكان الصواب أن يقول

« وهو يافع وكهل » إلا أن القافية حالت بينه وبين ذلك .

وصفه الحافل بالصور الصادقة والمشاهد الرائعة • وأول شيء يلاحظ في هذا الوصف هو أن الطبيعة تحتل المكان الأول منه • ولك أن تقرأه لتتبين فيه دويّ الرعد ولمعان البرق وهطول الأمطار وابتسام الروض • وليس أبو تمام أول من فعل هذا في الأدب العربي ، ولكنه ربما كان أول من أحب الطبيعة حبا حقيقيا ووصف بعض ظواهرها وصفاً يكاد يكون غزلاً ، اسمع قوله :

ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثري المكروب  
لو سعت بقعة لاعظام نعمى لسعى نحوها المكان الجديب  
لذ شؤبوبها وطاب فلو تسطيع قامت فعانقتها القلوب (١٨)  
فهي ماء يجري وماء يليه وعزالي تنشأ وأخرى تذوب  
كشف الروض رأسه واستسر الـ محل منها كما استسر المريب  
فاذا الري بعد محل وجرجا ن لديها ييرين او ملحوب (١٩)  
أيها الغيث حي أهلاً بمغدا ك وعند السرى وحين تؤوب  
فقد لا أخطيء اذا لاحظت ان أبا تمام أول من وجد في شؤبوب  
الغمام لذة تكاد تحمل القلوب على معانقته • وقد لا أخطيء اذا لاحظت  
أن أبا تمام أول من رحب بالغيث على النحو الذي نجده في هذا البيت:  
(١٨) من هذا القبيل قول أبي تمام في ارجوزة مطولة يصف بها  
سحابة :

لما بدت للارض من قريب تشوقت لوبلها السكوب  
تشوق المريض للطبيب وطرب المحب للحبيب  
وفرحة الاديب بالاديب

وبهذه المناسبة أحب ان أقول : ان لابي تمام شعراً كثيراً في وصف الامطار أكثره في باب الوصف من ديوانه .  
(١٩) يدل هذا البيت على أن أبا تمام يعتبر شبه جزيرة العرب مضرب المثل في الخصب وجودة التربة مع أنها ليست كذلك في الحقيقة .

أيها الغيث حي أهلاً بمغداك وعند السرى وحين تئوب  
وقد لا أخطيء كذلك اذا لا حظت أن أبا تمام أول من تحدث عن  
الغيث بهذه اللهجة التي تدل على الاعجاب مرة ، وعلى الاعظام تارة ،  
وعلى الحب والحب الشديد طوراً ، والذي أستنتجه من هذا هو أن  
أبا تمام يفهم جمال الطبيعة فهماً تاماً ويهيم بها هياماً تاماً : فهو يفهم  
جمالها اذا تلتفت السماء بالسحاب ، وغمرت الارض هو اطل الامطار ،  
وهو يفهم جمالها اذا حسرت السماء رداء السحاب ، واخذت الشمس  
المشرقة تنشر النور والدفء والخصب في الأرض :

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يمطر  
غيثان فالأنواء غيث ظاهر لك حسنه والصحو غيث مضمّر  
وهو يفهم جمالها كذلك اذا تبسم النور واختلط لونه الفضي  
بشعاع الشمس الذهبي ، ونشأ عن اختلاطهما ما يشبه نور القمر في  
لطفه وسجوه وسحره وايجائه :

يا صاحبي تقصياً نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصوّر  
تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر  
على أن هذا الفهم الدقيق الذي يلهم أبا تمام روائع الغزل بالطبيعة  
يستثير في قلبه كوامن الايمان أحياناً فيملأ نفسه خشوعاً ولسانه تسبيحاً  
فاذا هو يهلل الخالق الأعظم ويكبره ويقدهه ويمجده ، واذا هو  
يستخرج العبر البليغة مما يرى من مشاهد الطبيعة وما يطراً عليها من  
نمو وازدهار وذبول وانحلال ، اسمع قوله في وصف الزهر واختلاف  
ألوانه :

من فاقع غضّ النبات كأنه درر تشقق قبل ثم تزعفر

أو ساطع في حمرة فكأنما يدنو اليه من الهواء معصفر  
صبغ الذي لولا بدائع لطفه ما عاد أصفر بعد اذ هو أخضر

وقوله مشيراً الى انتهاء زمن الربيع وذبول أزهاره :

عجبت من ذي فكرة يقظان رأى جفاف زهر الغيطان (٢٠)  
فشك أن كل شيء فان

وكما يجيد أبو تمام تصوير الطبيعة ، يجيد كذلك وصف غيرها  
من الاشياء ، من ذلك وصفه القلم في قصيدة يمدح بها محمد بن  
عبد الملك الزيات وها هو :

لك القلم الأعلى الذي بشباته تصاب من الأمر الكلى والمفاصل  
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه

وأري الجنى اشتارته أيد عواسل (٢١)  
له ريقة طل ولكن وقعها بأثاره في الشرق والغرب وابل  
فصيح اذا استنطقته وهو راكب وأعجم ان خاطبته وهو راجل  
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت

عليه شعاب الفكر وهي حوافل (٢٢)  
أطاعته أطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل  
فليس من شك في أن هذه الايات صورة صادقة لقلم تتعلق  
مصائر الناس بشقيه ، فيقضي على من يشاء منهم بالويل والشبور \*

(٢٠) في طبعة الديوان المنجزة ببيروت تحت إشراف محي الدين  
الخياط : « رأى جفون زهر الالوان » واكبر الظن ان الصواب ما أثبتناه .  
(٢١) الارى : العسل . الجنى : القطف . اشتارته جنته .  
(٢٢) الشعاب : مجاري الماء . حوافل : ممتلئة .



ويقضي لمن يشاء منهم بالرزق الواسع والجاه العريض • يشير بالحرب  
فاذا هي شعواء تلتهم الاموال والارواح التهاما • ويشير بالسلم فاذا  
هي نامية زاهرة عميمة الخيرات عظيمة البركات • على أنه لم يكن  
رسول حول وطول فحسب ، بل انه رسول فطنة نافذة • وحكمة بالغة  
وتجربة كلها توفيق وسداد • وقس على ما تقدم من وصف أبي تمام  
تصويره لكثير من الأشياء التي نبهت حسه وألهمت خياله واستوحت  
شاعريته •

رثاؤه : أما رثاء ابي تمام فمن الممكن ان يقسم الى مطبوع  
ومصنوع • وهو في الاول قوي العاطفة صادق الشعور حاد الألم •  
وفي الثاني صاحب صناعة يحسن اختيار المعاني وانتقاء الألفاظ ويجيد  
صقل الديباجة على الاكثر واقول على الاكثر لأنه يسف أحياناً في هذا  
النوع من رثائه اسفافاً لا يكاد يصدق ، فليس من السهل ان تتصور  
أن القائل :

فتى سلبته الخيل وهو حمى لها      وبزته نار الحرب وهو لها جمر

هو الذي يقول :

مضى خالد بن يزيد بن مزيد      قمر الليل شمس الضحياء

وأن القائل :

يود اعداؤهم لو انهم قتلوا      وأنهم صنعوا بعض الذي صنعوا

هو الذي يقول :

ولم انس سعي الجود خلف سريره      بأكسف بال يستقيم ويظلمع

وتكبيره خمساً عليه معالناً وان كان تكبير المصلين أربع  
هذا الى أن اعراب البيت الثاني غير مستقيم اذا أستقام معناه  
لأن المعقول في اعرابه هو أن تكون ( تكبير ) اسم كان و ( اربع )  
خبرها لا العكس كما يريد أبو تمام أو كما تريد له الضرورة الشعرية •  
ولكن إن كانت الصنعة قد غلبت على هذا الجانب من رثاء أبي تمام ،  
وان كان الاسفاف قد تطرق اليه في أماكن كثيرة بسبب عدم إخلاصه  
فيه • فان له رثاءً تتفجر من ثناياه الدموع • وتجيش في طياته  
الحسرات • وتتردد خلال كلماته الأنفاس الحارة ، فضلاً عن أنه مثل  
رائع في النفاسة والجودة ، هذا الرثاء هو رثاؤه لولده ولاحوته ولآل  
حميد الذين تجمع بينه وبينهم رابطة النسب • وأنت إذا تأملت هذا  
الرثاء رأيت أنه صورة صادقة لما نزل بالشاعر من فجائع وكوارث في  
أهله الأقربين والأبعدين ولما يجيش في صدره من عواطف وأحاسيس ،  
ولما يعتلج في نفسه من اشجان وآلام • فهذه قصيدة بل عدة قصائد  
تصف إقدام آل حميد وشهامتهم وثباتهم وبسالتهم وركوبهم متون  
الأخطار دفاعاً عن المملكة الاسلامية وورود كل منهم حتفه في هذا  
السييل • وهذه قطعة تذكر فقدان الشاعر طائفة من ولده وإخوته في  
سنة واحدة ، وتشير إلى شماتة أعدائه به والى صبره على ما يلقي من  
عنت الخطوب ، وهذه أخرى تصور مالقى أخ له من أهوال الاحتضار  
بمنظر منه ، وهكذا • وليس من شك في أن رائية أبي تمام الشهيرة  
التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي ، ابلغ رثائه واحسنه • اليك  
منها هذه الأبيات :

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر ان فاته النصر

وما مات حتى مات مضرب سيفه  
وقد كان فوت الموت سهلا فرده  
ونفس تعاف العمار حتى كأنما  
فأثبت في مستنقع الموت رجله  
غدا غدوة والحمد نسج ردائه  
تردى ثياب الموت حمراً فما دجى  
كأن نبي نبهان يوم وفاته  
يعزون عن ثاو تعزى به العلى  
وانى لهم صبر عليه وفاد مضى  
مهما نقل في تقرىض هذه القصيدة فاننا لن نبلغ من ذلك مبلغ  
أبي دولف العجلي الذي قال لأبي تمام وهو يشير إليها ( لوددت انها  
لك في ) وعندما قال له أبو تمام ( بل أفدي الأمير بنفسى ) أجابه  
( ما مات من رثي بهذا الشعر ) \*

\* \* \*

مديحه : ومهما يكن من جودة رثاء أبي تمام فان مديحه أحسن  
شعره وأجوده كما أنه أكثره أيضا • بيد أنه مما يؤسف له ان أبا تمام  
لا يتوخى الحقيقة ولا يلتزم الصديق في مديحه وإنما يمدح الناس بما  
يعجبهم أن يمدحهم به وبما يعجبه هو أيضاً ان يمدحهم به • ولسنا  
نظلم أبا تمام عندما نشهد عليه بالكذب فهو يقول لعمر بن طوق التغلبي  
بصريح العبارة :

ومتى مدحت سواك كنت متى يضق عني له صدق المقالة أكذب  
• يصرح في أهاجيه لمدوحيه القداماء بأنه كذب في مديحهم كذباً

لا غبار عليه •

وسأذكر مثلاً من اعترافه بكذبه عند الكلام على هجائه ولكن الى جانب هذه الأكاذيب التي يمتليء بها مديح أبي تمام حقائق كثيرة يفيض بها وصفه لما كان جارياً بين المسلمين والروم من نضال دائم ونزاع لا ينقطع على حدود آسيا الصغرى ، ولفتنة بابك الكبرى التي استفحل أمرها حتى شملت أذر بيجان كلها ودامت نحواً من عشرين سنة وقضت على عدد غير قليل من جنود السلطان وقواده ، ولحوادث سياسية أخرى • وغني عن البيان أن موقف أبي تمام من حيث هو شاعر متكسب تهمة الجائزة ويستهو به رضا الممدوح لا يسمح له أن يبحث دائماً عن الحقيقة وأن يقررها كائنة ما كانت • فقد مدح الأفسخين في أيام حظوته عند المعتصم ، مديحاً رفعه به إلى منزلة الأبطال وعدّه رجلاً القضاء على فتنة بابك الخرمي (٢٣) ، ولكنه هجاه أفضح هجاء عندما خانته الحظ وحل عليه غضب المعتصم • الا أنه - أعني أبا تمام - لا يتردد في تقرير الحقيقة اذا اتفقت ومصالحة الممدوح ، وأنت اذا تأملت بائيته في فتح عمورية ولا ميته التي هنا فيها المعتصم بقمع فتنة بابك والتي مطلعها : -

آلت أمور الشرك شر مآل وأقرّ بعد تخمط وصيال (٢٤)  
رأيت أنه حريص كل الحرص على عرض حقائق الأشياء كما هي ،  
وسبب ذلك أنها تتفق ومصالحة ممدوحه ورغبته كل الاتفاق ، وقل مثل  
ذلك في إطرائه مواقف أبي سعيد الثغري في منازل الروم ومناهضة

(٢٣) الخرمي : نسبة الى الخرمية وهي طائفة من الفرس تدين  
بالتناسخ والاباحية .  
(٢٤) التخمط : التكبر .

بابك الخرمي • على ان قيمة مديح ابي تمام ليست في تمثيله حقائق  
الحرب والسياسة فحسب • وإنما هي في دقة معانيه وفصاحة ألفاظه  
وجودة أدائه ، اسمع قوله في وصف إحراق عمورية :

لقد تركت أمير المؤمنين بها للنار يوماً ذليل الصخر والخشب  
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى يقله وسطها صبح من اللهب  
حتى كأن جلايب الدجى رغبت عن لونها أو كأن الشمس لم تغب  
ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شجب  
فالشمس طالعة من ذا ، وقد أفلت والشمس واجبة في ذا ولم تجب (٢٥)

وقوله في وصف بلاء أبي سعيد الثغري في سبيل القضاء على فتنة

بابك الخرمي : -

أنهبت أرواحه الأرماع اذ شرعت فما ترد لريب الدهر عنه يد  
كأنها وهي في الاوداج والغة وفي الكلى ، تجد الغيض الذي تجدد  
من كل أزرق نظار ، بلا نظر ، الى المقاتل ، ما في متنه أود  
كأنه كان ترب الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كبد

وقوله واصفاً سطوة أبي سعيد أيضاً في بلاد الروم :-

لمّا لقوك تواكلوك وأعدورا هرباً فلم ينفعهم الاعذار (٢٦)  
فهناك نار وغى تشب ، وههنا جيش له لجب وثم مغار (٢٧)  
خشعوا لصولتك التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عار  
فالمشي همس ، والنداء اشارة ، خوف انتقامك والحديث سرار

(٢٥) واجبة : غائبة .

(٢٦) تواكلوك : وكلك بعضهم الى بعض خوفاً منك .

(٢٧) اللجب : الصياح .

ان لا تنل منويل أطراف القنا أو تشن عنه البيض وهي حرار  
فلقد تمنى أن كل مدينةٍ جبل أشم وكل حصن غار  
فلا نزاع في أن في هذه المثل ، وهي قل من كثر من محاسن  
مديح أبي تمام ، من دقة التفكير وجمال التعبير وصفاء الديباجة ما  
يرفعها إلى أسنى مراتب الكلام .



هجاؤه : والبحث عن مديح أبي تمام يقودنا الى البحث عن  
هجائه وأقل ما يقال في هذا إنه لاذع قارص ، هدفه القضاء على سمعة  
المهجو وتمزيق عرضه تمزيقاً ، والبأسه ثوب العار والصغار الى الأبد  
سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً . هذا الى أنه غير منزه عن الفحش  
والهجر . وبعض مهجوئي المترجم هم من مسدوحيه القدماء . وقد غلا  
في هجائهم كما غلا في مديحهم . وأسرف في ذمهم كما أسرف في الثناء  
عليهم . والجائزة هي العامل الأول بل الوحيد في هذا كله لسوء الحظ ،  
وقد ينتقل خصوم أبي تمام الى دار البقاء قبل أن يشفي غليله منهم  
بالهجاء فلا يشفع لهم هذا عنده ، ولا تخطر له المغفرة على بال ، وانما  
يمضي في ذمهم والطعن عليهم كما لو كانوا أحياء يناصبونه العداة  
ويبادلونه البغضاء والشحناء ، فمن ذلك أنه هجا عياش بن لهيعة بعد  
موته ، فقال : إن القبر تضور من وجوده فيه حتى كأنه هو المقبور :  
وان منكرًا ونكيرًا فرا منه ظناً منهما أنه منكر ونكير ، ولعلي أروي  
لك مثلاً من أقسى هجاء أبي تمام وأعنفه . إذا رويت لك الأبيات التالية  
التي يهجو بها موسى بن إبراهيم الرافقي وكان قد مدحه :

أمويس لا تفن اعتذارك طالباً  
هب من له شيء يريد حجابه  
ما إن سمعت ولا أراني سامعاً  
من كان مفقود الحياء فوجهه  
ما زال وسواسي لعقلي خادعاً  
ما كنت أدري لا دريت ، بأنه  
عفوي فما بعد العقاب عتاب  
ما بال لا شيء عليه حجاب ؟  
أبدأً بصحراء عليها باب !  
من غير بواب له بواب  
حتى رجا مطراً وليس سحاب  
يجري بأفنية البيوت سراب

عجباً لقوم يسمعون مدائحي  
نبزوا بكذاب مسيلمة فقد  
هتكت ديني فاستترت بتوبة  
لك لم يقولوا قم فأنت مصاب  
وهموا وجاروا ، بل أنا الكذاب  
فأنا المقرئ بذنبه التوباب

\*\*\*

فالرافقي كما تصوره هذه الأبيات لا شيء • بل هو صحراء  
قاحلة • بل هو رجل لا حياء له أما مديحه فدليل واضح على جنون  
الشاعر : هذا الى أنه أشنع وأفظع من أكاذيب مسيلمة الكذاب • وهل  
بعد هذا كله زيادة لمستزيد •

\*\*\*

لغته وأسلوبه : بقي أن أقول لك كلمة في لغة أبي تمام وأسلوبه •  
والواقع أن شعره غير منزّه عن وحشي الكلام وحوشيه وأنه حافل  
بالزخارف البديعية المتكلفة (٢٨) إلا أنه فصيح اللفظ متين السبك على

(٢٨) بين النقاد المعاصرين زمرة تستحسن تكلف أبي تمام زخارف

العموم مرصع بالامثال الحكيمة التي يضربها الشاعر من حين لآخر  
تأييداً لوجهة نظره ترصيعاً جميلاً •

يحدثنا أبو تمام في قصائد كثيرة أنه يقضي الليل في تهذيب شعره  
وتنقيحه ولكن في شعره ما يناقض هذا مناقضة تامة ، فمن ذلك قوله :  
قدك اتب أريت في الغلواء كم تعذلون واقتم سجرائي

وقوله :

وأباح نصل السيف كل مرشح لم يحم ردمه من الاطفال

وقوله :

فأنت وصنواك الكريمان أخوة خلقتهم سعوطاً للأنوف الرواغم  
« فقدك اتب » - أي حسبك - و « أريت » - أي أسرفت -  
و « سجرا » - أي خطأ - كلمات غريبة اقل ما يقال فيها إنها ثقيلة  
الجري على اللسان ثقيلة الوقع في السمع و « لم يحم ر » كلمة متنافرة  
الحروف ، و « سعوط » كلمة سمجة الى الغاية • وهناك تعابير ركيكة  
منها قول أبي تمام :-

صبتحه بمدامة صبحتها بسلافة الخطاء والندماء  
أي باكرت الروضة بمدامة أسميتها بمدامة الخطاء والندماء ،  
ومنها قوله متغزلاً :

عبدك يشكو باسطاً خمسه مبتهلاً يدعو فلا تنسه

والبيت من الركاكة بحيث لا يحتاج الى تعليق •

البديع استحساناً شديداً وترى في ذلك دليلاً آخر على انه من أصل  
يوناني . فأكتفى بأن اسجل على هؤلاء النقاد انهم من أنصار التكلف •



وكان على أبي تمام أن ينزه شعره عن هذه السقطات التي لم  
نذكر منها إلا النزر اليسير • إلا أن شغفه بشعره حال بينه وبين ذلك (٢٩)  
على أنك إذا درست شعره وتأملتته رأيت أنه في جملته فصيح اللفظ متين  
السبك نقي الديباجة ، وفي ما تقدم وما سيأتي منه خير شاهد على ذلك •  
أما الزخرفة البديعية فلا شك في أن أبا تمام قد أسرف في استعمالها  
إسرافاً شديداً ، وأنها قد أدخلت الوهن بل الفساد على كثير من شعره  
فجاءت فيه الاستعارة الزائفة والطباق المرذول والجناس غير الموفق •  
فمن استعاراته الزائفة قوله :

رأي لو استسقيت ( ماء نصيحة ) لجعلته أريا من الأرياء

ومن مطابقاته المرذولة قوله :

أي قمر السماء ( سعلت ) حتى كأنك قد ضجرت من ( العلو )

ومن مجانساته غير الموفقة قوله :

أي حسن في الذاهبين تولى وجمال على ظهور الجمال  
ودلال مخيم في ذرى الخيم هم وحجل معذب في الحجال  
اذ من الجلي أن استعارة الماء للنصيحة زخرفة زائفة لأن الاستعارة

---

(٢٩) يحدثنا صاحب الاغاني أن أبا تمام انشد احد معاصريه من  
الشعراء قصيدة لم يكن فيها سوى بيت ضعيف واحد . فقال له الشاعر:  
( يا أبا تمام لو ألقىت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب . ) فقال له:  
« أنا والله أعلم منه مثلما تعلم . ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده  
فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم حلوا في نفسه . فهو وان  
أحب الفاضل لم يبغض الناقص وان هوي بقاء المتقدم لم يهو موت المتأخر )  
الاغاني ج : ١١ ص ٦ . طبعة مطبعة التقدم بمصر .

يجب أن تقوم على شبه ما بين المستعار والمستعار له • وما أظنك تجد  
هذا في استعارة أبي تمام المتقدم إيرادها ، ونعت الحبيب بالسفل  
وان كان المقصود منه مشيه على الأرض بعد امعانه في العلو تعبير  
لا يجيزه أدب الحب • وحشر الجمال والجِمال والحجل والحجال  
في تعابير جافة كالتي سبق ذكرها زخرفة لفظية لا يستسيغها قارئ له  
ذوق • وفي الامكان اعطاء أمثلة أخرى كثيرة جدا لهذه السقطات •

ولكن ان كان التعمل قد أفسد على أبي تمام طائفة من شعره  
فانه قد وافق طبعه في كثير منه فأدى الى أحسن النتائج وأفضلها ، والا  
فمن ينكر تلاؤم الطبع والصنع في قوله :

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب  
بيض الصفائح لا سود الصحائف في

متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الأرماح لامة

بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وفي قوله في نفس القصيدة :

لبيت صوتا زبطرياً<sup>(٣٠)</sup> هرقت له كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

عداك حر الثغور المستضامة عن برد الثغور وعن سلسالها الحصب<sup>(٣١)</sup>

وفي قوله واصفاً فرح العالم الاسلامي بشنق الافشين واحراقه :

رمقوا اعالي جذعه فكأنما وجدوا الهلال عشيّة الافطار

---

(٣٠) زبطري : نسبة الى زبطرة : بلدة على الحدود الرومية الاسلامية

(٣١) حصب : بارد .

واستشققوا منه قنارا نشره  
وتحدثوا عن هلكه كحديث من  
وتباشروا كتبأشر الحرمين في  
وفي قوله مادحاً المعتصم :

جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة  
أضاء لها من كوكب الحق آفله

وفي قوله واصفا الجندي العباسي :

خلط الشجاعة بالحياء فاصبحا  
كالحسن شيب لمغرم بدلال  
ففي هذه المثل تشابيه حسنة واستعارات جميلة ومجانسات طريفة  
لم تستلزم غموض معنى ولا ركافة لفظ وانما أضافت الى دقة المقاصد  
والاغراض ولطف الأداء وسلامته جمال الزخرفة البيانية التي لا تلمس  
فيها أثر التكلف . وليس من شك في أن شعر أبي تمام الذي يتعاون  
الطبع والصنع على تجويده يحتوي على أمثلة أخرى كثيرة من هذا  
القبيل .

وتسألني عن أمثال أبي تمام فأقول لك انها على جانب كبير من  
النفاسة لأنها ثمرة علم غزير وخبرة طويلة وتجربة واسعة . ولقد كان  
أبو العلاء على حق عندما وصف المترجم والمنتبي بأنهما حكيمان .  
وليس أدل على ذلك من هذه الحكم الغالية التي يرصع بها أبو تمام

(٣٢) ذفر : جيد .

(٣٣) داري : نسبة الى دارين بليدة في البحرين معروفة بتجارة  
الطيب .

(٣٤) قحم : جمع قمحة وهي السنة الشديدة الجذب .

تعره فتتضمنها قصائده حيناً وتجيء مستقلة حيناً آخر . وهي في كل حال خلاصة تفكيره ومجموعة خواطره وآرائه في الحياة والاجتماع ،  
اسمع منها قوله :

إذا المرء لم يزهد وقد صبغت له      بعصفرها الدنيا فليس بزاهد

وقوله :

محاسن أصناف المعنين جمّة      وما قصبات السبق الالمعبد

وقوله :

والسيف مالم يلف فيه صيقل      من سنخه لم ينتفع بصقال

وقوله :

ولم أر نفعا عند من ليس ضائرا      ولم أر ضرا عند من ليس ينفع

وقوله :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل      ويكادي الفتى في دهره وهو عالم  
ولو كانت الارزاق تجري على الحجا      هلكن اذن من جهلمن البهائم

وما أشك في أنك تروي قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة      طويت ، أتاح لها لسان حسود

وقوله :

وإذا أمرؤ أسدى اليك صنيعه      من جاهه فكأنها من ماله

وفوليه :

ليس العجبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

هـ - خاتمة :

كثير هو دون شك شعر أبي تمام الذي لا يغذي في هذا العصر عقلا ولا عاطفة والذي ان درس فانما يدرس لغاية تاريخية • ولكن لا تزال بين دفتي ديوانه ولا سيما في بابي الرثاء والوصف غرر ونفائس أشك جدا في أنها تموت في يوم من الايام ، أما أمثاله فكثرتها الكبرى تستحق أن تروى في كل زمان وفي كل مكان •



## الفصل الثاني

### البحثري

أ - حياته : اسمه ونسبه وكنيته • مولده ونشأته • ثقافته • ما يقال عن تخرجه على ابي تمام • مناقشته • أسفاره الاولى • ما نشأ عنها من اثرائه • هجرته الى العراق • اتصاله بالفتح بن خاقان • تقديم هذا اياه الى المتوكل على الله • حظوته عنده • برم المتوكل والفتح بن خاقان به • رضاؤهما عنه • اثره في نقل المتوكل دواوينه الى دمشق • بقاؤه في حاشيته حتى آخر ساعة من حياته • حاله على عهد المنتصر • صلاته بالمستعين • حظوته عند المعتز • صلاته بالمهتدي والمعتمد على الله • اختلافه الى سورية وتنكر هذه له • ثروته • كونها مصدر شقاء له • استرداد الحكومة جزءا غير يسير منها • وفاته •

ب - أخلاقه : بخله • اعجابه بشعره • اقدمه • وفاءه • حبه الشديد للخير •

ج - مذهبه السياسي الديني •

د شعره : جمعه وطبعه • غزله : مكان التقليد منه ، حظه من الاصاله •

حبه لعلوة • مثل من غزله فيها • مديحه : اشتماله على

صفحات اصيلة واخرى مبتذلة ، ماله من المزايا التاريخية

العديدة ، تمثيله حياة القرن الثالث للهجرة العسكرية والسياسية ، بعض ما يمثلها منه ، ماله من القيمة التصويرية ، بعض غرره في هذا الباب • رثاؤه : المتوسط. والممتاز منه • خصائص كل منهما ، مرثيته للمتوكل على الله ، تحليلها ، مرثيته لآل حميد ، مجمل القول فيها ، موقف النقاد المحدثين من رثائه • فخره : عناصره • لقاءه الذئب وقتله اياه • تصويره هذه الحادثة • وصفه : تمثيله حضارة القرن الثالث للهجرة • تصويره قصور المتوكل على الله وابنه المعتز ، وصفه ايوان كسرى • سببه والغرض منه • نقده وتحليله • بعض من جراه • براعة البحثري في وصف الطبيعة ، بعض بدائعه في هذا الباب • هجاؤه : تفاهته • مثل منه • عتابه : لطفه • ما يحمله على التلطف فيه • مثل منه • فلسفته • آراؤه في الدنيا والحياة والموت وما الى ذلك • بعض كلماته في هذا الباب • لغته واسلوبه : ما سبقت الاشارة اليه في هذا الصدد • مساوية منظومه ومحاسنه • غلبة التنافر على جزء منه • شيوع الزحاف فيه • بعض ما يؤيد ذلك • مخالفته بعض قواعد الاعراب • قدرته على تأليف الصور الشعرية • أمثاله • طائفة منها •

هـ - خاتمة - أهمية شعره : فائدة درسه وتمحيصه •

## آ - حياته :

كانت حصة طيء من القريض العربي في القرن الثالث للهجرة حصة الاسد فأبو تمام شيخ شعراء القرن • طائي ، والبحثري ثاني شعرائه في نظر عامة الرواة والنقاد طائي أيضا • وقد حدثك فيما مضى عن الطائي الاول فأحدثك الآن عن الطائي الثاني وهو الوليد بن عبيد من بحتر وبحتر بطن من طيء وكنيته أبو عبادة • ولد سنة خمس وقيل ست ومائتين للهجرة (١) بمنبج (٢) إحدى قرى حلب وبها نشأ وقرض الشعر • وكان لبادية الجزيرة وجوها النقي وسماها الصافية عظيم الاثر في ايقاظ خياله وتكوين شاعريته ، واذا صدقنا ما يقوله صالح ابن الأصبغ التنوخي المنبجي من أنه رآه يمدح « باعة البصل والباذنجان » (٣) لم يبق مجال للريب في أن المترجم سليل أسرة فقيرة خاملة •

وقد أحب في أيام شبابه فتاة حلبية اسمها علوة يظهر من غزله بها وهجوه اياها (٤) أنها فتاة فائقة الجمال الا انها ليست ممن يضرب بعفتهن المثل من بنات حواء •

والمعروف أن البحتري تخرج على أبي تمام وعنه أخذ ، ولكن

(١) تختلف كتب التراجم في تاريخ ولادة البحتري ولكن الكامل في التاريخ يجزم بأنه ولد سنة « ٢٠٦ هـ » وهو يذكر هذا عند الكلام على وفاة الشاعر في حوادث سنة « ٢٨٣ هـ » .

(٢) وقيل ب ( زردفنة ) والاول اشهر .

(٣) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٧٥ طبعة المطبعة الميمنية بمصر .

(٤) هجا البحتري علوة على الرغم من حبه لها مراراً عديدة وذلك بسبب ما كان يحدث بينه وبينها من منازعات ومشاجرات .



أمكث أبو تمام في بلد من البلدان مدة تمكنه من تخريج شاعر؟ ألم تكن حياته مجموعة اسنار متواصلة من الشام الى مصر الى العراق الى أرمينية وهلم جرا؟ •• ولنستعرض تاريخ نشأة علاقة البحتري بأبي تمام كما يحدثنا به الرواة لنرى أينسجم هذا مع القول بأن الثاني كان استاذ الاول ومخرجه؟

يحدثنا الرواة أن البحتري لقي أبا تمام أول ما لقيه في مجلس محمد بن يوسف الثغري وذلك عند انشاده اياه مدحته التي مطلعها:  
أفأق صب من هوى فأفأيقا أم خان عهدا أم أطاع شقيقا  
وهم يقولون لنا في هذه القصة ان انشاد البحتري قصيدته هذه أغضب ابا تمام لانه لم يكن بأذن منه ، فادعى أن القصيدة له وأعاد بعض أبياتها واتهم البحتري بسرقتها الى آخر ما هنالك (٥) وهم يحدثوننا من جهة أخرى أن البحتري لقي أبا تمام اول ما لقيه في مسجد حمص حيث كان الشعراء يعرضون أشعارهم عليه ، وهم يقولون لنا في هذه القصة ان ابا تمام استحسّن البحتري وفضله على سائر الشعراء (٦) وواضح أن كلتا الروايتين المكذوبتين المتناقضتين تنص على أن البحتري لقي أبا تمام أول ما لقيه وهو شاعر مجيد يمكن أن يدعي أبو تمام شعره أو أن يفضله على كل من حضره من الشعراء فكيف يتفق هذا والقول ان المترجم درس على أبي تمام وعنه أخذ؟ وشيء آخر ينبغي أن لا يعزب عن أذهاننا ، وهو أن بين ابي تمام وبين البحتري فروقا فنية لا ينبغي أن تكون بين تلميذ وأستاذه • فأبو تمام رجل

(٥) الاغانى ج ١٨ ص ١٧٥ طبعة مطبعة التقدم بمصر ووفيات الاعيان ج ٢ ص ١٧٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر .  
(٦) نفس المصدرين .

تفكير وتأمل يقتنص الافكار اقتناصا ويغوص على المعاني غوصا مجهدا  
والبحثري رجل بديهية يحدثك بما خطر على باله في غير عناء ولا تكلف،  
وابو تمام يحب لفخامة اللفظ ورصانة التعبير • والبحثري محب لرفعة  
اللفظ وجمال التعبير • وأبو تمام مسرف كل الاسراف في استعمال  
الزخرفة البيانية • يفرضها على شعره فرضا سواء أكانت مؤاتية أم  
مستعصية ، ملائمة أم غير ملائمة ، والبحثري معتدل كل الاعتدال  
في استعمال هذه الزخرفة • يأخذها ما جرت على لسانه عفوا ويتركها  
ما استعصت على قريحته وامتنعت على بديهته • أفترى بعد كل هذا  
أن البحري مدين بتثقيفه وتدريبه على ممارسة فنون الشعر لابي تمام؟  
ولست أنفي ان البحثري اقتبس طائفة من معاني أبي تمام • ولكن كم  
هي المعاني التي اقتبسها ابو تمام من الشعراء ؟ • قد تقول : ولكن  
البحثري رد على سؤال وجه اليه في مجلس ابن المعتز بصدد تفضيله  
على أبي تمام بقوله « انه الرئيس والاستاذ » وأجيب عن ذلك : أولا  
بان هذه رواية كغيرها من الروايات يمكن تصديقها ويمكن تكذيبها •  
وثانيا ان البحثري قال - اذا صح هذا التعبير - عن أبي تمام « انه  
الأستاذ » أي أستاذ صناعة القريض ، ولم يقل انه أستاذه ، وليس ثمة  
من يفترض أن البحثري يناقش في زعامة أبي تمام الشعرية •

ونعود الى سيرة البحثري ، فنقول انه كان في أول أمره صاحب  
أسفار كأبي تمام ، فقد زار مصر وكثيرا من المدن السورية والعراق  
قبل اتصاله بالمتوكل وبعض أقاليم فارس الا أنه لم يستوطن اذ ذاك  
أي بلد من هذه البلدان، وانما كان يسافر طلبا للرزق ثم يعود الى منبج •  
ولم تكن أسفاره الاونى هذه قليلة الجدوى ، فقد بدأت ثروته تتجمع

منذ ذلك الحين وأخذ يشتري الضياع بدليل أننا نراه يلتبس من محمد  
ابن يوسف الثغري أن يؤدي عنه خراج ضيعته (٧) وأنت تعلم أن محمد  
ابن يوسف هذا من أوائل ممدوحيه • وترك البحري منبج الى العراق  
لينتخذه دار اقامة له في عهد المتوكل على الله • وبدأ يمدح الفتح بن  
خاقان وزير المتوكل فاستحسنه هذا ووعدته أن يقدمه الى الخليفة ،  
ولم ينجز الفتح وعده بسرعة ، فاستحته البحري على انجازه بأكثر  
من قصيدة واحدة فمن ذلك قوله :

وعدت فأوشك نجح وعدك انه من المجد اعجال المواعيد بالنجح  
وأنت ترى نصح الامام فريضة واخباره عني سبيل من النصح  
ولبي الوزير طلب الشاعر فقدمه الى الخليفة فأعجب هذا بشعره  
وأدبه واتخذة نديما له ورفع منزلته حتى صار من ذوي الكلمة النافذة  
في قصره • يشفع لذوي الحاجات ويتوسط في حل مشاكل الناس اذا  
صح ما يقوله هو في تائيته النبي سأذكر لك مثلا منها عند الكلام على  
فخره • وما أشك في أنه صحيح على أن هذا لا يعني أن علاقته بالمتوكل  
كانت حسنة على الدوام • فقد أعرض عنه مرة بسبب وشاية كاذبة ،  
واضطر الى أن يستعطفه ويترضاه في قصيدة مطلعها ( شوق اليك تفيض  
منه الادمع ••• الخ • وبرم به ذات مرة بسبب اعجابه بشعره وثقل  
انشاده ، فأمر أبا العنيس الصيمري أن يهجو ، فهجاه هجاءً قبيحا  
حمله على الغضب والتفكير في العودة الى منبج من غير اذن ، لولا أن  
هدأه الفتح بن خاقان وسرى عنه ما علق بخاطره (٨) • ولهم تكن علاقته

(٧) التمس البحري هذا من محمد بن يوسف في أبيات اولها :  
نفسى فداك ووالداي كلاهما وجميع من ولدا من الاسواء  
(٨) الاغانى ج ١٨ ص ١٧٤ .

بالفتح بن خاقان أقل تعرضاً للخطر ، فقد ساءت هذه الى درجة كادت معها تودي بحياته أو تضطره على الأقل الى مبارحة العراق والعودة الى منبج خائباً محروماً • والبحثري نفسه يصف لنا هذه المرحلة الدقيقة التي اجتازتها علاقته بالفتح بن خاقان حيث يقول من قصيدة يعان بها الوزير المذكور ويستعطفه :

رأيت العراق ناكرتني، وأقسمت عليّ صروف الدهر أن اتشأما  
وكان رجائي أن أووب مملكا فصار رجائي أن أووب مسلماً  
ولكنه استطاع بفضل ذكائه ودهائه أن يتغلب على جميع هذه  
الصعاب وأن يحتفظ بعطف المتوكل والفتح بن خاقان وأن يظل شاعر  
دولتهما الى آخر أيام حياتهما •

وقد لا يبعد أن يكون البحثري هو الذي حمل المتوكل على الانتقال بدواوينه الى دمشق<sup>(٩)</sup> لأننا نراه يجب اليه العاصمة الأموية فيقول : —  
ان دمشقاً أصبحت جنةً مخضرة الروض عذاة البراق<sup>(١٠)</sup>  
هوؤها الفضفاض غض الندى وماؤها السلسال عذب المذاق  
والدهر طلق بين أكنافها والعيش فيها ذو حواش رفاق  
ناظرة نحوك مشتاقه منك الى القرب ووشك<sup>(١١)</sup> التلاق  
وكيف لا تؤثرها بالهوى وصيفها مثل شتاء العراق  
ويهنئه بالسفر اليها فيقول :

قد رحلنا عن العرا ق وعن قيظها النكد

(٩) انتقل المتوكل الى دمشق سنة (٢٤٤ هـ) ونقل اليها دواوين ملكه وأمر بالبناء بها ، الا أنه تركها بعد شهرين وأيام لاسباب طبيعية واقتصادية في الظاهر .

(١٠) عذاة : طيبة الهواء والبراق : موضع بالشام .

(١١) الوشك : السرعة .

حبذا العيش في دمشق اذا ليلها يبرد  
حيث يستقبل الزمان ويستحسن البلاد  
سفر جدت لنا اللهو أيامه الجدد  
عزم الله للخليفة فيه على الرشيد

منها :-

يا امام الهدى الذي احتاط للدين واجتهد  
سر بسعد السعود في صحبة الواحد الصمد  
ويطري محاسنها عنده في أثناء اقامته بها اطراء من وفى له بوعد  
فيقول :-

أما دمشق فقد أبدت محاسنها

وقد وفى لك مطريها بما وعدا (١٢)

ولو لم تحل العوائق دون اقامة المتوكل بدمشق لباتت هذه المدينة  
عاصمة الخلافة الاسلامية مرة أخرى ، ولغلبت الصبغة العربية في أقرب  
الاحتمالات على سياسة خلفاء بني العباس ، ولكانت للبحثري بذلك  
علاقة ما .

وبقي المترجم في حاشية المتوكل يعاشره ويسامره ويعاقره أيضا  
الى أن قتل وكان شاهد مصرعه فوصفه في رائيته القادم ذكرها وصفا  
منقطع النظير . وركن البحثري الى الانزواء في أيام المنتصر بسبب  
حظوته عند أبيه وهجائه اياه في مرثيته لوالده هجاءا مرا ، ولكنه عاد

---

(١٢) سأروي بقية وصف دمشق هذا عند الكلام على وصف  
البحثري .

فمدحه واسترضاه ، وكان الفضل في التوفيق بين الخليفة والشاعر  
لأحمد بن الخصيب وزير المنتصر • ومدح صاحبنا المستعين ولكنه لم  
يكن ذا مكانة عنده • الا ان نجمه سطع ثانية في خلافة المعتز الذي  
انزله منه منزلته من أبيه ولك أن ترجع الى قافيته التي مطلعها :

بودي لو يهوى العذول ويعشق فيعلم أسباب الهوى كيف نعلق  
لنتبين مقدار العطاء الذي كان يغمره به المعتز • ومدح البحري  
المهتدي والمعتمد على الله ، الا أنهما لم يقرباه •

ويعتقد الاستاذان أنيس المقدسي وبطرس البستاني أن البحري  
هجر العراق الى منبج بعد مقتل المنوكل ، ولكنني لم أعثر على ما يؤيد  
هذا والذي أستنتجه من شعره هو أنه كان يختلف الى منبج من حين  
لآخر ليجدد العهد بأسرته ويتعهد املاكه ، وانه لم يكن يطيل الإقامة  
في هذه المدينة بسبب ما يلقي فيها من عنت الخصوم والحساد • وقد  
وصف لنا سوء مقامه في سوريا عامة ومنبج خاصة غير مرة ، فمن ذلك  
قوله في قصيدة يمدح بها جعفر بن عبد الغفار :

بأبي أنت لا تسلمي بحالٍ في دخيل الأحشاء منها وجيب  
أنا بالشام موطن غير أني بعد عهد العراق فيها غريب  
نبوات من الصديق يرو عن جنائي كما يروع المشيب  
واجتهاد من العدو ودهري طالب في السلاح أو مطلوب  
لا أزور المنام إلا رقيب لي على الخيل أو علي رقيب  
وقد أشرت أكثر من مرة الى ثروة الرجل فأحب أن ألاحظ الآن  
أنها كانت مصدر شقاء له لا ينتهي • فهو يشكو مرة استيلاء بعض  
الناس على غلته ، وتارة انتزاع بعض أراضيه وطورا سوء معاملة

الموظفين اياه وهلم جرا • وقد رد جزءا غير قليل من ثروته الى خزانة  
الدولة وذلك بالزامة أداء مبلغ كبير من المال يؤديه أقساطا وبذلك  
تخبرنا هذه الايات :

أمرتجع مني حباء خلائف توليت تسيير المديح لهم وحدي

ولم يحتمل الا الذي قلت فيهم

وان رقدوا قوما وزادوا على الرقد

فان أخذ الايفار أخذ صريمة

ودارت على الأقطار دائرة الرد (١٣)

ولم يغن توكيد السجلات والذي

تناصر فيها من ضمان ومن عقد

فردوا القوافي السائرات بمدحكم

وما أكسبتكم من ثناء ومن مجد

وشرح شباب قد فضوت جديده

لديكم كما ينضو الفتى سمل البرد

وما أنا والتقسيط اذ تكتبونني

وتكتب قبلي جلة القوم أو بعدي

سبيلي أن أعطي الذي تطلبونه

وشرطي أن يجدي علي ولا أجدي

صحبت أنسا أطلب المال عندهم

فكيف يكون المال مطلبا عندي

---

(١٣) الايفار : منح السلطان الارض من غير خراج ، او على أن  
يؤدي الخراج له رأسا لا الى العمال . ولم أجد لقوله « أخذ صريمة »  
مدلولاً واضحاً الا أنه قد يعني أخذاً لا هوادة فيه .

وسأل الخليفة المعتمد صاحبنا عن ماله فأجاب بأنه لم يبق منه شيء  
سوي اوقاف ضئيلة لا يعتد بها (١٤) •  
وتوفي المترجم بداء السكتة بمنبج وقيل بحلب سنة (٢٨٣) هـ  
على رواية ابن الأثير التي تخالفها روايات عدة قد لا يصح التعويل  
عليها • ولم يخطيء القاسم بن عبد الله الذي قال عندما أخبر ان  
البحثري توفي بداء السكتة « ويحه رمي في احسنه » (١٥) •

### ب - أخلاقه :

كان البحثري سامحه الله بخيلا مغرما بجمع المال معجبا بشعره الى  
أبعد حدود الاعجاب الا أنه كان عالي الهمة شجاعا وفيما محبا للخير •  
وما أريد أن استمد رأيي في بخله وحرصه الشديد على المال من قول  
صاحب الأغاني : « انه كان من أوسخ خلق الله ثوبا وآلةً وابخلهم  
على كل شيء » وانه كان يقتل أخاه وغلامه جوعا ، ولا يعطيها ثمن  
أقواتهما الا بمشقة • • لأنني أعتقد أن البحثري قد تحضر وألف النظافة  
وحسن الهندام منذ اتصاله بالمتوكل على الاقل ، ولاننا لا نعرف اسمي  
ذينك الشقيين اللذين قيل ان البحثري كان يقتلها جوعا ولا ندرى أين  
كتب لهما هذا الشقاء على يده ومتمى !؟ • ولكنني أستمد رأيي في بخله  
وحرصه الشديد على المال من قوله :

وموضح لي سبيل الرشد قلت له

الرشد صاب وبعض الغي من شهد

(١٤) انظر قافية البحثري التي مطلعها :

أريتك الآن ألمع البروق أم شعلا مرفضة من حريق

(١٥) الاغاني ج ١٨ ص ١٧٢ طبع مطبعة التقدم بمصر •



أهوى الثراء ، وكم من ثروة كسبت

لي العداوة من رهطي ومن ولدي !  
حتى لأنكرت من قد كنت أعرفه من الأخلاء واستوحشت من بلدي  
فواضح أن الرجل من شدة البخل بحيث لا يصغي الى لوم لائم  
في سبيل حشد المال وتكديسه وأن البخل قد فرق بينه وبين أهله وولده ،  
وأنه قد أفقده عطف أصدقائه وأكسبه عداوة مواطنيه • وهناك شيء  
آخر له دلالة أيضاً على تمكن هذا الخلق الذميمة منه ، وهو تنزله الى  
مدح الناس • وطلب جوائزهم بعدما غمره المتوكل والفتوح بن خاقان  
بالعطاء حتى صار من أولى الثروات الطائلة والأملاك الواسعة ، وبعد  
أن وهبه المعتز وحده ما يعنيه عن السؤال مدة حياته • ولكنه الشح ،  
« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون • • »

وما أستمد رأيي كذلك في إعجابه الشديد بشعره من قول صاحب  
الاجاني : « إنه كان من أبغض الناس انشاداً ، يتشادق ويتزاور في  
مشيته ، مرة جانباً ومرة القهقري ، ويهز رأسه مرة ، ومنكبيه أخرى ،  
ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ويقول - أحسنت والله - ثم يقبل  
على المستمعين فيقول - مالكم لا تقولون أحسنت ؟ • هذا والله ما لا  
يحسن أحد ان يقول مثله • » ولكنني أستمد رأيي من قوله :

فاذا ما بنيت بيتاً تبخت رت كأني بنيت ذات العماد

ففي هذا البيت ما يعني عن أقوال الرواة التي تحتل الجدل  
ويمكن قبولها ورفضها معاً ولكن ينبغي أن لا ننسى أن الرجل كان  
عالي الهمة ماضي العزيمة شجاعاً مقداماً • وحسبك دليلاً على ذلك أنه  
استطاع أن يرتفع بنفسه من مدح باعة البصل والباذنجان في منبج الى

منادمة الخلفاء ومعاشرة الوزراء • وفي لقائه الذئب وقتله إياه على النحو الذي وصفه في داليتيه الآتي أكثرها دليل كافٍ على شجاعته • على أنه قد نزل الى ميادين القتال ووقف فيها مواقف أولي البسالة والنجدة ، وهو يستشهد على ذلك يوسف بن محمد بن يوسف الثغري حيث يقول له :

وأنا الشجاع وقد بدا لك موقفي بعقرقس والمشرفية شهدي (١٦)  
ورأيتني فرأيت أعجب منظر رب القصائد في القنا المتقصد  
وكما أستدل بانبحثري على البحتري في القول بأنه بخيل وفي  
القول بأنه كثير الإعجاب بشعره استدل به على نفسه كذلك في القول  
بأنه وفي "لأنه يقول :

إني وإن كنت ذا وفاء لا يتخطى الي غدر

ولأنه يقول :

أدين بأن لا تستحل أمانة لحرٍ وأن لا يستباح ذمام

ولأنه يقول :

إني وإن كنت مرهوباً لعادية أرمي عدوي بها في الفرط والحين  
لذو وفاءٍ لأهل الودِّ مدخر عندي وغيب على الأخوان مأمون  
أضف إلي ذلك أنه أقدم على رثاء المتوكل وهجاء المنتصر معترضاً  
نفسه بذلك لخطر الموت • وأقام على حب صاحبتة علوة يحن إليها  
ويشيب بها عشرات الأعوام ، مع أنه كان قادراً على الاستعاضة عنها

(١٦) عقر قس : واد في بلاد الروم .

بمن يلقي من الحسان في قصور سرّ من رأى وبغداد ، كائناً غرضه من  
حبها ما كان •

ستقول ولكنّه تنكرّ لرجال كثيرين فهجاهم في أيام محنتهم بعدما  
مدحهم في أيام عزهم ودولتهم • وفي ظني أن ذلك ناشيء عن كون  
صلته بهم صلة مادية بحتة ، فقد مدحهم لا ليعرب عن إعجابه بفضائلهم  
ومناقبهم ولا ليكافئهم على ودّ كانوا يحضونه إياه • وإنما مدحهم  
ليأخذ جوائزهم • وليس ثمة من ينكر تكسب البحري بالشعر •

أما حبه الشديد للخير ، فانه يتجلى في كرهه إراقة الدماء ودعوته  
للسلم ما وجد الى ذلك سبيلاً ولك أن ترجع الى لاميته التي مطلعها :  
ضمان على عينيك أني لا أسلو وأن فؤادي من جوى بك لا يخلو  
والتي يأسف فيها أشد الأسف لأنشقاق ربيعة على نفسها وإراقة  
دماء ابنائها بأيديهم ، والى عينيته التي مطلعها :

مني النفس في أسماء لو تستطيعها بها وجدها من غادة وولوعها  
والتي يعالج فيها نفس الموضوع ويعرب عن نفس الشعور ، والى  
أمثال هذه الصفحات في ديوانه لتلمس عواطفه الانسانية السامية وتبين  
مبلغ حرصه على سلم الناس وسلامتهم • ويتجلى حبّه الشديد للخير  
أيضاً في موقفه الودي ممن عاصره من الشعراء • فمؤرخو الأدب القديم  
مجمعون على أنه كان حسن السلوك حيا لهم يشي عليهم جميعاً ويفرضهم  
ويذكر محاسن أشعارهم • وفي ذلك ما فيه من إيثار التفاهم والتقارب  
ونبذ الخصومات والعداوات •

## ح - رأيه في الدين والسياسة :

يعتقد الاستاذ مرجليوث أن المترجم أموي الرأي لقوله في نكبة

محمد بن يوسف الثغري :

ياضيعة الدنيا وضيعة أهلها      والمسلمين وضيعة الإسلام  
هذا ابن يوسف في يدي أعدائه      يجزي على الأيام بالأيام  
نامت بنو العباس عنه ولم تكن      عنه أمية لو رعت بنيام

ويرى الأستاذ انيس المقدسي أنه عباسي صميم • ويذهب الأستاذ  
بطرس البستاني الى أنه كان ميالاً الى العلويين إلا أنه لم يجاهر بميله  
هذا إلا في رأيته التي مدح بها المنتصر والتي مطلعها :

تبسّمهم عن واضح ذي أشر      وتنظر عن فاتر ذي حور  
وأزعم أنه كان علويّاً متطرفاً في أول أمره كما كان أبو تمام في  
فجر حياته • ولمن أراد الاطلاع على حقيقة رأيه في الدين والسياسة أن  
يرجع إلى قافيته التي مطلعها :

أأفاق صبّ من هوى فأفيقا (١٧) ••• الخ

وأن يقرأ فيها هذه الأبيات التي • تبدأ بقوله :

كنا نكفر من أمية عصبية      طلبوا الخلافة فجرةً وفسوقاً  
والتي أضرب صفحاً عن ذكرها كلها لأن في بعضها كلمات شائكة •  
إلا أن علويته هذه ذابت في بودقة عبادة المال كما ذابت قبلها علويّة  
أبي تمام في نفس البودقة • بيد أنه من الحق أن نلاحظ أنه لم يفعل

(١٧) قد لا يخاو من غرابة أن يجهر البحتري بتشيعه في هذه  
القصيدة التي يمدح بها محمد بن يوسف الثغري الذي يصانعه ابو تمام  
بنقد التشيع نقداً حقيقياً •

فعل أبي تمام في تعريضه برأيه الذي كان يجاهر به تزلفاً لأحد ممدوحيه • وهذا على الرغم من علاقته الوثيقة بالمتوكل المعروف ببغضه لعلي وأبنائه أضف الى ذلك أنه هجا علي بن الجهم لتطاوله على علي بن أبي طالب (رض) هجاءً فظيماً ، وأثنى على سياسة المنتصر الرامية الى تقريب العلويين والرفق بهم بعدما أصابهم من التنكيل في عهد أبيه ثناء عظماً •

#### د - شعره :

للبحثري ديوان ضخم يحتوي على كل باب من أبواب الشعر والمديح أكبر أبوابه لأنه • يصدر رزق الشاعر ، وقد جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف • ثم جمعه علي بن حمزة الاصفهاني ورتبه على الانواع • وطبع هذا الديوان في الاستانة وبيروت والقاهرة طبعت عديدة اهمها واحسنها واكثرها استيعاباً لشعر المترجم طبعة الاستاذ حسن كامل الصيرفي الذي بذل في سبيل اخراج هذا الديوان على أحسن وجه جهداً يستحق الثناء والتقدير •

غزله : قلت لك عند الاشارة الى غزل أبي تمام « انه لا يمثل شعورا حقيقيا ولا عاطفة صادقة ، وانه ان مثل شيئاً فانما هو العبت والمجون » وأقول لك الآن ان جزءاً غير يسير من غزل البحتري تقليدي مصطنع لا يمتاز بشيء سوى رقة الديباجة • ولكن الى جانب هذا الغزل التقليدي المتكلف غزل أصيل حي هو هذا الذي يشب فيه البحتري بصاحبه علوة التي تقدمت لها الاشارة • وأسرع فأقول لك ان المترجم لهم يكن يحب هذه الفتاة حبا طاهرا عفيفا ، وقد شهر خفتها كما شهر جمالها في شعره ، ولكن هذا لا يمنع أن يكون حبه لها صادقا

وغيرامه بها حقيقيا • على أنه قد لا يخاو من غرابة أن يكون البحترى  
 قد أحب هذه الحسناء كل هذه الأعوام التي لم يفتر في أثنائها عن  
 التغزل بها ، فقد صدر بذنرها عددا غير قليل من مدائحه للخليفة  
 المعتز ، ومعنى هذا أنه ظلّ يشبب بها خلال عشرين سنة أو أكثر مرت  
 على مفارقتها اياها ، وهذا كثير على حب مصدره الشهوة وغايته اللذة •  
 ولكنك اذا رجعت الى غزله فيها وجدته في الغالب مفعما صدقا وأصاله  
 وجمالا وحيوية • اسمع قوله فيها :

يا ليلتي بالقصر من بطياس (١٨) ومعرسي بالقصر بل أعراسي  
 باتت تبرّد من جواي وغلتي انقاس ظبي طيب الأنفاس  
 يدنو الي براحه وبريقه فيعلمني بالريق بعد الكاس  
 هيف الجوانح منه هاض جوانحي ونعاس مقلته أطار نعاسي (١٩)

وقوله في صدر قصيدة يمدح بها المعتز :

نظرت وضمّت جانبيّ التفاتة وما التفت المشتاق الا لينظرا  
 الى أرجواني من البرق كلما تنمر علوي السحاب تعصفرا  
 يضيء غماما فوق بطياس واضحا ييصّ وروضا دون بطياس أخضرا  
 وقد كان محبوبا اليّ لو انه أضاء غزالا عند بطياس أحورا

وقوله :

أخيال علوة كيف زرت وعندنا أرق يشرّد بالخيال الزائر

(١٨) بطياس : أحد متنزهات عديدة بالقرب من حلب منها «بانقوسا»  
 ( وباتليّ ) كان يلتقي فيها الشاعر بحبيبته . ومنه - أي بطياس -  
 نستدل على ان المقصود في هذه القطعة والاييات التي تليها « علوة »  
 لا غيرها .

(١٩) الهيف : هنا رقة الخاصرة .

طيف أَلَم بنا ونحن بمهمه  
أفضى الى شعث تطير كراهم  
حتى اذا نزعوا الدجى وتسربلوا  
ورموا الى شعب الرحال بأعين  
أهوى فأسعف بالتحية خلسة  
سرنا وأنت مقيمة ولربما  
أما انجذبنا بنا فكم من عبرة  
تشبي اليك ولفتة من ناظر

فما أظنك تشك في أن هذا النسيب صادق كل الصدق أصيل كل  
الاصالة ، وما أظنك تشك في أنه يرمز الى ذكريات حية ويعبر عن  
أحاسيس صادقة على الرغم من أن بعضه قيل بعد مرور عشرات الاعوام  
على مفارقة الشاعر حبييته ، ومن يدري لعل علوة هذه من الجمال  
واللطف بحيث لا يستطيع المحب أن ينساها مهما قدم بها العهد وطال  
على حبها الأمد . وهناك نسيب غزل يخيل الي أنه مقول في علوة لما  
أحس فيه من صدق الشعور وحرارة العاطفة ، أروبي لك منه هذه  
الايات :

شوق اليك تفيض منه الأدمع  
وهوى تجدده الليالي كلما  
انجوى عليك تضيق عنه الاضلع  
قدمت وترجعه السنون فيرجع  
اني وما قصيد الحجاج ودونهم  
أصفيك أقصى الود غير مقلل  
وجوى عليك تضيق عنه الاضلع  
قدمت وترجعه السنون فيرجع  
(٢٢) خرق تخب به الركاب وتوضع  
ان كان أقصى الود عندك ينفع

(٢٠) المرت : المفازة بلا نبات او الأرض لا يجف ثراها ولا ينبت  
مرعاها .

(٢١) القود : ما سلس قياده من الخيل والابل .

(٢٢) الخرق : الأرض الواسعة .

وأراك أحسن من أراه وان بدا  
يعتادني طربي اليك فيغتملي  
منك الصدود وبان وصلك أجمع  
وجدني ويدعوني هواك فاتبع  
كلما بحبك مولعا ، ويسرني  
أني أمرؤ كلف بحبك مولع

\* \* \*

مديحه : وكما يجمع البحري في غزله بين العواطف المنتحلة وبين  
المشاعر والانفعالات الغرامية الحقيقية كذلك هو يجمع في مديحه بين  
المعاني المألوفة المبتدلة وبين الصور الاصيلة الرائعة التي تمثل حياة  
القرن الثالث للهجرة تمثيلا صادقا • ولست أعنى طبعا بهذه المعاني  
المبتدلة التي أدخلها البحري في اطراء ممدوحيه رغبة في ارضائهم وطلبا  
لعطاياهم ، وان كان كثير منها قد أفرغ في قوالب جميلة جذابة ، ولكني  
أسجل أن مدائحه الكثيرة تحمل في ثناياها وصفا فائقا جدا لالوان  
مختلفة من الحضارة العباسية وتصويرا بالغاً منتهى الاجادة لكثير من  
الوقائع السياسية والحربية المهمة • وانه لمن الحق أن نلاحظ أن البحري  
يصف الأشياء والحوادث التي يصفها بمنتهى الامانة والمهارة فلا  
يزيد فيها ولا ينقص منها ، وانما يرسمها لنا في ألواح شعره كما هي •  
ووصف البحري قصور العباسيين ومواكبهم ومواسم افراحهم كثير ،  
سأروي لك طرفا منه عند الكلام على وصفه • أما سرد الحوادث  
الحربية والسياسية والتعقيب عليها بصورة مؤثرة فانه كثير في شعره  
كثرة عجيبة ، ولك ان تتصفح ديوانه لترى أنه سجل حافل بما حدث  
للخلافة العباسية في أثناء القرن الثالث للهجرة من حروب ومشاكل  
سياسية في الداخل والخارج • فبينما هو يحدثك عن فتنة بابك الخرمي



التي اشتعلت نارها في أوائل هذا القرن اذا هو يحدثك عن تمرد آل  
الصفار وقيام ثورة صاحب الزنج في أواسطه • وبيننا هو يحدثك عن  
فتنة مدينة أو ثورة قبيلة اذا هو يحدثك عن خلع خليفة وابعاده الى  
زاوية من زوايا ملكه بالامس • وبيننا هو يحدثك عن هذه الشؤون  
الداخلية المضطربة المعقدة أشد التعقيد اذا هو يحدثك عن المعارك  
الطاحنة التي تدور رحاها في آسيا الصغرى بين المسلمين والروم •  
وغني عن البيان أن هذا الفصل لا يتسع لضرب الأمثال الكثيرة من هذا  
المديح التاريخي النفيس ، فأكتفي بضرب مثلين لك ، أحدهما في وصف  
بلاء محمد بن يوسف الثغري في سبيل قمع فتنة بابك الخرمي ، وثانيهما  
في وصف غزوة من غزوات محمد بن يوسف هذا نفسه في بلاد الروم •  
فأما الأول فهو قول البحثري :

ما زلت تفرع باب بابك بالقنا      وتزوره في غارة شعواء  
حتى أخذت بنصل سيفك عنوة      منه الذي أعيأ على الخلفاء  
أخليت منه البذء<sup>(٢٣)</sup> وهي قراره      ونصبتة علما بسامراء  
لم يبق فيه خوف بأسك مطمعا      للطير في عود ولا ابتداء  
فتراه مطردا على أعواده      مثل اطراد كواكب الجوزاء  
مستشرفا للشمس منتصبا لها      في أخريات الجذع كالحرباء

وأما الثاني فهو قوله :

أحسن الله في ثوابك عن ثغبر مضاع أحسنت فيه البلاء  
كان مستضعفا فعز ومحروما      فأجدي ومظلما فأضاء

(٢٣) البذء : قرية باذربيجان . اتخذها بابك مقرا له .

لتوليتيه فكننت لاهليه غنىً      مقنعا وعنهم غناء  
 لم تنم عن دعائهم حين نادوا      والقنا قد أسال فيهم قناء (٢٤)  
 اذ تغدى العلوج منهم غدوا      فتعشتهم يدالك عشاءا  
 لم تسغهم برود جيحان حتى      قلسوا في الدماء ذاك الماء (٢٥)  
 وكان النفير حط عليهم      منك نجما أو صخرة صماء  
 لم يكن جمعهم على الموج الا      زبدا طار عن قنالك جفاء  
 حين أبدت اليك خرشنة العليا من الثلج هامة شمطاء  
 بنتها والقرآن يصدع فيها الهضب حتى كادت تكون حراء  
 وأقمت الصلاة في معشر لا يعرفون الصلاة الا مكاء (٢٦)  
 في فواحي برجان اذ أنكروا التكبير حتى توهموه غناء  
 حيث لم تورد السيوف على خمس ولم تصدر الرماح ظمأ (٢٧)  
 يتعثرن في النحور وفي الأوجه سكرالما شربن الدماء  
 وأزرت الخيرل قبر امريء القيس سراعا فعدن منه بطاء  
 وجلبت الحسان حنواً وحرراً      آتسات حتى أغرت النساء (٢٨)  
 لم تدعك المها التي شغلت جيشك بالسوق أن تسوق الشاء  
 علم الروم أن غزوك ما كان عقاباً لهم ولكن فناء  
 بسباء سقاهم البين صرفاً      وبقتل نسوا ليديه السباء

(٢٤) قناء : كسحاب : اسم ماء شبهت به الدماء لغزارتها .

(٢٥) قلسوا لفظوا .

(٢٦) مكاء : صفر بفيه ، أو شبك بأصابعه ونفخ فيها .

(٢٧) الخمس : هو اظماء الأبل ثلاثة أيام يتقدمها يوم شرب ويليهما

مثله .

(٢٨) حو : ذوات شفاه حمر الى سواد ، الواحدة حواء . وهور :

ذوات أعين شديدة السواد والبياض واحدها حوراء .

يوم فرقت من كتاب آرائك جنداً لا يأخذون عطاء  
 بين ضرب يفتلق الهام أنصافاً وطعن يفرّج الغمساء  
 وبودّ العدو لو تضعف الجيش عليهم وتصرف الآراء  
 على أن أهمية مديح البحترى لا تقف عند حد الفائدة التاريخية  
 التي تنجلى مرة في وصف القصور والافراح والحفلات وتارة في سرد  
 الحوادث السياسية والحربية والتعقيب عليها تعقيباً مؤثراً ، ولكنها  
 تتعدى ذلك الى وصف مواهب عظماء الرجال ومزاياهم وصفاً رائعاً  
 أصيلاً • ولكي تتبين وجهة هذا الزعم ، إسمع قوله في وصف رسائل  
 محمد بن عبد الملك الزيات :

لتفننت في الكتابة حتى عطّل الناس فن عبد الحميد  
 في نظام من البلاغة ما شك امرؤ أنه نظام فريد  
 وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد  
 مشرق في جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستعيد  
 ما أعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد  
 مستميل سمع الطروب المعنى عن أغاني مخارق وعقيد (٢٩)  
 حجج تخرس الألدّ بألفا ظ فرادى كالجوهر المعدود  
 ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرون ولييد  
 حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنّبن ظلمة التعقيد  
 وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد  
 كالعدارى غدون في الحلل البيض إذا رحن في الخطوط السود

\*\*\*

(٢٩) مخارق وعقيد : مغنيان كان أولهما للرشيد وثانيهما للمأمون .

وقوله في وصف مبارزة الفتح بن خاقان للأسد وقتله إياه :

وقد جربوا بالأمس منك عزيمة  
غداة لقيت الليث والليث مخدر (٣٠)  
يحصّنه من نهر نيزك معقل  
يرود مغاراً بالظواهر مكثباً  
يلعب فيه أقحواناً مفضضاً  
إذا شاء غادي عانة (٣٢) أو عدا على  
يجر الى أشباله كل شارق  
ومن يبع ظلماً في حريمك ينصرف  
شهدت لقد انصفته يوم تنبري  
فلم أر ضرغامين أصدق منكما  
هزبر مشى يبغي هزبراً وأغلب  
أدلّ بشغب ثم هالته صولة  
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا  
فلم يغنه أن كثر نحوك مقبلاً  
حملت عليه السيف لا عزمك اثني  
وكنت متى تجمع يمينك تهتك الضريبة أولاً تبق للسيف مضرباً (٣٥)

(٣٠) مخدر : رابض في اجمته .

(٣١) تأشب : التف .

(٣٢) العانة : القطيع من حمر الوحش .

(٣٣) العبيط : اللحم الطري .

(٣٤) هكذا في الديوان وربما كان الصحيح « باسم الوجه » .

(٣٥) وصف المتنبي قتل بدر بن عمار أحد حكام جنوب سوريا .

أسداً بسوطه ، وحمله آخر على الفرار في قصيدة مطلعها :

أليس في كل من هاتين القطعتين من الاحاطة بالموضوع والافاضة  
في التحليل والبراءة في التصوير ما يجعلها خليفة بالبقاء على توالي  
الأجيال ؟ !

\* \* \*

رثاؤه : وما يقال في مديح البحري من حيث أنه مشتمل على  
معانٍ مكررة مألوفة وصور أصيلة رائعة يقال في رثائه • فهو في طائفة  
من مرثيه • منها رائيته في رثاء بعض بني طاهر • وكافيته في رثاء  
سلمان بن وهب • وبائيته في رثاء غلامه قيصر • شاعر مجيد إلا أنه  
غير أصيل • وفي طائفة أخرى من مرثيه في مقدمتها ميميته في رثاء آل  
حميد • ورائيته في رثاء المتوكل على الله • شاعر مبدع فذ • يفيض  
رثاؤه جدةً وأصالةً ويتدفق صدقاً وإخلاصاً • وما هي إلا أن تقرأه  
حتى تشعر كأن الفاجعة التي يصورها قائمة ماثلة تهلع منها القلوب •  
وتدمع العيون • وتهمس بها الشفاه وتجار لها الألباب ، اقرأ قوله واصفاً  
جلاء سكان الجعفري عنه بعد قتل صاحبه المتوكل على الله :

تغير حسن الجعفري وانسه      وقوَّض بادي الجعفري وحاضره (٣٦)  
تحمل عنه ساكنوه فجاءةً      فأضت سواء دوره ومقابره (٣٧)  
ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه      واذ ذعرت أطلاؤه وجأذره (٣٨)

في الخدان عزم الخليط رحيلاً      مطر تزيد به الخدود محولاً  
ويخيل اليّ ان البحري أدق وصفاً وأصدق تصويراً وأحسن  
أسلوباً .

(٣٦) الجعفري : قصر عظيم بناه المتوكل على الله سنة ٢٤٥ هـ على  
مقربة من سامراء .

(٣٧) أض : صار .

(٣٨) المراد بوحش القصر : نساؤه تشبيهاً لهن ببقر الوحش لجمال

وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت  
ووحشته حتى كأن لم يقم به  
كأن لم تبت فيه الخلافة طليقة  
ولم تجمع الدنيا إليه بهاءها  
على عجل أستاره وستائره  
أنيس ولم تحسن لعين مناظره  
بشاشتها والملك يشرق زاهره  
وبهجتها والعيش غض مكاسره (٣٩)  
وقوله واصفاً مصرع المتوكل على الله :

تحقّى له مغتاله تحت غرة  
فما قاتلت عنه المنايا جنوده  
ولا نصر المعتز من كان يرتجى  
تعرض فصل السيف من دون فتحة  
صريع تقاضاه السيوف حشاشة  
أدافع عنه باليدين ولم يكن  
وقوله راثياً آل حميد الذين وصفت جهادهم لك عند الكلام على  
رثاء أبي تمام :

مضوا يستلذون المنايا حفيظة  
فما طعنوا إلا برمح بوصل  
ولما رأوا بعض الحياة مذلة  
أبوا أن يذوقوا العيش والدم واقع  
وحفظاً لذك السؤدد المتقدم  
ولا ضربوا إلا بسيف مشلم  
عليهم وعز الموت غير محرّم  
عليهم فماتوا ميتة لهم تدمّم

على أنك اذا تأملت رائية شاعرنا في رثاء المتوكل على الله رأيت  
أنه يتصرف فيها تصرف الشاعر المثقف الذي يعرف كيف يعبر عن مشاعره  
وانفعالاته وكيف يصف عظام الأمور وجلائل الاحداث وصفا صادقا

أعينهن ، وباطلائه : أطفاله ، والطلا ، ولد الظبية ساعة يولد ، وبجآذره  
فتياته ، والجؤذر ولد البقرة الوحشية تشبه به المرأة لحسن عينيه .  
(٣٩) مكاسر : جمع مكسر وهو المخبر .

مستقيضا ، وكيف يننديء بسرد ما لديه وكيف يتدرج في ذلك حتى يبلغ قمة بيانه ، وكيف ينتهي : ذلك أنه يقف في صدر هذه القصيدة على أطلال الجعفري الذي كان يلهو ويسرح في ظله بالأمس هاديء البال هانيء العيش في كنف سيده الخليفة الراحل ، فيستوحى الذكريات ويستلهم الآثار التي لم يجمد فيها بعد دم الفقيد ، مقارنا بين ماضي القصر وحاضره وأمسه ويومه متفجعا لما حل به تفجعا مرا ينتهي منه الى تصوير جلاء سكانه عنه ذلك التصوير الدقيق الذي رويته لك مشيرا أثناء ذلك الى عظمة الخليفة الراحل وجلال ملكه وجمال أيامه اشارة بارعة يشفعها بوصف مصرعه ، ذلك الوصف الفائق الذي تقدم ايراده ، متبعا ذلك تنديده بالخليفة الجديد الذي يوجه اليه أحد سهام نقده ويصب عليه جام غضبه واصفا اياه بالعدو والخيانة واضعا في عنقه تبعة قتل أبيه متمنيا زوال ملكه وانتهاء حكمه في وقت قصير راجيا أن تعود الخلافة الى من هو أحق بها منه ، الى من يأخذ بثأر الخليفة الراحل من قتلته الأئمة الخونة ، ويسوس الامور سياسة كلها حزم وعزم ، وليس ثمة شك في أنه يعني المعترز الذي ورد ذكره فيما رويت لك من القصيدة • وهكذا ينشيء من مرثيته هذه وحدة بيانية مطردة الاجزاء متماسكة الأطراف منسجمة كل الانسجام • وليست هذه القصيدة هي الاولى من نوعها في شعر البحري • فقد سبق له أن فعل مثل ذلك في ميميته التي رثى بها آل حميد ، ذلك انه استهل هذه القصيدة أيضا بوقفة على قصر الأسرة النبيلة البائدة ، ناجى فيها اطلاله العافية بلغة الدموع والحسرات نادبا مصارع أبنائه التي تتابعت في أمد قصير ، باكيا لفقدانه اياهم بكاءً صادقاَ مرا ، منوها بشرف المقاصد

التي أوردتهم مناهل الردي ، ثم استنورد الى وصف قبورهم فقال :  
 انها متفرقة في أطراف الثغور واقعة منها مواقع الشهب من آفاق السماء •  
 فهذا قبر في البذ وهذان قبران في النجاج ، وهذا ضريح في الموصل  
 وهذا آخر في القاطول • وخلص من ذلك الى تصوير المناحات التي  
 أقيمت على أولئك الأبطال في طول المملكة الإسلامية وعرضها ، وبعد  
 أن وصفها وصفا قصيرا وجه نظره الى أبي الأسرة فعزاه - استغفر الله بل  
 هنأه بأبنائه لأنهم أعطوا السيف حقه وخلصوا مواقفهم الباسلة في صحف  
 التاريخ ، وماتوا وكلهم قادة جيوش وأبطال حروب • وختم قصيدته  
 بارسال تحية عاطرة الى أرواح أولئك الشهداء الذين ابوا أن يعيشوا  
 أذلاء فماتوا أحرارا أعزاء • ويهذه المهارة الفائقة يكون البحثري من  
 قصيدته هذه وحدة بيانية أخرى قلما تجد لها نظيرا في دواوين الشعراء •  
 وقد رويت لك أبياتا قليلة من هذه القصيدة التي لم ينتبه لها النقاد  
 القدماء والمحدثون مع أنها من أبلغ الرثاء وأحسنه ، فأروي لك الآن  
 مثلا أخرى منها لتبين مبلغ اجادة الشاعر واحسانه فيها • إسمع  
 قوله منها : -

|   |  |
|---|--|
| أقصر حميد لأعزاء لمغرم                    | ولا قصر <sup>(٤٠)</sup> عن دمع وان كان من دم |
| أفي كل عام لا تزال مروعا                  | بنفذ نعي تارة أو بتوأم                       |
| مضى أهلك الأخيـار الا أقلهم               | وبادوا كما بادت أوائل جرهم                   |
| فصرت كعشٍ خلفته فراخه                     | بعلياء فرع الأثلة المنتهشم                   |
| أحب بنوك المكرمات ففرقت                   | جماعتهم في كل دهيا صيلم                      |
| تدانت مناياهم لهم <sup>(٤١)</sup> وتباعدت | مضاجعهم عن تربك المنتسم                      |

(٤٠) القصر هنا خلاف المد .

(٤١) في الديوان « بهم » والصواب ما أثبتناه .



فكل له قبر غريب ببلدة فمن منجد نأبي الضريح ومتهم  
قبور بأطراف الثغور كأنما هواقعها منها مواقع أنجم  
وقوله:

ترى البيض لهم تعرفهم حين واجهت

وجوههم في المأزق المتجهم ؟

ولم تتذكر ربيها بأكفهم اذا أوردوها تحت أغبر اقمم ؟  
بلى، غير ان السيف اغدر صاحب واكفر من نالته نعمة منعهم !!

وقوله:

ولا عجب للأسند ان ظفرت بها كلاب الاعادي من فصيح وأعجم  
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وموت عليّ عن حسام بن ملجم (٤٢)

الواقع أن هذه القصيدة وحدها تكفي لحملنا على وضع البحثري  
في طليعة شعراء الرثاء ، فكيف اذا أضيفت اليها الرائية التي يقول فيها  
المبرد (ما قيلت هاشميه هثلها) • على أن رثاء المترجم وصيفا • أحد كبار  
قادة الأتراك ومحمد بن يوسف الثغري من النفاسة والجودة بمكان •  
اذا لم يخطيء ظني فان مؤرخي الادب الذين لم يحفظوا للبحثري  
مقامه بين كبار شعراء الرثاء لم ينصفوه انصافا تاما •

فخره : أما الفخر فان البحثري يحذو فيه غالبا حذو أبي تمام  
ذلك أنه يتبجح بأسفاره وينوه بمجد آباءه ويتشدد بقبحن منظومه  
وطيب أخلاقه • وقد رأيت هذا كله عند أبي تمام ، ولكن البحثري  
يضيف الى ما تقدم فخره بمنادمة الخلفاء وعلو منزلته عندهم وذلك  
ما لم يظفر به ابو تمام • ونعرض فيما يلي لكل ناحية من نواحي فخر  
الشاعر ، فننتحدث عنها بايجاز •

(٤٢) قد لا يكون خطأي كبيرا اذا لاحظت ان هذه القصيدة تفضل  
مراتي أبي تمام لآل حميد كلها رقة شعور ودقة تصوير وجمال تعبير  
وحسن ترتيب ، وأريد بحسن الترتيب ترتيب الافكار ترتيبا منطقيا محكما.

كان البحتري قبل ان يلقي نصاه في وادي الرافدين صاحب أسفار  
كثير التجوال كما مرّ وقد تحدث عن أسفاره هذه كثيرا في شعره •  
ونحمد له أنه لم يكلف بتقليد ابي تمام في تصويره وداع حليلته اياه  
وجزعا لفراقه كلما خطر له أن يزور خليفة أو وزيراً أو والياً أو قائداً  
فانه لم يفعل ذلك الا نادرا • وحديث السفر عنده حديث عن جور  
الأيام ونكد العيش وقلة ذات اليد وعن مضاء العزيمة وعلو الهمة  
والرغبة في الحصول على المال • ومن طريف فخره بأسفاره قوله :

مالي وللأيام صرف صرفها      حالي وأكثر في البلاد تقليبي  
أمسي زميلا للظلام وأعتدي      ردفاً على كفل الصباح الأشهب  
فأكون طورا مشرقا للمشرق الاقصى وطورا مغربا للمغرب  
واذا الزمان كسالك حلة معدم      فالبس لها حلل النوى وتغرب  
ولقد آبيت مع الكواكب راكبا      أعجازها بعزيمة كالكوكب  
والليل في لون الغراب كأنه (٤٣)  
والعين تنصل من دجاد كما انجلى      صبغ الشباب عن القذال الأشيب  
حتى تجلى الصبح في جنباته      كالماء يلمع من وراء الطحلب

وفخر الرجل بأبائه قليل ، ولكنه على جانب كبير من الغلو  
والاسراف • فطبيء عنده أكرم الناس قاطبة وأشجعهم ، وهي « قد  
ملكنا الارض قبل أن تملك » ، وقد كان « عرب الحجاز لقومه عندما  
نزلوه عبيدا ارقاء » وأكبر الظن أن هذا الفخر انما كان من نزوات  
الشباب ونزغاته • فقد ورد كل هذا في داليتيه التي مطلعها :  
انما الغي ان يكون رشيدا      فأقصا من ملامه أو فزيدا

(٤٣) ربما كان الصواب كأنما .

وهي قصيدة تدل مقادمتها على أنها قيلت في شرح الشباب .  
أما فخره بفضائله ومناقبه فإنه قليل أيضاً ولكنه من جيد شعره ،  
وهو إذا حدثنا عن نفسه قال لنا إنه شديد البأس شديد الرأي صليب  
العود حمول لعظائم الأمور صبور على المكروه . ولعلنا لا نخفيء  
إذا لاحظنا أن أحسن ما له في هذا الباب داليتة التي وصف فيها لقاءه  
الذئب وقتله إياه والتي نروي أحسنها فيما يلي :

فقل لبني الضحك مهلاً فأنبي  
بني فاهل مهلاً فان ابن أختكم  
متى هجتسوه لا تهيجوا سوى الردى  
مهيباً كنصل السيف لو ضربت به  
يودث رجال أنني كنت بعض من  
ولولا احتمالي ثقل كل ملة  
ذريني وإياهم فحسبي صرامتي  
ولي صاحب غضب المضارب صارم  
وباكية تشكو التراق بأدمع  
رشادك ، لا يحزنك بين ابن همة  
فمن كان حراً فهو للعزم والسرى  
وليل كأن الصبح في أخرياتيه  
تسربلته والذئب وسنان هاجع

أنا الافعوان الصلث والضيغم الورد  
له عزمات هزل آرائها جد  
وإن كان خرقاً ما يحل له عقد (٤٤)  
ذرى أجأظلت وأعلامها وهد (٤٥)  
طوته الليالي لا أروح ولا أعدو  
تسوء الأعداي لهم يودثوا الذي ودثوا  
إذا الحرب لم يقدر لمخمدها زند  
طويل نجاد ما يفلس له حد  
يبادرنها سحاً كما انتثر العقد  
يتوق الى العلياء ليس له ند  
ولليل من أفعاله لا الكرى (٤٦) عبد  
حشاشة فصل ضم إفرنده عمد  
بعين ابن ليل ماله بالكرى عهد

(٤٤) الخرق « بكسر الخاء » : الفتى الكريم الخلق .

(٤٥) أجأ : جبل لطيء .

(٤٦) في الديوان ( والكرى ) ولا معنى لهذا العطف اما قوله ( ومن  
أفعاله ) فإنه حشو لا مبرر له .

أثير القطا الكلدري عن جلماته  
وأطلس ملء العين يحمل زوره  
له ذنب مثل الرشاء يجره  
طواه الطوى حتى استمر مريره  
يقضقض عصلاً في أسرتها الردى  
سما لي وبي من شدة الجوع ما به  
كلانا بها ذنب يحدث نفسه  
عوي ثم أقعى فأرتجرت فهجته  
فأوجرت به خرقاء تحسب ريشها  
فما ازداد إلا جرأة وصرامة  
فاتبعنها أخرى فأضلت نصلها  
فخره وقد أوردته منهل الردى  
وقمت فجمعت الحصى فأشتويته  
ونلت خسيساً منه ثم تركته  
إلا أنه شديد الحجر بشعره كثير الاعجاب به - كما مر - وفي  
اعتقاده أن قصائده ( منقوشة نقش الدناير ، ينتقي لها اللفظ كما ينتقى  
التبر ) وهي ( جامعة بدد العلى ، تعلقت من قبل الشاعر واتعبت من

- (٤٧) الكلدري : غير الصافي . الربد : جمع أربد وهو حية خبيثة .  
(٤٨) أطلس : أغبر . الزور : وسط الصدر او ما ارتفع منه .  
الشوى . الاطراف أو اليدان والرجلان . النهد : المرتفع .  
(٤٩) استمر مريره : اشتدت عزيمته .  
(٥٠) ققض : اصطكت أسنانه . وأنياب عسل : عوج ، واحدها  
اعصل وأسرة : جمع سر بضم السين وهو جوف كل شيء وباطنه .  
(٥١) أوجره الرمح : طعنه به في فيه .

بعده وهي ( سائرة أمام الريح ، غدوتها شهر وروحنتها شهر ) ومن  
بليغ فخره في هذا الباب قوله :

هذي نوافلك التي خولتها رجعت غرائبها إليك قصائد  
تعطيك شهرتها النجوم طوالها وتريك أنفسها الجبال خوالدا  
• متعسفات ما تزال روانها تأبى عليها أن تسير قواصدا  
وهي القوافي ما تقرُّ ثوابها لمدح حتى تعود شواردا  
علل لا تواء الذخائر كلما جلبت على ملك أباح التالدا (٥٢)  
والبحر لولا أن تسير سفينه بالريح ما برحت عليه رواكدا

\* \* \*

أما منادمته الخلفاء فقد كانت موضوع فخره في تأييده التي ندد  
فيها ببعض أقربائه الذين يتمنون هوته بغضاً وحسداً مع أنه لسانهم  
ومفخرتهم • ولكنه استطرد عند ذكره هذه المنادمة إلى انتفاع الناس  
بمركزه في بلاط الخليفة ، وبذلك أصبح فخره مقبولاً مستساغاً • اسمع  
قوله في هذا :-

ومن الأقارب من يسر بميتتي سفهاً وعزاً حياتهم بحياتي  
إن أبق أو أهلك فقد نلت التي ملأت صدور أقاربي وعداتي  
وغدوت ندمان الخلائف نابهاً ذكرى ، وناعمة بهم نشواتي  
وشفعت في الأمر الجليل إليهم بعد الجليل فأنبهوا طلباتي  
وصنعت في العرب الصنائع عندهم من رقد طلاب وفك عناة (٥٣)

(٥٢) اتواء المال : انفاقه ، التالدا : المال .

(٥٣) من هذه الصنائع التي يشير إليها البحثري شفاعته برجال  
ربيعة ، وقد جيء بهم بعد قمع فتنة قبلية الى المتوكل على الله مكبلين  
بالحديد . وفي هذه الشفاعة يقول البحثري :

وصفه : أنتقل بك الآن الى وصف البحترى المتليء حياة وحركة  
وجمالاً وقد قلت لك عند الكلام على وصف أبي تمام إن الطبيعة تحتل  
المكان الاول منه وأقول لك الآن ان القصور ، بما فيها من زينات  
وزخارف ومسرات ومباهج ، تحتل المكان الأول من وصف البحترى •  
ولا غرابة في ذلك ، فقد قدّر اصحابنا أن ينادم المتوكل على الله مدة  
خلافته ، وأن يكون ذا حظوة كبيرة عند ابنه المعتز • وأنت تعرف غرام  
المتوكل ببناء القصور ورغبته الصادقة في الاستمتاع بالحياة • ولم  
يكن ابنه المعتز أقل منه ولعاً بالبناء والاستمتاع برغد العيش على قصر  
حكمه وسوء الحالة في عهده • من أجل هذا حفل وصف البحترى  
بمشاهد ومناظر لم يقدر لغيره من الشعراء أن ينعم بها وأن يصفها  
وصفاً قوامه المشاهدة والخبرة المباشرة ومن هنا أيضاً يمكن القول إنه  
أرسخ لنا جانباً مهماً من حياة عصره الاجتماعية كما أرخ لنا جانباً مهماً  
من حياته السياسية : فهو يصور لنا في عينيته التي مطلعها :  
شوق إليك تفيض منه الأدمع ••• الخ

#### وميميته التي مطلعها :

عذيري فيك من لاح اذا ما شكوت الحب حرقني ملاما  
جمال المتوكلية (٥٤) وبهجتها واشرافها ، إلا أنه يصفها لنا في هاتين  
القصيدتين وصفاً مجملًا ، ثم إنه يعود فيفصّل لنا محاسن هذه المدينة  
جاءتك أسرى في الحديد أذلة مجموعة الايدي الى الاذقان  
فافكك جوامعهم بمنك انها سموت على أيدي ندى وطعان  
(٥٤) المتوكلية : مدينة بناها المتوكل على الله بقرب سر من رأى سنة  
خمس واربعين ومائتين هـ فعمرت واكتظت بالسكان . الا أن الناس  
هجروها بعد قتله فأسرع اليها الخراب .

في قصائد عديدة تفصيلاً كافياً • مثل ذلك أنه يعطينا في رأيته التي  
مطلعها :

إن الغائب عداة سمح محجر هيجن حرّ جوى وفرط تذكر (٥٥)  
فكرة قريّة واضحة عن « حصن الجعفري » ، وهو خير ما في  
هذه المدينة ، وما يمتاز به من طيب في التربة وجودة في الهواء وأناقة في  
الفناء وفخامة في البناء وجمال في المناظر وجلال في المشاهد • ويصف  
لنا في ميميته التي مطلعها :

ان طبفا يزورني في المنام لخليّ من لوعتي وغرامي  
قصري « الصييح » « والمليح » ، وهما من أجمل قصور تلك  
المدينة ، وصفاً رائعاً مستقيماً تعلم منه أن في احدهما « بركة حسناء ،  
إذا توسطها الماء القت عليه صبغ الرخام » وبدا كأنه ماء بحر ، وأن  
بساتينه تسقى بدواليب ليس لها ناضح (٥٦) الا النعام • ويحدّثنا في  
هائيته التي مطلعها : « ميلوا الى الدار من ليلي نحييها » عن البركة السالف  
ذكرها أو بركة أخرى للمتوكل تضارعها أو تفوقها حسناً ، حديثاً لا أظنه يغيب  
عن ذهنك • ويمضي في تصوير هذا الترف الذي يعمر حياة سيده  
فيصف لنا في ميميته التي مطلعها :

ألا هل أتاها بالمعيب سلامي وهل خبرت وجدي بها وغرامي  
قصرًا بناه المتوكل على الله في نوع من السفن عظيم يسمى  
« الزو » يقاد بزمام كما يقاد البعير ، ويسير في الماء كما تسير العربة  
على الارض وتنزه فيه على دجلة مستصحباً قيانه وندمانه مطلقاً بزاته  
في الجوّ مضيفاً بهجة الصيد إلى لذات الشراب والسماع •

(٥٥) محجر : موضع .

(٥٦) نلناضح : ما يستقى عليه الماء من الحيوان .

وكما يصف لنا البحترى قصور المتوكل على الله وما فيها من نعيم  
وصفاء عيش يصف لنا كذلك قصور ابنه المعتز وما فيها من روائع  
وبدائع وعجائب وغرائب ، فيقول لنا مرّة إنه بنى قصرأ طلى سقفه  
بالذهب وصنع بعض حيطانه من الزجاج وأغلق عليه صنوف الزخارف  
والزينات • وتارة إنه بنى لنفسه صرحاً مسرّداً من قوارير يباهي به  
صرح سليمان بن داود الذي ورد ذكره في التنزيل •

فوق صرح مسرد من قوارير ر غريب التأليف والتبريد (٥٧)

هذا إلى أنه يصف جولاته في « الزو » وسائر أفراحه وأعياده  
وصفاً رائعاً تقيساً • ومما تدلنا عليه هذه الصفحات من شعر البحترى  
أن المعتز كان يؤثر دائماً أن ( يدشن ) قصوره في أيام الربيع — هكذا  
فعل في ( تدشين ) « الكامل » القادم وصفه ، وهكذا فعل في ( تدشين )  
صرحه المسرد من قوارير ، وهكذا فعل في تدشين « قصر الساج (٥٨) » •  
فأنظر كيف يتذوّق هؤلاء الناس لذات العيش • وكيف يقرون أعيادهم  
بأعياد الطبيعة لينالوا أعظم حظ ممكن من السرور ، والانشراح ! •  
على أننا لا نحمد لهم ذلك كثيراً ، فقد كان لهم من فساد ملكهم وانحلال  
أمرهم ما يحملهم على التفكير في تشييد قصور الاصلاح ، ويدفعهم  
إلى إقامة مواسم الانشاء والتعمير لمملكته المتضعفة البنيان المتداعية  
الأركان ، ولكن ما كان ذلك ليشغل بالهم ويثير اهتمامهم وقد جنوا  
ثمار ما غرسوا ورأوا نتيجة ما عملوا ••• لنخلّهم وشأنهم أذن ولنعد

(٥٧) من الغريب ان البحترى لم يصف هذا القصر العجيب الا  
بأبيات قليلة جداً .

(٥٨) انظر قافية البحترى التي مطلعها :

أما الخيال فانه لم يطرق الا بعقب تشوف وتشوق



الى أبي عبادة ليسمعنا قوله في قصري الصبيح والمليح :  
قد صفا جانب الهواء ولذت رقة الماء في مزاج المدام  
واستتم الصبيح في خير وقت فهو معنى أنس ودار مقام  
ناظر وجهة المليح فلو يستطيع حيّاه معلناً بالسلام  
ألسا بهجة وقابل ذا ذاك فمن ضاحك ومن بسّام  
كالمحبّين لو أطافا التقاءً أفرطاً في العناق والالتزام

منها في وصف أحد القصرين :

مستمدٌ بجدول من عباب الماء كالايض الصقيل الحسام  
وإذا ما توسّط البركة الحسناء ألفت عليه صبغ الرخام  
فتراه كأنه ماء بحر يخدع العين وهو ماء غمام  
والدواليب إن يدرن ولا نا ضح يمشي بهنّ غير النعام

ومنها :

حلل من منازل الملك كالأنف جم يلمعن في سواد الظلام  
منفحات تعيي الصفات فما تدرك إلا بالظن والأوهام  
فكأننا نحشها بالأمانبي أو نراها في طارق الاحلام  
شوقتنا إلى الجنان فزدنا في اجتناب الذنوب والآثام

وقوله في الزوئ :

أبي يومنا بالزوئ الا تحسنا لنا بسمع طيب ومدام  
غيناً على قصر يسير بفتية قعود على أرجائه وقيام

تظل البزاة البيض تخطف حولنا  
تحدّر بالدراج من كلّ شاهق  
فلم أر كالقطول يحمل مأوه  
ولا جبلاً كالزوّ يوقف تارة  
جأجىء طير في السماء سوام (٥٩)  
مخضّبة أظفارهن دوامي  
تدفق بحر بالسماحة طام  
وينقاد إمّا قدته بزمام

وقوله في وصف الكامل : (٦٠) :

لمّا كملت رويّة وعزيمة  
وغدوت من بين الملوك موفّقاً  
ذعر الحمام وقد ترنّم فوقه  
رفعت لمخترق الرياح سموكه  
وكأن حيطان الزجاج بجوّه  
وكأن تفويف الرخام إذا التقى  
حبك الغمام رصفن بين منمّر  
لبست من الذهب الصقيل سقوفه  
فترى العيون يجان في ذي رونق  
وكأنما نشرت على بستانه  
أغنته دجلة إذ تلاحق فيضها  
أعملت رأيك في ابتناء الكامل  
منه لأيمر حلةً ومنازل  
من منظر خطر المزلّة هائل  
وزهت عجائب حسنه المتخايل  
لجج يمجن على جنوب سواحل  
تأليفه بالمنظر المتقابل  
ومسّير ومقارب ومشاكل (٦١)  
فوراً يضيء على الظلام الحافل  
متلهب العالي أنيق السافل  
سيرا وشي اليمنة المتواصل (٦٢)  
عن صوب منسجم الرباب الهاطل

- (٥٩) الجأجىء : جمع جؤجؤ كهدهد وهو الصدر .  
(٦٠) لولا هذه الأبيات لجهلنا أمر هذا القصر جهلاً تاماً . لأن كتب التاريخ والجغرافيا عند العرب لا تحدثنا عنه بشيء .  
(٦١) الحبك : جمع حبيكة ، وحبيكة الغمام ما تكسر أو تجعد منه . المنمر : ما احتوى على النمرة وهي النكتة من أي نوع كانت . المسير : ثوب مخطط شبه به الغمام في بعض حالاته .  
(٦٢) السيرا : الحرير الصافي . واليمنة : برد يميني .

وتنفست فيه الصبا فتعظفت أشجاره من حَوْل وجوامل  
مشي العذارى الغيدر حن عشية من بين حالية اليدين وعاطل

\* \* \*

وافيته والورد في وقت معاً ونزلت فيه مع الريح النازل  
وغدا بنوروز عليك مباركاً تحويل عام إثر عام حائل  
ووصف البحري قصور العباسيين وأعيادهم وسائر أفراسهم كله  
على هذا النحو فنجتزيء منه بما تقدم ، بيد أنه مما يجب أن يلاحظ  
أن البحري يحسن وصف قصور الملوك وهم أموات كما يحسن وصف  
قصورهم وهم أحياء • بل إنه أدق وصفاً وأصدق تصويراً لقصور  
الأموات منهم ولعل سبب ذلك ما في هذه من عظة صادقة وعبرة مؤثرة  
تصهر النفس وتنفذ الى قرارة الوجدان وتسمو بالشاعر الملهم إلى أوج  
الاحسان والابداع ، وما أشك في أنك فهمت ما أقصد ، فأنا أريد أن  
أتحدث عن السينية الخالدة ، وقبل ان أتحدث عنها اودث أن اسأل متى  
نظمت هذه القصيدة ؟ وهل الغرض الأول منها وصف الايوان ؟

يخيّل إليّ أن هذه القصيدة نظمت في الاسابيع أو الأشهر القليلة  
التي تلت مصرع المتوكل والتي أفل فيها نجم البحري على عهد المنتصر ،  
وأن الغرض الأول منها وصف ما يحسه الشاعر من ألم شديد وحزن  
عميق على عهد ظفر فيه بكل ما يصبو إليه من مال وجاه وكل ما يحلم  
به من ترف ونعيم ، فهي اذن ( مذكّرة نفس ) كما يقول هيكو عن  
تأملاته قبل أن تكون قصيدة وصف ، ومع ذلك فقد بلغ ما فيها من  
وصف منتهى الاجادة والاحسان • وإنه لمن حق البحري ومن حق  
الأدب أن نقف عند هذه القصيدة الفريدة ولو وقفة قصيرة لنتفهم بعض

ما فيها من فن بارع وجمال رائع •

تقع هذه القصيدة في ستة وخمسين بيتاً يتحدث البحتري في العشرة الأولى منها عن تنكر الايام له وتغير الزمن عليه ، ويشير إلى جنفاء أحد أقاربه إياه اشارة المعتز بحسبه وخلق المعتمد على ما عنده من صلابة العزم وقوة الارادة ، ويحدثنا فيما عدا ذلك من القصيدة بأنه زار أيوان كسرى في هذا انظر العصب من حياته طلباً للغزاء والتماساً للعظة بما نزل بال ساسان من غير الدهر وأحداثه • وهنا يقف البحتري وقفة التأمل المتدبر ، فيصف لنا مرة عظمة آل ساسان وضخامة ملكهم وسعة سلطانهم ، ويصف لنا تارة جمال الايوان وفخامته وأبهته وما يزينه من نقوش وتصاوير يكاد يجري فيها دم الحياة ، ويصف لنا طوراً مجلس خمر نعم به هناك ، ساقيه ولده أبو الغوث ، ونديماه كسرى أبرويز والبلهيد ، ويصف لنا حيناً ما يملأ نفسه من خواطر وانطباعات تنتقل به من عالم الحس الى عالم النفس ، فيمعن في التفكير ويمعن في التخيل حتى يتراءى له سكان الايوان وكأنهم أحياء يرزقون ويسكب أبو عبادة دموعه الحارة في هذه المرحلة من تأمله وتخيله ، لا لأن الدار داره ولا لأن أهلها أهله ، بل لان أهلها ساعدوا على تحرير بلاده وهي اليمن من فير الاحباش ، ولأنه يجب الاشراف جميعاً سواء في ذلك الاقربون منهم والأبعدون (٦٣) وظاهر أن القصيدة كما أصفها لك وحدة يائية متماسكة تفيض بالحياة والجمال والأنسجام • وهي من هذه الناحية تشبه رائية البحتري في رثاء المتوكل

(٦٣) نظمت في مجازاة هذه القصيدة عدة سينييات أحقها بالذكر سينية شوقي ولكننا قد لا نظلم شوقي اذا لاحظنا أن خير بيت له في وصف اطلال الحمراء وهو قوله :

وميميته في رثاء آل حميد .

يقول ابن المعتز ما نصه تقريباً : لو لم يكن للبحثري إلا سينيته  
في وصف إيوان كسرى لكفى ، فليس للعرب سينية مثلها . . . وأنا  
أزعم أنه ليس للعرب مثلها دون تقييد بالروى .

على أن البحتري لم يكن وصاف قصور ومصور زخارف وزينات  
فحسب ، بل إنه شاعر مبدع كل الأبداع في وصف محاسن الطبيعة .  
اسمع قوله في وصف دمشق للمتوكل على الله :

أمّا دمشق فقد أبدت محاسنها      وقد وفى لك مطريها بما وعدا  
إذا أردت ملأت العين من بلد      مستحسن وزمان يشبه البلدا  
يمسي السحاب على أجبالها فرقا      ويصبح النبات في صحرائها بددا  
فلمست تبصر إلا واكفا خضلا      أو يانعا خضرا أو طائرا غردا  
كأنما القيظ ولي بعد جيئته      أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقوله في وصف منازل صالح بن وصيف في الجزيرة :

فكم بالجزيرة من روضة      تضاحك دجلة ثغبانها (٦٤)  
تريك اليواقيت مشورة      وقد جلل النور ظهرانها  
غرائب تخطف لحظ العيون      إذا جلت الشمس الوانها

\* \* \*

مشت الحادثات في غرف الحمراء مشي النعي في دار عرس -

مأخوذ من قول البحتري :

لو تراه علمت أن الليالي      جعلت فيه مأتما بعد عرس

واحب ان اشير هنا الى لاني لم ارو شيئا من سينية البحتري على

نفاستها لأنها من الشهرة بمكان .

(٦٤) الثغبان : جمع ثغب وهو ما بقي من الماء في بطن الوادي او

الغدير في ظل الجبل .

تسير العمارات أيسارها      ويعترض القصر أيمانها  
وتحمل دجلة حمل الجموح      حتى تنطاح أركانها  
كأن العذارى تمشى بها      اذا هزت الريح أفنانها  
تعاقد للقرب شجراؤها      عناق الأحبة أسكانها  
فطورا تقوم منها الصبا      وطورا تميل أعصانها  
جنوح تنقل أفياءها      كما جرت الخيل أرسانها

أما بعد ، فقد لا أخطيء اذا لاحظت أن البحثري من أغزر شعرائنا  
مادة في الوصف وأكثرهم تمثيلا للحضارة الاسلامية وأدقهم تحليلا  
وأوفاهم تفصيلا وأنصعهم ديباجة •

هجاؤه : ولكن هجاء البحثري على عكس ما تقدم من شعره فإنه  
قليل الجمال ضئيل القيمة من الناحية الفنية • ولم يخطيء النقاد القدماء  
والمحدثون في اعتباره دون عامة شعره قوة وبراعة ، اذ كل ما يمتاز به  
هو الفحش والصرامة ، على أن بعضه لا يخلو من ظرف وفكاهة •  
ولعل هذه الأبيات التي يهجو صاحبنا بها الخشعي من أخف هجائه وطأة  
وأقربه الى الظرف والفكاهة وهذه هي :

ألان علمت أن البعث حق      وان الله يفعل ما يشاء  
رأيت الخشعي يقل أنفأ      يضيق بعرضه البلاد الفضاء  
سما صعداً فقصر كل سام      لهيئته وغصن به الهواء  
هو الجبل الذي لولا ذراه      إذا وقعت على الأرض السما

\* \* \*

عتابه : الا أن عتابه هين لين ، يغلب عليه الاستعطاف ويشيع فيه  
الاسترضاء ، وينحط أحيانا الى درك الاستجداء ، وليس في هذا ما

يسوء البحتري أو يخيفه • على أنه مضطر الى انتهاج مثل هذه الخطة  
في عتابه اضطرارا ، لانه يعاتب عظماء الدولة وأصحاب الحل والعقد  
أو من له منزلة كبرى عندهم ، وليس له طبعاً أن يعاتب أحداً من هؤلاء  
الا بهذه اللهجة الرقيقة الناعمة ، هذا اذا أراد أن يحتفظ بمركزه  
وثروته ، وهو يريد ذلك مهما كان الثمن وعلى هذا كان عتابه مثلاً  
في اللين وخفة الروح ، بل انه أقرب الى المديح منه الى العتاب • اسمع  
نوله معاتباً عيسى بن ابراهيم :-

قل لابي نوح شقيق الندى  
أعوذ بالرأي الجميل الذي  
من أن تصد الطرف عني وأن  
ان كان لي ذنب فعفوا وان  
أبعد أسباب متان القوى  
يخبرن عن قلب قديم الهوى  
أشمت حسادي ، وأخرجتني  
فهل لأنس بان من رجعة ؟  
لست على سخطك جلد القوى

ومعدن الجود وحلف السماح  
عودته والنائل المستماح  
أخيب من جدواك بعد النجاح  
لم يك لي ذنب ففيم أطراح ؟  
من فرط شكر سائر وامتداح  
فيك وعن صدر أمين النواح  
من سيبك المغدى علي المراح ؟!  
أم هل لحال فسدت من صلاح ؟  
ولا على هجرك شاكي السلاح

\*\*\*

فلسفته : ومع أن البحتري يقول لنا بصريح العبارة انه يهوى الثراء  
ويعشق الحياة الدنيا ولا يدخر في سبيل الحصول عليهما وسعا ، فانه  
يقرر من جهة أخرى أن الدنيا عرض زائل ومتاع كاسد ، سرورها  
وحزنها صنوان ، ونعيمها وبؤسها سيان ، ويدعو للزهد بها والاعراض  
عنها ، ويزعم أنه لم يحفل بها حتى في أيام عزه واقباله • وكلماته في

الدنيا والحياة والموت وما الى ذلك كثيرة منتشرة في ثنايا ديوانه الضخم  
أروي لك منها قوله :

اذا عاجل الدنيا أتم بمفرح      فمن خلفه فجع سيتلوه آجل  
وكانت حياة الحي سوقا الى الردى      وأيامه دون الممات مراحل  
وما لبث من يغدو وفي كل لحظة      له أجل في مدة العمر قاتل  
وللمرء يوم لا محالة ماله      غد وسط عام ماله الدهر قابل  
كفانا اعترافا بالفناء ورقبة      لمكروهه أن ليس للخلد آمل

وقوله :

يسر بعمران الديار مضلل      وعمرانها مستأنف من خرابها  
ولم أرتض الدنيا أوان مجيئها      فكيف ارتضائها أوان ذهابها

\* \* \*

لغته وأسلوبه : أشرت في أثناء الكلام على ثقافة البحري الى أنه  
رقيق اللفظ جميل التعبير ، معتدل في استعمال الزخرفة البيانية اعتدالا  
تاماً . وما أريد أن أقيم البرهان على هذا . فقد مر بك من شعر  
الرجل ما يؤيده التأييد كله . ولكنني أريد أن أقول الآن انه أي  
البحري متساهل بتهديب شعره الى حد ما . كثير الزخاف قليل  
الاكترات لقواعد الاعراب ، إلا أنه يحسن تأليف الصور الشعرية ويجيد  
ضرب الامثال اجادة تامة .

ظمن الغريب حقا أن يتنافر كلام البحري ويضعف تأليفه الى حد

قوله :

تدارك شمل الشعر والشعر شارداث      سوارد مرذول غريب الغرائب



وقوله :

وقصارى المشوق يصرمه الشائق اقصار شوقه أو قصوره

وقوله :

هيهات مارس قلقلا متيقظا قلقا اذا سكن البليد رشيقا (٦٥)  
ففي شينات البيت الأول وراءاته وهلهة نسجه ، وقافات البيت  
الثاني وصاداته وراءاته وسقم تأليفه ، وقافات البيت الثالث وثقل تركيبه  
ما يدل على أن البحترى لا يعنى بتهديب شعره عناية كافية على الدوام .  
ولا يقل عن هذا غرابة شيوع الزحاف في شعره ، ولعل وجوده في  
شعر النابغة وامريء القيس وبعض كبار شعراء الجاهلية الآخرين  
حملة على عدم الاحتراس منه . ولكن تقدم صناعة الشعر ورقى الملكات  
الفنية على عهده لا يسمحان للناقد النزيه بالاغضاء عن وجود هذا  
العيب في شعره لانه يدل على قلة الانتباه الى موسيقى الوزن وعلى  
عدم تذوقها تذوقا كافيا . ومن أمثلة الزحاف في شعر البحترى قوله في  
مطلع قصيدة : ( كنت ) الى وصل سعدى جد محتاج .

وقوله في نفس القصيدة :

إن ( أنا ) شبهته بالغيث في مدحي غضضت منه فكنت المادح الهاجى

وقوله :

وقلب هائم فيه احتراق يكاد لشدة ( الهوى ) يبئد

(٦٥) القلقل : المعوان السريع الحركة .

وأغرب من هذا كله اهماله بعض قواعد الاعراب فكثيرا ما رفع  
الفعل المضارع بعد فاء سببية مسبوقه بما يوجب النصب كما في قوله :  
أعيب عليّ فلا هيابة فرق يخشى الهجاء ولا هش فيمتدح  
يريع كاتبه صلحي لينقصني ولم يكن بيننا شر فنصطلح  
فمما لا شك فيه أن ( يمتدح ) و ( نصطلح ) فعلان منصوبان بحكم  
الفاء السببية المسبوقه بنفي ، ولكنهما في بيتي البحتري مرفوعان •  
وربما نصب صاحبنا الخبر في غير مبرر ولا سبيل للتأويل كما في قوله :  
فهم قوم تبع خير قوم لهم الله بالفخار شهيدا  
( فشهيد ) خبر مرفوع لا سبيل الى نصبه ولكن البحتري نصبه  
نزولا عند ضرورة القافية • وفي الامكان احصاء هفوات أخرى للمترجم  
من هذا القبيل الا أن كثرة شعره الجيد المبرأ من كل عيب تحملنا على  
عدم التأثر بهذه الزلات في تحديد منزلته الشعرية • كما أننا لم نتأثر  
بأمثالها أو بما يقرب منها في تحديد منزلة أبي تمام •  
أضف الى ذلك قدرته العجيبة على تركيب الصور الشعرية التي  
يؤلف أجزاءها تأليفا متقنا ويشيع فيها الحياة والانسجام حتى تجيء  
وكأنها صور ناطقة متحركة • وقد مرت بك طائفة حسنة من صور  
الشعرية الرائعة من أهمها وصفه مقتل أسد على يد الفتح بن خاقان ،  
ومبارزته هو الآخر ذئبا وقتله اياه • ومر بك أيضا جانب من مرثيته  
لآل حميد والمتوكل على الله وهما من أجمل صوره وأجلها شأنًا • هذا  
الى أنه مجيد كل الاجادة في ضرب الامثال التي يضربها من حين لآخر  
مضمّنًا اياها حكمته ومؤيدا بها وجهة نظره ، فمن ذلك قوله :  
وهل خلق الفتى الا ليهوى ويأس بالدموع وبالدماء

وقوله:

إذا المرء لم تبدهك بالحزم والحجا  
قريحته لم تغن عنك تجاربه

وقوله:

إذا ما الجرح رمّ على فساد  
تبين فيه تفريط الطبيب

وقوله:

ليس يخلو وجودك الشيء تبغيه  
التماساً حتى يعز طلابه

وقوله:

والياس احدى الراحتين ولن ترى  
تعباً كظنّ الخائب المكدود

وقوله:

والأرض لولا العذاة واحدة  
والناس لولا الفعّال أمثال

وقوله:

متى أخرجت ذا كرم تخطى  
اليك بعض أخلاق اللئيم

وقوله:

والمرء لو كانت الشعري له وطننا  
حطت عليه صروف الدهر من صيب

**وقوله :**

وماتنت البطحاء من غير وابل ولا يستديم الشكر غير جواد

**وقوله :**

وأحب آفاق البلاد الى الفتى أرض ينال بها كريم المطلب

**هـ - خاتمة :**

إذا لم يخطيء ظني فإن في أصالة صفحات كثيرة من شعر البحري  
وفي أهمية صفحات أكثر من الوجهة التاريخية وفي ما لهذا الشعر على  
العموم من جمال اللفظ وصفاء الديباجة ، ما يحملنا على الاعجاب به  
وعلى دراسته بعناية واتقان ♦

## الفصل الثالث

### ابن الرومي

أ - حياته : اسمه ونسبه • كنيته • ولاؤه في بني العباس • مولده • نشأته • دراسته • ثروته • ضياعها • سبب ذلك • استسلامه للخيال • شرهه • انحلال جسمه وعقله • غلبة الطيرة عليه • بعض أخباره في هذا الشأن • من أشفق عليه من الطيرة ومن سخر منه • علاقته بآل العباس • تخليته عنها • هجاؤه إياهم • وفاته •

ب - أخلاقه •

ج - شعره : نسجه على منوال من تقدمه من الشعراء • الزعم بأنه كان يقول بوحدة الموضوع • تفنيده • هامش • غزله • غلبة التقليد عليه • أصالة جزء يسير منه • مثل من هذا الجزء • مديحه • كذبه • خيبة امله في بعض ممدوحيه • انتقامه منهم • موقف محمد بن عبيد الله بن طاهر منه • مالمديحه من القيمة الشعرية • ماله من القيمة التاريخية • مثل منه ، هجاؤه • صرامته • بذاءته • ميله الى الاعتداء عتابه • لينه وشدته • مثل منه • رثاؤه • غلبة الاخلاص عليه • مثل منه ، وصفه • تمثيله كل ناحية من نواحي حياته العقلية والنفسية ، مثل منه • لغته وأسلوبه •

اطالته • استهاتته بسلامة الاداء • استقصاؤه الدقيق

• للمعاني والاعراض

د - خاتمة : ابن الرومي من حيث هو رجل ومن حيث هو شاعر •

أ - حياته :

حدثتك في الفصل الماضي عن شاعر من أسعد الشعراء حظاً وأعظمهم نجاحاً في شعره ، ألا وهو ابو عبادة البحتري • وأحدثك الآن عن شاعر من أسوأ الشعراء حظاً وأشدهم اخفاقاً ألا وهو علي ابن العباس بن جريج أو جريج المكنى بأبي الحسن والمعروف بابن الرومي وهو مولى عيسى بن عبد الله بن جعفر بن المنصور ثاني خلفاء بني العباس •

ولد في بغداد لثلاثين خلتما من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين ونشأ في كنف الخلافة العباسية ودرس دراسة حسنة نلمس آثارها في أدبه الجهم وشعره الجيد ولكننا نجعل تاريخ نشأته ودراسته • ويدل شعره على أنه ورث ضيعة ولكنه أضاعها ، وداراً ولكنها غصبت منه وثروة ولكنه لم يستطع الاحتفاظ بها وذلك لأنه لم يخلق لكسب المال وتدييره والقيام عليه ، وإنما خلق للكسل والاسترخاء والاستغراق في الخيال وقرض الشعر في ظلال الخمول والراحة وقد غلبت عليه هذه الناحية حتى اضطرب عقله وفسد تفكيره وساعد على محنته هذه شره شديد فيه ، خلق منه رجل معدة مسرفاً في طعامه وشرابه الاسراف كله ومعنى ذلك أن عوامل أدبية ومادية قوية تضافرت عليه فأفقدته سلامة عقله كما أفقدته سلامة جسمه • وظهر أثر كل ذلك واضحا قويا في غلبة

الطيرة على عقله ، فقد كان يتطير بكل شيء حتى بما يتيمن به المتشائمون .  
افتقده أحد عارفي فضله من الأمراء فقيل له انه سجين بيته منذ  
مدة من الزمن بسبب الطيرة فأرسل اليه غلاما اسمه ( إقبال ) ليتيمن به  
ويخرج من منزله فلما تهيأ لزيارة الأمير أدركه الالهام في آخر لحظة  
فقال للغلام « أذهب فأنت ناقص • ومعكوس اسمك لابقاء » ولبث  
معتكفاً في منزله • وطال اعتكافه فأضر هذا بأهله وتعذر عليهم الطعام  
والشراب •

حدث علي بن ابراهيم كاتب مسرور البلخي قال « كنت بداري  
جالساً فاذا حجارة سقطت بالقرب مني فبادرت هارباً وأمرت الغلام  
بالصعود الى السطح والنظر الى كل ناحية من أين تأتي الحجارة فقال :  
امرأة من دار ابن الرومي الشاعر قد تشوفت ، وقالت أتقوا الله فينا  
واسقونا جرة ماء وإلا هلكنا ، فقد مات من عندنا عطشا ، فتقدمت الى  
امرأة عندنا ذات عقل ومعرفة أن تصعد اليها وتخطبها ففعلت وبادرت  
بالجرة وأتبعتها شيئاً من المأكول ثم عادت إلي فقالت : ذكرت المرأة  
أن الباب عليها مقفل من ثلاث بسبب طيرة ابن الرومي وذلك أنه يلبس  
ثيابه كل يوم ويتعوذ ثم يصير الى الباب والمفتاح معه ، فيضع عينه  
على ثقب في خشب الباب فتقع عينه على جار له كان نازلاً بازائه وكان  
أحذب يقعد كل يوم على بابه (١) فاذا نظر إليه رجع وخلع ثيابه وقال  
لا يفتح أحد الباب ، فعجبت لحديثها وبعثت بخادم كان لي يعرفه فأمرته

(١) انتقم ابن الرومي لنفسه من هذا الاحذب بقوله فيه و ( هو  
من احسن الهجاء ) :

قصرت أخادعه وطال قذاله فكانه متريص أن يصفعا  
وكانما صفت قفاه مرة واحس ثانية لها فتجمعا

بأن يجلس بازائه وكانت العين تميل إليه وتقدمت إلى بعض أعواني  
 أن يدعو الجار الأحذب فلما حضر عندي أرسلت وراء غلامي لينهض  
 إلى ابن الرومي ويسندعيه إلى الحضور فإني لجالس ومعني الأحذب  
 إذ وافى أبو حذيفة الطرسوسي ومعه برذعة الموسوس صاحب المعتمد  
 ودخل ابن الرومي فلما تخطى عتبة باب الصحن عشر فانقطع شمع  
 نعله فدخل مذعوراً وكان إذا فاجأه الناظر رأى منه منظراً يدل على  
 تغيره حال فدخل وهو لا يرى جاره المتطير منه ، فقلت له يا أبا الحسن  
 أيكون شيء في خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم ونظرك إلى وجهه  
 الجميل ؟ فقال قد لحقني ما رأيت من العثرة لأنني فكرت أن به عاهة  
 وهي قطع أثيبه : -

قال برذعة : وشيخنا يتطير ؟ قلت نعم فأقبل عليه وأنشده :

لما رأيت الدهر يؤذن صرفه      بتفريق ما بيني وبين الحباب  
 رجعت إلى نفسي فوطنتها على      ركوب جميل الصبر عند النوائب  
 ومن صحب الدنيا على جور حكمها      فأيامه محفوفة بالمصائب  
 فخذ خلسة من كل يوم لقيته      وكن حذراً من كامنات العواقب  
 ودع عنك ذكر الفال والزجر واطرح

تطير جار أو تفاؤل صاحب

فبقي ابن الرومي باهتاً ينظر إليه ولم أدر أنه شغل قلبه بحفظ  
 ما أنشده ، ثم قام أبو حذيفة وبرذعة معه فحلف ابن الرومي الا يتطير  
 أبداً من هذا ولا من غيره وأوماً إلى جاره فقلت وهذا الفكر أيضاً من  
 التطير فأمسك « (٢) »

(٢) زهر الآداب ج ٢ ص ١٧٧ طبعة المطبعة الرحمانية بمصر .



على أنه إذا كان بين الناس من أسف لشذوذ الشاعر وعمل على تخفيف بلواه فقد كان بينهم من يتندر به ويسخر منه وأشهر من فعل هذا علي بن سليمان المعروف بالأخفش الصغير الذي كان يأتيه فيما يقول صاحب زهر الآداب سحراً ويدق عليه الباب فاذا قيل له من ؟ قال قولوا لأبي الحسن ( أنا مرة بن حنظلة ) أو ( أنا الشؤم والبلاء ) فيتطير الشاعر المسكين ويبقى في منزله أياماً لا يأتي أي عمل • وانتقم ابن الرومي لنفسه من هذا الشاب النزق الذي لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً فهجاء وأقذع في هجائه • وأشفق النحوي في أول الأمر من الهجاء وتوسل إلى الشاعر أن يصفح عنه مستشفعاً إليه ببعض أولي الفضل والادب فقبل الشفاعة وصفح عن النحوي وأمسك لسانه عنه ولكن يظهر أن هذا كان يجد في إيذاء ابن الرومي سروراً يهون عليه في سبيله احتمال الهجاء فعاد إلى الشاعر بهزئه وسخريته وعاد هذا إلى هجائه ولكنه تظاهر بعدم الاكتراث بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك فكان يحفظ هجاء ابن الرومي له ويمليه على أصحابه تفكهاً به وقلة اكتراث له فلما رأى الشاعر أن هجاءه لا يؤذيه صرف نظره عنه •

وتسألني عن علاقته بآل العباس وأثرها في تخفيف بلواه ، فأقول لك انه تخلى عن هذه العلاقة وطعن بامامة أسياده القداماء وقال انهم أئمة ظلمة غضبوا أبناء عمومتهم العلويين حقهم في الخلافة واستأثروا بما ليس لهم ، وتمنى زوال نعمتهم وانقراض دولتهم :

أجثوا بني العباس من شنائكم

وأوكوا علي ما في العياب وأشرجو (٣)

(٣) أوكوا شذوا الوكاء وهو رباط القربة وأشرجوا لفظ مرادف لأوكوا يقول اكنموا بفضاءكم لابناء عمومتهم وبالغوا في الكتمان •

وخلتوا ولاة السوء منكم وغيهم فأحربهم أن يفرقوا حيث لججوا  
نظار لكم أن يرجع الحق راجع إلى أهله يوماً فتشجوا كما شجوا  
والقصيدة طويلة يرثي بها الشاعر يحيى بن عمرو العلوي الذي  
ثار على العباسيين بالكوفة سنة إحدى وخمسين ومئتين للهجرة فقمعوا  
فتنته وقتلوه ♦

تلك كانت أسباب فشل ابن الرومي بل أسباب نكبته الساحقة  
المأخوذة التي رزح تحت أعبائها عشرات الأعوام حتى دس إليه القاسم  
ابن عبيد الله بن وهب الذي كان يخشى معرة لسانه من أطعمه  
خشكانجة مسمومة كان فيها حتفه وكان ذلك سنة ثلاث وثمانين أو  
أربع وثمانين ومائتين ♦

#### ب - أخلاقه :

أما أخلاقه فانها تتناقض تناقضاً يتناسب وشدوده وفساد تفكيره  
فهو بشهادة شعره بخيل جواد ، جبان شجاع ، كذوب صدوق ، حقود  
متسامح وهكذا ♦♦♦ (٤)

ومصدر هذا كله اعتلال صحته واختلال أعصابه واسرافه على  
نفسه في كل شيء ♦ فقد كان مسرفاً في طعامه مسرفاً في شرابه مسرفاً  
في إرضاء شهواته ولذاته ما وجد الى ذلك سبيلاً ♦ ورجل هذا شأنه  
وذاك ديدنه مقضي عليه حتماً بما قضى به على ابن الرومي ، من اعتلال  
الجسم واختلال العقل وانحلال الخلق ♦

(٤) راجع في هذا « ابن الرومي حياته من شعره » للعقاد ص ١٠٢  
الى ١٥٢ الطبعة الثانية .

لابن الرومي شعر كثير لم يطبع الا أقله نسج فيه على منوال من تقدمه من الشعراء فمدح وهجا ، وشبب ورثي ، ووصف وضرب لأمثال وجمع الموضوعات المختلفة في القصيدة الواحدة (٥) .

وأرجو أن أحدثك فيما يلي عن مختلف ضروب شعره وأبوابه .  
غزله : الواقع أن غزل ابن الرومي في جملته لا يحتوي على مقاصد وأغراض غرامية حقيقية . وأنه لا يبدو أن يكون رواية معانٍ مألوفة وأخيلة معروفة طالما ردها الشعراء من قبل ، فقدود الغيد الحسان أغصان ، وأردافهن كشيان ، وخذودهن تفاح ، ونهودهن رمان ،

(٥) يذهب الاستاذ العقاد الى ان قصائد ابن الرومي « موضوعات كاملة تقبل العناوين وتنحصر فيها الأغراض ولا تنتهي حتى ينتهي مؤداها وتفرغ جميع جوانبها والطرافها ولو خسر في سبيل ذلك اللفظ والفصاحة» ابن الرومي حياته من شعره ص ٣١٦ الطبعة الثانية .

ولكننا اذا رجعنا الى ديوان ابن الرومي رأينا انه يحتوي على قصائد كثيرة تتعدد موضوعاتها وتنوع أغراضها منها هذه النونية التي يمدح بها أبا الصقر اسماعيل بن بلبل والتي مطلعها :

اجنت لك الوجد اغصان وكشيان      فيهن نوعان تفاح ورمان  
وهذه البائية التي يمدح بها عبد الله بن عبيد الله والتي مطلعها :

صبا من شاب مفرقه تصاب      وان طلب الصبا والقلب صاب

وهذه البائية التي يهجو بها البحرري والتي مطلعها :

ما أنس لا أنس هنذا آخر الحقب      على اختلاف صروف الدهر والنوب

وقد أعتذر ابن الرومي الى أحد ممدوحيه عما صدر به مديحه من التشبيب فقال مشيراً الى قصيدته :

لم يعبها سوى قواف تشاغلن      عن المدح فيك بالتشبيب  
ولا أدري كيف يوفق الاستاذ العقاد بين ما ذهب اليه وبين هذه الحقائق الناطقة التي لا تقبل الجدل .

وشعورهن أعناب مهدلة ، وأناملهن عذاب ، واجفانهن نرجس ضربه  
سقيط الطل ، وثغورهن اقحوان ، والحبيب غزال يصيد الألباب  
بنظراته ، ومحبوه يجرحون خديه بالحاظهم ولكنه يقتص لنفسه فيجرح  
قلوبهم بتباريح الوجد ولواعج الحب وهكذا • على أنه من الحق أن  
نقرر أن ابن الرومي يعرض هذه المعاني المألوفة بلغة جذابة وأسلوب  
رائع يحببناها الى القلوب ويقربناها من النفوس • وأنا الذي لا أختلف  
كثيراً مع عبيد الله بن طاهر الذي أطلق أسم « دار البطيخ » (٦) على  
نونيته التي مطلعها « أجنت لك الوجد الخ • • » أشعر عند قراءة  
نسيب هذه القصيدة بشيء لا بأس به من اللذة الفنية • على أن هذه  
الملاحظات لا تتناول بالطبع الدالية المترجم في وحيد المغنية لأنها تحتوي  
على غزل إلا يعبر عن عاطفة غرامية صادقة فانه يمثل مهارة فائقة في  
وصف بدائع الجمال وروائع الغناء • استمع إلى قوله فيها :

|                              |                          |
|------------------------------|--------------------------|
| وغرير (٧) بحسناها قال صفها   | قلت أمران هيّن و شديد    |
| يسهل القول إنها أحسن الأشياء | ساء طراً ويصعب التحديد   |
| تتجلى للناظرين إليها         | فشقيّ بحسناها وسعيد      |
| ظبية تسكن القلوب وترعنا      | ها وقمرية لها تغريد      |
| تتغنى كأنها لا تغني          | من سكون الأوصال وهي تجيد |
| لا تراها هناك تجحظ عين       | لك منها ولا يدرّ وريسد   |
| من هدوٍ وليس فيه انقطاع      | وسجو وما به تبليد        |
| مدّ في شأ وصوتها نفس كاف     | كأنفاس عاشقها مديد       |
| وأرق الدلال والغنج منه       | وبراه الشجا فكاد يبيد    |

(٦) دار البطيخ : محل تباع فيه الخضر والفواكه ببغداد .

(٧) الغرير هنا : المخدوع .

فتراه يموت طوراً ويحيا      مستلذ بسيطه والنشيد (٨)  
 فيه وشي وفيه حلي من النغ      سم مصوغ يختال فيه القصيد  
 في هوى مثلها يخفف حليم      راجح حلمه ويغوى رشيد  
 ما تعاطى القلوب إلا أصابت      بهواها منهّن حيث تريد  
 عيها أنها إذا غنت الاح      رار ظلوا وهم لديها عبيد

مديحه : ومديح ابن الرومي أكثر كذباً وأشد إغلاً في التقليد  
 من غزله فقد يقول عن ممدوحه انه كريم مع أنه من أشد الناس بخلاً، وشجاع  
 مع أنه من أشد الناس جبناً ، وذكي متوقد الذهن مع أنه من أشد  
 الناس بلاهةً وبلادةً ، وهو لا ينكر شيوع الكذب في مديحه وغلبة  
 الاسراف عليه بل إنه يعترف به ويؤكدده ويعقب على قول القرآن عن  
 الشعراء ( انهم يقولون ما لا يفعلون ) بأنهم لا يقولون ما لا يفعلون  
 فحسب ولكن ما لا يفعل الامراء أيضاً :

يقولون ما لا يفعلون مسبةً      من الله مسبوب بها الشعراء  
 وما ذاك فيهم وحده بل زيادة      يقولون ما لا يفعل الامراء

وغني عن البيان أن ابن الرومي مضطر إلى مجاملة ممدوحيه  
 وإطرائهم بما ليس فيهم من حميد الصفات وجميل الخلال طلباً لمعرفهم  
 وعملاً على إحراز جوائزهم ، على أن هؤلاء لم يكونوا دائماً عند  
 حسن ظنه بهم فقد رفض إسماعيل بن بلبل وزير المعتضد أن يجيزه على  
 نوبته الطنانة لقوله فيها :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم

كنا لعمري ولكن منه شيبان

(٨) هكذا في المراجع الموجودة بين يدي وربما كان الصحيح المديد  
 بدلا من النشيد .

وسبب امتعاضه من هذا البيت أن الناس كانوا يشكون في نسبته  
الى شيبان فرأى أو أراد ان يرى فيه تعريضاً بهذه الشكوك مع أن  
الشاعر وضع غرضه بقوله بعده مباشرة :  
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف

كما علا برسول الله عدنان

ولكن ابن بلبل لم يشأ أن يلتفت الى هذا التوضيح وأصر على  
حرمان الشاعر وأحسب أنه كان يتلمس سبباً لحرمانه فوجد ضالته في  
البيت الآنف ذكره وقد انتقم ابن الرومي منه أسوأ انتقام •  
ومن غريب ما ابتلى به ابن الرومي في هذا الباب الموقف محمد بن  
عبد الله بن طاهر منه فقد كان أديباً عارفاً بالشعر ناقداً له وكان يحسد  
ابن الرومي اذا أجاد في مدحه ويعيبه اذا أستف ، ومعنى هذا أنه يحرمه  
أو يقرب به من الحرمان في كلتا الحالتين • وقد وصف ابن الرومي هذا  
الموقف الغريب الشاذ بقوله :

قد بلينا في دهرنا بملوك      أدباء علمتهم شعراء  
ان أجدنا في مدحهم حسدونا      فحرمنا منهم ثواب الثناء  
أو أسأنا في مدحهم أنبونا      وهجوا شعرنا أشد هجاء  
قد أقاموا نفوسهم لذوي المدح      ح مقام الأنداد والنظراء  
ولكن مهما يكن من مخالفة مديح ابن الرومي للحقيقة وامعانه في  
الكذب والمبالغة فانه من جيد الشعر ونقيسه لطافة معنى وطرافة مبنى  
وروعة خيال •

أضف الى ذلك أنه يعطينا فكرة واضحة كل الوضوح قوية كل  
القوة عن بعض شؤون معاصريه الاجتماعية وقد لا أغلو اذا قلت لك

انه خير من وصف المهرجان وما يسبغ عليه وزراء الدولة وأعيانها من  
أبهة وجلال وروعة وجمال في مآدب يقيمونها وحفلات طرب يحضرونها  
وزيارات يتبادلونها ونفائس يتهادونها ومدائح يستمعون اليها ويشيرون  
عليها ، استمع الى قوله من قصيدة طويلة يهنيء فيها أحد عظماء آل  
طاهر بالمهرجان :

زخرفت يوم نعمة حجرات  
حجرات ميّمات بناها  
ثم قام الكماة صفين من ك  
كلهم مطرق الى الارض مغض  
وتجلى على السرير جبين  
يمكن العين لحظة ثم ينهى  
فله منه حاجب قد حماه  
فاستوى فوق عرشه بوقارٍ  
ثم قام المجدون مثولا  
فنشوا (٩) سؤدد الأمير وعدوا  
حين لم يجشموا التزيد لا بل  
فقضوا من مقالهم ما قضوه  
بعدا ما أرتعوا الأنامل فيما  
من خوان كأنه قطع الروض  
فوقه الطير في الصحف وحاشا

ذلك الطير من جفاء الجفان

(٩) نشوه تحدثوا عنه .

(١٠) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة .

ثم سام الأمير سوم الملاهي  
 وقيان كأنها أمهات  
 مطفلات وما حملن جنينا  
 ملقعات أطفالهن ثديا  
 مفعمات كأنها حافلات  
 كل طفل يدعى بأسماء شتى  
 أمه دهرها تترجم عنه  
 غير أن ليس ينطق الدهر الا  
 أوتي الحكم والبيان صيبا  
 لو تسلى به حديثه رزء  
 وتغنته بالمدايح فيه  
 ذات صوت تهزّه كيف شاءت  
 يتشنى فينفض الطل عنه  
 جهوري - بلا جفاء على السمع - مشوب بغنة الغزلان  
 هجاؤه : وما أريد أن أطيل الوقوف عند هجاء ابن الرومي لانه  
 يقطر سما ويتطاير شررا هذا الى بداءة شديدة فيه وميل واضح الى  
 الاعتداء .

أفهم أن شاعرا بهجو انسانا يعتدي عليه ، ويسيء اليه بالتنقص  
 من قدره او الغض من شعره ولكني لا أفهم ان شاعرا يهجو انسانا  
 لم يسيء اليه قط ولم يجتمع به قط ومع ذلك فهذا ما حدث لابن الرومي  
 مع البحثري فانه هجاه في قصيدة تقع في أكثر من مئة بيت وصفه فيها  
 ببلادة الذهن وجمود القريحة والسطو على القدماء وما الى ذلك . مع



أنه لم ينافسه ولم يزاحمه في يوم من الأيام • ماذا أقول ؟ بل لم يجتمع  
به مطلقاً قبل هجائه إياه بل لقد سبق له أن أشار باكرامه والانعام  
عليه • واجمال الخبر أن أبا عيسى بن صاعد أقرأ البحري قصيدة لابن  
الرومي في مدح أبيه وسأله عما ينبغي أن يجيزه به فقال له : أعطوه  
بكل بيت ديناراً •

الواقع أن الذين وصفوا المترجم بسلاطة اللسان وبذاءة الهجاء  
كانوا على حق فيما ذهبوا إليه •

عتابه : ومع أن ابن الرومي يرفق في عتابه بعض الرفق ويلين  
لاصدقائه الذين يعاتبهم بعض اللين فإنه لا يلبث أن يقسو عليهم قسوة  
شديدة ويحاسبهم على هفواتهم وزلاتهم سواء أكانت هذه حقيقية أم  
خيالية محاسبة عسيرة • مثال ذلك أن القاسم بن عبيد الله بن وهب كان  
يستدنيه ويستدعيه لزيارته ويحضره مجالس لهوه وطربه قبل أن يتقلد  
منصب الوزارة فلما تقلد هذا المنصب شغل عنه أو نسيه بعض الشيء  
فكتب إليه يسأله أن يجري على مألوف عاداته في تقريه والتمكين له  
في مجلسه والا فإنه يمزق عرضه تمزيقاً ويجعله أحدوثة الملاء بهجائه إياه :  
أدن شخصي إذا شئت لك بستة      إن وغنت غناءها غناء  
حسن علمي إذ ذاك بالحسن المو      قع مما يروي القلوب الظماء  
وارتفاعي عن الجفأة المسوين      بشدو المجيدة الضوضاء  
موجب أن أكون أدنى جليس      لك أعلو بحقي الجلساء

\*\*\*

قد بغى قبلك الدعي فلم أحفل بأن كان باغياً بغاء  
فاعتبر با بن بلبل ان فيه      عبرة لامرئ أعاد وعاء (١١)

(١١) أعد وعاء : أي أعد قلباً يعتبر فيزدجر •

والعلاء بن صاعد فبيل هذا قد حمى دون رائدي الاحماء  
فارم بالطرف شخصه هل تراه وادعه الدهر هل يجيب دعاء  
أنا عبد الانصاف قرن التعدي فاسلك القصد بي وعد العداء

\*\*\*

ومن هذا القبيل ما حدث للمتوكل مع أبي القاسم التوزي الشطرنجي  
فانه سأله قضاء حاجة لم يقضها له وربما كان معذورا في ذلك فما  
كان منه الا ان عاتبه عتابا مرا وصفه فيه بالرياء والتدليس وعدم الوفاء  
والمرؤاة • استمع الى قوله في هذا العتاب :

كشفت منك حاجني هنوات غطيت برهة بحسن اللقاء  
تركنتي ولم أكن سيء الظن أسىء الظنون بالأصدقاء  
قلت : لما بدت لعيني شنعاء رب شوهاء في حشا حسناء  
ليتني ما هتكت عنكن ستراً فشويتن تحت ذاك الغطاء  
قلن : لولا انكشافنا ما تجلت عنك ظلماء شبهة قتماء  
قلت : أعجب بكن من كاسفات كاشفات غواشي الظلماء  
قد أفدتني مع الخبر بالصا حب أن رب كاسف مستضاء  
قلن : أعجب بمهتد يتمنى أنه لهم يزل على عمياء  
كنت في شبهة فزالت بنا عنك فإوسعنا من الازراء  
وتمنيت ان تكون على الحيرة تحت العماية الطخياء  
قلت : تالله ليس مثلي من ود ضلالاً وحيرة باهتداء  
غير أبي وددت ستر صديقي بدلاً باستفادة الانباء  
ليس في الحق أن تود لخل أنه الدهر كامن الأدواء  
قلن : هذا هوى فعرج على الحق وخل الهوى لقلب هواء

بل من الحق أن تنفّر عنهن والافأنت كالبعداء  
إن بحث الطبيب عن داء ذي الداء لأس الشفاء قبل الشفاء  
دونك الكشف والعتاب فقوم بهما كل خلة عوجاء  
واذا ما بدا لك العر<sup>(١٢)</sup> يوماً فتتبع نقابه<sup>(١٣)</sup> بالهناء<sup>(١٤)</sup>  
قلت في ذلك موتكن وما الموت بمستعذب - لدى الاحياء  
قلن : ما الموت بالكريه إذا كان بحق فلا تزد في المرء

أثبت هذا الحوار على طوله لأنه فريد في بابه ولكنني مضطر مع ذلك إلى أن أشك في أن يكون ابن الرومي محققاً في توجيهه مثل هذا العتاب القارس إلى رجل يشهد هو فيما بقي من هذه القصيدة أنه من أفضل رجال عصره وأعزهم علماً وأشرفهم خلقاً .

رثاؤه : ولكن اذا كان ابن الرومي مقلداً في عامة غزله ، كاذباً متكلفاً في سائر مديحه ، مسرفاً شديد الأسراف في هجائه وعتابه ، فانه مخلص كل الأخلاص في رثائه ذلك لانه لا يرثي إلا من رسخ حبه في قلبه وعظم مكانه من نفسه ، وقد قلت لك عند الكلام على رثاء أبي تمام إن له رثاءً مطبوعاً وآخر مصنوعاً ولكنني لا استطيع أن أقول لك مثل هذا بالنسبة الى رثاء ابن الرومي لانه لا يتتجر برثائه كما يتتجر بمديحه وانما يدخره للاعراب عن عواطفه والافصاح عن مشاعره ولذلك كان مجموعة عواطف صادقة وأحاسيس كريمة ومشاعر نبيلة ، فقد تطوع مثلاً برثاء البصرة عندما سطا عليها الزنج فقتلوا أهلها وسلبوا أموالها وهدموا دورها واستحلوا منها كل ما حرم الله والضمير

(١٢) العر : الجرب .

(١٣) النقب : جمع نقب وهو القطع المتفرقة من الجرب .

(١٤) الهناء ككتاب : القطران وهو ما يداوى به الجرب .

والقانون ، وتطوع كذلك برثاء يحيى بن عمرو العلوي المتقدم ذكره ، بل إنه أقدم على تهلكة في رثائه ذلك العلوي المسكين لأنه استطرد إلى التنديد بآل العباس تنديداً سبق أن رويته لك والى التنديد بآل طاهر الذين تولوا قتل يحيى المذكور والقضاء على فنتته والذين وصفهم الشاعر بأنهم أعداء للنبي وآله ، خصوم للإسلام ، يدينون به في الظاهر ، ويكيدون له في الباطن . وما دام الحديث قد انتهى بي إلى رثاء المترجم يحيى بن عمرو فلاأرو لك مثلاً من هذا الرثاء فانه من خير ما رثى به شاعر مخلص فقيداً عزاً عليه فقده وبّرح به مصابه . قال المترجم :

بني المصطفى كم يأكل الناس شلوكم

لبلواكم - عما قليل - مفرج -

أما فيهم راع لحق نبيه ولا خائف من ربه يتحرج

\* \* \*

أبعد المكنى بالحسين شهيدكم      تضيء مصابيح السماء فتسرح  
لنا وعلينا لا عليه ولا له      تسحسح أسراب الدموع وتنسج  
وكنا نرجيه لكشف عماية      بأمثاله أمثالها تتبّسج

\* \* \*

أيحيى العلى لهفي لذكراك لهفة      يياشر مكواها الفؤاد فينضج  
لمن تستجد الأرض بعدك زينة      فتصبيح في أثوابها تتبرج  
سلام وريحان وروح ورحمة      عليك وممدود من الظل سجسج  
ولا برح القاع الذي أنت جاره      يرف عليه الأقحوان المفّسج  
ويا أسفي ألا ترّد تحية      سوى أرج من طيب رمسك يارج  
ألا إنما ناح الحمام بعدما      ثويت وكانت قبل ذلك تهزج  
عفاء على دار ظعنت لغيرها      فليس بها للصالحين معرّج

وهي طويلة وكلها على هذا النحو من النفاسة والجودة .  
وصفه : وماذا يقال عن وصف ابن الرومي ؟  
الواقع أنه سجل حافل بكل ما يمثل رقة شعوره ودقة احساسه  
وحسن تقديره للغناء ، وكثرة اختلافه إلى مجالس اللهو والطرب وشدة  
نهمه وإيثاره الفقر مع الراحة على القيام بالاسفار وإن أدت هذه إلى  
الغنى : فأنت تنتقل فيه من روضة غناء تترنح أشجارها وتترنم أطيارها  
وتتبسم أزهارها وتتدفق مياهها وتندى ظلالها ويهب عليها النسيم الطلق  
فيحمل أنفاسها العطرة ذات اليمين وذات الشمال إلى مجلس طرب تصل  
أقداحه وتعربد أباريقه وتتناجى قياثيره وتتناغى مزاميره إلى مائدة قد  
صفت جفانها ونظمت صحافها واختلفت طعومها وانسجمت ألوانها  
فجاءت مثلاً حياً في سعة البذل وسلامة الذوق ، إلى مخبز تصنع فيه  
الرقاق بما لا مزيد عليه من اللباقة والسرعة ، إلى معمل حلوى يشتغل  
فيه صانع الزلاية منذ السحر أو حتى السحر إلى خان موحش تداعت  
أركانه وترزعع بنيانه وأوشكت أن تنقض سقوفه ، يأوي إليه المسافرون  
التعساء في الليالي السود ، إلى نهر هائج مائج تعبت به زوبعة هوجاء  
تقذف الرعب في قلوب ركابه وتهدهم بأن تصنع منهم وليمة لاسماكه  
وهكذا . وما أعدك أن أروي لك مثلاً لكل ما تقدمت له الإشارة من  
وصف ابن الرومي فذلك مما يطول ويطول إلى درجة الاملال ولكنني  
أروي لك علاوة على ما سبق ذكره من وصف المترجم عند الكلام على  
غزله وعند الكلام على مديحه مثلاً واحداً يخيل إلي أنه من رائع  
وصفه وهو قوله في العنب الرازقي (١٥) .

(١٥) لا وجود لهذا النوع من العنب الآن في العراق .

ورازقي مخطف الخصور  
كأنه مخازن البتلور  
لم يبق منه وهج الحرور  
إلا ضياءً في ظروف نور  
لو أنه يبقى على الدهور  
قَرط آذان الحسان الحور  
له مذاق العسل المشور (١٦)  
ونكهة المسك مع الكافور  
وبرد مس الخصر المقرور (١٧)  
باكرته والظير في الوكور  
وعذر اللذات في البكور (١٨)  
بفتية من ولد المنصور  
أملاء للعين من البدور  
حتى أتينا خيمة الناطور  
قبل ارتفاع الشمس للذور  
فأقضى كالطاوي من الصقور  
بطاعة الراغب لا المجبور  
ثم جلسنا مجلس المجبور  
على حفاف جدول مسجور (١٩)

(١٦) المشور : المجني .

(١٧) الخصر : الشديد البرودة .

(٣٨) العذر هنا النجاح ولكنه بتسكين الذال وقد حركت للضرورة .

(١٩) مسجور : مملوء .

أبيض مثل المهرق المنشور (٢٠)  
أو مثل متن المنصل المشهور  
ينساب مثل الحية المذعور  
بين سماطي شجر مسطور  
فنيلت الأوطار في سرور  
وكل ما نقضي من الأمور  
تعلة عن يومنا المنظور  
ومتعة من متع الغرور

لغته واسلوبه : وتساألني عن الطابع الذي يمتاز به ابن الرومي  
من حيث لغته واسلوبه فأقول لك إنه يتألف من ثلاثة أشياء مختلفة هي  
الإطالة ، والاستهانة بسلامة الأداء ، والاستقصاء الدقيق الشامل للمعاني  
والاغراض : فقد أطال ابن الرومي إطالة لا عهد لنا بها من قبل فبلغ  
عدد أبيات همزيته التي يعاتب بها القاسم بن عبيد الله بن وهب والتي  
مطلعها :

أيها القاسم القسيم رواء      والذي ضم وده الأهواء  
سنة عشر ومثني بيت ( ٢١٦ ) ، وبأئته التي يمدح بها أحمد بن  
ثوابة والتي مطلعها :

دع اللوم ان اللوم عون النوائب      ولا تتجاوز فيه حد المعاتب  
ثلاثة وثمانين ومئة بيت ( ١٨٣ ) • وبأئته التي يمدح بها أبا  
العباس بن ثوابة ويهجو الكوكبي والتي مطلعها :

أنى هجوت بني ثوابه ؟      يا صاحب العين المصابة

(٢٠) المهرق : ما يكتب فيه .

خمسة وسبعين ومئة بيت ( ١٧٥ ) • وقل مثل ذلك عن كثير من قصائده • وفي هذا إسراف غير قليل فان شاعراً متكسباً كأبن الرومي يستطيع أن يلفق ما شاء من أكاذيب وأباطيل يرضي بها ممدوحه ويحصل على جائزته في خمسين أو أربعين بيتاً أو أقل من هذا المقدار وقد عرف أبو عبادة البحتري وهو معاصر لابن الرومي هذه الحقيقة وعمل بها فخفف ظله على معاصريه ولطف موقعه من نفوسهم فقرؤوه وأحبوه وأعجبوا به وسموا قصاره ( سلاسل الذهب ) •

والغريب في أمر ابن الرومي أنه يطيل هذه الاطالة المملة مع أنه يوصي بالاختصار فهو يقول :

كل امريء مدح امرأ لنواله      فأطال فيه فقد أراد هجاءه  
لو لم يقدر فيه بقاء المستقى      عند الورود لما أطال رشاءه

ولكنه يستثني نفسه من هذه الملاحظة المعقولة فيقول :

غيري فأني لا أطيل مدائحي      إلا لأوفي من مدحت ثناءه  
وأعد ظمناً أن أقل مديحه      عمداً وأسخط إن أقل عطائه

وأحسب أن ما يدعيه المترجم في البيتين الأخيرين غير صحيح فانه يدعي أنه يطيل مدائحه ليوفي ممدوحيه حقوقهم ولكنه ينسى أنه القائل :

«يقولون ما لا يفعلون» مسبة      من الله مسبوب بها الشعراء  
وما ذلك فيهم وحده بل زيادة      يقولون ما لا يفعل الأمراء

وينسى كذلك أنه هجا أبا الصقر اسماعيل بن بلبل وغيره من ممدوحيه لأنهم لم يشيروه على مديحه أشنع هجاء • والواقع أنه مجبول على الاطالة ، وما أريد أن أقول إنه ورثها عن أخواله الفرس الذين يذهب البعض إلى أنهم ميالون بفطرتهم الى الأفاضة المفرطة في الكلام



ويضرب لهذا مثلاً عبد الحميد بن يحيى الكاتب وعبد الله ابن المقفع •  
اللذين هما من أشد الكتّاب ميلاً الى الاطالة • أقول اني لا أرى هذا  
الرأي لأنني لا أملك البرهان القاطع على صحته ، ولكنني أزعم ان ابن  
الرومي مجبول على الاطالة غير قادر على التملص منها • وقد كلفته  
هذه غالباً اذ كانت احدى العوامل التي أبعده عن قلوب ممدوحيه وقد  
اعتذر عنهما راراً عديدة فمن ذلك قوله معتذراً الى صاعد عن طول قصيدة

لم أطلها كما أزال رشاءً      ماتح ساء ظنه بقليب

حاش لله ليس مثلي تظنني      ظن سوء بمسئقك القريب

غير أنني امرؤ وجدت مقالاً      مستتباً في كل قرم نجيب

فأطلت المديح ما طال فيهم      مع أنني قصرت غير مصيب

وليس هذا كل ما جنت الاطالة على ابن الرومي بل إنها أدت الى  
استهائه بسلامة الاداء فضعف أسلوبه وتطرق الفساد الى لغته فجمع  
الألفاظ المتنافرة وصّرف الكلمات على وجه غير صحيح ، وعادى  
الافعال بغير الطرق التي تعدى بها ، وخاطب الجمع مخاطبة المفرد •  
فمن أمثلة كلامه الضعيف التأليف المتنافر الألفاظ قوله :

« لهف » نفسي عليك أيتها البصرة « لهفأ » كمثل « لهب » الضرام

وقوله :

« صبا » من شاب مفرقه « تصاب »

وان طلب « الصبا » والقلب « صاب »

وقوله :

لم يقاسوا ولم يواسوا خيلاً      « سواة سواة لهم سوءاءا »

وقوله من نفس القصيدة :

واستفح بالعللا ( بذهنك ) ( واذمم )

كل ( ذهن ) لا ينفع ( الذهناء )

فأنت ترى أن لا مات البيت الاول وهاءاته وصادات البيت الثاني  
وباءاته وسينات البيت الثالث وواواته وهمزاته وذالات البيت الرابع  
وهاءاته مما لا يستسيغه انسان يمكن الاعتماد على ذوقه • هذا مع  
العلم بأن ذهناء أي صاحب ذهن جمع لا وجود له في اللغة العربية •  
ومن أمثلة تصريفه الكلمات على وجه غير صحيح قوله :

يسمو به جـده فيحظى وتارة مجده « فيعلى »

فقوله يعلى خطأ والصواب يعلو •

ومن الأمثلة على تعديته الأفعال بصورة غير صحيحة قوله :  
عجبا منه كيف يسلي ويلهي مع تهيجه على الأشجان  
اذ الصواب مع تهيجه الاشجان •

ومن أمثلة مخاطبته الجمع مخاطبة المفرد قوله :

يا بني طاهر طهرتم وطبتتم وذكوتهم في السر والاعلان

هاكها لا أقول ذاك مدلاً قول ذي نخوة بها وامتنان

فقد كان عليه أن يقول هاكموها • وفي الامكان اعطاء أمثلة أخرى  
كثيرة لكل ما سبق ذكره من هنات الشاعر وهفواته كما أن له هنات  
وهفوات عديدة من أنواع أخرى مختلفة رأيت أن أضرب عنها صفحا  
رغبة في الايجاز •

ولكن أليس لابن الرومي ما يكفر عن اطالته واستهاتته بسلامة

الاداء أو يخفف من وطأتها على الاقل ؟ •

بلى ان لديه ما يخفف من وطأتها الى حدٍ بعيد وهو استقصاؤه الموضوعات التي يعالجها استقصاء دقيقا يأتي معه على كل كبيرة وصغيرة ويتغلغل الى كل جزء من أجزاء الموضوع حتى يستوفيه ويستوعبه ويخرجه تام الهيئة كامل التركيب • وفيما تقدم من غزله ومدححه ووصفه ما يؤيد هذا تأييدا كافيا فانه لم يبق في موضوع كل من الامثلة المتقدم ذكرها بقية يمكن أن يطمع بها طامع وقد عرف له القدماء هذا فقال عنه ابن خلكان انه « صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يغوص على المعاني النادرة ، فيخرجها من مكانها ، ويبرزها في أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ولا يبقى فيه بقية » (٢١) وقال ابن رشيق « وكان ابن الرومي ضنينا بالمعاني ، حريصا عليها يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهرا لبطن ، ويصرفه في كل وجه ، والى كل ناحية حتى يميته ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد » (٢٢) • هذه هي حسنة ابن الرومي الكبرى من حيث اللغة والأسلوب وتلك مساوؤه ، ولو أنه أعاد النظر في شعره فهدبه ونقحه لاجتمع له من نفاسة المعنى وطرافته وسلامة الأداء ولطافته ما يجعله فذاً بين الشعراء •

#### د - خاتمة :

ابن الرومي نسيج وحده من حيث هو رجل، ومن حيث هو شاعر •

(٢١) وفيات الاعيان الجزء الأول ص ٣٥١ طبعة المطبعة الميمنية

بمصر •

(٢٢) العمدة الجزء الثاني ص ١٨٥ طبعة مطبعة السعادة بمصر •

فأما من حيث هو رجل فقد اضطربت أعصابه ، واختلط عقله ، وتناقضت أقواله واعماله ، وتملكته الشهوة ، واستتولت عليه اللذة ، فذهبت رجوليته ، وماتت ارادته ، وهانت عليه نفسه فاستخف به معاصروه ، وسخروا منه ، وتنادروا عليه • وأما من حيث هو شاعر فقد طال نفسه ، ورق احساسه ، واتسع خياله فشمل وصفه كل ما وقع تحت سمعه وبصره أو كاد • وكان من نتائج طول نفسه الى درجة الافراط أن ركت لغته ، ووهن أسلوبه في كثير من الاحيان ، وكثرت أخطاؤه ، ولكن مهما يكن من شيء فانه من فحول شعراء اللغة العربية وما أظن أنه من الصواب في شيء أن تفضله عليهم قاطبة كما يرى فريق من النقاد •

نعم انه ربما كان أكثر شعراء اللغة العربية اتجا ولكنه لم يكن أكثرهم غررا ومحاسن ، وقد لا أكون ممعنا في الخطأ اذا زعمت أن أكثر شعراء اللغة العربية غررا ومحاسن انما هو « أبو الطيب المتنبي » لاسلفه ابن الرومي ولا غيره •



## الفصل الرابع

### ابن المعتز

أ - حياته : اسمه وكنيته ونسبه • مولده • نشأته وتعليمه • ابتعاده عن السياسة • سببه • انصرافه الى البحث والدرس من جهة والى النديم والكأس من جهة أخرى • ما يدل على هذا من شعره • معاتبته في أمر عبثه ومجونه • توبته • تحلله منها • تذبذبه بين الغواية والتوبة ، عذره عن ذلك • امتناعه عن اللهو في شهر رمضان • صلاته الغرامية والفنية • ما لحق به من شر السياسة رغم ابتعاده عنها • حبسه إثر وفاة المعتضد • اطلاقه • عودته الى لهوه ومرحه • مبايعته بالخلافة واقضاء المقتدر عنها • فشله في السيطرة على الموقف • غلبة رجال المقتدر على أنصاره • اختفاؤه • قتله •

ب - صفاته : جماله • ظرفه • رغبته في المسالمة • حبه الشديد للعلم • سرعة خاطره •

ج - آثاره عامة : ثبت كتبه في فهرس ابن النديم • ما يضاف الى هذا الثبت • كتابا ( البديع ) وطبقات الشعراء في مديح الخلفاء والوزراء ) • شعره • أبوابه • ماذا ندرس منه • غزله • مكان ملهمته « شرة » منه • مثل من غزله فيها •

وصفه • ما له من القيمة الاجتماعية • ماله من القيمة التاريخية • مدى تصويره الطبيعة • مثل منوعة منه • شعره السياسي • موقفه من أبناء عمه العلويين • مساجلته لهم • تقربه منهم • تنصله مما يرمى به من بغض الامام علي (ع س) • مثل من شعره في هذا الباب • موقفه من المتغلبين على السلطان في بغداد والأقاليم • أرجوزته في المعتضد • كلمة فيها • مثل منها • قصر الرباب وعجائبه • غفلة كتب التاريخ والجغرافيا عنه • مقارنة بين أرجوزة المترجم وأرجوزة ابن عبد ربه في الناصر • مطلع هذه الارجوزة • حكمه وخواطره ( في الزهد والآداب والشيب ) • أهميتها • مثل منها • لغته وأسلوبه • مكان الزخرفة والبساطة من فنه • متى يؤثر الاولى ومتى يجنح الى الثانية • خصائص لغته •

د - خاتمة : منزلته بين الشعراء •

#### أ - حياته :

حدثتك فيما سبق عن مولى من موالى بني العباس رفعه الشعر الى منزلة أمير كبير من أمراء الكلام • وأحدثك الآن عن أمير عباسي لم يتهيأ له الظفر بتاج الملك وصولجان الخلافة فاعتاض عنهما بتاج العلم وصولجان الأدب • هذا الامير هو ابو العباس عبد الله بن المعتز بالله ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وقد ولد ببغداد لسبع بقين من شعبان

سنة ٢٤٧ للهجرة على رواية الخطيب البغدادي (١) وقيل سنة ٤٦ وقيل ٤٩ ولكن ربما كانت رواية الخطيب البغدادي أقرب من غيرها الى الصواب لقرب ما بين الرجلين • ونشأ في دار الخلافة ودرس علوم اللغة والدين على مؤدبه الخاص أحمد بن سعيد الدمشقي الذي صار فيما بعد أحد رواة شعره • واتصل بأبي العباس المبرّد وثعلب وابي علي العنزي والبلاذري المؤرخ وأخذ عنهم جميعا ، وشافه فصحاء الاعراب الذين كانوا يترددون الى سرّ من رأى في أيامه وروى عنهم • وكان مجلسه ملتقى العلماء والشعراء والكتاب ، تكثر فيه الرواية وتدور المناقشات العلمية والادبية المفيدة •

وما كان أدب عبد الله ليتناقض واشتغاله بالسياسة لولا أن الحوادث المؤلمة التي تتابعت على بيته بعد قتل جده المتوكل على الله فسلبته قوته وأفقدته سلطانه الفعلي والتي طالما تحدّثت عنها في شعره ، حملته على أن ينبذ السياسة نبذا تاما فزهد بالملك ونقض يديه من الخلافة «نقض الانامل من تراب الميت» وقصر جهوده على أرضاء عقله وجسمه فأدرك من لذة العقل ولذة الجسم ما أراد • ومن يمعن النظر في أخباره وشعره يستخلص منهما انه رجل بحث ودرس ورجل نديم وكأس يقضي جزءا غير يسير من وقته في اندرس والتفكير والتأليف وقرض الشعر ، ويقضي جزءاً غير يسير منه كذلك في معازاة الحسان ومعاقرة الندمان والخلو الى الطبيعة والاستمتاع بجمالها الساحر وبسماع الموسيقى والخروج الى الصيد وغير ذلك من ضروب اللهو والتسلية • وقد وصف جده واقباله على البحث والدرس بقوله :

(١) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ الطبعة الاولى .

شغلي اذا ما كان للناس شغل      دفتر فقه أو حديث أو غزل  
وعبر عن رغبته الصادقة في الاستمتاع بمباهج العيش ولذات  
الحياة بقوله :

قم نصطبح فليالي الوصل مقمرة      كأنها باجتماع الشمل أسحار  
والدهر في غفلة نامت حوادثه      ونبهتنا الى اللذات اوتار  
أما ترى أربعا للهو قد جمعت      جنك وعود وقانون ومزمار  
فخذ بحظ من الدنيا فلذتها      تفنى وتبقى روايات وأخبار  
ولم يكن ابن المعتز على جلاله قدره وعظم منزلته بنجوة من  
التأنيب والتقريع في أمر خلاعته واستهتاره فقد حدث أن بعض الخلفاء  
لامه على ذلك ورغب اليه أن يكبح من جماح شهواته ، وقد عمل بهذه  
الرغبة فهجر ندمانه واطرح كأسه :

ونهاني الامام عن سفه الكأس      س فردت على السقاة المدام  
الا أنه لم يلبث ان تحلل من هذه التوبة وعاد سيرته الاولى غير  
حافل بما يوجه اليه من تقريع وتأنيب :

خليتي قد طاب الشراب المبرد      وقد عدت بعد النسك والعود أحمد  
واذا صدقناه ، ولا مانع لدينا من تصديقه في هذا على الاقل ،

فانه يؤكد لنا أنه تاب ثم ترامى في أحضان غوايته مرارا عديدة :  
كم توبة قد فضضت خاتمها      غني وللتائبين رجعات  
وهو يلقي التبعة في ذلك على قلبه الذي يقول عنه « انه مطواع  
في الغي مكره في الرشيد » ( اذا شاوره في توبة - قال : لا - واذا  
قال هذه فتنة قال : أين هي ؟ ) وقد اعتذر عن ذلك بصراحة بل بسذاجة  
تامة فقال :



سحرتني الدنيا وعادات لذا تي فجسمي كهل وقلبي صبي  
على أنه مما لاشك فيه أن ابن المعتز كان ينقطع عن لذاته ويهجر  
مجالس لهوه وطربه في أيام شهر رمضان • الا انه لا يكاد يلمح هلال  
العيد حتى يستأنف حياته المرحلة الماجنة :

أهلا وسهلا بالناي والعود وكأس ساق كالغصن مقودود  
قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد  
يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لاكل عنقود  
وقد أحب المترجم جارية اسمها ( شرة ) (٢) سأعرض لمكانها  
من نفسه وشعره عند الكلام على غزله وكان له غلام اسمه « نشوان »  
ومغنية اسمها « زرياب » وكان يحبها جدا جما معها قصص ونوادير  
عديدة •

ومع ابتعاد عبد الله الشديد عن السياسة فقد نزل به أذاها مرة  
بعد أخرى حتى كان فيها حتفه • فمن ذلك أنه لما توفي المعتضد سنة ٢٨٩  
للهجرة وكان ابنه وخليفته المكتفي غائبا بالرقعة ، اعتقل ثلاثة أمراء  
عباسيين خيف تطلعهم الى العرش بينهم صاحب الترجمة • وقلق هذا  
في الليلة التي دخل المكتفي في صبيحتها بغداد قلقا شديدا وخاف أن  
تضرب عنقه • وسمع في آخر هذه الليلة حمامة تغني بالقرب منه فقال :-  
يا نفس صبيرا لعل الخير عقباك خاتتك من بعد طول الامن دنياك  
مرت بنا سحرا طير افقلت لها طوباك يا ليتني اياك طوباك  
لكن هو الدهر فالقيه على حذر فرب مثلك تنزو بين أشراك (٣)

(٢) هكذا يسميها هو في شعره المروي في ديوانه وفي غيره أما صاحب  
الأغاني فيسميها نشر •

(٣) يقال ان ابن المعتز ذكر هذه الأبيات في الليلة التي قتل في

ولكن الحادث انتهى بسلام ، نان الخليفة الجديد أمر بالأفراج عن  
الامراء المعتقلين واعطاء كل واحد منهم ألف دينار اثر استتباب الامر  
له ببغداد ، وعاد عبد الله الى مرجه ومجونه • ودار الزمان دورته فأجمع  
رجال الحل والعقد ببغداد عام « ٢٩٦ » للهجرة على خلع المقتدر  
لحدائثة سنه وتقص كفايته وقلبوا نظرهم في آل العباس فلم يجدوا فيهم  
أكفاً للخلافة من عبد الله • فعرضوها عليه ، فقبلها ولكن على ألا يراق  
في سبيله دم فأجابوه الى ذلك وعقدوا له البيعة ولقبوه ( المرتضى ) أو  
( الراضي ) أو ( المنصف ) أو ( الغالب بالله ) ولم يخالف عليه سوى  
غلمان المقتدر الذين عزّ عليهم خروج الامر من أيديهم ، فأجمعوا على  
المقاومة • ومع أن الوزراء والقادة والقضاة كانوا جميعا في جانب عبد الله  
فقد خسر الموقف وغلب أشياع المقتدر على أعوانه فشتتوهم ومزقوهم  
كل ممزق • وعندما رأى انفضاض الناس من حوله لجأ الى دار أبي  
عبد الله الحسين بن عبد الله التاجر الجوهري الكبير المعروف « بابن  
الجصاص » فأختبأ فيها ولكن خادما لابن الجصاص وشى به الى المقتدر  
فأمر باخراجه وتسليمه لمؤنس الخادم فخنقه هذا وسلمه الى أهله فدفن  
في خربة بجوار داره في اليوم الثاني من ربيع الآخر عام ( ٢٩٦ ) للهجرة  
وبهذه الطريقة المحزنة انتهت حياة عبد الله التي طالما كانت حياة لهو  
ومرح وسرور •

### ب - صفاته :

وإذا تركنا مجون عبد الله وبحشنا عن صفاته الاخرى فان أهم ما  
صبيحتها فأضاف اليها أبياتاً أشك في نسبتها اليه لركاكتها .

يتكشف عنه البحث هو جمال الصورة وخفة الروح وحب العلم والرغبة  
في المسألة وسرعة الخاطر •

وقد غفل مؤرخو عبد الله عن أن يقولوا لنا انه كان وسيم الطلعة  
صبيح الوجه بديع السمات فتدارك هو هذا النقص بقوله في معرض  
الكلام على شيخوخته :

من بعد ما قد كنت أي فتى      كقضيب بان ناعم رطب  
فاذا رأته عين غائبة      قالت لرائد لحظها حسبي

وقوله :

اذا ما تمشت في عين خريدة      فليست تخطاني الى من وراءيا

وقوله :

أعدو وجني الصبا أميري      ملء عيون الغانيات الحور  
وغفل مؤرخوه كذلك عن أن يقولوا لنا انه كان على جانب كبير  
من رقة الطبع ولطف الشمائل وخفة الروح فتبيننا ذلك في شعره واخباره  
روى جعفر بن قدامة أنه كان ذات يوم عند ابن المعتز وبين يديه  
جارية محسنة تغنيه ولكنها قبيحة الوجه فكان يتعاشق ويتظاهر بالهيام  
بها فلما قامت قال له أحد جلاسه « أيها الامير سألتك بالله أتعشق  
هذه التي ما رأيت قط أقبح منها » فقال وهو يضحك :

قلبي وثاب الى ذا وذا      ليس يرى شيئاً فيأباه  
يهيم بالحسن كما ينبغي      ويرحم القبح فيهواه (٤)

(٤) الاغاني ج ٩ ص ١٣٧ طبع مطبعة التقدم بمصر .

وحدث عبد الله بن موسى الكاتب أنه دخل على ابن المعتز وهو  
يشرف على جماعة من البنائين يعملون في داره فانشده :

ألا من لنفس وأحزانها ودار تداعى بحيطانها

أظل نهاري في شمسها شقيا معنى بينانها

أسود وجهي بتبييضها وأهدم كيسي بعمرانها (٥)

ومن شعره الدال على فكاهته وخفة روحه هذان البيتان :

طوَّءل في أيلول شهر الصيام وما قضينا فيه حق المدام

والله لا أرض عن الدهر أو يسرق شهر الصوم من كل عام

وهناك مثل أخرى كثيرة من هذا القبيل مر بك بعضها في أثناء

الكلام على حياته وسيمر بك جانب منها في مراحل مختلفة من هذا

الحديث .

أما حبه الشديد للعلم فتدلنا عليه آثاره الكثيرة التي سأذكر بعضها

لك عما قريب ، وقد وصفه لنا وهو بقوله :

شغلي اذا ما كان للناس شغل دفتر فقه أو حديث أو غزل

ومما يجري هذا المجرى في الدلالة على حبه الشديد للعلم وأهله

هذه الابيات التي كتب بها الى ابي العباس أحمد بن يحيى احد علماء

بغداد يستزيره ويتشوق اليه :

ما وجد صاد في الجبال موثق بماء مزن بارد مصفَّق

بالريح لم يطرق ولم يرثق جادت به أخلاف دجن مطبق (٦)

بصخرة ان تر شمسا تبرق فهو عليها كالزجاج الأزرق

(٥) المصدر نفسه ص ١٣٧ .

(٦) الاخلاف : الضروع ، والدجن : السحاب .

صريح غيث خالص لهم يمدق      الا كوجدي بك لكن أتقي  
يا فاتحا لكل علم مغلق      وصيرفيا ناقدا للمنطق  
ان قال هذا بهرج لم ينطق      انا على البعاد والتفراق  
لنلتقي بالذكر ان لم نلتق<sup>(٧)</sup>

وتسألني البرهان على حب صاحبنا للخير ورغبته الصادقة في  
المسالمة فاكتفي بأن أذكر ما اشترط على قادة الرأي ببغداد من تحاشي  
اراقة الدماء في سبيل بيعته وأن أسترعى انتباهك الى خبر سأذكره في  
أثناء الكلام على شعره السياسي ينبؤنا أنه عدل من مساجلة أبناء عمه  
الطالبين وأخذ يتودد اليهم على أثر اعتذار جماعة منهم اليه وتصلهم  
مما نسب الي بعض شعرائهم من ملاحاة بني العباس والظعن على خلافتهم .  
وقد مر بك في حديث الجارية الحسنة الغناء القبيحة الوجه ما  
يدل على سرعة خاطر عبد الله فأضف الآن الى هذا ما رواه جعفر بن  
قدامة من أنه كان عند المترجم في يوم من أيام الربيع فخرجت عليهم  
جارية له كان يحبها ويهيم بها وعليها غلالة معصفرة ويدها جنابي من  
باكورة باقلاء ( والجنابي لعبة للصبيان ) فقالت له يا سيدي تلعب معي  
جنابي فالتفت اليهم وقال على بديهته :

فديت من مر يمشي في معصفرة      عشية فسقاني ثم حياني  
وقال : تلعب جنابي فقلت له      من جدّ بالوصل لم يلعب بهجراني<sup>(٨)</sup>  
ومن هذا القبيل ما رواه جعفر بن قدامة أيضا من أنه كان « عند

(٧) في رواية هذه الأبيات شيء من الخلاف بين الديوان وكتابي  
الأوراق وتاريخ بغداد . ولكنني آثرت رواية أبي بكر الصولي لأنه من  
رواة ابن المعتز الذين عرفوه معرفة كافية واتصلوا به اتصالا مباشرا .  
(٨) الاغانى ج ٩ ص ١٣٦ .

عبد الله بن المعتز ومعهم النميري فحضرت الصلاة فقام النميري فصلى صلاة خفيفة جدا ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلة حتى استثقله جميع من حضر بسببها وعبد الله ينظر متعجبا ثم قال :

صلاتك بين الملا نقرة      كما اختلس الجرعة الوالغ  
وتسجد من بعدها سجدة      كما ختم المزود الفارغ<sup>(٩)</sup>

### ح - آثاره :

أسلفت أن عبد الله رجل بحث ودرس ( يقضي جزءا غير يسير من وقته في الدرس والتفكير والتأليف وقرض الشعر ) وأضيف الآن الى هذا أن ابن النديم ذكر له في فهرسه أحد عشر كتاباً وهي الزهر والرياض، البديع ، مكاتبات الاخوان بالشعر ، الجوارح والصيد ، السرقات ، أشعار الملوك ، الآداب ، حلي الأخبار ، طبقات الشعراء ، الجامع في الغناء ، أرجوزته في ذم الصبوح . وأنا أضيف الى هذا الثبت . فصول التماثيل في تباشير السرور ) المنشور بمصر سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م وديوانه القادم ذكره والذي يحتوي على أرجوزته في ذم الصبوح وعلى أرجوزة له أخرى أهم منها بكثير في المعتضد أسماها كتاباً وأهم كتبه التي نشرت الى الآن البديع )<sup>(١٠)</sup> ( وطبقات الشعراء في مدح الخلفاء

(٩) الاغاني ج ٩ ص ١٣٧ .

(١٠) نشر المستشرق الروسي ( اغناطيوس كرايشقوفسكي ) هذا الكتاب سنة ١٩٣٥ م صدرت اياه بدراسة مفيدة لابن المعتز في الانكليزية ونشره محمد عبد المنعم خفاجي بمصر عام ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م صدرت اياه بدراسة حسنة كذلك لنشأة البديع وتطوره .

(والوزراء) (١١) فأما الاول فهو رسالة تحتوي على ثمانية عشر نوعاً من أنواع البديع منها الاستعارة والتجنيس والمطابقة • اخترع ابن المعتز اسماءها وأورد لها شواهد كثيرة من القرآن والحديث وكلام العرب المنظوم والمنثور في الجاهلية والاسلام • ومما يجب التنويه به أن ابن المعتز أول من ألف في البديع ثم حدا حدوه العلماء والأدباء والنقاد فكتبوا فيه كتباً كثيرة • وأما الثاني فهو كتاب تراجم تختلف إيجازاً واطناً باختلاف الاحوال التي تحيط بالمؤلف على أني لا أضمن حياده حيال الشعراء المشكوك في ولائهم لآل العباس •

#### شعره:

بيد أن النبي يعنيني من ابن المعتز قبل كل شيء شعره الذي يعتبر بحق سهوة انتاجه • وهو كثير الابواب مختلف الانواع قيل بعضه رغبة في محاكاة القدماء وعملاً على إظهار المقدرة البيانية ، فغلب عليه التقليد وشاع فيه التكرار (١٢) وفقد منه الترتيب • وهذا النوع من

(١١) طبع هذا الكتاب في مطبعة جامعة كامبرج سنة ١٩٣٩ م .  
(١٢) يكرر ابن المعتز اكثر ما يكرر وصف حياته فيحدثنا انه شرب الخمر وسمع الغناء ووظف بوصول الغيد الحسان وخاض الحروب وقرى الضيفان وقطع البيد القفار تحت دياجير الليل ، مرة على متن ناقه كوماً وتارة على سهوة فرس نجيب . مضيفاً الى ذلك أحياناً وصف البروق والرعود والامطار والرياض وهو يتشبه في هذا بامرئ القيس وطرفة والأعشى وغيرهم من فحول الجاهلية ويقلد مطولاتهم . وليس من شك في أنه شرب ولعب وسمع الغناء ونعم بوصول الغيد الملاح ، كما انه من غير شك أهل لقرى الضيفان وايواء العفاة الضارين في البيداء وغيرهم ولكن من المشكوك فيه جداً أن يكون رجل حرب وضرب ورحلة دائمة في الصحراء . وترى قصائده التي يشيع فيها هذا التكرار العجيب في باب الفخر من ديوانه .

شعره يكثُر في بابي ( المديح والفخر ) • وقيل بعضه الآخر إرضاءً  
لحاجات العقل والنفس وعملاً على خدمة الأدب والفن فغلب عليه  
الصدق وشاع فيه الابتكار وعدم التكلف وهذا النوع من شعره يؤلف  
على وجه التقريب بابي ( الملمح والاصناف ) و ( الزهد والآداب  
والشيب ) • على أن الأبواب الأخرى من ديوانه تحتوي على شيء منه  
غير قليل • ولم يجمع شعر عبد الله حتى الآن جمعاً كاملاً • ففي الجزء  
الثالث من كتاب « الأوراق » « للصولي » قصائد ومقطوعات كثيرة  
غير موجودة في ديوانه المطبوع بمصر عام ( ١٨٩١ ) م وبيروت عام  
١٩١٣ م ( وفي ديوان المعاني ) ( ومعاهد التنصيص ) قطع عديدة غفل  
عنها ناشر الديوان (١٣) • وقد عالج صاحبنا كل نوع من أنواع القريض  
فقال المديح والهجاء والرثاء والفخر ووصف الطبيعة والسياسة والاجتماع  
وأجاد في كثير من هذه الأبواب إجادة تستحق التقدير وتبعث على  
الأعجاب •

وسأقتصر فيما يلي على دراسة غزله ووصفه وشعره السياسي ،  
المفروق في بابي المديح والفخر ، وحكمه وخواطره التي أطلق عليها  
جامع الديوان « باب الزهد والآداب والشيب » لأن هذه الأبواب من  
شعره تحتوي على خير ما قال وأحقه بالتمحيص والدرس •  
غزله : لعبد الله غزل كثير • نظم بعضه للغزل ذاته وللتعبير عن  
مقاصد الشاعر وأغراضه الغرامية • ونظم البعض الآخر منه تمهيداً  
للمديح أو الفخر ، على أن هذا الغزل التمهيدي - إن صححت هذه

---

(١٣) في طبعتي مصر وبيروت لديوان ابن المعتز من النقص والزيادة  
والمسح والتشويه لهذا الديوان ما يجعل فائدته محدودة إلى الغاية .



التسمية - لم يخل في كثير من الأحيان من الإشارة الى غرام حقيقي •  
فكل غزل ورد فيه ذكر ( شرة ) التي تقدمت لها الإشارة في ترجمته  
غزل معبر عن صباية حقيقية وحب صادق وتتخلل غزل عبد الله اسماء  
كثيرة أكثرها دوراناً بالطبع وأدلتها على حبه اسم شرة التي يظهر أنها  
شغلت مكاناً سامياً في قلبه واستأثرت بنصيب كبير من حبه ، ومن  
الغريب أن كتب التراجم التي عنيت بعبد الله وذكرت أخباره ومثلاً  
من أشعاره لم تشر إلى حبيبته هذه سوى إشارة غامضة مقتضبة •  
لكننا اذا درسنا علاقته بها في غزله تبين لنا انه ظفر بعطفها في فجر غرامه  
بها ونعم بوصلها دودة من الزمن بعيداً عن أعين الوشاة والرقباء :

ألا أيها القلب الذي هام هيمه      بشرة حتى الآن هل أنت راجع  
إذ الناس عن أخبارنا تحت غفلة      وفي الحب اسعاف وللشمل جامع  
واذ هي مثل البدر يفضح ليله      وإذ أنا مسود المفارق يافع  
إلا أنها لم تلبث أن احتجبت عنه فتعذر لقاءها عليه واستحال  
وصلها قطيعة • وبذلها حرماناً • وأكبر الظن أن زواجها كان السبب  
في احتجابها عنه - فقد تزوجت شرة هذه بقلاً آثرت أن تكون خليله  
له على أن تكون خليله لابن المعتز • وقد أحفظ عملها هذا سيدها  
القديم فهجا زوجها وتمنى طلاقها بقوله :

أقول وقد ضاقت بأحزانها نفسي      الا رب تطليق قريب من العرس  
لئن صرت للبقال يا شر زوجة      فلا عجب قد يربض الكلب في الشمس  
بيد أن الهجاء لم يشف غلة الشاعر فأخذ يحن الى صاحبه حين  
المحب المهجور الى الحبيب النافر الهاجر يستعطفها حيناً ويعاتبها مرة  
ويداعبها تارة • ولك أن تتصفح باب الغزل في ديوانه لتبين المكان

الواسع الذي تحتله منه هذه النغمات التي أروي لك منها قوله : -  
شفعيني ياشر في رد نفسي      فلقد طال حبس قلبي لديك  
واذني بالرقاد لي إن عيني      تستعير الرقاد من عينيك  
أوهبي لي صبراً أرد به الدمع فاني أخاف دمعي عليك

وقوله :

وصل الخيال وصد صاحبه      والحب لا تفنى عجائبه  
يا شر إن انكرتني فلكم      ليل رأتك معي كواكبه (١٤)

وقوله :

قد جاءنا العيد يا معذبتني      لا تجعليه همّاً وأحزاناً  
قومي فضحي بالهجر فيه لنا      وصيريه يا شر قرباناً  
ولسنا نعلم أترملت شرة أم طلقت ؟      ولكننا نعلم بالتأكيد أنها  
استأنفت علاقتها بابن المعتز وقضت حياتها الى جانبه بدليل أنه طالما  
تحدث عنها في أيام ضعفه وشيخوخته إن جازت تسميته شيخاً . فمن  
ذلك قوله :

ضحكت شر إذ رأته قد شبت وقالت قد فضض الأبنوس  
قلت ان الشباب في لباق      بعد ، قالت هذا شباب ليس

وقوله :

صدت شريروأزمعت هجري      وصغت ضمائرهما إلى الغدر

(١٤) بين الديوان والأوراق خلاف في رواية هذين البيتين وقد  
آثرت رواية الأوراق .

قالت كبرت وشبت قلت لها هذا غبار وقائع الدهر  
قد يقال : ولكن أليس من المحتمل أن يكون زواج شرة قد وقع  
بعد أن شاب سيدها وأنها لم تستأنف علاقتها به بعد مفارقتها إياه ؟  
والجواب عن ذلك لا !! لأن ابن المعتز يخبرنا في أبيات سبق إيرادها  
( ألا أيها القلب .. الخ ) أنه أحب شرة وظفر بوصولها وهو شاب في  
مبكرة الصبا وليس من المرجح أن تقضي شرة أيام شبابها وكهولتها مع  
ابن المعتز ثم تبحث عن الزواج وتظهر به وهي في سن الشيخوخة .  
وليس من المرجح كذلك أن يحفل ابن المعتز بزواجها ومفارقتها إياه إذا  
كانت قد فعلت ذلك بعد أن ذوى شبابها وزالت نضرتها أو أشرفت على  
الزوال . ومهما يكن من شيء فإن بعض غزل عبد الله ولا سيما غزله  
بشرة غزل صادق يرمز إلى عواطف حقيقية ويعبر عن أحاسيس غير  
مكدوبة .

وصفه : أدل من غزل عبد الله على خطرات نفسه وخلجات قلبه  
وهمسات شعوره وصفه الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة تستحق  
التدوين في سجل الأدب الخالد إلا أحصاها . فنحن نستطيع بفضل  
هذا الجزء من شعره أن تتبين حياة المرح والترف التي كان يحيها  
متنقلاً من قصر إلى قصر ومن ضيعة إلى ضيعة ، ومن مجلس طرب  
حافل بالمسرات إلى آخر حفل بها منه . ونستطيع أيضاً بواسطة هذا  
الوصف أن نعرف شيئاً غير قليل عن الطبيعة التي كان يغازلها ويناجيها  
ونستطيع كذلك أن ننظر في هذا الوصف بمعلومات اجتماعية وتاريخية  
تجمع بين الفائدة والطرافة إلى حد بعيد . والآن لنطف في هذا الحقل  
الفسيح الغني كل الغنى بصنوف الزهر المتعدد الأشكال المتنوع العطور

والألوان ولنقف عند بعض أزهاره ورياحينه وقفات قصيرة فهذه قطعة يخبرنا فيها الشاعر أنه قضى بنهر فروخ يوماً ( طيباً سارا ) شهد فيه حفلة سباق ضمت أنجب الخيل وأكرم الفتيان وأحرصهم على الاستمتاع بلذات الحياة •• وهذه ثانية تروي لنا أن المترجم كان كثير الاختلاف الى قرية عامرة تغطيها غابات الكرم بقرب سامراء اسمها « القادسية » يظهر من وصف الشاعر لها أنها كانت مصيفاً له ولأضرابه من الأمراء والكبراء • ولا تعرف كتب الجغرافية القديمة منها سوى الاسم •• وهذه ثالثة يصف فيها الشاعر أو طاراً قضاها بين سمر الندمان وتقر العيدان في قصر اسمه « قصر بسطام » لا تعرف كتب التاريخ والجغرافية القديمة عنه شيئاً كذلك •• وهذه رابعة يحدثنا فيها عبد الله حديثاً طريفاً • عن عهد سعيد قضاها في « المطيرة » بقرب « دير عبدون » •• وهذه خامسة تخبرنا بجولة بدیعة في قرية يعدها الشاعر « موسم العشاق » تدعى « الياسرية » ! ! •• وأمثال هذه القطع في شعر ابن المعتز كثيرة جداً تجدها مبعثرة في أبواب ديوانه المختلفة ، وكلها من الأهمية والنفاسة بحيث تستحق أن تدرس • أما ما يتصل من وصفه بالطبيعة فإنه كثير ومتنوع أنواعاً مختلفة لأنه وصف منها كل ما شعر أنه جدير بالوصف ، ولذلك كان شعره فيها أشبه بمجموعة صور شمسية تمثل الصامت والناطق ، والجامد والمتحرك ، والحسن والقيبح أحياناً ، مثال ذلك أنه بينا يصف مزنة « يلطم وابلها خد الارض » الى أن تتقيها هذه « بالعدراة والخضر » اذا هو يصف طوفاناً مخرباً حصل في دجلة فاجتاح الدور والقصور والبساتين ومن بينها قصره وبستانه ! • وبينما هو يصف حمامة يشرب على غنائها الكأس تلو الكأس اذا هو

« ينعت » حية « رقصاء » كأن جلدتها « كمّ درع قده بطل » وبيننا  
هو يصف « نسيماً يبشر الارض بالغيث كذيل الغلالة المبلول » اذا هو  
يصف « هاجرة يأكل حرها صبر الركائب » وهكذا .

ولكي أعطيك فكرة صحيحة عن وصف ابن المعتز أروي لك مثلاً  
مختلفة منه يمثل كل منها لوناً من ألوان الحياة التي تجذب انتباهه  
وتوقظ خياله وتغذي شعوره . ها هو ذا يصف الزهر فيقول في البنفسج:  
بنفسج جمعت أوراقه فحكمت كحلأ تشرب دمعاً يوم تشتيت  
كأنه وحقاق القضب تجمععه أوائل النار في أطراف كبريت

ويقول في الأذريون :

كأن آذريونها والشمس فيه بادية  
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية (١٥)

ويقول في نياوفر على بركة :

وبركة تزهر بنيلاوفر ألوانه بالحسن منعوته  
نهاره ينظر من مقلة شاخصة الأجفان مبهوتة  
كأنما كل قضيب له يحمل في أعلاه ياقوتة

وها هو ذا يصف الفواكه في التفاح :

كأنما التفاح لما بدا يرفل في أثوابه الحمر  
شهاد بماء الورد مستودع في أكر من جامد الخمر

(١٥) الغالية : طيب .

كأنتنا حين نحيى به نستنشق الند من الجمر

ويقول في ليمونة :

يا حبذا ليمونة  
كأنها كافورة  
تحدث للنفس الطرب  
لها غشاء من ذهب

ويقول في النارج :

وأشجار نارنج كأن ثمارها  
مطالعا بين الغصون كأنها  
أت كل مشتاق بر يا حبيبه  
حقاق عقيق قد ملئن من الدر  
خدود عذارى في ملاحفها الخضر  
فهاجت له الأحزان من حيث لا يدري

ويقول فيه أيضاً :

كأنما النارج لما بدت  
وجنة معشوق رأى عاشقاً  
صفرته في حمرة كاللهيب  
فاصفر ثم أحمر خوف الرقيب

وها هو ذا يصف الخمر وزاجتها فيقول :

وندمان سقيت الراح صرفاً  
صفت وصفت زجاجتها عليها  
ثم ها هو ذا يصف فتيانا خرجوا الى الصيد في آخر ليل ومعهم  
وأفق الصبح مرتفع السجوف  
كمعنى دق في ذهن لطيف

بزاتهم فيقول :

وفتيان سروا والليل داج  
وضوء الصبح منهم الطلوع

كأن بزاتهم أمراء جيش على أكتافهم صداً الدروع (١٦)

وها هو ذا يصف ليلاً رقيق الهواء رائع الاضواء فيقول :

يارب ليل سحر كله مفتضح البدر عليل النسيم  
تلتقط الانفاس برد الندى فيه فتهديه نار الهموم  
ثم ها هو ذا يصف ليلة من ليالي صيف بغداد مغايرة تماماً لذلك  
الليل الجميل فيقول :

بت بجهد لا أذوق غمضا مسهداً يضرب بعصي بعضا  
قد قطع الجرجس جلدي عضاً مصاعداً يلدغ أو منقضا (١٧)  
كشرر القدح إذا ما ارفضاً يدمن اسخاطك حتى ترضى  
إذا لم يخطيء ظني فان وصف ابن المعتز الذي لم أرو لك منه  
سوى مثل قليله جداً دليل فإذ على ما عنده من يقظة خاطر وقوة  
الملاحظة ودقة التصوير .

شعره السياسي : وقد قلت لك في ترجمة عبد الله ان الحوادث  
المؤلمة التي تتابعت على بيته بعد مقتل جده المتوكل على الله حملته على  
أن ينبذ السياسة نبذاً تاماً فزهد بالملك ونقض يديه من الخلافة .  
وأقول لك الآن ان هذا لا يعني أنه هجر التفكير في السياسة وإنما

(١٦) هكذا في ديوان المعاني أما في الديوان فتحل كلمتا ( وورد )  
و ( حديد ) محل كلمتي ( طلوع ) و ( دروع ) . هذا الى أني أحب ان  
أسجل هنا ان لعبد الله شعراً كثيراً في الصيد كما ان له شعراً كثيراً في  
الخمر . وقد اقتصرت على مثال واحد فقط من كل من هذين البابين  
رغبة في الأيجاز وقد لا يخلو من فائدة ان نلاحظ ان التقليد والتكرار غالبان  
على هذين البابين من ديوان ابن المعتز .

(١٧) هكذا في الأوراق وفي الديوان مكان هذا الشطر « منتهشاً  
يقرصه منقضاً » ورواية الأوراق أصح .

يعني انه هجر العمل لحسابها • ورجل كعبد الله لا يمكن أن يطرح الشؤون العامة وأن ينسى أو يتناسى ما يجري حوله من الحوادث التي تتعلق بحياة أمته وكيان أسرته • إذن فقد كان يفكر في السياسة ويقول فيها الشعر والشعر الجيد الكثير (١٨) ولكي نفهم حقيقة تفكيره في السياسة فهما صحيحا يجب أن نلاحظ أن له فيها موقفين مختلفين هما موقفه من أبناء عمه العلويين وموقفه من المتغلبين على السلطان في بغداد والأقاليم • وقد غلبت الخصومة على موقفه من أبناء عمه حيناً من الزمن فعاتبهم أمّض عتب ونقدهم أشد نقد وأعنفه • ومعلوم أن الامامة كانت موضوع هذا النزاع وكان دفاعه عن حقوق بيته فيها قائماً على أمرين ، أحدهما : أن العباسيين هم أبناء عم رسول الله ( ص ع ) • وأن الفاطميين أبناء بنته وبنو العم أمس رحماً وأولى بالارث من بني البنت :

لكم رحم يا بني بنته ولكن بنو العم أولى بها (١٩)

(١٨) يقع شعر عبد الله السياسي على الأكثر في بابي ( المديح ) و ( الفخر ) من ديوانه ، على أن في بابي ( المعاتبات ) و ( الزهد ) مثلاً قليلة منه .

(١٩) أقدم من عبر عن هذه الفكرة بكلام منظوم . مولى لتمام بن العباس بن عبد المطلب هجاء عبيد الله بن أبي رافع كاتب رسول الله ( ص ع ) لعلويته بقوله :

جحدت بني العباس حق أبيهم فما كنت في الدعوى كريم العواقب  
متى كان أولاد البنات كوارث يجوز ويدعى والدافي المناسب  
وقد تسابق الشعراء الى انتحال هذا المعنى بين مقصر ومجيد في  
صدر الدولة العباسية ولكن أحدا منهم لم يبلغ مبلغ مروان بن أبي حفصة  
في قوله :

أني يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثتة الاعمام



وثانيهما هو أن آل العباس نزعوا مقاليد الملك والخلافة من أيدي  
بني أمية بحد السيف • ولذلك فإنهم أحق بزعامة المملكة الإسلامية من  
غيرهم • وقد ضرب عبد الله على هذا الوتر مراراً عديدة :

قتلنا أمية في دارها فنحن أحق بأسلابها  
وكانت هذه الخصومة المرة ناشئة عن سعاية أشخاص كانوا يلقون  
الشعر في الطعن ببني العباس وينسبونه لبعض شعراء الطالبين وروونه  
لابن المعتز فيجيب عليه بما تقدمت له الإشارة • وقد ألهم الله جماعة من  
التابعين بينهم أبو الحسين محمد بن الحسن المعروف بابن البصري ،  
والقاسم بن اسماعيل وهما من شعراء الطالبين المتهمين بملاحاة بني  
العباس أن يجتمعوا بابن المعتز ويحلقوا له أنهم ما قالوا شيئاً مما نسب  
إليهم ، فقبل هذا منهم واعتذر إليهم • وكف عن هذه المساجلة البغيضة  
وقال أشعاراً تودد فيها إلى آل أبي طالب وتمنى أن يكونوا وآله يداً  
واحدة :

بني عمنا عودوا نعد لمودة      فانا إلى الحسنى سراع التعطف  
وإلا فاني لا أزال عليكم      محالف أحزان كثير التلهف  
لقد بلغ الشيطان من آل هاشم      مبالغه من قبل في آل يوسف

وأخيراً جاء عبد الله فقال بيته هذا . وقد نقض جعفر بن عфан  
الطائي وصفي الدين الحلبي هذه الحجة التقليدية فقال الاول رادا على مروان  
ابن أبي حفصة .

لم لا يكون وان ذاك لكائن      لبني البنات وراثه الاعمام  
للبنات نصف كامل من ماله      والعم متروك بغير سهام  
وقال الثاني راداً على ابن المعتز بقصيدة يعارض بها بائته التي  
يقول فيها : « لكم رحم » البيت :  
بنو البنات أيضاً بنو عمه      وذلك أدنى لأنسابها  
فغفر الله لهم جميعاً .

وقد بلغ من رغبته بقطع دابر الشحنةاء بين آل العباس وآل أبي طالب واحلال الوفاق محلها أن قال لابي الحسين العلوي المتقدم ذكره: « لئن ملكت من هذا الأمر شيئاً - يعني الخلافة - لاجعلن البطين بطناً واحداً ولأزوجنَّ هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء ولا أدع طالبياً يتزوج بغير عباسية ولاعباسياً بغير طالبية حتى يصيروا شيئاً واحداً وأجري على كل رجل منهم عشرة دنانير في الشهر ، وعلى كل امرأة خمسة دنانير ، وأجعل لهم من الدنيا ناحية تقي بذلك » (٢٠) .

ولعبد الله في التنصل مما نسب إليه من بغض علي وأبنائه شعر كثير يروي الصولي خاصة منه في الجزء الثالث من « أوراقه » شيئاً غير قليل . ومن نفائس شعره في هذا الباب قوله :

|                         |                           |
|-------------------------|---------------------------|
| رثيت الحجاج فقال العدا  | ة سب علياً و بنت النبي    |
| أ آكل لحمي وأحسو دمي ؟  | فيا قوم للعجب الأعجب ! !  |
| علي " يظنون بي بغضه     | فهلا سوى الكفر ظنوه بي    |
| إذن لاسقتني غداً كفه    | من الحوض والمشب الأعدب    |
| بلى قرمطين مشوا اليه    | بالنسب الأفجر الاكذب      |
| سببت فمن لامني فيهم     | فلمست بموصىً ولا معتب     |
| مجلي الكروب وليث الحرو  | ب في الرهيج الساطع الأصهب |
| وبحر العلوم وغيض الخصوم | متى يصطرع وهم يغلب        |
| يقلّب في فمه مقولاً     | كششقة الجمل المصعب        |

والقصيدة طويلة معظمها مثبت في الديوان وكلها من الشعر المختار

نكتفي منها بما تقدم رغبة في الاختصار .

أما موقفه من المتغلبين على السلطان في بغداد والأقاليم فهو موقف الحاكم الشرعي من مختلسي ملكه وغاصبي سلطانه ، فآل الصفار لصوص محتالون ، وآل طولون فراغنة مصر على عهد الشاعر ، وصاحب الزنج « شيخ ضلال شر من فرعون » وإسحق البيطار « أعلم خلق الله بالماخور » ورأيه في ملوك الطوائف جميعاً وفي رجال الفتن والاضطرابات في كل مكان مدون بتفصيل ومهارة في كتابه النفيس الذي وضعه في سيرة المعتضد والمثبت في فصل النون من باب المديح من ديوانه ، وهو عبارة عن أرجوزة تقع في تسعة عشر وأربعمائة بيت أدى فيها لتاريخ والأدب خدمة كبرى مزدوجة .

عرض ابن المعتز في هذه الأرجوزة لشؤون الدولة العباسية التي بلغت أقصى دركات الفوضى والانحلال في الفترة التي تقع بين مقتل المتوكل على الله عام ( ٢٤٧ ) للهجرة وتبوء المعتضد دست الحكم عام ( ٢٧٩ ) للهجرة وإلى الإصلاحات التي قام بها هذا الخليفة فشرحها بأسهاب وعقب عليها بما يتفق ورأيه في السياسة . إلا أن هذا لا يمنعنا من القول بأنه مخلص كل الأخلص في تعقيبه على هذه الحوادث وأن الأعمال التي بسطها ونقدها وأنحى على القائمين بها باللوم الشديد والتفريع الممض لهم تكن في الحقيقة سوى جرائم فظيعة ارتكبت في سبيل تحقيق مطامع أئيمة وأغراض شخصية غير مشروعة . ومع أن الأرجوزة - كما يروها الديوان - ممسوخة مسخاً قبيحاً من عدة وجوه ولا سيما من حيث الترتيب فإنها تحتوي على صور صادقة لأهم الحوادث التي جرت في الفترة التي أشرت إليها آنفاً . ومما ينبغي التنويه به أن عبد الله استطاع أن يخلع مسحة شعرية جميلة على حقائق

التاريخ المرة القاسية في كثير من أقسام هذه الأرجوزة • إسمع قوله  
في وصف سطوة رؤساء الجند وقوتهم وسوء تصرفهم في شؤون الناس  
وانهماكهم في لذاتهم وعكوفهم على إرضاء شهواتهم وأهوائهم وأخيراً  
ما آل إليه أمرهم على يد المعتضد •

|                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| بالتل والجوسق والقطائع   | كم ثمّ من دار لهم بلاقع  |
| كانت تزار زمناً وتعمّر   | ويتقى أميرها المؤمر      |
| وتسهل الخيل على أبوابها  | ويكثر الناس على حجابها   |
| فكم هناك والجا كريما     | وراجعاً مدفعا مظلوما     |
| وواقفا ينظر من بعيد      | مخافة العقاب والتهديد    |
| حتى إذا ما ارتفع النهار  | ضجت بها الأصوات والأوتار |
| ودارت السقاة بالمدام     | وارتكبت عظام الآثام      |
| ثم انقضى ذلك كأن لم يفعل | والدهر بالأنسان ذو تنقل  |
| فما بكت عليهم السماء     | لمّا أتيح لهم القضاء     |

ولم يقتصر ابن المعتز في أرجوزته هذه على ذكر الحوادث السياسية  
والحرية التي جرت في أيام المعتضد أميراً كان أم خليفة ، بل إنه وصف  
آثاره الأخرى ولا سيما قصر ( الرباب ) الذي كان يحتوي على عجائب  
وغرائب يدهش لها العقل والذي غفل التاريخ عن ذكره رغم جلاله قدره  
وخطورة شأنه فلم يرو الطبري ولا ابن الأثير ولا ياقوت ولا ابن  
خرداذبة عن انشائه وعجائبه الآتي ذكرها شيئاً • قال ابن المعتز :

وما بنى بان من الخلائف ولا ملوك الروم والطوائف  
كما بنى من أعجب البناء لا زال فينا دائم البقاء

\*\*\*

فمن رأى مثل الرباب قصرا      كم حكمة فيه تخال سحرا  
والنهر والبستان والبحيرة      قد جمع الماء اليها طيره  
وللبزاة معها وفائع      فغائص في جوفها وواقع  
وبعضها يذبح بالأكف      مأسورة قد رميت بحتف  
وما رأى الراؤون مثل الشجرة ذات غصون مورقات مشمة  
ولم تكن غرساً ترابه الثرى      ولم تكن من شجر يسقى بما  
لكنها تخبر عن حكيم      موفق مجرب عليم  
مفكر من قبل أن يقولا      ويحسن التفهيم والتمثيلا  
كأنها من شجرات الجنة      أنزلها إلهنا ذو المنه  
والقبة العلياء والأترجه      ملك فيها أربعين حجه

هذه المناظر البديعة التي تزين قصر الرباب ولا سيما الشجرة التي  
لم تغرس في أرض ولم تسق بماء ، وهذه القبة العلياء وتلك الأترجة  
مما جهله التاريخ وجهلناه نحن تبعاً له ، إلا أن ابن المعتز أحاطنا بكل  
ذلك علماً ، فلنسجل له هذه اليد المشكورة (٢١) .

وقد جراه أحمد بن عبد ربه بنظم مزدوجة دون فيها تاريخ  
عبد الرحمن الناصر خلال ثلاثة وعشرين عاماً ، تبديء بمفتتح القرن  
الرابع للهجرة وصف حوادثها بالترتيب سنةً بعد سنة . وليس من  
شك في أنه قد استطاع أن يؤرخ الناصر كما أرخ عبد الله المعتضد ،  
وفي أنه وفق أيضاً الى ما وفق إليه سلفه من الناحية الفنية . وأول

(٢١) مما يحسن ذكره بهذا الصدد ان المعتضد بنى قصراً عظيماً  
آخر سماه ( قصر الثريا ) هنأه بينياته ابن المعتز فقال من قصيدة :  
سلمت أمير المؤمنين على الدهر      ولا زلت فينا باقياً واسع العمر  
حللت الثريا خير دار ومنزل      فلا زال معموراً وبورك من قصر

أرجوزته قوله :

سبحان من لم تحوه أقطار ولم تكن تدركه الأبصار  
وأنت تجد هذه الأرجوزة اللطيفة في الجزء الثالث من العقد

الفريد ♦

حكيمه وخواطره : وأخيراً لنكلم بحكمهم عبدالله وخواطره في ( الزهد  
والآداب والشيب ) الإمامة وجيزة لأنها مظهر لامع من مظاهر ظرفه  
الأخاذ وعقله الراجح وأدبه الجم ولانها تطلعننا على نواحي عديدة من  
حياته الخاصة ، ونواحي عديدة كذلك من الحياة العامة على عهده ♦  
فهو يحدثنا مرة بأنه قد شاب وأنه ( أبغض نفسه في شبيهه ) فكيف  
يطمع بأن ( تحبه الخود الكعاب ) ويقول لنا تارة : إن الجهل قد استحکم  
في بيئته واستحوذ على أهل زمانه وإن الفضل واقف منه موقف البائس  
المحروم من الغني المجدود المستمنع بكل حول وسلطان ، ويؤكد لنا  
طوراً أن الذين يحسدونه وأهل بيته لو عرفوا حقيقة حالهم لعلموا أنهم  
يحسدونهم على ما لا يحسد عليه انسان ♦ أتجب أن أروي لك مثلاً  
قليلة من هذه الخطرات الشيقة القيمة ؟ اسمع قول عبد الله معاتباً نفسه  
على استمراره في غوايته وقد بلغ الأربعين :

فتنت قلبك العيون الملاح واغتباق بقهوة واصطباح  
وقدود كأنهن غصون وخدود كأنها التفاح  
أنت في الأربعين مثلك في العشرين قل لي متى يكون الفلاح ؟  
وقوله في وصف المخاوف التي كانت تساوره بسبب المصائب  
الفادحة التي نزلت بآله تبعاً سراعاً بعد مقتل جده المتوكل على الله :  
من يشتري حسبي بأمن خمول من يشتري أدبي بحظ جهول

ساء الزمان وأوجعتك صروفه      فعمى الزمان يسر بعد قليل

وقوله موصياً بالصبر على حسد الحاسد :

اصبر على حسد الحسود      د فان صبرك قاتله

والنار تأكل بعضها      إن لم تجد ما تأكله

لغته وأسلوبه : والمعروف أن ابن المعتز رجل زخرفة يتعشقها

ويتذوقها ويتميز بها •

ولكنك إذا رجعت الى شعره وتأملتته رأيت انه يمثل أسلوبين

مختلفين كل الاختلاف يصطنع الشاعر أحدهما اذا تحدث عن الشراب

والغناء والأزهار والفواكه والرياحين وما الى ذلك • ويصطنع الآخر

اذا تحدث عن السياسة والاجتماع وما يمت اليهما بصلة •

فأما الأول فشعاره الزخرفة وخاصته براءة التشبيه التي عرف بها

فهو القائل « اذا قلت كأن ولم آت بعدها بالتشبيه ففض الله فاي » •

وقد مر بك من تشبيهات الرجل ما يمثل نفاذ حسه وسعة خياله ودقة

تفكيره تمثيلاً تاماً • وأما الثاني فشعاره البساطة وخاصته حسن

التأليف وسلامة الأداء • ولك أن ترجع الى ما رويت لك من قصيدة

عبد الله التي يبرأ بها من خصومة علي بن أبي طالب ( ع س ) ومن

أرجوزته التي يؤرخ بها خلافة المعتضد وما ألتهم بيته ومملكته من

الحوادث الجسام منذ مصرع جده المتوكل على الله لتبين كيف يتخلى

عن الزخرفة ويقتصر على سلامة الأداء اذا أراد الدفاع عن رأي أو

حاول سرد حادثة تاريخية • وليس من شك في أن المترجم خفيف الظل

لطيف الجرس حبيب الى النفس في كل من أسلوبيه المختلفين هذين •

أما لغته فانها لا تخلو من الركاكة أحياناً ، ولكنها في جملتها صحيحة

التأليف جميلة التركيب تكثر فيها أدوات التشبيه ويغلب عليها الجلاء ويشيع فيها الانسجام وتبرأ من وحشي اللفظ وحوشيه براءة تامة • على أنها إن امتازت بشيء فأنما تمتاز بالعدوية والرقعة (٢٢) •

#### د - خاتمة :

يقول محمد بن يحيى الصولي وهو من أقرب الرواة والنقاد القدماء الى المترجم وأعرفهم به في تحديد منزلته الشعرية ما نصه « ومنزلة عبد الله في الشعر منزلة شريفة وقع من قوم افراط في أمره وتقديمه » ويمضي في حديثه فيقول لنا ان أبا العباس أحمد بن يحيى يقول « هو أشعر أهل زمانه » وان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول « هو أشعر قريش لانه ليس فيهم من له مثل فنونه لانه قال في الخمر ، والطرده ، والغزل ، والمديح ، والهجاء ، والمذكر والمؤنث ••• فأحسن في جميعها ، وهو حسن التشبيه ، مليح الألفاظ ، واسع الفكر » وهنا يستطرد الصولي فيقول « وهو يأخذ كثيراً من الناس ويستعين فيحسن ، وكثيراً ما يتكبيء على نفسه ، وهو يفضل أشباهه بألفاظ له ملوكية » • ويعود الصولي الى النقل فيقول لنا « وسمعت بعض العلماء يقول - أول الشعراء المتقدمين في صفة الخمر الأعشى ثم الاخطل ثم ثم أبو نواس ثم الحسين بن الضحاك ثم عبد الله بن المعتز » • « فقلت أنا هو أيضاً عندي متقدم في الغزل لأن الشعراء الذين أحسنوا في الغزل حتى تفردوا به وكان الغزل قطعة من شعرهم معروفة

(٢٢) أحب ان اسجل هنا اني درست لغة عبد الله وأسلوبه دراسة اجمالية لأن كتب الادب تختلف في رواية شعره اختلافاً كبيراً . أما ديوانه فانه مغلوط ومشوه الى درجة لا يصح معها الاعتماد عليه .



قليلون وخاصة من عمل في المذكر والمؤنث •

وهو أول من حصل هذا ، وجعله فنين وأضاف إليه فناً ثالثاً

سماه مجونا حتى تقدم فيه من سبقه وتبعه الناس « (٢٣) •

ويذهب صاحب معاهد التنصيص الى أنه « أشعر بني هاشم على

الاطلاق وأشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات » (٢٤) •

أما أنا فأزعم انه رابع اربعة في عصره هم - أبو تمام ، والبخترى ،

وابن الرومي ، وهو • يفضله زملاؤه الآنفو الذكر من حيث فصاحة

اللفظ ، ومنانة السبك ، ونقاء الديباجة ، وطول النفس ، ويفضلهم هو

من حيث خفة الروح وجمال التشبيه • أما من حيث هو شاعر قرشي

أو هاشمي • فأحسب أنه أكبر شعراء بني هاشم الى عهده • هذا مع

العلم بأنه بلا نزاع خير من مثل حياه القصور وما فيها من تفكير وأدب

ولهو وعبث من الشعراء •

---

• (٢٣) الاوراق للصولي ج ٣ ص ١١٣ - ١١٤ •

• (٢٤) معاهد التنصيص ج ١ ص ١٤٦ •

## الباب الخامس

في شعراء القرن الرابع للهجرة

### الفصل الأول

#### أبو الطيب المتنبي

أ - حياته : اسمه ونسبه وكنيته ولقبه • سببه ( حاشية ) مولده نشأته  
وتعليمه • خروجه الى بادية الكوفة • أثرها في نفسه •  
زيارته بغداد ، سببها • سفره الى الشام • تطوافه في أنحاء  
هذا القطر • تنبؤه • سجنه : حاله في السجن • استنابته  
واطلاقه • استئنافه حياة التشرّد في الشام • تكسبه  
بالمديح • اصراره على التفكير في الثورة • اتصاله ببدر  
ابن عمار • مدائحه له • مفارقتة اياه • اتصاله بالحسن  
ابن عبيد الله بن طعج • مديحه له • توصل أحد العلويين  
له في أن يمدحه • استجابته • ما جرى له من التكريم  
بهذه المناسبة • اتصاله بآل حمدان : عند أبي العشائر •  
عند سيف الدولة • كيف تكونت صلته به • حظوته عنده  
كيد الحساد له • توتر علاقته بالأمير الحمداني • معاتبته  
اياهم • ما نشأ عن هذه المعاتبة • عودة المياه الى مجاريها  
بين الرجلين • حادث مؤسف آخر بينه وبين سيف الدولة •  
ما قال من الشعر في هذا الحادث • صلته بسيف الدولة  
على العموم : كيف افترقا • سفره الى الشام ، الى الرملة  
الى القسطنطينية • ما وعده كافر نظير زيارته

اياه • اخلافه هذا الوعد • اقامته في العاصمة المصرية •  
فراره الى الكوفة • اقامته فيها • مساهمته في حياتها  
العامة • استئناف سيف الدولة صلته به في الكوفة • هدايا  
وشعر • زيارته بغداد • امتناعه عن مدح المهلبى • تألب  
شعراء بغداد عليه • ترفعه عنهم • دعوة ابن العميد اياه •  
قبولها • مدائح لابن العميد • دعوة عضد الدولة البويهى  
اياه • استجابته • ما قال من الشعر في عضد الدولة •  
عودته الى الكوفة • مقتله •

ب - صفاته : بخله ، تيهه ، سذاجته ، اقدامه ، اباؤه ، وفاؤه ، عفته ،  
سرعة خاطره • غزارة حفظه ، تشاؤمه •

ج - ديوانه : شروحه وطبعاته ، غزله : عناصره • مثل من جيده •  
فخره : أنواعه • مثل منه • وصفه : براعته في كل فن من  
فنون الوصف • تصويره عتاق الخيل • وصفه محاسن  
الطبيعة • شذرات مختلفة من بدائع وصفه • مديحه :  
مساوئه ومحاسنه • ماله من القيمة الادبية والتاريخية •  
سيفياته • مكائنها الممتازة • تصويره هزائم الروم بلا  
قتال مرارا عديدة • مثل من شعره في هذا الباب •  
هجاؤه : صرامته وبداءته ، أغرب ما فيه • عتابه • ميزته •  
رثاؤه • اتهامه ببرودة العاطفة • تضييده • مثل من جيد  
رثائه • فلسفته • مادتها • تناقضها •

لغته وأسلوبه : غلو القدماء في احصاء عيوبهما •  
خصائصهما • بعض ما يمثلها من شعره •

د - خاتمة : الفصل بينه وبين أبي تمام والبحثري •

## أ - حياته :

لم يشهد القرن الرابع للهجرة نشأة أغراض جديدة للقريض العربي ولكنه شهد تفوقا عظيما في معالجة الاغراض القديمة • شهد تفوق المتنبي في وصف الحرب والسياسة وضرب الامثال ، وشهد تفوق الشريف الرضي في الرثاء والغزل والفخر والاخوانيات • ومعلوم أن الاول كان زعيم الحركة الادبية في النصف الاول من هذا القرن وأن الثاني كان زعيم الحركة الادبية في النصف الثاني منه وعلى هذا أبداً بالاول فأقول هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي (١) المكنى بأبي الطيب والملقب بالمتنبي (٢) •

(١) ذكر الرواة بعض أجداد المترجم بشيء من الاختلاف واكبر الظن أنهم صنعوا له هذا النسب بعد وفاته لانه لم يكن يتحدث عن نسبه بشيء وانما كان يكتفي بالقول ان آباءه كرام واجداده امجاد ولكنه يفضل ان يشرفوا به بدلا من أن يشرف هو بهم :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجوددي بيد اننا اذا أستعنا بسيرته في صدر حياته على معرفة نسبه امكنا أن نتبين ان نسبه لم يكن من الرفعة بحيث يحب • وان والده ربما كان - في الحقيقة - سقاء كما يقول خصومه • وغني عن البيان ان هذا لا يفض من شأنه بحال من الاحوال بل انه يدعو الى اكبارة والاعجاب به لانه استطاع ان يرتفع بفضل قوة عزمته وعلو همته من بيئة فقيرة خاملة الى منزلة رجل من أعظم رجال الأدب العربي ومهما يكن من اختلاف الرواة في اسماء آباءه واجداده فانهم مجمعون على أنه عربي جعفي ، وجعف هذه قبيلة قحطانية يمنية تقطن الكوفة ككثير من القبائل اليمنية .

(٢) لقب بالمتنبي لا دعائه النبوة كما سيجيء • او لقوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود  
مامقامي بأرض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود  
ومصدر القول الثاني هو • وعندي ان الاول أصح •

وقد ولد سنة ٣٠٣ هـ في محلة كندة بالكوفة ونشأ حيث ولد وتلقى علومه الأولى في مدرسة خاصة بالعلويين يظهر أنها ذات صبغة ممتازة . ولكن هذا لا يعني أنه ينتمي الى أسرة عريقة في المجد والغنى لان كل ما في حياته وآثاره يجعل هذا أمراً مستبعداً وقد قيل انه تلقى علومه الأولى في الشام ولكن الصواب ما قدمناه . وخرج مع أبيه الى البادية وهو غلام في وقت غير معروف بالضبط ولبث بها مدة من الزمن ويغلب على الظن أنهما خرجا إليها فرارا من القلاقل والاضطرابات التي التي كانت تجري في الكوفة على أيدي القرامطة . ولا نزاع في أنه أفاد الشيء الكثير من هذه الإقامة في البادية فصح جسمه وفصح لسانه وخلص طبعه وقد أشار الى هذا محمد بن يحيى العلوي الزيدي الذي عرفه صغيراً وروى بعض أخباره فقال انه رجع من البادية وقد استحال بدويًا قحاً (٣) ولم ينس المتنبى أيامه الجميلة التي قضاها في بادية الكوفة بل انه نغناها وحن إليها في صدر قصيدة مدح بها سيف الدولة سنة ٣٤٤ هـ قال فيها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق (٤)      مجرّ عوالينا ومجرى السوابق  
 وليلاً توسدنا الثوية تحته (٥)      كأن ثراها عنبر في المرافق  
 وصحبة قوم يقتلون قنيصهم      بفضلات ما قد كسروا في المفارق  
 وزار صاحبنا بغداد في شرح صباه ولكن ليس من اليسير تعيين  
 الوقت الذي زارها فيه والغرض الذي زارها من أجله بيد أنه من المحتمل

(٣) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٠٣ طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة

١٣٤٩ هـ .

(٤) موضعان بظاهر الكوفة .

(٥) الثوية موضع بقرب الكوفة .

أن يكون قد لجأ إليها في جملة من لجأ إليها من سكان الكوفة عندما  
أغار القرامطة على مدينتهم سنة ٣١٩ هـ .

والظاهر أنه لم يجد في عاصمة الخلافة العباسية من يحفل بشعره  
أو يعتد بأدبه لأنه لو وجد فيها شيئاً من هذا القبيل لآثر الإقامة فيها  
على الرحيل إلى الشام ، ولكنه لم يجد في بغداد ولا في الكوفة شيئاً  
مما يصبو إليه من مال وجاه وشهرة ولذلك عول على أن ينشد هذا  
كله أو بعضه في بلد آخر فرحل إلى الشام سنة ٣٢١ هـ كما يرجح أبو  
العلاء فأكثر من التجوال فيها وجاب حاضرتها وباديتها وعرف كثيرا من  
أهلها ومدح عددا كبيرا من عظمائها ونبلائها وأوساطها أيضاً واستعان  
بجوائزهم التي كانت تكبر حيناً وتصغر حيناً حتى تبلغ الدينار الواحد<sup>(٦)</sup>  
أو بعضه على ما يكابد من شظف العيش ورقة الحال .

على أنه كان يرمي في تطوافه إلى غرض أكبر من هذا بكثير فقد  
كان يبحث في وادي هذا القطر عن قوم يبلغ من سذاجتهم أن يصدقوه  
ويؤمنوا به إذا دعاهم إلى القول بأنه نبي أو اله ، من يدري ؟ .  
وقد ظفر بهؤلاء القوم في بادية حمص فدعاهم إلى أمر بالغ في  
كتمانته بعد فشله فيه .

ولكنني لا أكاد أشك في أنه دعاهم إلى الإيمان به على أنه نبي إن  
لم يكن لعبادته على أنه اله وما أظنك تستكثر هذا على من يقول :  
أي محل أرتقي أي عظيم أتقي

(٦) مدح المتنبي علي بن منصور الحاجب بقصيدة عصماء مطلعها :  
بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا  
فأجازه عليها دينار واحد فسميت القصيدة من أجل ذلك  
( بالدينارية ) .

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق  
محتقر في همتي كشعرة في مفريقي

ويقول :

أمت عنك تشبيهي بما وكأنه  
فما أحد فوقني ولا أحد مثلي  
وسواء أدعا المتنبي أعرا به الى عبادته على أنه اله أم الى الايمان  
به على أنه نبي ، فانه ما كاد يتصل خبره بلؤلؤ نائب الاخشيديين في  
حمص حتى أسرع الى اخماد فتمنته والقاء القبض عليه فاذا هو سجين  
يئن في الأغلال ، وليس من العسير أن تتصور حال ذلك البائس الشقي  
الذي تضافر عليه السجن والفقر والعربة فقد ألحت عليه الحاجة ونال  
منه الضيق حتى قبل معونة رجل ألب عليه ودعا السلطان الى الواقعة  
به يعرف بأبي دلف ، رأى في معونته وهو في مثل تلك الحالة شماتة ما  
بعدها شماتة وفي هذا يقول صاحبنا من أبيات :

أهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد يا أبا دلف  
غير اختيار قبلت برك بي

والجوع يرضي الأسود بالجيف

ومرت الايام بعد الايام وشاعرنا يكابد آلام السجن ومرارة  
الفاقة • وتولى امارة حمص بالنيابة عن الاخشيديين اسحق بن كيغلغ  
فرأى الشاعر أن ينتهز هذه الفرصة وبعث اليه قصيدته المعروفة التي  
مطلعها :

الا خدد الله ورد الخدود وقد قدود الحسان القدود  
يستعطفه فيها ويسأله الافراج عنه • وقد بنى رجاءه على أمرين :

أحدهما أنه صبي لا تقام عليه الحدود الشرعية :

تعجل في" وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود<sup>(٧)</sup>  
وثانيهما أنه أراد ولم يفعل وفرق أي فرق بين الفعل والارادة :  
وكن فارقا بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد  
ورأى اسحق أن يضع حدا لآلام الشاعر فاستتابه وخلي سبيله .  
وعاد هذا الى سابق عهده يمدح الناس ويستدر مسكة رmqه من هذا  
المديح . بيد أنه مما يبعث على الاستغراب حقا أنه وهو في تلك الحالة  
المحزنة لم ينزل عن مطية غروره ولم يمك عن التعريض بل عن  
التصريح برغبته في الخروج على السلطان وهدم النظام القائم واقامة  
آخر مقامه بحد السيف وهو يقول هذا للمدوحيه في صدور مدائحه في  
غير غموض ولا ابهام . فمن أغرب ما وقع له في هذا الباب قوله في قصيدة  
يمدح بها محمد بن عبد الله الخصيبي قاضي أنطاكية :

الله حال أريجهما وتخلفني وأقتضي كونها دهري ويمطني  
ملحت قوما وان عشنا نظمت لهم قصائدا من اناث الخيل والحصن  
تحت العجاج قوافيها مضمرة اذا تنوشدن لم يدخلن في أذن  
فلا أحارب مدفوعا الى جدر ولا أصالح مغرورا على دخن<sup>(٨)</sup>  
مخيم الجمع بالبيداء يصهره حر الهواجر في صم من الفتن  
فواضح أنه يريد اعلان حرب شعواء على الدولة لا يقنع منها  
بدون استيلائه على الحكم واستثثاره بالسلطان ، وهو يقول هذا لاحد  
ممثلي الدولة في غير خوف ولا وجل ، وهذا لا يزجره ولا ينهاه ولا

(٧) جلي أن المتنبي ادعى صغر السن ليكون بمأمن من العقوبة .

(٨) الدخن : الفساد .



ينصحه بالعدول عن هذا التفكير الخاطيء بل انه بدلا من هذا كله يقبل  
مدحته ويجيزه عليها • أفعل به ذلك استخفافا بقدرته على تحقيق  
مقاصده وأغراضه أم خوفا من معرفة لسانه أم مشاركة له في ميوله  
وأهوائه ؟ كل هذا ممكن ولكن لا سبيل الى الجزم بشيء منه • وما  
أريد أن أمعن في الكلام على هذه الناحية من أحوال المتنبي فأنا عائد  
اليها في مكان آخر من هذا الفصل والذي اريد أن أقوله الآن انه لبث  
متجولا في أنحاء سورية ناقلا بضاعته الكاسدة أحيانا ، الرائجة بعض  
الرواج حيناً من واد الى واد ومن ناد الى آخر حتى انتهى به المطاف  
الى بدر بن عمار الاسدي الذي عين حاكما لطبرية سنة ٣٢٩ فتقدم  
اليه بمدحة مطلعها :

أحلما نرى أم زمانا جديدا أم الخلق في شخص حي أعيدا  
وقبل بدر مدحة الشاعر وأحسن جائزته وضمه الى حاشيته فمدحه  
هذا في أثناء اقامته عنده بعدة قصائد أفضلها فيما أظن لاميته التي يصف  
فيها قتله أسدا بضربة سوط واضطراره آخر الى الفرار والتي يقول فيها  
منوهاً بهذه الحادثة :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

والتي سأذكر بعض عيونها في مكان آخر من هذا الحديث •  
ولكن ابن كروس نديم بدر بن عمار ساءة أن يستأثر هذا الشاعر  
الطاريء بعطف الأمير ويستولي على قلبه فأخذ يكيد له وينال منه  
ويعمل على ابعاده عن قلب الامير وساعده على ذلك جهل المتنبي آداب  
معاشرة الأمراء وطرق التزلف اليهم فلم يكن مثلاً يرافق الأمير فيما  
يعرض له من أسفار ولم يكن يشرب الخمر معه الا بمشقة • وأحس

الشاعر أنه فقد عطف الأمير فتركه واستأنف تطوافه الذي انتهى به  
الى الحسن بن عبيد الله بن طغج حاكم الرملة وأحد أمراء البيت المالک  
في القسطنطينية ومدحه بميمته التي يقول في مطلعها •

أنا لائمي ان كنت وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم  
فوقعت القصيدة من نفسه أحسن وقع وأجازه عليها جائزة سنيه  
واستبقاه مدة من الزمن استحكمت فيها صلوات المودة بين الرجلين •  
وحدث للمتنبي في أثناء اقامته بالرملة حادث لا بد لنا من الوقوف عنده  
لعظم دلالة على علو منزلة الشاعر واتساع شهرته واعتداله في استغلال  
تلك المنزلة وهذه الشهرة ذلك أن أبا القاسم طاهر بن الحسن بن طاهر  
العلوي رغب أن يمدحه المتنبي بشيء من شعره ورجا الأمير الحسن  
ابن عبيد الله أن يتوسط في تحقيق هذه الرغبة وبذل الأمير وساطته في  
الموضوع ولكن المتنبي لم ينزل على رغبة العلوي والأمير الا بشق  
النفس • ولما نزل على رغبتهما ونظم في العلوي المذكور بأثيته التي  
يقول فيها :-

إذا علوي لم يكن مثل طاهر فما هو الا حجة للنواصب  
وذهب اليه لينشده اياها نزل له هذا عن سريره وأجلسه بمكانه  
وجلس بين يديه ، فكان بهذا أول ممدوح يجلس بين يدي مادحه وكان  
أبو الطيب اول شاعر قدر له أن ينال مثل هذا الشرف •

ولم يطل الوقت حتى سطع نجم الحمدانيين بحلب وقامت دولتهم  
في شمالي سورية فعقد المتنبي النية على أن يكون شاعرهم إذا تسنى  
له ذلك وقصد منهم أبا العشائر نائب سيف الدولة في أنطاكية ومدحه  
بعدة قصائد أجودها - فيما أحسب - قافيته التي مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي  
وان لم يكن مطلعها هذا من حسان مطالعه •  
ولكنه لم يرد أن يكون شاعر أبي العشائر وانما كان يريد أن  
يتخذه وسيلة الى ابن عمه سيف الدولة الذي سبق له أن أحبه ومدحه  
عندما أدب جماعة من الثائرين على السلطان سنة ٣٢١ هـ ( فيما يقول  
الديوان ) بقصيدة مطلعها :

ذكر الصبا ومراتع الآرام جلبا حمامي قبل وقت حمامي  
ولم ينشدها إياه لأنه لم يكن قد اتصل به بعد • وكان أبو  
العشائر عند حسن ظن الشاعر به فقد قدمه الى ابن عمه الأمير عندما  
زاره سنة ٣٣٧ هـ وأثنى عليه ثناءً عاطراً • ولست أشك في أن شهرة  
المتنبي كانت قد سبقته الى سيف الدولة وأن هذا كان يعرفه ويقدر  
نبوغه وعبقريته ولكن هذه هي الطريق التي اختارها المتنبي الى سيف  
الدولة لسبب لا نعلمه • ومهما يكن من شيء ، فقد أعرب الامير للشاعر  
عن استحسانه له واعجابه به ودعاه الى أن يكون شاعره الرسمي ووعده  
مرتباً سنوياً قدره ( ٣٠٠٠ دينار ) نظير ثلاث قصائد فقط في كل سنة •  
وما أريد أن أترك هذه المرحلة من الحديث دون أن اسجل ان  
حظوة المتنبي لدى سيف الدولة هي الغاية التي كان يتوخاها من امتناعه  
على صغار الأمراء الذين كانوا يرغبون بمدحهم من أمثال الحسن بن  
عبيد الله بن طعج وطاهر بن الحسن العلوي فقد كان يبالي في تقليل  
العرض - كما يقول أصحاب الاقتصاد - ليشند الالاحاح في الطلب  
وليبلغ الثمن أعلى حد ممكن من الارتفاع • ولم يسرع المتنبي الى  
تلبية طلب سيف الدولة بل اشترط عليه زيادة على ما تقدم اعفاه من

تقبيل الأرض بين يديه والانشاد واقفاً بحضرته •

فقبل سيف الدولة هذا الشرط وانتظم الشاعر في حاشية الأمير  
مستقبلاً عصره انذهبي ومجده الخالد وسلمه سيف الدولة الى  
( الرواض ) « ليعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة » وهذا ما يقوله  
الرواة أو ليتبينوا مبلغ مهارته في هذا كله وهذا ما أذهب إليه ، فلما  
استوثق من كفايته بوأه مقامه الرفيع في حاشيته فصار ينادمه ويسامره  
ويحضر مجالسه الخاصة والعامة ويطلع على خفايا أحواله ويرافقه في  
غزواته ويساهم في حروبه مبلياً بين يديه أحسن البلاء وهو يشير الى  
هذا بقوله :

واني لتعدو بي عطاياك في الوغى فلا أنا مذموم ولا أنت نادم  
وعلى هذا كان المتنبي أول شاعر يساهم في بناء المفاخر التي  
يؤرخها ويصورها في شعره ، وعرف الأمير قدر شاعره وخطورة المقام  
الذي سيحفظه له في القريض العربي وأدرك أن الأجيال ستتغنى بما  
يقول فيه من بدائع الشعر وروائعه على مر الدهور • فأقبل عليه اقبالاً  
شديداً وأحبه حباً جما وتفنن في تشجيعه وإثارة مواهبه فكان يفيض  
عليه الهبات تلو الهبات ويوليه من الحفاوة مالا يولي أحداً فشق هذا  
على من بحضرته من العلماء والأدباء والشعراء وصاروا يحسدون الشاعر  
على مكانه من الأمير ويكيدون له ويثلبونه ويحطون من قدره ، وتزعم  
أبو فراس وهو ابن عم سيف الدولة وأخو قرينته وتلميذه هذه الحركة  
لأن المتنبي كان يضمن عليه بمديحه ولأنه في أغلب الظن كان موقناً أن  
المتنبي لا يعتد بأدبه ولا يحفل بشاعريته فيروى أنه قال لابن عمه ذات  
يوم : « إن هذا المتشدد كثير الادلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة

آلاف دينار على ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره » (٩) .

وما أظن أن أبا فراس يجرؤ على مواجهة ابن عمه بمثل هذا الكلام السخيف وهو النصح له بتفريق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بخير من مديح المتنبي فليس هذا مما يواجه به رجل كسيف الدولة وليس هو أيضاً مما يقوله رجل كأبي فراس ولكن إلا يكن أبو فراس قد قال هذا لأبن عمه في المتنبي فإنه قد قال له الشيء الكثير فيه مما حمل الرواة على تليفيق هذه الرواية أو التزيد فيها ، ومع ذلك فقد كان مديحه يبطيء أحياناً على سيف الدولة وكان هذا يؤذي الأمير إيذاءً شديداً فكان ينتقم لنفسه بالايغاز الى من بحضرته من صغار الشعراء بأن يمدحوه ، وبالمبالغة في اكرامهم على مدائحهم هذه ، على أنه من الجائز أن يكون تصرف سيف الدولة هذا محض مداعبة غايتها تحريض الشاعر على نظم روائع المديح التي يبذ بها هؤلاء وغيرهم من الشعراء ولكن المتنبي كان يفهم هذا التصرف على أنه مكايذة ومغايسة ويتحملة على مضمض فلما تكرر هذا من سيف الدولة لم يجد بداً من أن يعاتبه بميميته الخالدة التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبيه ومن بجسمي وحالي عنده سقم  
وقد تلتطف في صدر هذه القصيدة فمدح سيف الدولة مدحاً رائعاً نفيساً ، ولكنه عاد فعاتبه عتاباً مرأً شفعه بفخر لا يخلو من كبرياء ووصلف وان كان صحيحاً صادقاً في جملته . وليس من المستبعد أن يكون أبو فراس حاضراً إنشاد هذه القصيدة ولكن من المستبعد أن

(٩) الصبح المنبي للبديعي ص ٤٥ طبعة مطبعة الاعتدال بدمشق سنة ١٣٥٠ هـ .

يعترض عليها كل هذه الاعتراضات التي يبين فيها مأخذها ويرد أكثر  
عيونها الى أصول جاهلية واسلامية وأكبر الظن عندي أن خصماً من  
خصوم المتنبي صنع هذه الاعتراضات في وقت متأخر ونحلها أبا فراس  
كما أنه من المستبعد أيضاً أن يتغير موقف سيف الدولة من الشاعر بهذه  
السرعة الغريبة فيضرب وجهه بدواة بين يديه ثم يقبل رأسه ويجلسه  
الى جنبه ويجيزه بألف دينار ثم بألف دينار أخرى لارتجاله هذا البيت :  
إن كان سرّكم ما قال حاسدنا      فما لجرح اذا أرضاكم ألم  
على أني لا أرتاب من ناحية أخرى في أن هذه القصيدة أحدثت  
استياءً شديداً في مجلس سيف الدولة ولا أستبعد أن كاتباً من كتابه  
يعرف ( بالسامري ) خرج في أثر الشاعر ليقتله - كما يزعم - ترفلاً  
الى الأمير ففكر عليه الشاعر وهزمه • ولست أستبعد كذلك أن يكون  
أمراء البيت الحمداني وبينهم أبو العشائر نفسه قد ائتمروا بالشاعر  
ليقتلوه لتطاوله على زعيمهم وعميدهم وتهديده بالانتقال الى خصومه  
الاخشيين :

لئن تركن ضميراً<sup>(١٠)</sup> عن ميامنا      ليحدثن لمن ودعتهم ندم  
وأن جماعة من غلمان أبي العشائر كمنوا للشاعر في مكانٍ ما ،  
وأن أحدهم رماه بسهم فوقه في نحر فرسه وأنه حمل عليهم وجرح  
واحداً منهم فأنهزموا وقد حملوا جريحهم ، وأنه اختفى على أثر هذه  
الحادثة في بيت صديق له ولسيف الدولة ، وأن هذا الصديق أحسن  
الوساطة بينه وبين الأمير فرضي هذا عنه وأدخل عليه بعد أن هيئ له  
الدخول تهيئة حسنة فأنشده أبياتاً يعتذر بها اليه هذه هي :

(١٠) ضمير ( بضم الضاد ) : جبل عن يمين الراحل من الشام الى مصر .

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا      فداه الورى أمضى السيوف مضاربا  
ومالي إذا ما اشتقت أبصرت دونه      تنائف لا أشتاقها وسبابا ؟  
وقد كان يدني مجلسي من سماه      أحداث فيها بدرها والكواكبا  
حنانيك مسؤولاً ولييك داعياً      وحسبي موهوباً وحسبك واهبا

أهذا جزاء الصدق إن كنت صادقاً ؟

أهذا جزاء الكذب إن كنت كاذبا  
وان كان ذنبي كل ذنب فانه      محا الذنب كل المحو من جاء تأبنا  
وبهذا ختمت تلك الحادثة المؤسفة التي كادت تتحول الى كارثة ،  
على أن بقاء السبب يقتضي بقاء المسبب فقد أبطأ مديح المتنبى على  
سيف الدولة مرة أخرى وشق هذا الابطاء على الأمير فتنكر للشاعر  
واستقبله ذات يوم في ميدان حلب استقبالاً فاتراً كان له أسوء الأثر  
في نفسه • فكتب اليه آياتاً يستنكر فيها ذلك الاستقبال ويعتذر عن  
ابطائه في تقديم المديح وينوه بأهمية مديحه له ، هذه هي :

أرى ذلك القرب صار أزورارا      وصار طويل السلام اختصارا  
تركنتي اليوم في خجلةٍ      أموت مراراً وأحيا مرارا  
أسارقك اللحظ مستحياً      وأزجر في الخيل مهري سرارا  
وأعلم اني اذا ما اعتذرت      إليك أراد اعتذاري اعتذارا  
كفرت مكارمك الباهرا      ت إن كان ذلك مني اختيارا  
ولكن حمى الشعر إلا القليب      ل هم حمى النوم الا غرارا  
وما أنا أسقت جسمي به      ولا أنا أضرت في القلب نارا  
فلا تلزمني ذنوب الزما      ن الي أساء وإياي ضارا  
وعندي لك الشرد السائرا      ت لا يختصن من الأرض دارا

فاني إذا سرن من مقبولي  
ولي فيك ما لم يقل قائل  
فلو خلق الناس من دهرهم  
أشدهم في ندى هزة  
سما بك همي فوق الهموم  
ومن كنت بحرأ له يا علي  
وثبن الجبال وخضن البحارا  
وما لهم يسرقم حيث سارا  
لكانوا الظلام وكنت النهارا  
وأبعدهم في عدو مغبارا  
فلمت أعمد يساراً يسارا  
لم يقبل الدر إلا كبارا

ولكننا اذا استعرضنا تاريخ الرجلين خلال الأعوام التسعة التي  
اصطحبا فيها رأينا أنهما كانا في الغالب متقاربين متحابين يؤثر كل  
منهما صاحبه بأفضل ما عنده من حب وإعجاب ومودة واكبار حتى  
كانت حادثة اعتداء ابن خالويه على الشاعر فأسفرت عن افتراقهما الى  
غير تلاق • وبيان الحادثة أن نقاشاً جرى في مجلس سيف الدولة بين  
أبي الطيب اللغوي وابن خالويه النحوي في مسألة من المسائل لم يشترك  
المتنبي فيه فدعاه سيف الدولة الى المساهمة في الحديث فساهم بما قوى  
رأي أبي الطيب وضعف رأي ابن خالويه ، وغضب الأخير فأخرج مفتاحاً  
في كفه ضرب به وجه الشاعر فأسال دمه ولم يتدخل سيف الدولة في  
الحادث بقول ولا عمل فثقل هذا كثيراً على شاعره أو قل آلامه إيلاماً  
شديداً فخرج من المجلس وقد أستقر رأيه على الرحيل من حلب ولبت  
أياماً قليلة استأذن بعدها الأمير بالخروج الى ضيعة له بقرب معرّة  
النعمان فأذن له ولكنه عدل الى دمشق عن الضيعة المشار اليها وبهذا ختم  
ذلك الدور الخطير من حياة المترجم ، وكان ذلك سنة ٣٤٦ هـ •

ووصل أبو الطيب دمشق فكتب عاملها وهو يهودي يعرف بابن  
مالك ( أو ابن ملك ) الى سيده كافور يعلمه وصول الشاعر الى مدينته



فأمره هذا بايفاده اليه ولكن العامل طلب في أثناء ذلك الى المتنبي أن يمدحه فرفض ودفعه هذا الى الانتقام فكتب الى كافور بما يدل على أن الشاعر كاره له منحرف عنه وضافت دمشق بأبي الطيب فتركها الى الرملة حيث الحسن بن عبيد الله بن طعيج صديقه القديم فاستقبله هذا استقبالاً رائعاً وأكرمه وخلع عليه وسأله أن يمدحه فاعتذر اليه بهذه الأبيات :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسي      وقليل لك المديح الكثير  
غير أنني تركت مقتضب الشع      ر لأمر مثلي به معذور  
وسجايك مادحاتك لا لفظي وجود على كلامي يغير  
فسقى الله من أحب بكفي      لك وأسقاك أيهذا الأمير  
وتبودلت الرسائل بين الرملة والفسطاط بشأن زيارة الشاعر  
للعاصمة المصرية فأسفرت عن موافقته عليها ولكن يظهر أنه لم يوافق  
على هذه الزيارة الا بعد أن حصل على وعد بتقليده منسباً ذا شأن  
والا فما معنى قوله في اول قصيدة يمدح بها كافور :

إذا كسب الناس المعالي بالندى      فانك تعطي في نداءك المعالي  
وغير كثير أن يزورك راجل      فيرجع ملكاً للعراقين واليالي  
فقدتهب الجيش الذي جاء غازياً      لسائلك الفرد الذي جاء عافياً  
إن هذا يعني بالطبع أن الأسود كان قد قطع على نفسه عهداً بتقليد  
الشاعر منسباً ذا شأن ولكنه عدل عن هذا عندما رأى بعد مطامعه وسعة  
مطامحه واكتفى باعطائه الدراهم والدنانير واثقاً أن هذا هو كل ما يجب  
أن يفعله به . وقد ذكره المترجم وعده هذا وطالبه بانجازه في قصائد  
عديدة ثم كف عن ذلك عندما ظهر له أن الأسود عبث به وسخر منه

وهو لا يريد أن يعطيه شيئاً أكثر من المال • وقبل أن أتحدث اليك عما  
أزمع المتنبي عمله بعد خيانة كافور له أحب أن ألاحظ أنه ( اي المتنبي )  
غلا في طلب الولاية وتهالك كثيراً على الجاه والسلطان وكان ينبغي له  
قبل كل شيء أن يترفع عن العبد وما في يده من أمور الدنيا وإذا كان  
هذا قد غاب عن ذهنه بإدبيء بدء فلا أقل من أن يتلافى خطاه بعدم  
الالحاق على الأسود في استنجاهه وعده • قد تقول إنه يريد أن يكتب  
خصومه ويغيظ حساده وأن يبرهن لسيف الدولة نفسه أنه يجد عند  
غيره أكثر مما يجد عنده • وأجيب بأن هذا في حد ذاته عمل تافه لا ينبغي  
أن يطيل التفكير فيه شاعر عظيم له مثل عبقرية المتنبي وشهرته ومكانته •  
ولو سلمنا جدلاً أن هذا عمل مقبول فإنه لا ينبغي الشاعر من نقد  
التاريخ ومؤاخذته إياه على الحاحه في مطالبة كافور بتوليته بعد أن  
تبين له أن تحقيق هذه المحاولة على جانب كبير من الصعوبة ، وأعود  
الى ما أزمع المتنبي عمله بعد أن تحققت خيانة كافور له فأقول : إنه  
عمل على الخروج من مصر فاستأذن الأسود في السفر الى الرملة  
لاستحصال مال له هناك فأبى أن يأذن له ووعدته أن يبعث الى الرملة  
من يأتيه بالمال على جناح السرعة • وهنا أدرك صاحبنا أنه سجين  
لا يملك من أمره شيئاً فعوّل على الفرار من مصر وأعد لهذا الأمر  
الخطير عدته متكتماً في ذلك أشد التكتّم وانتهاز فرصة انشغال الناس  
بعيد الأضحى من سنة ٣٥٠ هـ فخرج ومعه غلمان وأمواله وتجنب  
الطريق المعروفة وركب المجاهل وأعانه بعض أصدقائه من زعماء القبائل  
على تذليل ما يلتقى من الصعاب فقطع المسافة بين النسطاط والكوفة في  
نحو من ثلاثة أشهر قضى منها شهراً في موضع كثير الماء والكلأ اسمه

« حسمى » والرحلة - كما ترى - في منتهى الأهمية والخطورة ، ولكنه خرج منها ظافراً منتصراً وعندى أن فوزه فيها وحده يكفي للدلالة على أنه مثل أعلى في الاقدام والجرأة والصبر وشدة البأس والعلم بأحوال البادية ومجاهلها ومناهلها • وقد وصل الكوفة في ربيع الأول من سنة ٣٥١ هـ فبقى فيها معظم بقية أيام حياته • ولم تكن حياته فيها حياة خمول ودعة وإنما كانت حياة جد ونشاط ومساهمة في الامور العامة ومن الأدلة على ذلك أن قرمطياً من بني كلاب ظهر في سواد الكوفة سنة ٣٥٢ هـ وأراد الاستيلاء عليها فقاتله أهلها دفاعاً عن أنفسهم ، وكان المتنبى في مقدمتهم وقد قتل أحد غلمانه في المعركة ولم يغب عن بال « دلّير بن لشكر وزر » وهو القائد الذي نددته حكومة بغداد لقمع هذه الفتنة أن يقدر موقف أبي الطيب حق قدره فبعث إليه خلعاً نفيسةً وفرساً نجيباً عليه حلية ثقيلة وقد شكر أبو الطيب لهذا القائد أريحيته بقصيدة عصماء مطلعها :

كدعواك كل يدعي صحة العقل      ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل  
ولا أريد أن أترك هذه الحادثة دون أن لاحظ أنها تدل دلالة قاطعة على براءة الشاعر مما يتهمه به بعض المستشرقين ويشايهم فيه بعض النقاد المصريين من أنه داعية من دعاة القرامطة لأنه لو كان كذلك لما حارب هذا القرمطي وساهم في القضاء على فتنته مساهمةً فعالة •  
وعندما عاد أبو الطيب الى الكوفة رأى سيف الدولة ان يبرهن له أن صداقته له باقية كما كانت لم تتغير ولم تتبدل فبعث إليه سنة ٣٥٢ هـ بهدية نفيسة أجاب عليها بقصيدة كلها شوق وحنين وولاء وإكبار مطلعها :

مالنا كلنا جو (١١) يا رسول أنا اهوى وقلبك المتبول  
وفي غضون هذه السنة توفيت خولة أخت سيف الدولة الكبرى  
فرثاها رثاءاً بليغاً وعزى أخاها تغزية حارة . وفي سنة ٣٥٣ هـ كتب  
إليه سيف الدولة بخط يده كتاباً يدعو فيه للعودة الى حلب فرد عليه  
بقصيدة تدل على أنه قبل الدعوة :

فهمت الكتاب أبرّ الكتب فسمعا لأمر أمير العرب  
وطوعاً له وابتهاجاً به وإن قصر الفعل عما وجب

ولكنه آثر أن يلبي دعوة ابن العميد الذي استزاره في تلك الآونة  
فرحل في ١١ صفر من سنة ٣٥٤ هـ الى أرجان بدلاً من حلب .  
ومعنى هذا أنه لم يكن ينوي اجابة سيف الدولة الى ملتسمه  
رغم تظاهره بالموافقة عليه .

ونعود قليلاً الى الورا فأقول لك ان أبا الطيب صعد بغداد سنة  
٣٥٢ ففضى فيها تسعة أشهر كان في أثنائها ضيف علي بن حمزة اللغوي  
أحد رواة ديوانه واتصل بأبي الحسن محمد وزير معز الدولة المعروف  
بالمهلبى وزاره أكثر من مرة ولكنه لم يمدحه كما أنه لم يمدح الخليفة  
العباسي وهو المطيع لله اذ ذاك . والمعروف أنه لم يمدح المهلبى لأنه  
لم يستحسن سلوكه فقد كان الرجل لاهياً مستهتراً كثير العبث والمجون  
ولكنني أرجح أنه أتى بغداد لغرض غير مديح أولى الأمر فيها فقد  
خاصمهم يوم كان في صحبة سيف الدولة مخاصمةً شديدة وهجاهم  
تبعاً لرغبة الأمير الحمداني تعريضاً وتصريحاً ، فمن هجائه الصريح  
للخليفة العباسي قوله :

(١١) جو : حزين حزناً شديداً .

فوا عجا من دائل أنت سيفه أما يتوقى شفرتي ما تقلدا  
ومن يجعل الضرغام للصيد بازه تصيده الضرغام فيما تصيدا  
رأيتك محض الحلم في محض قدرة

ولو شئت كان الحلم منك مهندا  
وما قتل الأحرار كالغفو عنهم

ومن لك بالحر الذي يحفظ اليد  
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا  
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى  
ولكن تفوق الناس رأيا وحكمة

كما فقتهم حالا ونفسا ومحتدا  
يدق على الافكار ما أنت فاعل فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا  
ومن تعريضه الشديد بمعز الدولة قوله :

فدتك ملوك لهم تسم مواضيا فانك ماضي الشفرتين صقيل  
إذا كان بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول  
بل لقد هجا العباسيين والبويهيين والاشددين جميعا في لاميته  
التي بعث بها الى سيف الدولة من الكوفة فقال مادحا سيف الدولة  
وهاجيا لهم :

ليس الاك يا علي همام سيفه دون عرضه مسلول  
كيف لا تأمن العراق ومصر وسراياك دونها والخيول  
لو تحرفت عن طريق الأعادي ربط السدر خيلهم والنخيل  
ودرى من أعزه الدفع عنه فيهما أنه الحقير الذليل

أنت طول الحياة للروم غاز      فمتى الوعد أن يكون القبول  
 وسوى الروم خلفظهرك روم      فعلى أي جانبيك تميل  
 قعد الناس كلهم عن مساعيد      بك وقامت بها القنا والنصول  
 ما الذي عنده تدار المنايا      كالذي عنده تدار الشمول  
 فلهذا السبب يخيل الي أن المنتبي لم يقصد بغداد لمديح ولاة  
 الامور فيها وانما قصدها لغرض آخر • وقد شق على المهلبى عدم مديح  
 المنتبي اياه فانتقم لنفسه باغراء من حوله من الشعراء بالرجل فهجوه  
 وأكثروا من الوقعة فيه والتندر عليه ولكنه لم يجبههم • وقد قيل له  
 في ذلك فقال فرغت من اجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم :  
 أرى المتشاعرين غروا بذمي      ومن ذا يحمد الداء العضالا  
 ومن يك ذا فهم مر مريض      يجد مرا به الماء الزلالا  
 وذكر أمثلة أخرى من شعره في هذا الباب أهمها قوله :  
 واذا أتتك مذمتي من ناقص      فهي الشهادة لي بأني كامل  
 ومع أن أبا الفضل بن العميد وزير آل بويه الكبير لم يكن من  
 محبي أبي الطيب وعشاق فضله وأدبه فقد رأى أنه من الحق عليه أن  
 يستزيه ويتعرض لمديحه ويكرمه وقد فعل ذلك فزاره المنتبي في أرجان  
 واستقبله استقبالا حارا دالا على التكريم والحفاوة ومدحه الشاعر  
 بثلاث قصائد ومقطوعات قليلة كلها من متوسط شعره أو هي دون ذلك  
 فأجازه عليها جوائز نفيسة وخلع عليه خلعا كثيرة •

وفي أثناء زيارة المنتبي لابن العميد ورد كتاب من عضد الدولة  
 أمير شيراز يستدعيه فيه لزيارته فلجى الشاعر الدعوة بعد تلكؤ ،  
 وقصد شيراز حاضرة الامير فبالغ هذا في اكرامه والاحتفاء به والانعام

عليه ومدحه هو بخمس قصائد وطرديّة وصف فيها غاية « دشت الأرز »  
ورثى عمته التي توفيت في اثناء اقامته بشيراز بمنظومة سابعة •  
واحسن ما قال في عضد الدولة نونيته التي وصف بها « شعب بوان »  
والتي قد لا أعلو اذا قلت لك انها أحسن ما نظم في فارس على الاطلاق •  
وفي شعبان من سنة ٣٥٤ هـ استأذن أبو الطيب عضد الدولة  
بالعودة الى الكوفة في قصيدته التي مطلعها :

فدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك اذا الا فداكا  
فاذن له الامير وخلع عليه وسافر من شيراز يريد الكوفة فلما قارب  
بغداد خرج عليه فاتك الأسدي خال « ضبة » الذي هجاه المتنبى وأمه  
• هجاءاً قبيحاً في قصيدته التي مطلعها :  
• ما أنصف القوم ضبة ••• الخ •

وكان يتربص به الدوائر ، فقاتله بين النعمانية والصفانية وهما  
موضعان يقربان مما كنا نسميه قبل زمن قصير « البغيلة » ونسميه  
اليوم النعمانية فدافع الشاعر عن نفسه دفاعاً صادقاً الا أن فرسه كبا به  
فأحاط به خصومه وقتلوه وقتل معه ابنه محسد وعلامه مفلح وثلاثة  
أشخاص آخرين • وللرواة في قتله أقوال أخرى مختلفة ولكن الأشهر  
ما ذكرناه وكان مقتله في أواخر رمضان من سنة ٣٥٤ وقد تحاشيت  
ذكر اليوم الذي قتل فيه لأن الرواة يختلفون فيه وأحسب أنه من العسير  
تعيينه بالضبط •

#### ب - صفاته :

وحديث صفات المتنبى طويل معقد لان صفاته نفسها متشعبة

معقدة متناقضة ، وقد عاجبه ( أي الحديث ) نقاد كثيرون قدماء  
ومحدثون وكتبوا فيه الفصول الطوال والقصار ولكن يخيل الي أنه  
لا تزال فيه بقية تقتضي الوقوف عنده والتأمل فيه . والرجل كثير الطمع  
شديد الجشع يخيل الي أبعد حدود البخل تياه مسرف في التيه ساذج  
عظيم الحظ من السذاجة ولكنه شجاع مقدام أبيّ وفي عفيف الذيل  
طاهر الجيب سريع خاطر سرعة لا تعدلها الا سرعة حفظه . وخصلة  
أخرى لا أدري أأعدّها من حسناته أم من سيئاته ؟ ولكن ربما كان  
الافضل أن أعدّها من حسناته ألا وهي التشاؤم فانه من أشد شعراء  
العربية تشاؤما وأكثرهم برما بالحياة والناس .

وما أريد أن أحدثك عن طمع الشاعر وبخله فأنت تعرف هذا من  
أخباره وتعرفه من شعره وتعرفه أيضا من أقوال النقاد الذين أرخوا  
حياته ودرسوا أخلاقه ولكني أحب أن أسأل : ما مصدر طمعه وبخله ؟  
ما سر تغلغلها فيه وتمكنها منه ؟

مصدرهما من غير شك ما عرف في شطر حياته الاول من فقر مدقع  
وفاقة ملحة وحاجة شديدة الي المال ، يضاف الي ذلك ما يعتلج في صدره  
ويدور برأسه من مطامع واسعة ومطامح بعيدة المدى يقوم المال منها  
مقام الروح من الجسد . وشيء ثالث له أثره فيما نعرف من طمع الرجل  
وبخله وهو معرفته بالاختبار حرص الناس على المال وشحهم به  
وتهالكهم على جمعه وتكديسه لمبرر ولغير مبرر . هذه هي أسباب طمع  
الشاعر وبخله وما أحسبه مسؤولا عنها في كثير ولا قليل .

أما كبرياؤه فممنشؤهما فيما يبدو لي رد فعل نفسي شديد ذلك أنه  
خلق ذكيا جريئا شجاعا فصيحيا عظيم الحفظ ولكن قليل جدا هم الذين



كانوا يكثرثون لفضائله ويحفلون بمواهبه فكان هذا يحز في نفسه  
ويبعث فيها الالام ولا يلبث هذا الالام ان يستحيل اعجابا بالذات  
واحتقارا للآخرين وقد تعاضم على مر الايام حتى أصبح علة نفسية مزمنة  
أو جنة لا يرجى منها الشفاء ولكن الذي يعجزني فهمه وتعليه تعليلا  
منطقيا صحيحا هو هذه السذاجة التي تدفعه الى أن يقول كل ما يخطر  
بباله ويدور بخلد في غير تحفظ ولا احتياط .

هو يمدح أكابر الناس وأواسطهم وأصاغرهم أيضا ليحصل على  
ما يحفظ به رmqه ويمسك عليه حياته فما معنى تحدثه اليهم في صدور  
مدائحهم عما يحلم به من حروب ملاحنة يثيرها وغارات، ماحقة يشنها ودول  
يقوض أركانها وسلطان يشيد بنيانه ويقوم دعائمه على أسس من الحديد  
والدم ، أتري أنه من المعقول أن يمدح المغيث بن علي العجلي فيقول  
له في ختام قصيدته وبعد أن يشكو له الزمان شكوى مرة :

وان عمرت جعلت الحرب والدة      والسهمري أخا والمشرقي أبا  
بكل أشعث يلقى الموت، مبتسما      حتى كأن له في قتله أربا  
قح يكاد سهيل الجرد يقذفه      من سرجه مرحا بالعز أو طربا  
الموت أعذرلي والصبر أجمل بي      والبر أوسع والدنيا لمن غلبا  
أم ترى أنه من المعقول أن يمدح علي بن ابراهيم التنوخي فيقدم  
بين يدي مديحه هذه الايات :

أحاد أم سداس في أحاد      لييلتا المنوطة بالتنادي  
كأن بنات نعش في دجاها      خرائد سافرات في حداد  
أفكر في معاقرة المنايا      وقود الخيل مشرفة الهوادي  
زعيم للقنا الخطي عزمي      بسفك دم الحواضر والبوادي

الى كم ذا التخلف والتواني ؟ وكم هذا التماذي في التماذي ؟  
وشغل النفس عن طلب المعالي بيع الشعر في سوق الكساد  
وما ماضي الشباب بمسترد ولا يوم يمر بمستعاد  
أم ترى أنه من المعقول أن يقول في مقدمة احدي مدائح  
لسيف الدولة :

أهم بشيء والليالي كأنها تظارديني عن كونه وأطارد  
وحيد من الخلان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قل المساعد  
ما هذا الشيء الذي يهم به أهو المال ؟ ان سيف الدولة أغدق  
عليه العطاء حتى تركه يقول :  
تركت السرى خلفي لمن قل ماله

وأنعت أفراسي بنعمائك عسجدا

أم هو الجاه ؟ فقد أوتي منه مالا يكاد يحلم به شاعر • وقد  
قلت لك انه لما دخل على طاهر بن الحسين لينشده مدحته اياه نزل هذا  
عن سريره وأجلسه بمكانه وجلس هو بين يديه • أتري أن رجلا  
يتمتع بمثل هذه المنزلة يمكن أن يعد نفسه محروما من الجاه ؟ اذن  
ما هذا الشيء الذي يهم به ؟ هو الملك ، هو السلطان من غير شك •  
وللمتنبي أن يهم بالوصول الى الملك ، والاستيلاء على السلطان اذا كان  
يجد في نفسه استعدادا لتحقيق مثل هذه الآمال العالية ولكن ليس له  
أن يشير الى هذا أو يعرض به في صدر قصيدة يمدح بها ولي نعمته •  
ومما يجري هذا المجرى في السذاجة وقلة الانتباه والتدبر حينه الى  
سيف الدولة وتفضيله اياه على كافور في قصائد يمدح بها كافورا ويسأله  
أن يقلده ( ضيعة أو ولاية ) أتري أن كافورا لا يفهم قوله :

فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معمم  
رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى  
هوى كاسر كفي وقوسي وأسهمي

أم أنه لا يفهم قوله :

أما تغلط الايام فيّ بأن أرى بغيضا تنائي أو حبيبا تقرب  
ولله سيربي ما أقل تئية عشية شرقي الحدالي وغرب (١٢)  
عشيه أحفى الناس بي من جفوته وأهدى الطريقين الذي أتجنب  
انني على يقين من أن كافوراً يفهم هذا كل الفهم ويدرك مغزاه  
كل الادراك وأن المنتني يعلم هذا حق العلم ولكنه يؤثر الاستسلام لرغائبه  
والاندفاع في تيار عواطفه •

بيد أن له حسنات كثيرة تشفع له عند المؤرخ الناقد وتحمله على  
الأقلال من معاتبته ومحاسبته ، ذلك أنه جريء أبي وفي عفيف ، وقف  
الى جانب سيف الدولة في اخرج موافقه وأخطر معاركة وتعرض معه  
للموت مراراً عديدة وأفلت من يد كافر على شدة كيده وعظم بطشه  
وسعة سلطانه وأبى على سيف الدولة أن يقبل الأرض بين يديه وأن  
ينشده واقفاً ، وثار عليه ثورة عنيفة عندما شعر أنه يستخف بمقامه  
ويستهين بمكانته وخرج من مملكته مغاضباً عندما وقف من اعتداء ابن  
خالويه عليه موقف المتفرج • ولكنه وفي له مع ذلك فحفظ عهده وأقام  
على وده وحن اليه بعدما سكن غضبه وثاب اليه رشده حين الصديق  
(١٢) تئية : أناة وتريناً . الحدالي : موضع بالشام ، وغرب جبل  
هناك .

الوفي الى صديقه الحميم بل حنين المحب المتيم الى حبيبه الذي لا يريد  
به بدلاً ولا يبغى عنه حولاً •

ورثى أبا شجاع فأتكأ أحر رناء وأصدقه دون أن يرجو مشوبة  
او ينتظر شكراً •

وشاعرنا الى هذا كله عفيف الذيل طاهر الجيب لا تستهويه لذة  
ولا تستعبده شهوة ولذلك كانت القراءة وركوب الخيل أحب الاشياء  
الى نفسه :

أعز مكان في الدنيا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب  
وقد حدثتك حتى الآن عما يمتاز به من الناحية الخلقية السرف  
فلأحدثك بشيء مما يمتاز به من الناحية الأدبية • وأبرز ما يمتاز به من  
هذه الناحية سرعة خاطره التي لا يكاد يصدقها العقل فقد كان يقول  
الشعر متى شاء وفي أي موضوع شاء ويجيد فيه ما شاء ، حتى لقد  
اتهمه ابن كركوس نديم بدر بن عمار بأعداد ما يقول في شتى المناسبات  
كأنه كان ينظر من وراء حجب الغيب الى ما يحدث في مجلس بدر بن  
عمار وغيره ويهيء ما ينبغي ان يقال فيه من الشعر ليخدع سامعيه  
ويحملهم على الظن بانه يقوله ارتجالاً : وقد دافع ابن عمار فيما يقوله  
الديوان عن الشاعر • فقال : « مثل هذا لا يجوز ان يكون • وانا  
امتحنه بشيء احضره للوقت • فلما كمل المجلس • ودارت الكؤوس  
اخرج لعبة قد أعدها : لها شعر في طولها • تدور على لولب • واحدى  
رجليها مرفوعة • وفي يدها باقة ريحان • وهي تدار على الجلاس •  
فاذا وقفت حذاء الانسان نقرها فدارت » •

فقال أبو الطيب :

وجارية شعرها شطرها      محكمة نافذ أمرها  
تدور وفي يدها طاقة      تضمنها مكرها شبرها  
فان أسكرتنا ففي جهلها      بما فعلته بنا عذرها

وأديرت فوقفت حذاء أبي الطيب فقال :

جارية ما لجسمها روح      بالقلب من حبها تباريح  
في يدها طاقة تشير بها      لكل طيب من طيبها ريح  
سأشرب الكأس من اشارتها      ودمع عيني في الخد مسفوح

وأدارها فوقفت حذاء بدر فقال :

ياذا المعالي ومعدن الأدب      سيدنا وابن سيد العرب  
أنت عليم بكل معجزة      ولو سألنا سواك لم يجب  
أهذه قابلتك راقصةً      أم رفعت رجلها من التعب

وقال أيضاً :

ان الأمير أدام الله دولته      لفاخر كسبت فخراً به مضر  
في الشرب جارية من تحتها خشب      ما كان والدها جنّ ولا بشر  
قامت على فرد رجل من مهابته      وليس تعقل ما تأتي وما تذر

وأديرت فسقطت فقال :

ما نقلت في مشيئة قدماً      ولا أشتكت من دوارها ألماً

لم أر شخصاً من قبل رؤيتها يفعل أفعالها وما عزمها  
فلا تلمها على توقعها أطربها أن رأتك مبتسما  
ونظم فيها عدة مقطعات أخرى حفظ بعضها في الديوان ولم يحفظ  
بعضها الآخر ولكننا نكتفي من وصفه لها بما تقدم •

ومع أنه قال الشعر ارتجالاً في حضرة سيف الدولة مراراً عديدة  
فقد رأى هذا أن يمتحنه ويتبين بصورة لا تقبل الشك مبلغ قدرته على  
الارتجال فأرسل إليه ذات يوم بيتين في كتمان السر سأله أن يجيزهما  
في الحال فأجازهما فوراً بعشرة أبيات من جيد الشعر • وهذان هما  
البيتان اللذان أرسلهما سيف الدولة :

امنّي تخاف انتشار الحديث وحظي في ستره اوفر  
فان لم أصنه لبقيا عليك نظرت لنفسي كما تنظر

أما ما أجازهما به المنبى فهو قوله :

رضاك رضاي الذي أوثر وسرك سرى فما أظهر  
كفتك المروءة ما تتقي وآمنك الود ما تحذر  
وسركم في الحشا ميت اذا أنشر السر لا ينشر  
كأنى عصت مقلتي فيكم وكأتمت القلب ما تبصر  
اذا ما قدرت على نطقه فاني على تركه أقدر  
أصرف نفسي كما أشتهي وأملكها والقنا أحمر  
دواليك يا سيفها دولة وأمرك يا خير من يأمر  
أتاني رسولك مستعجلاً فلباه شعري الذي أذخر  
ولو كان يوم وغى قائماً لللباه سيفي والأشقر

فلا غفل الدهر عن أهله فانك عين بها ينظر  
وهناك نوادر أخرى عجيبة من هذا القبيل رأيت ان أضرب عنها  
صفحة رغبة في الايجاز .

وحافظة أبي الطيب أشبه بقدرته على الارتجال قوة وعمقا وسعة  
وما أظنك بحاجة الى أن أروي لك قصة الرجل الذي نزل لأبي الطيب  
عن « كتابه » لأنه حفظه في دقائق معدودة مع أنه يتألف من نحو ثلاثين  
ورقة .

ولا أدل على سعة هذه الحافظة مما جرى لصاحبها مع أبي علي  
الفارسي فقد قال له هذا ذات يوم « كم جاء من الجمع على وزن فعلى  
فقال حجلى وضربى جمع حجل وظربان » (١٣) . قال أبو علي فسهرت  
تلك الليلة التمس لهما ثالثاً فلم أجد . وقال في حقه ما رأيت رجلاً في  
معناه مثله « وهذه الجملة الأخيرة ذكرها ابن جنبي في مقدمة شرحه  
الديوان وقال « ولو لم يكن له من الفضيلة إلا قول أبي علي هذا فيه  
لكفاه . لأن أبا علي ، على جلالة قدره في العلم ونباهة محله واقتدائه  
بسنة ذوي الفضل من قبله ، لم يكن ليطلق عليه هذا القول إلا وهو  
مستحق له عنده » (١٤) وما كان لرجل له ذكاء أبي الطيب الخارق  
وفكره الثاقب وعلمه الواسع أن ينخدع بالحياة والناس من حيث هو  
شاعر إن لم يكن من حيث هو رجل فقد وقف منهما موقف المتشائم  
الذي لا يحفل بظواهر الأمور ولا يقف عند توافه الأشياء وتقدهما  
أصرم نقد وبرم بهما أشد البرم وأظهر عيوبهما وعُدّد مساوئهما في

(١٣) الحجل ذكر القبيح . الظربان دويبة منتنة كالهرة .

(١٤) ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام لعبد الوهاب عزام ط مطبعة

( الجزيرة - بغداد ) سنة ١٩٣٦ ص ٣٠٠ .

مدائحه وأهاجيه وغيرها من صنوف شعره وأشهد أنه كان على حق  
عندما قال :

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة فلا أشتكي فيها ولا أتعجب

### ح - آثاره :

لأبي الطيب ديوان ضخيم آتاه الله من الذبوع والانتشار ما لم  
يؤت أي ديوان آخر فقد تداوله الناس وتدارسوه واختلفوا فيه فأعجب  
به قوم وعابه آخرون في حياة صاحبه وفعلوا به مثل ذلك طوال هذه  
المدة التي تقع بين مقتل صاحبه وبين يومنا هذا وسيفعلون به مثل ذلك  
إلى ما شاء الله .

وقد شرح أكثر من أربعين شرحاً في مقدمتها شروح المعري  
والعكبري الواحدي وطبع طبعات كثيرة أقربها إلى الكمال طبعة  
الدكتور عبد الوهاب عزام التي لو احتوت على بعض الشروح الضرورية  
وسلمت مسافياً من أخطاء مطبعية قليلة لكانت خير طبعات هذا الديوان .  
غزله : وأول باب أتناوله بالحديث من أبواب هذا الديوان غزله .  
وهو كثير نفثهم معظمه تمهيداً للمديح وقليل منه تمهيداً للفخر وهناك  
تنف أقل من هذا القليل مستقلة ، على أن استقلال هذه التنف لا يعني  
أنها تمتاز بتصوير ما تنطوي عليه من عواطف وتشف عنه من أحاسيس  
ومشاعر . كلا فانها تقليدية ككل غزل الشاعر . وما أريد أن أطيل  
الوقوف عند هذا الغزل الذي يتفق الجميع على أنه متكلف مصطنع  
ولكنني أحب أن اصنفه لك وصفاً مجملًا لأنه يؤلف جزءاً ضخماً من  
انتاج الرجل ولأنه لا يخلو من جمال فني ذي بال .



وأنا إذ أصف لك هذا الغزل مضطر الى أن ألاحظ أنه يحتوي  
 أحياناً على معان مألوفة أو قل مبتدلة كتشبيه وجه الحبيب بالشمس  
 وشعره بالليل وثرعه بالبرق وريقه بماء الغمام والخمر وما الى ذلك •  
 وينطوي أحياناً على غلو عجيب لا عهد لنا به من قبل فدموع الشاعر  
 تروي ( عيس حبيته ) و ( تكفي مزادها ) عند الرحيل وجسمه من  
 فرط السقام بحيث لو ألقى في شق قلم ( لما غير من خط كاتب ) وهكذا،  
 ولكنه يشتمل أحياناً على معان طريفة فيها شيء غير قليل من الجمال  
 واللفظ وفيها شيء غير قليل كذلك من الجدة والابتكار ولكن ليس  
 فيها شيء يمكن أن يسمى شعوراً أو عاطفةً ، وأمثلة ذلك كثيرة منها  
 هذان البيتان :

وما شرقي بالماء إلا تذكراً      لماء به أهل الحبيب نزول  
 يحرمه لمع الأسنة فوقه      فليس لظمان اليه وصول

وهذان البيتان :

مثلت عينك في حشاي جراحة      فتشأبها كلتاهما نجلاء (١٥)  
 نفذت علي السابري (١٦) وربما      تنطق فيه الصعدة السمراء

وهذان البيتان :

لبسن الوشي لامتجملات      ولكن كي يصن به الجمالا (١٧)

(١٥) نجلاء : وأسعة .

(١٦) السابري : درع دقيقة النسج في الأحكام .

(١٧) كلف الصاحب بن عباد على شدة عدائه للمتنبى بمعنى هذا

البيت ، فلم يجد بداً من أن يسرقه فسرقه سرقة قبيحة في قوله :

لبسن برود الوشي لا لتجمل      ولكن لصون الحسن بين برود

وضفون الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

وهذان البيتان أيضاً :

حسان التثني ينقش الوشي مثله إذا مسن في أجسامهن النواعم  
وييسمن عن در تقلدن مثله كأن التراقي وشحت بالمباسم  
فأنت ترى أن هذه الأمثلة جميلة حقاً ولكن مصادر جمالها ما فيها  
من معنى دقيق ولفظ قوي سهل ولا شيء غير ذلك ♦

ومما يجب غزل شاعرنا علاوة على ما تقدم خطرات لطيفة يتحدث  
فيها عن طهارة حبه ونزاهة غرامه ويحاول أن يرفع نفسه أو هو يرفعها  
تماماً الى مصاف العذريين الذين يعشقون الجمال للجمال ويشقون  
بالحب للحب استمع انى قوله :

عواذل ذات الخال في حواسد وإن ضجيع الخود مني لما جد  
يرد يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد  
متى يشتقي من لاجع الشوق في الحشا

محب لها في قربه متباعداً

إذا كنت تخشى العار في كل خلوة

فلم تتصباك الحسان الخرائد

وقوله في قصيدة :

وقد استقدت من الهوى فأذقته من عفتي ما ذقت من بلبسـاله  
فليس من شك في أنه يلذ لدارس الأدب العربي أن يسمع هذه  
النعمة الرفيعة الحلوة التي انقطعت عن سمعه منذ جميل بثينة وقيس

لبنى وحلت محلها صيحات المتشدقين باتيان المآثم والمنكرات من امثال  
بشار وأبي نواس ، وهمسات أولي الريب من امثال البحتري وابن  
المعتز • على اني أحب ان ألفتك بصورة خاصة الى هذا البيت الذي  
اعجب به القدماء اعجاباً شديداً أشاركهم فيه وهو :

يرد يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد  
فان شاعرنا لم يقنع من نفسه أن يكون عفيفاً في يقظته اذا خلا  
بحبيته حتى كان عفيفاً في رقاذه أيضاً حيث يأبى عليه عقله الباطن أن  
يستجيب لدواعي اللذات ونوازع الشهوات • والبيت بعد كل هذا  
مبتكر كل الابتكار علاوة على أنه في منتهى الكرم والنبل ولك أن تقول  
مثل هذا في قوله :

وقد استقدت • • البيت •

فخره : أصداق من غزل المتنبي فخره الذي ملأ نفسه وفاض على  
لسانه فنطق به صبيهاً وما انفك يردده ويتغناه حتى آخر أيام حياته وليس  
من شك في أنه على جانب كبير من الفصاحة والشجاعة والاباء والوفاء  
والعفة وحدة الذهن وغزارة الحفظ ولكنه لو أضاف الى هذه المزايا  
السامية الكثيرة مزية أخرى واحدة وهي التواضع لكان ذلك في مصلحته  
ومصلحة الأدب ولكن العناية الإلهية لم ترد له ذلك فكثر زهوه  
واشتد غروره وأسرف في التحدث عن نفسه حتى أنه قسم عدداً غير قليل  
من مدائحه بينه وبين ممدوحيه واستأثر بأفضل القسمين فليس في مديح  
ميميته التي مطلعها :

ملامي النبوى في ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل الذي بي من السقم

ما يرتفع الي مثل قوله :

يحاذرني حتفي كأنني حتفه      وتنكرني<sup>(١٨)</sup> الأفعى فيقتلها سمي  
طوال الردينيات يقصفها دمي      وبيض السريجات يقطعها لحمي

\*\*\*

كأنني دحوت الأرض من خبرتي بها  
كأنني بنى الاسكندر السدمن عزمي  
وليس في مديح ميميته التي مطلعها :  
لا افتخار الا لمن لا يضام      مدرك أو محارب لا ينسام  
ما يرتفع الي مثل قوله في نفسه :

ضاق ذرعاً بأن أضيّق به ذر      عا زماني واستكرمتني الكرام  
واقفاً تحت أخمصي قدر نفسي      واقفاً تحت أخمصي الأنام  
ولكنه كان يتواضع بعض الشيء لسيف الدولة فاذا فخر في أثناء  
مديحه له قنع أن يكون موضع اعجابه ومحل تقديره :  
إذا شاء أن يلهو بلحية أحرق      أراه غباري ثم قال له الحق  
أو عمد الي مصارحته بأنه ( مدينة الشعر ) على حد قول جرير  
« منها يخرج واليها يعود » وأن عليه أن لا يشرك شاعراً معه في جوائزه:  
أجزني إذا أنشدت شعراً فأنما      بشعري أتاك المادحون مردداً  
ودع كل صوت غير صوتي فأنني      أنا الطائر المحكي والآخر الصدى  
(١٨) تنكرني : تعظني بأنفها .

أو ختم به الكرماء على أن يكون هو خاتمة الشعراء :

لا تطلبن كريماً بعد رؤيته      إن الكرام بأسخاهم يداً ختموا  
ولا تبال بشعر بعد شاعره      قد أفسد القول حتى أحمد الصمم  
وصفه : وما أحدثك بشيء جديد إذا قلت لك انه أبرع من وصف  
الحرب من شعراء اللغة العربية فان النقاد القداماء والمحدثين مجتمعون  
على هذا • ولكنني أحب أن أزعم أنه من ابرع وصاف الطبيعة والحياة  
والاجتماع عندنا وتفوقه في فن من فنون الوصف لا ينبغي أن ينسينا  
براعته في فنونه الأخرى وما أريد أن انكر أنه لم يكتر من وصف  
الرياض والحياض والجبال الشم والبطاح الخضراء والجنان الفيح ولكنه  
وصف الخيل مراراً عديدة وصفاً منقطع النظير ووصف ( شعب بوان )  
( بحيرة طبرية ) و ( غابة دشت الأرز ) وخروج عضد الدولة للصيد  
فيها ، وقتل بدر بن عمار أسداً بالسوط وارغامه آخر على الفرار وأشياء  
أخرى كثيرة وصفاً كله قوة وبراعة • استمع الى وصفه الخيل في يائته  
التي مدح بها كافور :

وجرداً (١٩) مددنا بين آذانها القنا      فبتن خفاً يتبعن العوالي  
تماشى بأيدٍ كلما وافت الصفا      نقشن بها صدر البزاة حوافيا  
وتنظر من سود صوادق في الدجى      يرين بعيدات الشخوص كما هيا  
وتنصب للجرس الخفي سوامعاً      يخلن مناجاة الضمير تناديا  
تجاذب فرسان الصباح أعنة      كأن على الأعناق منها أفاعيا

(١٩) تعرب جرد منصوبة على المفعولية لأنها معطوفة على عدة  
مفاعيل في البيت السابق وهو :

ولكن بالفسطاط بحرا أزرته      حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

بعزم يسير الجسم في السرج راكباً به ويسير القلب في الجسم ماشياً

ووصفه فرسه في بائية يمدح بها كافور أيضاً :

ويوم كليل العاشقين كمنته  
وعيني إلى أذني أغر كأنه  
له فضلة عن جسمه في اهابه  
شقت به الظلماء أدني عنانه  
وأصرع أي الوحش قفئته به  
وأنزل عنه مثله حين أركب (٢٠)

ووصفه الخيل في ثونية مدح بها سيف الدولة :

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقدر  
كل ابن سابقة يغير بحسنه  
في قلب صاحبه على الأحزان  
إن خليت ربطت بأداب الوغى  
إلى العادات والاطمان  
فدعاؤها يغني عن الأرسان (٢١)

فأنت ترى أنه تحدث في المثال الأول عن حوافر خيله فقال انها  
تنقش أمثال صدور البزاة في الصحور وناهيك بما في ذلك من الدلالة  
على الصلابة والقوة ، وعن أبصارها فقال إنها ترى الأشياء البعيدة في  
غسق الليل كما هي . وعن أسماعها فقال انها تنفذ الى همسات الضمائر  
والأرواح ، وعن قوة عزمها فقال انها تسيّر الجسوم في السروج  
والقلوب في الأجسام ، وفي المثال الثاني عن غرة فرسه فقال انها تتألق

(٢٠) درس ناقد معاصر هاتين القصيدتين فقسمهما بين المتنبي  
وسيف الدولة وكافور وأهمل وصف الخيل فيهما على طرافته أهمالاً  
تماماً ولا أدري لماذا فعل ذلك .

(٢١) للمتنبي شذرات أخرى عديدة في وصف الخيل ولكن أظن  
أنني رويت أحسن ما له في هذا الباب :

تألق الكوكب الوقاد ، وعن إهابه فقال ان له فضلة تجيء وتذهب على صدره ، وعمما يعتريه من أحوال نفسية اذا أدنى عنائه اليه واذا أرخاه • وعن شدة عدوه فقال انها لا تتيح لأي الاوابد الافلات منه وعن وفرة نشاطه فقال انها لا تقل عند النزول عنه عما كانت عليه قبل الركوب • وفي المثال الثالث عن جمال خيل الممدوح فقال انه ينسي أصحابها همومهم وأحزانهم ، وعمما دربت عليه من آداب القتال فقال انها تستغني معه عن الأرسان •

وما أظنك تعاتبه بعد هذا كله على أنه نسي أو أهمل صفة من صفات الخيل الأدبية او المادية •

أما وصفه شعب بوان فانه حديث مستفيض يصف فيه تعدد أجناسه واختلاف لغاته ولهجاته وكثرة أشجاره وطيب ثماره وجميل أثره لا في نفسه ونفوس أصحابه فحسب بل وفي نفوس خيلهم أيضاً فهو يجري على لسان جواده ذلك الحوار الرائع الذي لا أظن ان شاعراً سبقه اليه ، ودونك الآن هذا الوصف لتشاركني في تذوق جماله وتقدير ماله من القيمة الفنية الممتازة :

|                              |                          |
|------------------------------|--------------------------|
| مغاني الشعب طيباً في المغاني | بمنزلة الريح من الزمان   |
| ولكن الفتي العربي فيها       | غريب الوجه واليد واللسان |
| ملاعب جنة لو سار فيها        | سليمان لسار بترجمان      |
| طبت (٢٢) فرساننا والخيل حتى  | خشيت وإن كرم من الحران   |
| غدونا تنفض الأغصان فيها      | على أعرافها مثل الجمان   |
| فسرت وقد حجب الحر عني        | وجئت من الضياء بما كفاني |

(٢٢) طبت : دعت .

وألقى الشرق منها في ثيابي  
لها ثمر تشير إليك منه  
وأمواه تصل بها حصاها  
ولو كانت دمشق ثنى عناني  
يلنجوجي<sup>(٢٤)</sup> ما رفعت لضيف  
تحل به على قلب شجاع  
منازل لم يزل منها خيال  
يقول بشعب بّوان حصاني  
أبوكم آدم سن المعاصي  
فقلت ، إذا رأيت أبا شجاع

دنانيراً تفر من البنان  
بأشربة وقفن بلا أوان  
صليل الحلى في أيدي الغواني  
لبيق الشرذ صينيّ الجفان<sup>(٢٣)</sup>  
به النيران نديّ الدخان  
وترحل منه عن قلب جبان  
يشيعني إلى النوبنجان  
أعن هذا يسار الى الطعان  
وعلمكم مفارقة الجنان  
سلوت عن العباد وذا المكان

وأخيراً ما رأيت في هذا البيت الذي يصف المتنبي به سيفاً :

رقت مضاربه فهن كأنما  
بيدين من عشق الرقاب نحولا

وفي هذا البيت الذي يصف به أسداً :

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه  
فكأنه آس يجس عليلاً

وفي هذين البيتين اللذين يصف بهما بحيرة طبرية :

كأنها والرياح تصربها  
كأنها في نهارها قمر  
جيشا وغيّ هازم ومنهزم  
حّف به من جناها ظلم

(٢٣) لبيق : حاذق .

(٢٤) يلنجوجي : نسبة الى يلنجوج وهو البخور .



الواقع أن المتنبي شاعر مبدع في كل فن من فنون الوصف لا في وصف الحرب فقط كما ترى جمهرة النقاد .

مديحه : ومديح المتنبي كثير ، وهو كثير الهنات والهفوات أيضاً ، وهي هنات وهفوات تتعلق بالأخيلة والمعاني مرة والألفاظ والتعابير تارة . فما أظن أن أبا الطيب يفخر كثيراً بمعنى هذا البيت :  
لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبد الله بعراانا

أو بمعنى هذين البيتين :

علّ الأمير يرى ذلي فيشفع لي الى التي تركتني في الهوى مثلاً  
ايقت أن سعيداً آخذ بدمي لما بصرت به بالرمح معتقلاً

وما أظن كذلك أنه يفخر كثيراً بتركيب هذا البيت :

جفخت<sup>(٢٤)</sup> وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل

أو بتركيب هذا البيت :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل المجد من نهب القماش  
ولكن مهما يكن من أمر هذه الهنات وتلكم الهفوات فاننا نستطيع  
— أستغفر الله — بل إننا مضطرون الى أن نقرر أن مديح الرجل في  
جملته رائع فخم كثير الحسنات جم الفوائد عالي الطبقة يتحدث عن  
السياسة فيجيد الحديث ويصور الوقائع الحربية الفاصلة فيبدع في  
التصوير ، ويصف أخلاق الرجال وفضائلهم الحقيقية فلا يقصر في

(٢٥) جفخت : فخرت .

الوصف • وما أعني باجادته حديث السياسة والحرب مدائحه سيف  
الدولة دون غيرها وانما أعني مديحه كله سواء في ذلك مديح بدر بن  
عمار وآل حمدان وكافور وابن العميد وعضد الدولة وغيرهم • على أنه  
مما لاشك فيه أنه يبلغ اوج شاعريته في تصوير حروب سيف الدولة  
المتوالية الطاحنة ولم لا يفعل ذلك وهو يتقاضى نظيره ثلاثة آلاف  
دينار في السنة عدا الاقطاعات والهدايا والخلع ؟ أضف الى ذلك أنه  
كان يجد في سيف الدولة مثله الأعلى في الرجولية وشدة البأس وقلة  
المبالاة بالأخطار وكرم الطباع وتقدير العلم والأدب وتشجيع الملكات  
الراقية والمواهب الممتازة (٢٦) •

• أحبك يا شمس الزمان وبدره وان لأمني فيك السهى والفراق  
وذاك لأن الفضل عندك باهر وليس لأن العيش عندك بارد

أما مدائح المتنبي لسيف الدولة فانها تتألف من ٢٨ قصيدة و ٣١  
مقطوعة تتضمن « ١٥١٢ » بيتاً لم تنفتح عن مثلها قريحة شاعر في  
الجاهلية ولا في الاسلام • وانك لتستعرض هذه المجموعة فلا تدري  
اتدهش لخطورة مالها من الأهمية التاريخية أم لعظم مالها من القيمة  
الفنية وما أعدك أن استعرض هنا ما سجل أبو الطيب من حروب سيف  
الدولة واعماله المجيدة في الداخل والخارج على شدة رغبتني في ذلك  
لأن هذا الفصل أضيق بكثير من أن يتسع لمثل هذه المحاولة ولكنني  
أكتفي بأن أروي لك ما سجل أبو الطيب من هزائم الروم المنكرة لمجرد  
سماعهم بأن سيف الدولة خرج لحربهم فقد وقع لهم ذلك مراراً عديدة،

(٢٦) يختلف النقاد المحدثون في تقدير أثر سيف الدولة في المتنبي  
وبالعكس وعندني أن سيف الدولة كان متمماً للمتنبي فلولا له لما وجد أبو  
الطيب الرجل الذي يملأ نفسه ويستثير إعجابه ويستنزل آيات شاعريته.

وقع لهم ذلك في أواسط سنة ٣٤١ هـ ولم تشر كتب التاريخ الى هذه  
الهزيمة ولا ديوان المتنبي أيضاً ، وانما استدللنا عليها بقول المتنبي في  
أثناء قصيدته التي مطلعها :

واحر قلباه .. البيت :

والتي يعاتب بها سيف الدولة :

فوت العدو الذي يمسته ظفر في طيه أسف في طيه نعم (٢٧)  
قد قاب عنك شديد الخوف واصطنعت

لك المهابة مالا تصنع البهم (٢٨)  
ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها أن لا يواريهم أرض ولا علم  
أكلما رمت جيشاً فانشى هرباً تصرف بك في آثاره الهمم  
عليك هزمهم في كل معترك وما عليك بهم عار اذا انهزموا  
أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفر تصافحت فيه بيض الهند واللمم (٢٩)

فواضح أن هناك عدواً منهزماً وأن هزيمته لم تكن نتيجة قتال  
وانما كانت نتيجة خوف ورعب وأن هناك معقبا لهذا العدو أحزنه فوته  
وان كان هذا الفوت في حد ذاته ظفراً لامعاً . وقد انهزم الروم دون  
قتال في سنة ٣٤٤ هـ هزيمة أخرى أشنع من هذه غفلت عنها كتب التاريخ  
ولكن الديوان يروي لنا خبرها في شيء غير قليل من الدقة والتفصيل ،  
وإجمال الحادثة أن سيف الدولة كان قد بنى سنة ٣٤٣ هـ على الحدود

(٢٧) يقول : أسفت لفرار العدو الذي فاتك على أن فراره ظفر لك  
ونعمة على جيشك لأنه انتصر دون ان يتكبد خسارة ما .  
(٢٨) البهم : كصرد : جمع بهمة وهو الرجل الشجاع .  
(٢٩) اللمم : جمع لمة وهو ما جاوز شحمة الأذن من الشعر .

الرومية الاسلامية قلعة تعرف بقلعة الحدث (٣٠) كانت قدى في عيون  
الروم وشجى في حلوقهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يهدموها ويتردوا  
المسلمين من الموضع الذي تقوم عليه وأعدوا لهذا الأمر عدته فأرسلوا  
في السنة التالية جيشاً يتألف من ٤٠٠٠٠ رجل أو أكثر وأحاطوا بالقلعة  
واتخذوا ما يمكن اتخاذه من التدابير للحيلولة دون وصول الخبر الى  
سيف الدولة ولكن كتمان خبر كهذا شيء مستحيل فما عثم الخبر أن  
بلغ مسامع سيف الدولة وخف هذا في الحال لنجدة القلعة وحاميتها  
المحصورة فما كاد يشرف على معسكر الروم حتى شملهم الذعر  
واستولى على قلوبهم الفزع ، وانهمزوا لا يلوون على شيء كأنهم  
أمام بطل من أبطال الأساطير وكان هذا نصراً مؤزرآ آخر لم ينشأ عن  
قتال وانما نشأ عن مهابة تغلغت في أعماق النفوس وخوف نفذ الى  
قرارات القلوب والأرواح . وفي هذا يقول المتنبي هذه القصيدة الفذة  
التي لو لم يقل غيرها في سيف الدولة لكافية لتخليدهما معاً ، وهي:

ذي المعالي فليعلون من تعالي      هكذا هكذا ، وإلا فلألا  
شرف ينطح النجوم بروقي (٣١)      ه وعز يقلقل الأجيالا  
حال أعدائنا عظيم وسيف الد      ولة ابن السيوف أعظم حالا  
كلما أعجلوا النذير مسيراً      أعجلتهم جواده الاعجالا  
فأنتهم خوارق الأرض ما تح      مل إلا الحديد والأبطالا  
خافيات الألوان قد نسج النقع عليها براقعاً وجلالا

(٣٠) خلد المتنبي بناء هذه القلعة في حينه ووصفه أروع وصف في

ميميته التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم      وتأتي على قدر الكارم المكارم

(٣١) الروق : القرن .

حالفته صدورها والعوالي      لتخوضنّ دونه الأهوالا  
 وليمضنّ حيث لا يجد الرمح مداراً ولا الحصان مجالا  
 لا ألوم ابن لاونٍ ملك الرو      م وإن كان ما تمنى محالا  
 أقلقته بنّية بين أذنيه      ه وبان بغى السماء فنا لا  
 كلما رام حطها اتسع النبي      فغطى جبينه والقـذالا  
 يجمع الروم والصقالب والبد      غر فيها وتجمع الآجالا  
 وتوافيهم بها في القنا السمر      كما وافت العطاش الصلالا (٣٢)  
 قصدوا هدم سورها فبنوه      وأتوا كي يقصروه فطالا  
 واستجروا مكايده الحرب حتى      تركوها لها عليهم وبالا  
 رب أمر أتك لا تحمد الف      عّال فيه وتحمد الأفعالا  
 وقسي رميت عنها فردت      في قلوب الرماة عنك النصالا  
 أخذوا الطرق يقطعون بها      الرسل فكان انقطاعها إرسالا  
 وهم البحر ذو الغوارب إلا      أنه صار عند بحرك آلا  
 ما مضوا لم يقاتلوك ولك      نّ القتال الذي كفاك القتالا  
 والذي قطع الرقاب من الضر      ب بكفيك قطع الآمالا  
 والثبات الذي أجادوا قديماً      عّلم الثابتين ذا الاجفالا  
 نزلوا في مصارع عرفوها      يندبون الأعمام والأخوالا  
 تحمل الرياح بينهم شعرها      م وتذري عليهم الاوصالا  
 تنذر الجسم أن يقيم لديها      وتريه لكل عضو مثالا  
 أبصروا الطعن في القلوب دراكا      قبل أن يبصروا الرماح خيالا  
 وإذا حاولت طعانك خيل      أبصرت أذرع القنا أميالا

(٣٢) الصلال : جمع صلّة وهي أرض ممطورة بين أرضين لم  
 يصبهما مطر .

بسط الرعب في اليمين يميناً  
 ينفض الروع أيدياً ليس تدري  
 ووجوهاً أخافها منك وجه  
 والعيان الجليّ يحدث للظن  
 وإذا ما خلا الجبان بأرض  
 أقسموا لا رأوك الا بقلب  
 أي عين تأملتك فلا قت  
 ما يشك اللعين في أخذك الجيش فهل يبعث الجيوش نوالا  
 ما لمن ينصب الجبائل في الارض ومرجاه أن يصيد الهلالا ؟  
 إن دون النبي على الدرب والأحذب والنهر مخلطاً مزيالاً (٣٣)  
 غصب الدهر والملوك عليها فبناها في وجنة الارض خالا  
 وحماها بكل مطرد الأكعب جور الزمان والأوجالا  
 فهي تمشي مشي العروس اختيالاً وتثنى على الزمان دلالا  
 في خميس من الاسودبئيس (٣٤) يفترسن النفوس والأموالا  
 وظبي تعرف الحرام من الحل فقد أفنت الدماء حلالا  
 إنما أنفس الأئيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالا  
 من أطاق التماس شيء غلاباً واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا  
 كل غاد لحاجة يتمنى أن يكون الغضنفر الرئبالا

وانهزم الروم سنة ٣٥٢ للهجرة هزيمة منكرة ثالثة دون قتال ،  
 لا تقل شناعة وبشاعة عن الهزيمتين السالفتين واجمال ذلك كما يقول

(٣٣) المخلط المزيال : الرجل الكثير المخالطة والمزايلة للامور والمراد به هنا سيف الدولة .

(٣٤) البئيس الشديد البأس .

الديوان لا كما تقول كتب التاريخ التي تسكت عن هذه الحادثة أيضا كل السكوت أن سيف الدولة مرض في هذه السنة فاتتهز الروم هذه الفرصة وجاءوا بجيش جرار نزل على طرسوس وحاصرها فإرسل أهلها إلى سيف الدولة يستغيثونه ويستنجدونهم ويهددونه بالاستسلام إذا هم لم ينجدوا فخف الأمير الحمداني لنجدتهم رغم اعتلال صحته ، فلما اتصل خبره بالدمستق أفرج عن طرسوس وولى على عقبه قافلاً إلى بلاده دون أن يصنع شيئاً • وكان هذا نصراً مؤزراً ثالثاً لسيف الدولة لم ينشأ عن قتال وإنما نشأ عن مخافة مستحكمة الحلقات ومهابة تفعل فعل الجيوش في نفوس الأعداء • وكان أبو الطيب يومئذ بالكوفة عائداً من القسطنطينية وسيف الدولة يرأسه ويبعث له الهدايا من حين لآخر كما مر • فكتب إليه بهذه المناسبة يستدعيه إلى حلب ويؤمنه على نفسه فأجابه بقصيدة وصف فيها هذا النصر المؤزر وصفاً بليغاً أقتطف لك منه هذه الأبيات :

|                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| وغيرَ الدمستق قول العداة | إن علياً ثقيلاً وصب        |
| وقد علمت خيله أنه        | إذا همم وهو عليل ركب       |
| أناهم بأوسع من أرضهم     | طوال السيب قصار العسب (٣٥) |
| تغيب الشواهد في جيشه     | وتبدو صغاراً إذا لهم تغب   |
| ولا تعبر الريح في جوه    | إذا لم تخط القنا أو تثب    |
| فغرق مدنها بالجيوش       | وأخفت أصواتهم باللجب       |

(٣٥) الضمير في قوله ( أناهم ) عائد إلى ( أهل الثغور ) المذكورين في بيت سابق . والسبب : شعر الناصية والعرف والذنب . والعسب : جمع عسب وهو عظم الذنب والمراد بهذا خيل العدو يقول : أناهم بخيل لا تتسع لها أرضهم .

فأخبت به طالباً قتلهم وأحجب به تاركاً ما طلب  
نأيت فقاتلهم باللقاء وجئت فقاتلهم بالهرب  
وكانوا له الفخر لما أتى وكنت له العذر لما ذهب  
سبقت إليهم منأياهم ومنفعة الغوث قبل العطب  
فخروا لخالقهم سجداً ولو لم تغث سجداً للصلب

إن الذي نعرفه من أمر كبار القادة وكبار الشعراء هو أن الأولين  
يخوضون المعارك ويفتحون الممالك أو يقتحمونها الى حين • وأن  
الآخرين يمجدون ظفرهم ويشيدون بشجاعتهم ومهارتهم ويهتئونهم بالفوز  
المبين فأما أن ينتصر القائد بمجرد سمعته مراراً عديدة على عدوه التام  
الأهبة الكامل العدة فهذا ما لم يحدث - فيما أعلم - لأحد سوى  
سيف الدولة من القواد ولم يسجله أحد سوى أبي الطيب من الشعراء •  
هجاؤه : وكما نظم أبو الطيب أجمل المديح وأروعها ، نظم كذلك  
أقبح الهجاء وأوجعه وأشنعه • وهجاؤه يمتاز بالصرامة والبذاءة وليس  
في صرامته ما يبعث على الاستغراب ، فإن المتنبي رجل فتك وبطش  
يقسو على خصومه قسوة هائلة ولا يحجم عن أن ينزل بهم الضربات  
القاصمة والنكبات الماحقة اذا تسنى له ذلك ولكن الجدير بالاستغراب  
حقاً هو هذه البذاءة التي كان على الشاعر أن يعصم منها أدبه وينزه  
عنها لسانه وقلمه • ومن غريب أمره في الهجاء أنه ربما جمع بين أجمل  
فرائد الحكم وأقبح أنواع السباب في القصيدة الواحدة فليس طبيعياً  
أن يكون قائل :

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم  
وقائل :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم



وقائل: ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم  
هو قائل ما في نفس القصيدة التي تنتظم هذه الايات من كلام  
بذيء لا تستحي من قراءته وسماعه العذراء فحسب بل الرجل الكريم  
الذي تعصمه مروءته أن يقرأ أو يسمع ما يباه له كرمه ولا يسمح به  
أدبه • وقد رويت لك مثلاً من أخف هجاء المترجم وأقله صرامة عند  
الكلام على زيارته بغداد فلا حاجة الى المزيد منه •

عتابه : أما عتابه فانه نسيج وحده ، ذلك أنه يكشف النقاب عما  
يكن مصدره من حب خالص وولاء صادق حتى يخيل لك أنه سيترامى  
على أقدام صاحبه ليستندي قلبه ويحصل على رضاه مهما كان الثمن :  
مالي أكنتم حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الامم  
ان كان يجمعنا حب لغرتة فليت أنا بقدر الحب نققسم  
قد زرتة وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم  
فكان أحسن خلق الله كلهم وكان أحسن ما في الأحسن الشيم  
ولكنه لا يلبث أن ينتفض للدفاع عن عاطفته المجروحة وكرامته  
المهانة انتفاض الأسد الجريح فيسرق ويرعد ويرغي ويزبد ويتوعد بكل  
ما تصل اليه يده من شر وأذى ان لم يقض حقه وترع حرمة وتحفظ  
كرامته :

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم  
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم  
ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن الى من عنده الديم  
أرى النوى تقنضيني كل مرحلة لا تستقل بها الوخادة الرسم  
لئن تركن ضميراً عن ميامنا ليحدثن لمن ودعتهم ندم

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا  
شر البلاد مكان لا صديق به  
وشر ما قنصته راحتي قنص  
هذا عتابك الا أنه مقمة  
بأي لفظ تقول الشعر زعنفة  
ولك أن تقارن بين عتاب المتنبي هذا وبين ما قدمت من عتاب  
البحثري في موضعه لتبين مبلغ حرص الاول على مكاتته وكرامته  
وحرص الثاني على رضى الممدوح وجائزته كائنا ثمنهما ما كان .

رثاؤه : وقد اتهم بعض النقاد أبا الطيب بالعجز عن الرثاء الرقيق  
الفياض بالمشاعر والانفعالات ، وعزا ذلك الى نضوب معين العاطفة في  
قلبه ، ولكنها تهمة باطلة فأبو الطيب رقيق العاطفة جياش الشعور مرهف  
الاحساس ولكن هذا لا يعني أن يصطنع النفاق ويعمد الى الكذب  
فيزعم أنه حزين شديد الحزن وما هو من الحزن في شيء وأنه متفجع  
ملتاع وما هو من التفجع والالتجاع في كثير ولا قليل .

للمتنبي رثاء كثير ولكن الذين آلمه فقدهم حقيقة ممن رثى قليلون  
جدا . هو شاعر سيف الدولة وصديقه ، هذا صحيح ، ولكنه لا يعني  
أنه لا بد له من أن يجزع لفقد والدته وان يحزن أشد الحزن لوفاة  
ابنه الرضيع أبي الهيجاء ومملوكه يماك . أما عضد الدولة فانه ضيف  
طاريء عليه وهو لا يعرف عن عمته المتوفاة ببغداد أكثر مما يعرف عن  
أية امرأة غريبة لا تجمع بينها وبينه جامعة ولا تربطه بها رابطة .  
ولسنا نعرف شيئاً عن صلته بمحمد بن اسحاق التنوخي الذي رثاه بعدة  
مرات قصيرة فيها شيء لا بأس به من التفجع المصطنع وليس فيها شيء

من اللوعة الصادقة والعاطفة الحقيقية •

هو اذن معذور اذا لجأ لسرد الآراء الفلسفية المتعلقة بالحياة  
والموت والى تعداد فضائل المرثي لأنه لاشيء لديه غير هذا • على أنك  
اذا أردت أن تعرف قدرة أبي الطيب على الرثاء الرقيق المؤثر فما عليك  
الا أن تقرأ قوله في رثاء جدته :

لك الله من مفجوعة بحبيها      قتيلة شوق غير ملحقها وصما  
أحن الى الكأس التي شربت بها      وأهوى لمشاها التراب وما ضما  
بكيت عليها خيفة في حياتها      وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما  
ولو قتل الهجر المحبين كلهم      مضى بلد باق أجدت له صرما  
أناها كتابي بعد يأس وترحة      فماتت سرورا بي فمت بها غما  
رقا دمعا الجاري وجفت جفونها      وفارق حبي قلبها بعد ما أدمى  
ولم يسلمها الا المنايا وانما      أشد من السقم الذي أذهب السقما

وقوله في رثاء صديقه أبي شجاع فانك الرومي :

الحزن يقلق والتجمل يردع      والدمع بينهما عصي طيع  
يتنازعان دموع عين مسهد      هذا يجيء بها وهذا يرجع  
النوم بعد أبي شجاع نافر      والليل معي والكواكب ظلع

\*\*\*

برد حشاي ان استطعت بلفظة      فلقد تضر اذا تشاء وتنفع  
أترى أن هذه الايات كلام جاف لا عاطفة فيه ولا شعور أم ترى  
أنها حسرات تجيش ودموع تترقرق وتنهدات كلها أحزان وآلام ؟ •  
فلسفته : وتسألني رأبي فيما يزعمه ويحاول أن يقيم عليه الدليل

بعض النقاد المعاصرين من أن المتنبي فيلسوف وأجيب بأن هذا زعم غير صحيح بل انه اقحام للرجل على الفلسفة ولها عليه والواقع أنه شاعر عظيم كثير التجربة واسع الخبرة بالحياة والناس جه الاطلاع قرأ القرآن والحديث وخطب الراشدين وما نقل الى العربية من أقوال فلاسفة اليونان والهنود والفرس وحكم عقلاء الشعراء كزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأفوه الاودي وغيرهم • ووعى منها الشيء الكثير ان لم يكن وعها كلها فكان له من هذا ثروة فكرية ضخمة تمده بروائع الحكم وشوارد الامثال كلما احتاج الى شيء من هذا • على أنه من المهم أن نعرف السبب الذي يدفعه الى تسجيل خطراته الفلسفية في كثير من قصائده ومقطوعاته ، أهو الرغبة في تقرير مذهب فلسفي أم هو الرغبة في تأييد وجهة نظر يقتضيها مديح ممدوح او الترفيه عن خاطر صديق مكدود أو التعبير عن عاطفة مكبوتة وشعور مكظوم ؟

انك اذا رجعت الى ديوانه وتدبرت حكمه وأمثاله وتأملت طويلا رأيت أن السبب الثاني هو الذي يملئها عليه ، ثم هو بعد هذا وذاك متناقض يقول الشيء وضده فهو يقول في مكان :

الف هذا الهواء أوقع في الانف      س أن الحمام مر المذاق  
والاسى قبل فرقة الروح عجز      والاسى لا يكون بعد الفراق  
ومعنى هذا أنه ليس في قرارة هذا الانسان أو في غرائزه ما يجب اليه الحياة ، ويرغبه فيها ، ولكن الفة هذا الهواء هي التي تخدعه عن حقيقتها وتحمله على الركون اليها والتمسك بها في غير ما تعقل ولا تدبر ولكنه يقول في مكان آخر :

ولذيذ الحياة أنفـس في النـف      س وأشهى من أن يمل وأحلى

وإذا الشيخ قال أف فما مل حياة وإنما الضعف مالا  
ومعنى هذا أن حب الحياة أمر غريزي فطري يسيرنا ويسيطر على  
حركاتنا وسكناتنا وليس في وسعنا أن نتخلص منه أو نتمرد عليه .  
ويقول في مكان :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر  
ومعنى هذا أنه زاهد بالحياة معرض عنها لا يجمع منها حطاما ولا  
يدخر فيها مالا ولكنه يقول في مكان آخر :  
وفي الناس من يرضى بميسور عيشه

ومركوبه رجلاه (٣٦) والثوب جلده  
ولكن قلبا بين جنبي ماله مدى ينتهي بي في مراد أحده  
ومعنى هذا أنه مفتون بالدنيا فتنة شديدة محب لها حبا لا ينتهي  
الى عزاء أو سلوان . ويقول :

ومراد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه وأن تتفانى  
ومعنى هذا أنه يدعو للرفق والتسامح والمسائلة ، ولكنه لا يكاد  
يلفظ هذا البيت حتى ينقضه نقضا بما يدعو للكفاح والنضال والتطاحن  
في الايات التالية :

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا  
ولو أن الحياة تبقى لحي لعددا أضلنا الشجعانا  
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا  
الواقع أن المتنبي شاعر قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، ولكنه  
يعرف الأدب والتاريخ والفلسفة والحياة والناس معرفة تلهمه خطرات

(٣٦) هكذا في الديوان وربما كان الصواب فمركوبه .

فلسفية كثيرة تستقيم مرة وتتناقض تارة وتصيب حيناً وتخطيء حيناً  
آخر •

لغته وأسلوبه : وقد أحصى القدماء كل كبيرة وصغيرة من سقطات  
المتنبي التي تتعلق بلغته وأسلوبه ونسوا أن يحسبوا حساباً للزمن  
الذي حصل فيه معظم هذه السقطات ، فقد حصل معظمها يوم كان  
الشاعر يجوب القفار ويتنقل بين الأمصار ماشياً على قدميه لأنه لا يملك  
راحلة يستخدمها في أسفاره :

ومهمه جيبته على قدمي تعجز عنه العرامس الذلل  
ويوم كان الشاعر من نحافة البنية بحيث يقول عن نفسه :  
برتنى السرى بري المدى فرددني أخف على المركوب من نفسي جرهمي  
ويوم كان الشاعر لا يرتدي سوى الغليظ الخشن من الثياب :  
لسري لباسه خشن القطب ن ومروي مرو لبس القروود  
وما أظن أنه من العدل أن نطلب الى الشاعر الذي لا يملك ما يسد  
به رمقه أن يقدم لنا إنتاجاً راقياً سليماً لا يتطرق اليه الضعف في ناحية  
من نواحيه فلا كلمة نائية ولا تعبير ركيك ولا تشبيه مبتذل ولا خيال  
غير مستحسن •

إن الظروف التي تكتنف حياة الشاعر فتؤثر في جسمه وعقله  
وتسيطر على تفكيره لا ينبغي أن تهمل في حساب الناقد النزيه • ونحن  
نستطيع أن نقسم حياة أبي الطيب الى دورين مختلفين كل الاختلاف :  
أحدهما - دور شقاء وبؤس وفقر وتشرد بيتديء بطفولته  
وينتهي بدخوله بلاط سيف الدولة •

وثانيهما - دور رخاء ويسر واستقرار نسبي بيتديء بانتظام

الشاعر في حاشية الأمير الحمداني وينتهي بمقتله •  
وقد قلت لك ان معظم هفواته التي يحاسبه عليها القدماء حساباً  
لا رحمة فيه ولا شفقة حصل في الدور الأول من حياته • ومع ذلك  
فاننا اذا قسنا سيئاته من حيث الالفة والأسلوب الى حسناته في هذا  
الدور نفسه • رجحت الثانية على الاولى رجحانا ظاهرا ودفعتنا دفعا  
الى عده في طليعة شعراء اللغة العربية فصاحة لفظ ومتانة تعبير وبراعة  
مثل وجمال حلية بيانية • استمع الى قوله في صدر قصيدة يمدح بها  
المغيث بن علي بن بشر العجلي •

|                          |                              |
|--------------------------|------------------------------|
| فؤاد ما تسليه المدام     | وعمر مثل ما تهب اللئام       |
| ودهر ناسه فاس صغار       | وان كانت لهم جثت ضخام        |
| وما أنا منهم بالعيش فيهم | ولكن معدن الذهب الرغام       |
| أرانب غير أنهم ملوك      | مفتحة عيونهم نيام            |
| بأجسام يحر القتل فيها    | وما أقر انها الا الطعام (٣٧) |
| وخيل ما يخر لها طعين     | كأن قنا فوارسها ثمام (٣٨)    |
| خليك أنت لا من قلت خلتي  | وان كثر التجمل والكلام       |
| ولو حيز الحفاظ بغير عقل  | تجنب عنق صيقله الحسام        |
| وشبه الشيء منجذب اليه    | وأشبهنا بدنيانا الطعام       |
| ولو لم يعمل إلا ذو محل   | تعالى الجيش وانحط القمام     |

\* \* \*

ومن خبر الغواني فالغواني ضياء في بواطنه ظلام

\* \* \*

(٣٧) يقول : يكثر فيهم الموت ولكنهم لا يموتون الا بالتخمة .  
(٣٨) الثمام : نبات ضعيف .

وما كل بمعدور يبخل ولا كل على بخل يلام

وقوله في مديحها :

يروع ركانة ويدوب ظرفاً فما يدرى أشيخ أم غلام

\*\*\*

أقامت في الرقاب له أياد هي الأطواق والناس الحمام

وقوله في رهط المدوح :

نصرّهم بأعيننا حياءً وتنبو عن وجوههم السهام

وقوله من أخرى :

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر

وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر

وأشجع مني كل يوم سلامتي وما ثبتت الا وفي نفسها أمر

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم زعر الذعر

وأقدمت إقدام الأني<sup>(٣٩)</sup> كأن لي

سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر

(٣٩) الأني : السيل .



وتضريب أعناق المسلوبك وأن ترى نسخة هيبثه ربه متقاا عم ملقه  
لك الهبوات (٤٠) السيود والعسكر المجر (٤١)

وتركك في الدنيا دويآ كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر  
إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص

على هبة فالفضل فيمن له الشكر  
ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقوله في أخرى :

أحدث شيء عهداً بها القدم  
تفلح عرب ملوكها عجم  
ولا عهد لهم ولا ذمم  
ترعى بعبد كأنها غنم  
وكان يرى بظفره القلم  
أحق عافٍ بدمعك الهمم  
وإنما الناس بالملوك وما  
لا أدب عندهم ولا حسب  
في كل أرض وطنتها أمم  
يستخشن الخز حين يلمسه

وقوله في مديح أخرى :

وقد طبعت سيوفك من رقاد  
فما يخطرن إلا في فؤادي  
كأن الهام في الهيجا عيون  
وقد صغت الأسنة من هموم

وقوله متفزلاً من أخرى :

هام الفؤاد بأعرايبة سكنت  
بيتا من القلب لم تمدد له طنبنا

(٤٠) الهبوات : الفبرات .

(٤١) المجر : الكثير .

مظلومة القاد في تشبيهه غصنا مظلومة الريق في تشبيهه ضربا  
وبعد : أترى أنني مسرف اذا قلت لك ان فصاحة اللفظ ومثانة  
التعبير وجودة المثل وجمال الزخرفة البيانية على اختلاف أنواعها من  
تشبيه واستعارة وطباق هي الخصائص التي تمتاز بها لغة أبي الطيب  
وأسلوبه حتى في أيام بؤسه وشقائه واضطراب حاله وتشرده ، أما في  
عهد الاستقرار النسبي عند سيف الدولة وأقول نسبي لأنه حصل على  
المال ولم يحصل على طمأنينة البال ، فقد كان محاطاً بجيش من الخصوم  
والحساد لا ينقطعون عن الكيد له والظعن عليه • أقول : أما في هذا  
العهد فقد ازدهرت تلك الخصائص ازدهاراً باهراً تمثله سيفياته التي  
سبق أن أفضيت لك برأيي فيها عند الكلام على مديحه ورويت لك مثلاً  
منها تكفي للدلالة على وجاهة هذا الرأي وقل مثل ذلك في كافورياته  
التي رويت لك منها مثلاً قليلة جداً عند الكلام على وصفه ولكنك  
تستطيع أن تجدها في ديوانه وتقرأ منها ما تشاء •  
لقد كان على صاحب بن عباد وأشياعه أن يعلموا أنهم باحصائهم  
عيوب أبي الطيب وزلاته وغلوهم في هذا الاحصاء انما يضيفون الى  
مجده مجداً والى فخره فخراً •

#### د - خامسة :

يتفق النقاد القدماء على أن أكبر شعراء العربية ثلاثة هم :  
أبو تمام والبحتري والمنتبي • ويرى أبو العلاء أن أبا تمام  
والمنتبي حكيمان والبحتري هو الشاعر وعندني أنه لا سبيل للمقارنة بين  
البحتري وصاحبيه لأنه مبرز في نوعين من القريض لم يكونا من رجالهما

ألا وهما : وصف القصور ، والغزل الرقيق ♦

ولكنني لا أجد بأساً في المقارنة بين أبي تمام والمنتبي فكلاهما صاحب فكر قبل أن يكون صاحب خيال ، وكلاهما رائد معان قبل أن يكون رائد ألفاظ وكلاهما مؤثر للفظ الفصيح والتعبير البليغ وإن كانا يختلفان من ناحية الزخرفة البيانية فأبو تمام بتكلفها في كثير من الأحيان تكلفاً والمنتبي لا يأتيها في الغالب إلا عفواً وكلاهما مجيد في وصف الحرب والسياسة وكلاهما بعد كل ذلك صاحب حكم باهرة وأمثال سائرة ، ولكن يخيل إليّ أن نصيب أبي تمام من هذا كله أقل بكثير من نصيب صاحبه بل اني أذهب الى أبعد من ذلك فأزعم أنه يختفي تحت شعاع عبقرية أبي الطيب كما يختفي القمر تحت شعاع الشمس ♦

## الفصل الثاني

### أبو فراس الحمداني

- أ - حياته : اسمه ونسبه وكنيته • مولده ونشأته • اتصاله بسيف الدولة •  
امعان هذا في اصطفاؤه وتقريبه • تقاينه في خدمة سيف  
الدولة • فساد ذات بينهما • سببه • بعض ما نشأ عنه •  
أسره • اساءة الروم معاملته في خرشنه • نقله الى  
القسطنطينية • ما لقي فيها من تبجيل ورعاية • عرض فداء  
منفرد عليه • رفضه اياه • الافراج عنه • وفاته •
- ب - أخلاقه : كرمه • شجاعته • خفة طبعه • بعض أخباره الدالة على  
ظرفه ومرحه • هفواته الثلاث وما تدل عليه •
- ج - علويته •
- د - شعره : ديوانه • طبعاته • غزله • ما كان منه غراميا وما لم يكن •  
رمزيته • مديحه • ما له من القيمة التاريخية • مثل منه •  
فخره • ميزته • ما جرى له مع جماعة من كلاب • وصفه •  
ما جرى له مع بني جعفر • تصويره • فخره بحسن  
سيرته • مثل منه • اخوانياته • مالها من الدلالة على  
أخلاقه • مثل منها • رومياته • على ماذا تحتوي • مثل  
منها • لغته وأسلوبه • بعض هفواته • أمثاله • تشبيهاته •  
مثل منها •
- هـ - خاتمة : منزلته بين كبار شعراء الفروسية •

## أ - حياته :

حدثتك في الفصل السابق عن سبوقه رفعه الشعر الى مجالسة الملوك  
ومعاشرة الامراء والوزراء ، وأحدثك الآن عن أمير لهم يقل الشعر الا  
لانه فن من أرفع الفنون ووسيلة من أحسن الوسائل للتعبير عن  
أغراض البطولة والفروسية ، ومما هو جدير بالذكر أن هذين الشعارين  
المختلفي المنبت والمحتدو الغاية مدينان معا بالشيء الكثير من شاعريتهما  
لشخصية سيف الدولة الجذابة وحروبه وأعماله الباهرة وتشجيعه الادبي  
والمادي، هذا الى أنهما تخاصما فيه خصومة مرة وتنافسوا في عطفه وتقديره  
تنافسا شديدا ، وما أشك في أنك عرفت الآن أن الامير الشاعر الذي  
سيدور حوله البحث هو الحارث بن سعيد بن حمدان المكنى بأبي  
فراس شاعر الفرسان وفارس الشعراء ♦

يختلف مؤرخو الأدب القدماء في ولادة أبي فراس بعض الاختلاف  
فمنهم من يقول انه ولد سنة عشرين وثلاثمائة ومنهم من يقول انه ولد  
سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ♦ ثم هم جميعا لا يعنون بمسقط رأسه  
فلا يعينه أحد منهم ♦ ولكن مؤرخي الأدب المحدثين يتلافون هذا  
النقص فيقولون لنا انه ولد « بمنبج » وهي مدينة تابعة لحلب (١) ♦  
ويخيل الي أنه ليس في هذه الاقوال جميعا ما يمكن الاعتماد عليه  
والاطمئنان اليه ♦ فما أظن أن ابا فراس ولد سنة عشرين او احدى  
وعشرين وثلاثمائة للهجرة لانه عاش اربعين سنة بدليل قوله :

(١) خرج على هذا الاجماع الدكتور سامي الدهان ناشر ديوان  
أبي فراس و مترجمه الى الفرنسية فانه ذهب الى أن ابا فراس ولد  
في الموصل .

ابعد الاربعين محرمات تماد في الصباية واغترار  
ولأنه قتل سنة سبع وخمسين وثلاثمائة للهجرة باجماع المؤرخين •  
فاذا كان أبو فراس قد عاش اربعين سنة كما يقول هو واذا كان قد  
قتل سنة سبع وخمسين وثلاثمائة كما يقول المؤرخون كافة ، فيجب أن  
يكون قد ولد سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة للهجرة على أقل تقدير • وما  
أظن أن أبا فراس ولد بمنبج لأننا اذا تتبعنا تأريخ أبيه في السنوات العشر  
الاخيرة من حياته رأينا أن « الموصل » كانت مقره دائما ولذلك يمكننا  
أن نرجح ترجيحاً يشبه الجزم أن أبا فراس ولد في الموصل عاصمة آبائه  
وأجداده ومقر ملكهم وعظمتهم • وقد أفترض المحدثون ان المترجم ولد  
بمنبج لانه كان يحكمها حكماً اقطاعياً ولكن حكمه اياها لا يعني أنه ولد  
فيها •

وقد قتل والده في الموصل سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة للهجرة،  
قتله ابن أخيه ناصر الدولة لانه ضمن الموصل سرا من الراضي بالله وجاء  
ليتسلمها منه وكان يحكمها بطريق الضمان ، فبعث اليه جماعة من غلمانه  
قتلوه « عصر مذاكيره » وعلى هذا ، وبصورة باقة ، نشأ ابنه الحارث  
يتيماً في الموصل (٢) فكفله ابن عمه وزوج شقيقته سيف الدولة ونشأه  
أحسن تنشئة ورباه أفضل تربية • وأبو فراس شديد الاعتزاز بهذه النشأة  
عظيم الفخر بهذه التربية وقد ذكرها ونوّه بها في شعره مرارا عديدة فمن  
ذلك قوله من قصيدة :

وكيف ينتصف الاعداء من رجل المجد أوله والعز آخره

(٢) يذكر الدكتور سامي الدهان ان والدة أبي فراس طافت به في  
حواضر الحمدانيين متنقلة بين آمد ، وميا فارقين ، وماردين ، والركة .  
ديوان أبي فراس ج ٢ ص ١٠٢ ولا أدري من أين اخذ هذا .

ومن سعيد بن حمدان ولادته ومن علي بن عبد الله سائره

وعلي بن عبد الله هو سيف الدولة •

ولم تكد سن أبي فراس تسمح بتدريبه على اقتحام المخاطر وخوض المعامع ومعالجة قضايا السياسة والادارة حتى أخذ ابن عمه يستصحبه في غزواته ويستخلفه على أعماله ، مريداً بذلك أن يكون نابغة الحرب والسياسة في وقت واحد كما كان هو • ويحدثنا أبو فراس أنه كان يستغرب كثيراً تعريض ابن عمه اياه للسيوف والحراب مع أنه يحبه حبا لا مزيد عليه • الا أنه أدرك سر موقف ابن عمه منه عندما نادى به في مجمع حافل بكبار الامراء والقواد فارساً مقداماً وبطلاً هماماً مثنياً على شجاعته أحسن ثناء ، مطرباً أقدامه وبسائته أجمل اطراء :

يا من يحاذر أن تمضي عليّ يد مالي أراك لبيض الهند تسمح بي؟  
وأنت بي من أضن الناس كلهم فكيف تبدلني للسمر والقضب؟  
ما زلت أجهله فضلاً وأنكره وأوسع النفس من عجب ومن عجب  
حتى رأيتك بين الناس محتفياً تشي عليّ بوجه غير متب (٣)  
فعندها وعيون الناس ترمقني علمت أنك لم تخطيء ولم أصب  
وكان أبو فراس يقابل عطف سيف الدولة الشديد هذا بالتفاني في

خدمته والاخلاص لشخصه والذود عن حياض دولته •

يا سيف ، سيف الدولة الماضي اذا

نبت السيوف وخان كل مصمم ارم الكتاب بي فانك عالم أني أخو الهيجاء غير مذمم

(٣) متب : منقبض •

وعلي أن التقى الفوارس معلما وعلو جددك عادتني وعمر مرمي  
أنا سيفك الماضي وليس بقاطع سيف اذا هو لم يشد بمعصم  
وقد مكث هذان الاميران المتحابان سنين كثيرة وهما أشبه بأخوين  
بل بحبيبين • حدث الثعالبي في اليتيمة قال : « نظر سيف الدولة ذات  
يوم الى نفر من جلسائه فيهم أبو فراس وقال لهم : من منكم يجيز هذا  
البيت ، وليس له الا سيدي - يريد أبا فراس - والبيت هو :  
لك جسمي تعله فدمي لم تحله

فاجازه ابو فراس على الفور بقوله :

أنا ان كنت مالكا فلي الامر كله  
فسر سيف الدولة بيت أبي فراس سرورا عظيما واقطعه ضيعة  
بمنبج غلتها الف دينار في السنة •  
وكان يبدو بعيدا كل البعد أن تفسد علاقة أبي فراس بسيف الدولة  
الا أن هذا حصل فعلا • ويحار المؤرخون في تعليل هذه الظاهرة الغريبة  
فيعزوها بعضهم الى اللمة ثقيلة كتب بها أبو فراس من الاسر الى سيف  
الدولة وهي : « مفاداتي ان ثقلت عليك ائذن لي أن أكتب بها ملوك  
خراسان » ولكن هذا غير صحيح ، فقد ساءت علاقة أبي فراس بسيف  
الدولة قبل أن يؤسر •

والذي أراه ، أن علاقتهما ساءت بسبب قتال نشب بين أبي فراس  
وبين نفر من الحمدانيين يظهر أنه لم يكن محقا فيه ولكنه كان يأمل مع  
ذلك أن يقف سيف الدولة الى جانبه وينصره على خصمه عملا بالنظرية  
القائلة « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما » الا أن سيف الدولة خيب امله



بالانتصاف لخصمه منه فشق عليه ذلك كثيرا وكتب اليه يقول :  
قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي  
فرميت منك بغير ما أملتة والمرء يشرق بالزلال البارد  
فصبرت كالولد التقي لبره يغضي على الم لضرب الوالد  
ونقضت عهدا كيف لي بوفائه ومن المحال صلاح قلب فاسد (٤)  
واذا فقد ( رمي ) أبو فراس من سيف الدولة بغير ما أمل • وادأ  
فقد فسد قلب أبي فراس على سيف الدولة فسادا لا صلاح بعده أبدا ،  
وأصبح هذا يشك في إخلاصه ويرتاب بسلوكة ويصغي الى أقوال الوشاة  
فيه وكان هؤلاء وهم من الحمدانيين أنفسهم واقفين له بالمرصاد فكانوا  
يوغرون صدر ابن عمه ومربيه وولي نعمته عليه بالحق وبالباطل • وكان  
أبو فراس عالماً بما يحاك حوله من الدسائس ولذلك كان يحذر خصومه  
من بني عمه عاقبة عملهم مرة ويهددهم بكشف ما يعرف من أسرارهم  
تارة فيقول في تحذيره :

بني عمنا لا تشبوا الحرب بيننا بني عمنا لا تقطعوا اليد باليد  
ويقول في تهديده :  
وعندي من الاخبار ما لو ذكرته اذن قرع المعتاب من نادم سنا  
ولكن هذا لم يجده نفعا ، فقد استمر كيد خصومه له واشتد نفور  
سيف الدولة منه واعراضه عنه •

ولم يعمل هو من جانبه شيئا لتلافي الخطر وازالة سوء التفاهم ،  
فتوترت علاقته بابن عمه ، وأول ما نعرف من آثار هذا التوتر هو أن

(٤) هكذا يروي العاملي هذا البيت في كتابه « أبو فراس الحمداني »  
ص ٢٤ ط ١ أما الدهاز فيرويه على أن عجزه « وسقيت دونك كأس هم  
صارذ » ولا شك ان رواية العاملي أكثر ملاءمة وأقرب الى الصواب .

سيف الدولة استعرض ذات يوم خيله أمام نفر من بني حمدان فيهم أبو فراس ، ورغب اليهم أن يأخذ كل منهم الفرس الذي يشتهي ، فأخذ كل منهم ما أعجبه سوى أبي فراس ، فانه امتنع عن تلبية رغبة ابن عمه امتناعاً تاماً وقال في ذلك :

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| غيري يغيره الفعال الجافي    | ويحول عن شيم الكريم الوافي  |
| لا أرتضي وداً إذا هو لم يدم | عند الجفاء وقلة الانصاف     |
| تعس الحريص وكل ما يأتي به   | عوضاً عن الالاح والاحاف     |
| إن الغني هو الغني بنفسه     | ولو انه عاري المناكب حاف    |
| ما كل ما فوق البسيطة كافياً | وإذا قنعت فكل شيء كاف       |
| ما كثرة الخيل العتاق بنافعي | شيئاً ولا عدد السوام الضافي |
| خيلى - وان قلت كثير نفعها   | بين الصوارم والقنا الرعاف   |
| ومكارمي عدد النجوم ومنزلي   | مأوى الكرام ومنزل الاضياف   |

وظاهر أن البيتين الأول والثاني تعريض شديد بسيف الدولة ، وأن الأبيات الاخرى تشير الى ترفع أبي فراس عن عطائه واستظالته بما عنده من كرم الطبع وعلو المنزلة ونباهة الشأن .

وفي ذات يوم من أيام شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة للهجرة كان أبو فراس في سبعين من رجاله على مقربة من منبج ، فلدهمه ألف فارس من الروم ، وأشار عليه أصحابه بالانسحاب أمام هذا العدو المتفوق بعدده تفوقاً ساحقاً ، ولكنه رأى أن الانسحاب كائنا سببه ما كان فرار معيب ، وأقدم على الموت ، الا أنه سقط جريحاً في المعركة ، ثم أسعف وأخذ أسيراً الى ( خرشنة ) وهي مدينة رومية على ساحل البحر الأبيض ، فسجن بها مدة من الزمن ثم أخذ الى القسطنطينية

ففضى فيها بقية أيام أسره التي استغرقت نحواً من أربعة أعوام •  
وقد استغرب المؤرخون إبطاء سيف الدولة عن تقديم فداء ابن  
عمه ، ولكن أهناك محل للاستغراب ونحن نعلم ما نعلم من فساد علاقة  
الرجلين ؟ ••

وقد زاد أبو فراس في الطين بلة بارساله الى سيف الدولة في أيام  
أسره الأولى قصيدة يقول فيها :

تشبّث بها أكرومةً قبل فوتها      وقم في خلاصي صادق العزم واقعد  
متى تخلف الأيام مثلي لكم فتىً      طويل نجاد السيف رحب المقلد  
يدافع عن أعراضكم بلسانه      ويضرب عنكم بالحسام المهند  
وواضح أن هذه اللغة لا يحتملها رجل له أنفة سيف الدولة  
ومكاته • يضاف إلى ذلك أن سيف الدولة كان يطلق أسرى الروم  
نظير إطلاقهم أسرى المسلمين أو نظير فدية • وقد حدث أنه لما وقع أبو  
فراس أسيراً في أيديهم كان عندهم ثلاثة آلاف أسير من المسلمين زيادة  
على من بيد سيف الدولة من أسراهم • وغير مستبعد أن تضيق خزانة  
الأمير الحمداني ذرعاً بفداء هذا العدد الضخم من الأسرى • فلهذه  
الاسباب كلها بقي أبو فراس هذه الأعوام العديدة في الأسر •

وصحيح أن الروم أساءوا معاملته في خرشنة فسجنوه في سجن  
ضيق وألبسوه ثوباً من صوف وكبّلوه بالحديد ، إلا أنهم أحسنوا  
معاملته كل الاحسان عندما نقلوه الى القسطنطينية ، فأفردوا له داراً  
خاصة وعينوا له خدماً وعرضوا عليه الفداء منفرداً فأباه • وبلغ من  
احترامهم إياه أنهم كانوا اذا رأوه طأطأوا رؤوسهم له اعظماً :  
إذا عاينتني الروم كفر صيدها      كأنهم أسرى لذيّ وفي كبلي

وحسنت مسألته آخر الأمر على يده • ذلك أنه توسط بين  
القسطنطينية وحلب ، فحمل ابن عمه على مهادنة الروم وإعطائهم مائتي  
ألف دينار هي كل ما يطلبونه نذير اطلاق أسرى المسلمين • وكانت هذه  
أول هدنة بين الروم وسيف الدولة •

وعاد أبو فراس بمن معه من المسلمين الى بلاد بني عمه سنة خمس  
وخمسين وثلاثمائة للهجرة ، فسر الناس بذلك ولا سيما سيف الدولة  
سروراً لا حد له •

ولم تطل حياة سيف الدولة بعد الأفراج عن ابن عمه • لقد توفي  
سنة ست وخمسين وثلاثمائة للهجرة ، ثم لم تطل حياة أبي فراس هو  
الآخر ، فقد قتل سنة سبع وخمسين وثلاثمائة للهجرة في نزاع دار بينه  
وبين ابي المعالي بن سيف الدولة وخليفته في كرسي امارته • وقد لخص  
ابن الاثير حادثة قتله بما خلاصته : أن أبا فراس كان بحمص • فحصلت  
بينه وبين أبي المعالي وحشة • فاستدعاه الى مقابلته فامتنع • وانحاز  
الى قرية قريبة من حمص اسمها ( صدد ) فانفذ اليه ابو المعالي ثلة من  
الجند على رأسها غلام أييه ( قرعويه ) وأخذه الجند على حين غرة •  
فاستامن اصحابه • وكان هو في جملة المستامين • الا ان قرعويه او  
( فرغويه ) أمر أحد جنوده بقتله فقتله • وكان ذلك في ربيع الآخر من  
سنة سبع وخمسين وثلاثمائة للهجرة ، وهناك أقوال مختلفة تتعلق  
بمقتل أبي فراس لا أرى فائدة في ايرادها هنا •

ب - أخلاقه :

قلت لك ان أبا فراس • نشأ يتيماً • وان ابن عمه وزوج شقيقته  
سيف الدولة تولى تربيته وتعليمه • واقول لك الآن • انه في جده

وهزله - صورة صادقة من ابن عمه هذا - فقد كان فارساً مقداماً •  
 • وجواداً مفضالاً - أياً وفيّاً صريحاً • عف اللسان • طاهر اليد •  
 خفيف الطبع • دمث الروح • يستميله الجمال • ولكنه لا يسيطر  
 عليه • ويستخفه الغناء • ولكنه لا يصدده عن أداء شيء من واجباته •  
 روي ان مغنية بارعة قدمت حلب من بغداد • ولم يشأ أبو فراس  
 ان يستمتع بغنائها قبل سيف الدولة • فكتب اليه يستحثه على  
 احضارها • والاستماع لغنائها هذه الايات :

محللك الجوزاء بل ارفع      وصدرك الدهناء بل اوسع  
 وقلبك الرجب النبي لم يزل      للجد والهزل به موضع  
 وفضلك المشهور لا ينقضي      وفخرك الذائع لا يدفع  
 رفه بقرع العود سمعاً غداً      قرع العوالي جل ما يسمع (٥)

ومن هذا القبيل ما يحكى من ان سيف الدولة • وعد ابا فراس •  
 بأحضار ابي عبد الله بن المنجم والغناء بحضوره • ولكنه لم يسارع الى  
 انجاز هذا الوعد • فكتب اليه ابو فراس :

« قد تقدم وعد سيدنا سيف الدولة • باحضار ابي عبد الله بن  
 المنجم والغناء بحضوره • وانا سائل في ذلك ، فان رأى سيف الدولة أن  
 يتطول بانجاز ما وعد • فعل انشاء الله » وشفع الكتاب بهذين البيتين •  
 ايا سيداً عمى جموده      بفضلك نلت السنا والسناء  
 وكم قد أتيتك من ليلة      فنلت الغنى وسمعت الغناء (٦)  
 فأجابه سيف الدولة بكتاب قال فيه « انه مشغول بقرع الحوافر

(٥) يتيمة الدهرج ١ ص ٢٣ طبعة دمشق •

(٦) أبو فراس الحمداني ص ٥٢ الطبعة الاولى •

عن المظاهر « ومن نفيس ما كتبه ابو فراس الى سيف الدولة في هذا  
الصدد • الايات التالية :

يا أيها الملك الذي اضحت له جمل المناقب  
تسج الريع محاسناً القحنها غر السحائب  
راقت ورق نسيمها فحكت لنا صور الحباب  
حضر الشراب فلم يطب شرب الشراب وانت غائب

وقد عز على الأستاذ السيد محسن الأمين مؤرخ أبي فراس في  
أعيان الشيعة أن يفرغ أبو فراس الى الشراب ويتحدث عنه وودّ لو  
يكون كاذباً في هذا شأن الشعراء في كثير من أقوالهم ، ولكنني لا أشك  
في أن أبا فراس صادق في ما حدثنا به عن لهوه ولعبه لأن شعره وأخباره  
تدل على هذا دلالة صريحة قاطعة • أضف الى ذلك أن أبا فراس يشرح  
موقفه من الغرام واللهو شرحاً لا لبس فيه ولا ابهام فيقول :

لقد ضل من تهوى هواه خريذة وقد ذل من تقضي عليه كعاب  
ولكنني - والحمد لله - حازم أعز إذا ذلت لهسن رقاب  
ولا تملك الحسناء قلبي كله وان ملكتها روقة وشباب  
وأجري ولا أعطي الهوى فضل مقودي

وأهفو ولا يخفى عليّ صواب  
وليس الشراب ولا السماع مما يعاب به أمير مترف أبرز صفاته  
الشعر والفروسية ، ولكنني أحب أن أحاسب أبا فراس على ثلاث هفوات  
عاتبه على بعضها أصدقاؤه وأعداؤه في أيام حياته • هذه الهفوات  
الثلاث هي أولاً اقدمه على قتال الف من الروم بسبعين رجلاً ليسوا  
على استعداد للدفاع عنه • ثانياً ، مناداته باسمه أو كنيته ساعة اشتباكه

بالروم في هذه المناسبة ، لأن كشف النقاب عن شخصيته يغري خصومه بالاستماتة في سبيل قتله أو أخذه أسيراً وقد حدث الشق الثاني فعلاً .  
ثالثاً ، الحاحه بطلب الفداء على سيف الدولة الحاحاً لا يقدم عليه رجل له مثل بطولة أبي فراس ورجوليته فليس من شك في أن صدور هذه الهفوات الثلاث عن أبي فراس يعني أن نصيبه من الأناة والروية وضبط النفس والصبر على المكروه لم يكن بالدرجة التي يصورها لنا في شعره .

### ح - علويته :

وأبو فراس علوي الرأي يؤمن بحق آل علي في الخلافة ويتوجع لما أصابهم ، ويرثي لما حل بهم ويندد بآل العباس ويذكر عيوبهم ويعدد مساوئهم ويقارن بينهم وبين أقطاب البيت العلوي فيقرر ان الفرق عظيم بين هؤلاء وأولئك :

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا

مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم

ومن رأيه أن قرابة العباسيين من النبي ( ص ) لا تنفعهم شيئاً

لأن أعمالهم لا تقربهم منه بل إنها تبعدهم عنه مراحل كثيرة .

هيهات لا قربت قربي ولا رحم يوماً إذا أقصت الأخلاق والشيم

كانت مودة سلمان له (٧) رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم (٨)

(٧) الضمير في له عائد الى النبي ( ع س ) الوارد ذكره في بيت

سابق .

(٨) هذان البيتان والبيت السابق ( ليس الرشيد ) الخ من قصيدة

عصماء لأبي فراس يرد بها على محمد بن سكرة الشاعر العباسي المعروف لأنه هاجم آل علي مهاجمة عنيفة بقصيدة يقول في أولها :

بني علي دعوا مقاتلكم لا ينقص الدر وضع من وضعه

## د - شعره :

لأبي فراس شعر كثير طرق فيه كل باب من أبواب القريض وعالج كل غرض من اغراضه ، مقلاً في بعضها • مكثراً في البعض الآخر (٩) • وقد طبعت مجموعة من شعره باسم « ديوان أبي فراس » ثلاث مرات مرات في بيروت اسوأ طبع واردة ، وابعده عن التحقيق والتمحيص • وجمع السيد محسن الامين العاملي طائفة حسنة منه • ضمت قصائد ومقطوعات كثيرة لا وجود لها في الديوان المطبوع في كتابه المسمى « ابو فراس الحمداني » المنشور بدمشق عام ١٩٤١ • وعني به أخيراً الدكتور سامي الدهان • أحد ادباء سورية عناية صادقة • فطبعه • طبعة علمية متقنة • راجع في سبيل انجازها كثيراً من نسخ الديوان المخطوطة والمحفوظة في خزائن كتب الشرق والغرب • فظهر في ثلاثة اجزاء • احتوى الجزء الاول منها على ترجمة الديوان الى الفرنسية (١٠) واشتمل الجزءان الثاني والثالث على متن الديوان • مشفوعاً بشروح وتعليقات وفهارس كثيرة نافعة • ولو ان الدهان استطاع ان يصدر الديوان بمقدمة أقرب الى التحقيق من المقدمة الحاضرة • لكان عمله فريداً في بابه • ومهما يكن من شيء • فان عمل الاديب الدهان هذا • جدير بالثناء والتقدير •

(٩) أحب ان أتقدم الى القاريء بأنني لم ادرس شعر أبي فراس كله وانما اقتصرته منه على ما بدا لي انه جدير بالدرس وهو معظمه •  
(١٠) ترجم الناشر ديوان أبي فراس الى الفرنسية لان أخرجه اياه بهذه الطريقة المتقنة هو عمله العلمي الذي نال به الجائزة الدكتوراه من السوربون •



غزله : رأيت في ما تقدم أن أبا فراس يقول :  
ولا تملك الحسناء قلبي كله وان ملكتها روقة وشباب  
ومعنى هذا أن الحسناء • سلك بعض قلب الشاعر • وانه قد  
عرف الحب واكتوى بناره • وعانى همومه وآلامه • وليس هذا أمراً  
مستبعداً بالنسبة الى أمير خفيف الطبع • رقيق الشعور • دقيق  
الاحساس • يعرف الجمال ويتذوقه • ويتحدث عنه • وفي شعره ما يدل  
على بعض صلاته الغرامية • فهو يقول :

اساء فزادته الاساءة حظوة حبيب على ما كان منه حبيب  
يعد علي الواشيان ذنوبه ومن اين للوجه الجميل ذنوب  
فواضح ان هذين البيتين • يمثلان أميراً محباً اساء اليه حبيبه  
فغفر له وصفح عنه • بل ان اساءة هذا الحبيب زادته حظوة عنده •  
ولكنك اذا نظرت في عامة غزل أبي فراس • رأيت انه غزل جاف  
تقليدي • لا تترقق في حواشيه دمعاً • ولا تجيش في ثناياه حسرة •  
ولك ان تقرأه لتبين ما في هذا الزعم من الصحة •  
ستقول وما رأيك في غزل رأيته الشهيرة التي مطلعها : ( أراك  
عصي الدمع شيمتك الصبر ) والتي يقول فيها •

تسألني من أنت وهي عليمه وهل بفتىً مثلى على حاله نكر  
فقلت كماشاءت وشاء لها الهوى قتيلك قالت أيهم فهم كثر  
فقلت لها • لو شئت لم تتعنتي ولم تسألني عني وعندك بي خبر  
فقلت • لقد ازرى بك الدهر بعدنا فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهر  
وما كان للاحزان لولاك مسلك الى القلب لكن الهوى للبلبي جسر  
فأيقنت ان لا عز بعدي لعاشق وان يدي مما عقلت به صفر

وقلبت أمري لا أرى لي راحة  
فعدت الى حكم الزمان وحكمها  
فلا تنكريني يا ابنة العم إنه  
ولا تنكريني انني غير منكر  
إذا الهم أسلاني الح بي الضر  
لها الذنب لا تجزى به ولي العذر  
ليعرف من أفكرته البدو والحضر  
إذا زلت الأقدام واستنزل النصر  
وأجيب بأبي أزعهم أن غزل هذه القصيدة رمزي يدور حول سيف  
الدولة وموقفه من أبي فراس في الأسر وأن الوعد (١٣) الذي قال أبو  
فراس « إن الموت دونه » هو وعد سيف الدولة بفداء ابن عمه وأن  
قول أبي فراس ( تسائلني من أنت وهي عليمة ) إشارة بارعة الى قول  
سيف الدولة « ومن يعرفك بخراسان » .

قد تقول ولكن أبا فراس صريح في مؤاخذه سيف الدولة يعاتبه  
ويحاسبه في أمر فدائه غير هيب ولا وجل وهو والحالة هذه في غنى  
عن اصطناع الرموز والألغاز ، وأجيب بأن هذا صحيح ، ولكن الشاعر  
المتنظن الملهم يلذ له أن يعبر عن مقاصده وأغراضه بصور وأشكال  
مختلفة . ومهما يكن من شيء فإنه اذا صح ما أذهب اليه من أن غزل  
هذه الرائية رمزي لم يبق من غزل أبي فراس ما يلفت انتباه الباحث  
على أنه غزل حقيقي .

مديحه : أصدق من غزل أبي فراس مديحه . وما أشك في أنك  
ستقول : أيكون لأبي فراس ، وهو الأمير الفارس الجواد مديح  
يقوله في أحد من الناس ؟

ولكن لا داعي للاستغراب ، فأبو فراس انما يمدح سيف الدولة،

(١٣) يضع بعض الروايات كلمة ( وصل ) موضع كلمة ( وعد ) في  
قول أبي فراس ( معللتي بالوعد والموت دونه ) واكبر ظني ان أبا فراس  
استعمل في بيته كلمة ( وعد ) لا ( وصل ) .

وهو إذا مدح سيف الدولة فكأنه يمدح نفسه • ولقد أصاب عندما قال مخاطباً إياه بهذا الصدد :

ولولم يكن فخري وفخرك واحداً      لما سار عني بالمدائح سائر  
إذن لأبي فراس مديح ، وهذا المديح عبارة عن ملحمة يصور فيها  
الشاعر رجولية ابن عمه النادرة وبطولته الفذة ، وكرمه الفياض ،  
ويصف أعماله وحروبه في الداخل والخارج • فهذه قصيدة تخبرنا أن  
سيف الدولة فتح دمشق وأصلح شؤونها ونظم أمورها وأعاد فيها  
الأمن والعدل الى نصابهما • وهذه أخرى تنبئنا أنه هزم الدمستق قائد  
الروم الأعلى هزيمة منكرة بعدما جرحه وأسر ابنه قسطنطين وعددداً  
كبيراً من بطارفته • وهذه الثالثة تذكر لنا أن كلاباً شقت عصا الطاعة  
فعاقبتها سيف الدولة عقوبة صارمة قضت على حركتها قضاءً مبرماً  
وشتت شمل رجالها ووقع نساؤها في قبضته فأمنهن وأكرمهن وعاملهن  
بأحسن ما يعامل به الكريم الظافر حرائر بني عمه •

وأحب أن أقف عند هذه القصيدة لأنها فريدة في بابها • فأبو  
فراس يخبرنا فيها أن نساء بني كلاب أتتجن من بينهن سيدة أو فتاة  
لا أدري ، ربما كانت اصبحهن وجهاً وأفصحهن لساناً ، وقلدتها مهمة  
طلب العفو من سيف الدولة وخرجت هذه حتى أتت الأمير الحمداني  
وأدت رسالتها فأجابها الى ملتسها وأمر ببذل الأمان ورد ما نهب  
من الأموال • فلما عادت هكذا ناجحة رابحة استقبلها جيش عرمرم من  
السيدات والفتيات ، يفدينها ويطيننها ويشين عليها ويهتفن بحياة  
سيف الدولة وحياة العرب • ويظهر ان هؤلاء الكلابيات قد اعجبين  
كثيراً ابا فراس • فهو يقول لسيف الدولة • ان هؤلاء الجميلات •

قد سلبن قلوبنا واسرن نفوسنا • وعلى هذا ينبغي ان يرددن الينا  
قلوبنا ونفوسنا لنرد اليهن ما أخذنا من متاعهن • وقد شوهدت هذه  
القصيدة بنقل معانيها على هذه الصورة • فأرويها لك كقارة عن هذا  
العمل •

وما أنس لا أنس يوم المغار  
دعاك ذووها بسوء الفعال  
فوافتك تعثر في مرطها  
وقد خلط الخوف، لما طلعت  
تسارع في الخطو لا خفة  
فلما بدت لك دون البيوت  
وما زلت مذ كنت تأتي الجميل  
وتغضب حتى اذا ما ملكت  
فكنت حماهن اذ لا حمى  
فولتين عنك يفدينها  
يتادين بين خلال البيوت  
امرت وأفت المطاع الكريم  
وقد رحن من مهجات القلوب  
فان هن يا ابن الكرام السراة  
وقد أشار أبو فراس الى هذه الحادثة اشارة موجزة في قصيدة

أخرى • وصف بها حروب سيف الدولة واعماله في الداخل والخارج •  
أروي لك منها هذه الايات :

قد ضج جيشك من طول القتال به وقد شكتك الينا الخيل والابل

وقد درى الروم مذ جاورت ارضهم ان ليس يعصمهم سهل ولا جبل  
فالنفس جاهدة والعين ساهرة والجيش منهمك والمال مبتذل  
توهمتك كلاب غير قاصدها وقد تكنفك الاعداء والشغل  
حتى اتقتك بفرسان اسنتها سود البراقع والاسنار والكلل  
اذا لم يخطيء ظني فان مديح ابي فراس لابن عمه سيف الدولة .  
صورة صحيحة كاملة الدور من امجد ادوار التاريخ العربي . واعظمتها  
قدرا . وأجلها شأننا .

فخره : وكما كان مديح أبي فراس سجلاً حافلاً بماثر البطولة  
الرائعة وآثارها الخالدة ، كان فخره كذلك . فانه انما يتحدث فيه  
عن جلائل أعماله وأحسن أفعاله ، وعن ماثر بني عمه الحمدانيين  
ومفاخرهم حديثاً يصور الواقع وينطوي على الحقيقة في كثير من  
الأحيان . فمن أمثلة ذلك ان كلاباً ثارت على سيف الدولة غير ثورتها  
التي تقدمت لها الاشارة ، وضربها الأمير الحمداني ضربة قاضية .  
وولى العصاة الأذبار . فمروا في طريقهم ببالس ، إحدى مدن سورية  
وهناك وجدوا أبا فراس في قلة من أصحابه ، فباغتوه بالقتال وعليهم  
« كثير بن عوسجة » وصمد لهم أبو فراس فقاتلهم وهزمهم ، فلما رأوا  
ما آل اليه أمرهم من الاندحار والانكسار قدموا خضوعهم الى أبي  
فراس ورجوه أن يلتبس لهم صفح ابن عمه ومغفرته ، فقبل رجاءهم  
وحمل سيف الدولة على الصفح عنهم والرافة بهم ، وفي ذلك يقول :

سلى عنا سراة بني كلاب ببالس عند مشتجر العوالي  
لقيناهم بأسيف قصار كفين مؤونة الأسل الطوال  
فولى بابن عوسجة كثير وساع الخطو في ضنك المجال

يرى (البرغوث)<sup>(١٤)</sup> إذ نجاه منا  
تدور به إماء بني قريظ  
يقلن له السلامة خير غنم  
وعادوا سامعين لنا فعدنا  
ونحن متى رضينا بعد سخط  
أسونا ما جرحنا بالنوال

ومن هذا القبيل ما حدث لأبي فراس مع بني جعفر فقد انتقض  
هؤلاء على سيف الدولة فوجه اليهم حملة قوية بقيادة أبي فراس  
وصبّحهم هذا فقتل عدداً من رجالهم واستاق ماشيتهم . فلما رأت  
نساؤهم عجز رجالهم عن المقاومة خرجن الى أبي فراس يلتسن عفوه  
وصفحه فأمر بالكف عن القتال ثم برد ما نهب من الأموال ثم بتعويض  
بني جعفر من ماله الخاص عن ماله يمكن رده إليهم من أموالهم وفي  
هذا يقول :

ولما أطعت الغيظ والجهل ساعة  
بنيات عمي هن ليس يريني  
شفيح النزاريات غير مخيب  
رددت برغم الجيش ما حاز كله  
فأصبحت في الأعداء أي ممدح  
وإن كنت في الأصحاب أي معذّل

دعوت بحلمي أيها الحلم أقبل  
بعيد التجاني أو قليل التفضل  
وداعي النزاريات غير مخذل  
وكلفت مالي غرم كل مضلل

على أن أبا فراس لا يحدثنا في فخره عن كرمه وشجاعته وشدة  
بأسه فحسب وانما يحدثنا عن ورعه وصلاحه وحسن سيرته ، فيقول  
لنا إنه من العفة بحيث لا يظلم أحداً كما أنه من المنعة بحيث لا يظلمه  
أحد . وانه ينصف خصومه من نفسه كما ينتصف لنفسه منهم :

(١٤) يظهر ان البرغوث أسم حصان الثائر المهزوم .

لست بالمستضيئ من هو دوني      اعتداءً ولست بالمستضام  
أبذل الحق للخصوم إذا ما      عجزت عنه قدرة الحكام  
رب أمر عفت عنه اختياراً      حذراً من أصابع الأيتام

إخوانياته : وتسالني عن اخواني أبي فراس فأقول لك انها  
مظهر آخر رائع من مظاهر كرمه وشممه وفتوته ومروءته ، فانه يخبرنا  
فيها أنه يخدم صديقه اذا حضر ويرعاه اذا غاب ويشكره اذا أحسن  
ويغفر له اذا أساء • بل انه يذهب الى أبعد من هذا ، فيتمنى أن يسيء  
صديقه اليه ويتجنى عليه ليقابله بالاحسان والغفران • ولنفرض أن أبا  
فراس يبالي في هذا ، فانه يمثل على كل حال مبلغ رغبته في محاسنة  
اخوانه ومطابقتهم ، وفي ذلك ما فيه من الكرم والنبيل • اسمع قوله في  
مسامحة صديق :

لم أوأخذك بالجفاء لاني      واثق منك بالوداد الصريح  
فجميل العدو غير جميل      وقبيح الصديق غير قبيح

وقوله في تحديد موقفه ازاء اخوانه :

ما كنت مذ كنت الا طوع خلاني      ليست مؤاخذة الاخوان من شاني  
يجني الخليل فاستحلي جنائته      حتى أدل على عسوي واحساني  
اذا خليلي لم تكثر اساءته      فاين موقع احساني وغفراني  
يجني علي واحنو دائماً أبداً      لا شيء احسن من حان على جان

روميته : وماذا يقال عن روميته أبي فراس ؟

الواقع انها لباب شعره • وصفوة اتناجه • وقد تحدث فيها عن  
نكبته في مختلف مراحلها • فوصفه ، في قصيدة لقاءه الروم ووقوعه  
أسيراً في أيديهم • وحث سيف الدولة على الاسراع في مفاداته « قبل

أن تفوته هذه الاكرومة « (١٣) وصور في أخرى سوء حاله في الاسر •  
 واستشراء جروحه • وتنكر اخوانه له • وجزع والدته لما اصابه •  
 وتفجعها لفراقه (١٤) • وأشار في نالته الى زيارة والدته سيف الدولة •  
 والتماسها منه التعجيل بفدائه •  
 وخيبتها في ذلك • واستطرد الى ما يلتقى هو واخوانه من اسرى المسلمين  
 في سجون الروم من عنت وارهاق (١٥) • وعتب في رابعة على سيف  
 الدولة لتعقيبه على رسالته التي استأذنه فيها بمكاتبة ملوك خراسان  
 في أمر مفاداته بكتابته اليه « ومن يعرفك في خراسان » (١٦) • وتغزى  
 في خامسة غزلاً يغلب على ظننا انه يرمز به الى علاقته بابن عمه سيف  
 الدولة • وموقف هذا منه في أيام محنته • وأشار الى حادثة اسره •  
 ونوه بما آثره ومفاخره ومحاسنه ومحامده (١٧) واستعرض في سادسة  
 حياته واخلاقه وسعي بعض بني عمه فيه عند عميدهم سيف الدولة •  
 وتغافل عنهم • وتحدث عن اسره وما نشأ عنه من ضرر بالمصلحة العامة •  
 وعاتب سيف الدولة عتاباً يجمع بين اللين والشدة (١٨) وهكذا •

- (١٣) مطلع القصيدة :  
 دعوتك للجفن القريح المسهد  
 لدي وللنوم القليل المشرد
- (١٤) مطلع القصيدة :  
 مصابي جليل والعزاء جميل  
 وطني أن الله سوف يديل
- (١٥) مطلع القصيدة :  
 يا حسرة ما أكاد أحملها  
 آخرها مزعج وأولها
- (١٦) مطلع القصيدة :  
 أسيف الهدى وقربع العرب  
 الى م الجفاء وفيهم الغضب
- (١٧) مطلع القصيدة :  
 أراك عصي الدمع شيمتك الصبر  
 اما للهوى نهى عليك ولا أمر
- (١٨) مطلع القصيدة :  
 أما لجميل عندك ثواب  
 وما لمسيء عندك من متاب



وأحوال أبي فراس كما تصورها رومياته • مختلفة كل الاختلاف  
متناقضة أشد التناقض • فمن قوة إلى ضعف • وصبر إلى جزع • ورضى  
إلى سخط • ولكنها في الغالب أقرب إلى الضعف وما يمت إليه بصلة ،  
وقد يعجبك أن أروي لك مثلاً من هذه المجموعة الخالدة •  
اسمع قول أبي فراس وقد أحفظه الدمستق بقوله : إنما أنتم كتاب  
ولا علم لكم بالحرب :

أتزعم يا ضخم اللغاديد أننا  
فويلك ، من أردى أخاك بمرعش  
وويلك من للحرب إن لم تكن لها  
وكم جمعنا الحرب من قبل هذه  
بأقلامنا أجحرت (١٩) أم بسيوفنا  
رعى الله أوفانا ، إذا قال ذممة  
ونحن أسود الحرب ، لا نعرف الحربا؟  
وجلل ضرباً وجه والدك العضبا ؟  
ومن ذا الذي يضحى ويمسي لها تربا؟  
فكنا بها أسداً وكنت بها كلبنا  
وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا  
وأنفذنا طعناً وأثبتنا ضربا

وقوله من قصيدة يعاتب بها سيف الدولة :

أمن بعد بذل النفس فيما تريده  
فليتك تحلو والحياة مريرة  
وليت الذي بيني وبينك عامر  
إذا صح منك الود فالكل هين  
أثاب بمر العتب حين أثاب ؟  
وليتك ترضى والأنام غضاب  
وبيني وبين العالمين خراب  
وكل الذي فوق التراب نراب

وقوله وقد حسنت حاله في الأسر بعد نقله إلى القسطنطينية  
ونجحت وساطته بين ابن عمه وبين الروم في أمر مفاداة الأسرى وعقد

(١٩) أجحرت : لجئت إلى الجحر وهو الغار .

هدنة بين حلب والقسطنطينية :

ولله عندي في الأسار وغيره مواهب لم يخص بها أحد قبلي  
حللت عقوداً أعجز الناس حلها وما زال عقدي لا يذم ولا حلي  
إذا عاينتني الروم كُفّر (٢٠) صيدها (٢١) .

كأنهم أسرى لديّ وفي قبلي  
وأوسع أيّاً ما حللت كرامة كأنني من أهلي نقلت إلى أهلي  
فأبلغ بني عمي وقل لبني أبي بأنني في نعماء يشكرها مثلي (٢٢)  
وما شاء ربي غير نشر محاسني وأن يعرفوا ما قد عرفتم من الفضل  
لغته وأسلوبه : على أنك إذا تأملت شعر أبي فراس وجدت انه  
لا يخلو من هفوات قليلة منها قواه : وأنت الذي أهديتني كل مقصد «  
يريد عرففتني . فاستعماله أهدي بمعنى هدى خطأ كان في إمكانه  
تحاشيه ، ومن يدري لعله لم يقع فيه وإنما وقع فيه الرواة . ومنها  
قوله : « ومن خطب الحسنة لم يغله المهر » فان قوله : « لم يغله  
المهر » لا يعبر عن قصده ، هو يريد أن يقول : إن من خطب الحسنة  
أدى مهرها وان كان غالياً ولكن الجملة المذكورة لا تؤدي هذا ، ولو  
أنه قال ومن خطب الحسنة لم يشته المهر لكان كلامه صحيحاً وواضحاً .  
ومنها قوله :

هل تعطفان على العليل لا بالأسير ولا القليل  
فانه ينفي في هذا البيت أن يكون أسيراً كما ينفي أن يكون

(٢٠) كفر : أحنى رأسه تعظيماً .

(٢١) الصيد : جمع أصيد : وهو الرافع رأسه كبراً .

(٢٢) في رواية هذا البيت خلاف بين العاملي والديوان طبعة الدهان

وقد آثرت رواية العاملي .

قتيلاً ، مع أنه كان أسيراً دون أدنى ريب ولا أدل على ذلك من أنه  
بعث بالقصيدة التي استهلها بهذا البيت الى سيف الدولة من خرشنة  
وتنص الروايات جميعاً على أنه نظم هذه القصيدة وقد ساءت حاله في  
الأسر • ومنها قوله :

كلما أبلت الديار الليالي      كان ذاك البلى عليّ بلاء  
فليس من شك في أن هذا البيت نظم للجمع بين كلمتي بلى وبلاء  
في مجانسة غثة • ولكن هذه الهفوات ليست من الكثرة بحيث تغض  
من شعر أبي فراس وتحط من شأنه • وخصائص الشاعر الغالبة عليه  
هي فصاحة اللفظ ومتانة السبك وجمال التعبير • وقد مرّ بك من  
شعره ما يمثل هذه الخصائص تمثيلاً تاماً • ومما تجب الإشارة إليه في  
هذا المقام أمثال أبي فراس التي يرصّع بها كلامه من حين لآخر ومنها  
قوله :

ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل      يجور على حوبائها حكم جاهل  
وقوله :

وما أخوك الذي تدنو مناسبه      لكن أخوك الذي تصفو ضمائره  
وقوله :

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها      إذا لم يكن للمبصرين بصائر  
وهل ينفع الخطي غير مثقف      وتظهر إلا بالصقال الجواهر

ومن أمثاله الشهيرة قوله :

إذا مت عطشاناً فلا نزل القطر

وقوله :

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقوله :

وللناس فيما يعشقون مذهب

وقوله :

إن الغني هو الغني بنفسه      ولو انه عار المناكب حاف  
ماكل ما فوق البسيطة كافياً      فاذا فنت فكل شيء كاف  
ولم يكن أبو نراس من شعراء التشايبه ومع ذلك فان له تشايبه  
قليلة ولكنها رائعة منها قوله :

أنظر الى زهر الريح      والماء في برك ( البديع ) ( ٢٣ )  
واذا الرياح جرت عليـه      في الذهب وفي الرجوع  
ثرت على بيض الصفا      نح بينا حلق الدروع

وقوله :

والماء يفصل بين زهر      سر الروض في الشطين فصلا  
كبساط وشي جردت      أيدي القيون ( ٢٤ ) عليه نصلا

وقوله :

والبدر منتصف الضياء كأنه      متبسّم بالكف يترفاه

( ٢٣ ) البديع : اسم بستان .

( ٢٤ ) القيون : جمع قين وهو الصيقل .

## هـ - خاتمة :

أبو فراس شاعر فارس يؤيد أقواله بأعماله وتبرر بسالته حماسته، وهو يعيد برجوليته الصادقة وشعره المتين الجزل الى الذاكرة ما يتحدث به الناس عن مهلهل بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وعنترة العبيسي من شجاعة خارقة ، وشهامة نادرة ، وشاعرية فذة . الا أنه يفضل أولئك الشعراء الفرسان بدقة تفكيره ولطافة تعبيره وتطرقه الى كثير من الاغراض التي لم تخطر لهم على بال .

## الفصل الثالث

### الشريف الرضي

أ - حياته : اسمه ونسبه وكنيته ولقبه • مولده • نشأته وتعليمه •  
بعض أساتذته • نبوغه المبكر في قرض الشعر • مثل من  
أوائل شعره • حفظه القرآن • توليه نقابة الطالبين للمرة  
الأولى • تطلعه الى منصب الخلافة • تنبؤ أبي اسحق  
الصابي له بصيرورته خليفة • تعقيبته على هذه النبوة •  
مناوشات صريحة بينه وبين القادر بالله • استقالته من  
نقابة الطالبين • قبولها • جمع عدة مناصب خطيرة له  
بينها النقابة • برمه بها جميعاً • كلفه بالحياة العقلية •  
وفاته • من رثاه من الشعراء • قبره •

ب - أخلاقه :

ج - آثاره : ما نشر منها وما لم ينشر • شعره • غزله • سرّ تفوقه  
فيه • العناصر التي تغذيه • المثلث الفذ • رثاؤه • جودته •  
كثرتة • بماذا يمتاز • مثل منه • فخره •  
موضوعاته • ما فيه من تحفظ • مديحه • أغراضه • مثل  
منه • لغته واسلوبه • تأثيرهما بدراساته وتأليفه •  
مشخصاتهما • ملاءمة لغته لموضوعاته • اعتداله في استعمال  
المحسنات البيانية • اقتصاره في كثير من شعره على

موضوع واحد •

د - خاتمة : منزلته بين شعراء اللغة العربية •

أ - حياته :

والآن لتتحدث عن شاعر نبيل آخر لا يشك أحد في أنه أشرف  
نسباً وأوفر أدباً وأجود شعراً وأعرق أثراً في الأدب العربي من أبي  
فراس •

هذا الشاعر النبيل هو الشريف أبو الحسن الرضي<sup>(١)</sup> محمد بن  
الحسين الملقب ( بالظاهر ذي المناقب ) الذي تولى تقابة الطالبين وامارة  
الحاج وزعامة ديوان المظالم مراراً عديدة<sup>(٢)</sup> وأمه فاطمة بنت الحسين  
ابن الحسن الملقب ( الناصر الأصم ) أو ( الأطروش ) وهو ملك بلاد

(١) لقبه القادر بالله «الرضي ذا الحسين» سنة ٣٩٤ هـ كما لقب أخاه  
في نفس السنة « المرتضى ذا المجدين » .

(٢) للشريف الرضي في أبيه شعر كثير من احسنه عندي هذه  
الابيات التي يرسم فيها صورة صادقة لكفايته النادرة وشخصيته الممتازة  
وأثره الحسن في سياسة الدولة قال :

وهذا ابي الادنى الذي يعرفونه  
مؤلف ما بين الملوك اذا هفوا  
اذا قال ردوا غارب الحلم راجعوا  
وبالامس لما صال قادر ملكهم  
تلافاه حتى سامح الضغن قلبه  
وكان ولي العقد والعهد بينه  
ولما التقى نجوى عقيل لبوة  
لوى عطفه لي القني رقابهم  
وسل مضراً لما سما لديارها  
تولجها كالسيل صلحاً وعنوة  
الخ الخ . . . .

مقدم مجد اول ومخلف  
وأشفوا على حز الرقاب وأشرفوا  
وان قال مهلا بعض ذا الجد وقفوا  
واعرض منه الجانب المتخوف  
وأسمح لما قيل لا يتسألف  
وبين بهاء الملك يسعى ويلطف  
ومد لهم جبل من الغدر محصف  
ولو لسواه استعطفوا ما تعطفوا  
فهب ونام العاجز المتضعف  
فأبقى ورد البيض ظمأى تلهف

الديلم والجبل المتوفى عام ٣٠٤ للهجرة • ونسب كل من أبويه ينتهي  
الى الحسين بن علي عليهما السلام •

ولد ببغداد عام ٣٥٩ للهجرة ونشأ في كنف والده الجليل أفضل  
نشأة وأحسنها وتلقى علوم اللغة والدين على جماعة من خيرة علماء  
العصر منهم ابن السيرافي النحوي المشهور ، وأبو الفتح عثمان بن  
جني الذي صار فيما بعد من المعجبين بفضله وأدبه<sup>(٣)</sup> ومحمد بن النعمان  
كبير علماء الامامية في القرن الرابع للهجرة وصاحب الارشاد والملقب  
« بالمفيد »<sup>(٤)</sup> •

ولسنا نعلم بالضبط متى قال الشعر ولكن من الراجح جدا أنه  
نظمه وأجاد في نظمه قبل بلوغه العاشرة ، تدلنا على ذلك قصيدة له  
(٢) برهن ابن جني على هذا الاعجاب بشرحه رائية الشريف التي  
مطلعها :

القي السلاح ربيعة بن نزار أودى الردى بقريعك المغوار  
والتي يرثي فيها ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني وقد عرف له  
الشريف هذا الفضل فمدحه بقصيدة بليغة مطلعها :  
أراقب من طيف الحبيب وصالا ويأبى خيال أن يزور خيالا  
ورثاه عند موته بقصيدة رقيقة مطلعها :

ألا يا لقومي للخطوب الطوارق وللعظم يرمى كل يوم بعارق  
(٤) من طريف ما يحكى بصدد أخذ الرضي العلم عن المفيد ان الاخير  
رأى في منامه كأن فاطمة الزهراء عليها السلام دخلت عليه وهو في مسجده  
فقدمت اليه الحسنين وطلبت اليه ان يعلمهما ويفقههما ، فأستيقظ وقد  
ملاه العجب من هذه الرؤيا الغريبة . فلما أصبح وجلس للتدريس في  
مسجده دخلت عليه فاطمة أم الرضي والمرضى في جماعة من جواربها وقدمت  
اليه ولديها طالبة اليه ان يعلمهما ويفقههما . فبكى بكاء شديداً وقص عليها  
رؤياه ووعداها ان لا يدخر وسعا في سبيل تثقيف ولديها ( شرح ابن أبي  
الحديد الجزء الاول الصفحة ١٣ - ١٤ طبع دار الكتب العربية  
الكبرى بمصر ) •



رائعة تفجع فيها لاقضاء والده عن أعماله واعتقاله في فارس سنة ٣٦٩ هـ  
ينص الديوان على أنه قالها «وسنه فوق العشر بقليل» وأنا أروي لك مثلاً  
من هذه القصيدة لتبين مبلغ نبوغ ذلك الصبي الممتاز قال :  
نصافي المعالي والزمان معاند ونهض بالآمال والجد قاعد  
منها :

أيا غدوة ساء الحسين صباحها وسر العدى فيها الزمان المعاند  
لحققت عندي أن كل صبيحة مجاجة سم والليالي أساود  
يعرفك الاخوان كل بنفسه وخير أخ من عرفتك الشدائد  
وطاغ يعير البغي غرب لسانه وليس له عن جانب الدين ذائد  
شنت عليه الحق حتى رددته صموتا وفي أنيابه القول راقد  
يدل بغير الله عضداً وناصرنا وناصرك الرحمن والمجد عاضد  
يعير رب الخير بالي عظامه ألا نزهت تلك العظام البوائد (٥)  
ومنها :

تفرد بالعلياء عن أهل بيته وكل يهاديه الى المجد والد  
وتختلف الاشجار (٦) في ثمراتها  
إذا شرقت بالري والماء واحد

(٥) تشير الابيات الاربعة المنتهية بهذا البيت الى قول المطهر وزير  
عضد الدولة لوالد الشريف عند القاء القبض عليه « كم تدل علينا بالعظام  
النخرة » .

(٦) في . الديوان طبعة بيروت ( الآمال ) والصواب ما اثبتناه . على  
أني احب أن اسجل ان في هذه الطبعة كثيراً جداً من أمثال هذا الخطأ  
وسأصحح كل ما يتيسر تصحيحه منها اعتماداً على مصادر مخطوطة  
على أن أذكر الخطأ الوارد في الديوان وان أشير الى هذه الطبعة ب رمز  
( ط . ب ) .

\*\*\*

قد تقول ولكن الا يمكن أن يكون الشريف قد هذب هذه القصيدة  
عندما شب أو أكتهل وأدخل فيها هذه الخواطر الرائعة والحكم الباهرة؟  
وأجيب بأني لا أميل لمثل هذا الفرض لانه لو فعل ذلك لنقاها من  
هذا البيت :

ضجرت من العلياء فاخترت عزلها كأنك قد أفنت نذاك المحامد  
ومن هذا البيت الذي يفيض تحذلقا :

منيت بشوق ينجر الدمع سيفه اذا حادثته بالصقال المعاهد  
ولو فعل ذلك لأشار اليه كما أشار الى تهذيبه قصائد عديدة قالها  
في أيام حداثته منها قصيدة مطلعها :

المجد يعلم أن المجد من أربي ولو تماذيت في غي وفي لعب

\*\*\*

ولكن ذلك فضل الله يؤتية من يشاء \* على أن المترجم حفظ  
القرآن بعد أن جاوز الثلاثين \*

وكما نبغ صاحبنا في قرض الشعر قبل بلوغه العاشرة نبغ كذلك  
في بلوغ المناصب السامية والمراكز الرسمية الممتازة في وقت مبكر جدا،  
فقد ولي نقابة الطالبين في حياة والده الطاهر وأخيه المرتضى ولما يتجاوز  
الحادية والعشرين ينص على ذلك الثعالبي في اليتيمة (٧) والديوان في  
مقدمة قصيدة مطلعها :

الآن أعربت الظنون وعلا على الشك اليقين  
نصا لا غموض فيه ولا ابهام ويظهر أن هذا النجاح الرائع المبكر  
حدى بصاحبنا الى أن، يمعن في الجري وراء أمانيه العالية وآماله الواسعة

(٧) يتيمة الدهر للثعالبي ج ٢ ص ٢٩٨ طبعة دمشق .

البعيدة المدى ، فأخذ يفكر في الاستيلاء على الخلافة :  
لو كنت أقنع بالنقابة وحدها لغضضت حين بلغتها آمالي  
لكن لي نفسا تتوق الى التي ما بعد أعلاها مقام عالي  
ورأى أبو اسحق الصابي - الكاتب والشاعر المعروف والذي كان  
صديقا حميما له - علو همته وسمو مواهبه وسعة مطامحه وسرعة  
تقدمه فتنبأه بالخلافة وسأله أن يذكر له هذه النبوءة و ( أن يحفظه في  
أولاده وأهله متى تحققت ) :

أبا حسن لي في الرجال فراسة      تعودت منها أن تقول فتصدقا  
وقد خبرتني عنك أنك ماجد      سترقى من العلياء أبعد مرتقى  
فوفيتك التعظيم قبل أوانه      وقلت أطال الله للسيد البقا  
وأضمرت منه لفظة لم أبح بها      الى أن أرى اطلاقها لي مطلقا  
فان عشت أو ان مت فاذاكر بشارتي  
وأوجب بها حقا عليك محققا  
وكن لي في الاولاد والاهل حافظا

إذا ما اطمأن الجنب في مضجع البقا (٨)

وقد أجاب الشريف أبا أسحق على هذه الايات بقصيدة مطولة  
أروي لك منها قوله :

سنتت لهذا الرمح غربا مذلقا      وأجريت في ذا الهندواني رونقا  
وسومت ذا الطرف الجواد وانما      شرعت له نهجا فخب واعنقا

(٨) هكذا في شرح ابن أبي الحديد . وفي الديوان ( ط . ب ) موضع  
( البقا ) ( لقا ) وقد انكر أبو اسحق أن يكون قد قال هذه الايات في الشريف  
عندما شاعت ، وادعى انه قالها في أبي الحسن علي بن عبد العزيز  
حاجب النعمان .

لئن برقت منى مخايل عارض بعينيك تقضي أن يجود ويفدقا  
فليس بساق قبل ربعك مربعا وليس براق قبل جوك مرتقى  
ومضى صاحبنا في غلوائه حتى خاطب ( القادر بالله ) بقوله في  
قصيدة ملحه بها سنة ٣٨٢ هـ :

عظفا أمير المؤمنين فانتا في دوحة العلياء لا تتفرق  
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدا كلانا في المفاخر معرق  
الا الخلافة ميزتك فاني أنا عاطل منها وأنت مطوق

♦ ♦ ♦

ويقال ان الخليفة العباسي عقب على هذه الايات بقوله ( على  
رغم أنف الشريف ) وليس هذا مستعبدا • على أن الشريف لم يلبث  
أن ضاق ذرعاً بمنصبه نظرا لما يلقي فيه من أوصاب ويعاني من صعاب  
ومشاكل • فان ديوانه يحدثنا بأنه قدم استقالته من نقابة الطالبين  
وكررها وأصر عليها سنة ٣٨٤ للهجرة وذلك في مقدمة قصيدة يقول  
فيها مخاطبا نفسه :

محمد طالما شمرت فيها فدونك فاسحب الذيل الرفلا  
ونم مستودعا صونا وأمنا فقد أسلفتها جزعا وثكلا  
فان أتبعته هذا الامر لهفا فانك أعزب الثقلين عقلا  
يراه المستغر علي طوقاً فيغبطني به وأراه غلا

♦ ♦ ♦

ولكن القائمين بالأمر كانوا أحرص على الانتفاع بكفايته من أن  
يتركوه يحيا حياة الهدوء والعزلة • فقد أعادوا اليه نقابة الطالبين وأضافوا  
اليها امارة الحاج وزعامة ديوان المظالم سنة ٣٨٨ للهجرة فيما يقول ابن

خلكان (٩) • وأقوال المؤرخين في تاريخ توليه هذه الأعمال ، مضطربة متناقضة • ولذلك رأيت أن أقتصر على رواية ابن خلكان الآنف ذكرها . على أنه مما لا شك فيه أن الشريف كان شديد الضيق بالتبعات الجسم الملقاة على عاتقه ييرم بها ويتذمر منها ، ولا أدل على ذلك من هذه الأبيات التي اقتطفها لك من قصيدة رجا فيها بهاء الدولة البويهى أن يريحه من تحمل أعباء هذه التبعات ، قال :

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| يا ملبسي النعمى التي أورقت | عودي مراراً وكست أعظمي       |
| ومطلعي في رأس عادية        | تخسى طرف الجذع الأزلم (١٠)   |
| نزع العلى عني كالباسها     | وانغمم بالبذلة كالمغرم       |
| أكرم عنها وبها مرة         | كلاهما عندي من الأنعم        |
| وكيف نوم المرء من تحته     | دون الكرى مضطرب الأرقم       |
| بين خصافي نعله شوكة        | إن شدد الوطاء عليها دمي      |
| فأملك بها رقي وحرر بها     | عنقي ورق الحر للمنعم         |
| وحزبها ما بقي العمر لي     | صفاء قلبي وصفايا فمسي        |
| غوئك منها يا غياث الورى    | قد ثقل العبء على المهرم (١١) |

الخ الخ . . .

• • •

بيد أنه مما يجب التنويه به أن هذه الحياة الحافلة التي يحيها الشريف لم تكن لتعوقه عن ممارسة أشغاله العقلية الجليلة ، فقد كان يدرس ويفكر ويؤلف ويقول الشعر كما لو كان متفرغاً لهذه الأمور

(٩) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢ طبعة المطبعة الميمنية بمصر .

(١٠) عادية بنائة عالية والجذع الأزلم الدهر .

(١١) المهرم أقصى الكبر .

تفرغاً تاماً • وسيمر بك عند الكلام على آثاره ما يؤيد هذا كل التأييد •  
وقد لا أغلو اذا لاحظت أن كثرة أشغاله العلمية والأدبية والسياسية  
والادارية هي التي عجلت بوفاته فقد توفي رحمه الله سنة ٤٠٦ للهجرة (١٣)  
ولما تتجاوز سنة السابعة والأربعين • وقد رثاه شعراء عصره وفي مقدمتهم  
تلميذه الوفي مهيار الذي رثاه بقصيدتين رناتين سأروي لك مثلاً  
منهما عند الكلام على رثائه في الفصل القادم • ويجمع مؤرخو الرضي  
على أنه دفن بداره في مسجد الأنباريين بالكرخ الا أن صاحب عمدة  
الطالب يقول انه نقل الى كربلاء حيث دفن بجوار قبر أبيه في حرم  
جده الحسين عليه السلام (١٣) وليس ثمة ما يؤيد هذا القول • وقد  
لا يخلو من فائدة أن أقول لك ان للشريف قبراً معروفاً في الكاظمية  
وليس هناك ما يدل على أنه حقيقة قبره •

#### ب - أخلاقه :

يؤكد مؤرخو الشريف بالاجماع أنه مثل فذ في أحاسن السجيا  
وأطيب الأخلاق ، فهو رمز الاباء والانتفة وعنوان المرواة والعفة ،  
ورجل الشجاعة والشهامة ، تلتقي في شخصه النبيل خفة روح الاديب  
بعفة الناسك المتقشف وأريحية الشاعر الهائم في أودية الخيال بالمعية  
الأداري الحازم القميز بمعالجة عظامم الأمور • ولولا اجتماع هذه  
المزايا النادرة المتضادة في شخصه لما آثره ولاة الامور بأرفع المناصب  
السياسية والادارية والدينية وأخوه الشريف المرتضى الذي يفضله علماء

(١٢) يتفق مؤرخو الشريف على أنه توفي سنة ٤٠٦ للهجرة باستثناء

ابن أبي الحديد فانه يذهب الى ان وفاته كانت سنة ٤٠٤ هـ .

(١٣) عمدة الطالب طبعة النجف ص ٢٠٠ .

ويكبره سناً على قيد الحياة ♦

ح - آثاره :

وكما كان الشريف رجل السياسة والفضيلة الذي يشار إليه بالبنان كان علماً من أعلام الحركة العقلية في القرن الرابع للهجرة ♦ فقد ألف في التفسير والحديث والتاريخ والنقد وغير ذلك كتباً كثيرة وصلنا بعضها ولما يزل بعضها الآخر في طيات الخفاء واليك ثبت كتبه كما يستخلص من كتابي عمدة الطالب والمجازات النبوية وهو :

- ١ - أخبار قضاة بغداد ♦
- ٢ - تلخيص البيان عن مجازات القرآن ♦
- ٣ - الحسن من شعر الحسين : وهو مجموع يحتوي على المختار من شعر الحسين بن الحجاج ♦
- ٤ - حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، وهو كتاب ضخيم نشر الجزء الخامس منه في النجف عام ١٩٣٦ ♦
- ٥ - خصائص الأئمة ♦
- ٦ - ديوانه وهو في جزئين ضخمين طبع مرتين كانت الأخيرة منهما في بيروت عام ١٩١٠ للهجرة ♦
- ٧ - رسائله وهي في ثلاثة أجزاء ♦
- ٨ - الزيادات في شعر أبي تمام ♦
- ٩ - سيرة والده ♦
- ١٠ - المجازات النبوية وهو كتاب جليل يحتوي على ٣٦٠ حديثاً نبوياً يشتمل كل منها على ( مجاز طريف أو كناية دقيقة ) وقد

طبع ببغداد سنة ١٣٢٨ للهجرة طبعة سقيمة وبمصر عام ١٣٥٦ هـ  
طبعة علمية متقنة أنجزها الاستاذ محمود مصطفى « مدرس  
الأدب بكلية اللغة العربية من الجامعة الأزهرية » (١٤) .

١١ - نهج البلاغة : وهو سفر معروف يحتوي على منتخبات .  
خطب الامام علي ( ع ) وكتبه وحكمه طبع في مصر وايران طبعات  
عديدة مشفوعاً بشرح ابن أبي الحديد مرة وشرح الشيخ محمد عبده  
تارة ومجرداً من كل شرح طوراً .

(٤) للاستاذ محمود مصطفى كلمة طريفة في اطراء فائدة هذا الكتاب  
وبيان أهميته أحب ان اقتطف لك منها ما يلي قال : « وقد كنا قبل  
ذيوغ هذا الكتاب لا يكاد الاديب - مهما بلغ من الاطلاع - يجمع من ذلك  
عشرة أو دونها . الست تراهم في مقام الاحتجاج لفضل رسول الله في  
البلاغة وتصريفه لأعنة الفصاحة لا يذكرون الا قوله عليه الصلاة والسلام  
« اياكم وخضراء الدمن » وقوله « هدنة من دخن » وقوله « الآن حمي  
الوطيس » وقوله « ان من البيان لسحرا » الى قليل مما اقتصرت عليه  
الكتب المتداولة بيننا .

فأما هذه الكثرة المستفيضة فاننا لم نعهد لها في غير هذا الكتاب ولا  
لغير هذا العالم الجليل الذي رأى من البر بجدته ان يذيع فضله على هذا  
النحو الذي تراه في كتابه .

ولم يكتف رحمه الله بايراد هذه الآثار سرداً لا تعقيب معه بل انه  
جلا محاسن هذه الآيات بشرحها وبيان مبلغ البلاغة فيها . ولقد جاء  
هذا الشرح فائدة للمطلع على الكتاب ، فهو لا يزال متنقلاً من تحقيق  
لغوي الى تطبيق على علم البلاغة الى سياق الشاهد من كلام العرب . اما  
ما يجنيه القاريء من الحدق والتوسع في الفهم والتقليب للأساليب على  
وجوهها المعتبرة في نظر البليغ فذلك اجلى ما يتجلى في هذا الشرح .  
واجدى ما يجديه المؤلف على الناظر في كتابه . فانه يخرج من طول  
الممارسة للفهوم المختلفة من الأسلوب الواحد والموازنة بينها . وتفضيل  
الفاضل منها والحكم على راجحها ومرجوحها يخرج من كل ذلك بملكة  
صناع هي عدة الاديب في ممارسة كلام العرب والتذوق لمحاسنه « ..  
المجازات النبوية ص ٥٥٤ طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .



وما أريد أن أتحدث اليك عن كتب الشريف التي هي الآن في  
متناول يدي ، فليس عندي ما أضيفه الي ما قيل فيها من قبل • ولكني  
أود أن أحدثك عن شعره وهو كثير ، متعدد الأبواب متنوع المقاصد  
والأغراض • أرجو ان أحدثك فيما يلي عن أهم اغراضه وانواعه •

غزله : قدمت أن الشريف الرضي كان تقياً للطلابين وأميراً  
للحاج وزعيماً لديوان المظالم ، وجمع هذه المناصب له يعني أنه رجل  
فقه وإفتاء ، ورجل جدٍ وعمل ، وبعبارة أخرى رجل دين من الطراز  
الاول • وغني عن البيان أن رجال الدين آخر من ينتظر منهم صوغ  
قصائد النسيب والتغني بصبابت الحب والهيام ، إلا أن الشريف الرضي  
مع ذلك شاعر عزل منقطع النظير أو قليله على أقل تقدير في تاريخ الأدب  
العربي فما أظن أن أديباً سليم الذوق مرهف الحس يجد فيما يصح من  
شعر كبار الشعراء العشاق كجميل بثينة وقيس بن ذريح وقيس بن  
الملوح أو في قصائد عمر بن أبي ربيعة أو في غراميات ابن زيدون نفسه  
غني عن نسيب الشريف الحافل بضروب العواطف والانفعالات وصنوف  
الأشواق والصبابات ومعلوم أن ينبوع الغزل الأصيل الذي يهز الحس  
ويحرك الشعور وينفذ الى قرارة النفس انما هو الحب والحب فقط !  
فهل ذاق الشريف لوعة الحب ?? •

انه لمن العبت ومن البله في وقت واحد أن نطلب الى التأريخ  
الأجابة على هذا السؤال • فما كانت تقاليد القرن الرابع للهجرة لتسمح  
أن يسجل التأريخ على رجل له حسب الشريف الرضي وعلمه ومكاته  
الدينية أنه عشق امرأة حسناء أحلها من نفسه أسمى محل وخضع لسلطان  
جمالها القاهر أتم خضوع ، ولكن ان جهل التأريخ هذا أو علمه ولم

يجرؤ على تدوينه فان الشريف قد دوّنه لنا في شعره غير هيب ولا  
 وجل • فقد قال لنا بصريح العبارة انه اصطلح نار الحب وأصلاها  
 نفس الانسان الذي قدح زندها بين جنبيه والا فما معنى قوله :  
 يشكو الحبيب اليّ شدة شوقه وأنا المشوق وما يبين جناني

### وقوله :

لك الله من مطلولة القنب بالهوى      قتيلة شوق والحبيب قريب  
 أقل سلامي إن رأيتك خيفةً      وأعرض كيما لا يقال مريب (١٥)  
 وأطرق والعينان يومض لحظها      إليك وما بين الضلوع وجيب  
 فواضح أن للشريف في البيت الأول ( حبيباً يشكو اليه شدة  
 الشوق ) وفي الأبيات الاخرى حبيبة ( قتلها الشوق اليه ) على قرب  
 دارها منه ، وهو يلقاها من حين لآخر ولكنه يحببها باختصار ويتظاهر  
 بالاعراض عنها تجنباً لاثارة الشبهات • « ويطرق » اذا لقيها « وعيناه  
 تومضان » نحوها • وهذه معان لا تجدها في نسيب أي شاعر آخر •  
 وهي ان دلت على شيء ، فانما تدل على حب حقيقي متقابل وغرام متبادل  
 بين الشريف وبين هذد الحسناء • وقد لا أكون بعيداً كل البعد عن  
 الحقيقة اذا لاحظت أن هذه الحبيبة الفاتنة التي تحدث عنها الشريف  
 فيما سلف هي التي يعنيه بقوله :

ومقبّل كفي وددت لو أنه      اومي الى شفتي بالتقبيل

(١٥) لم تعد هذه الحبيبة على الشريف بالنتيجة المتوخاة لانه لم يكن  
 هو وحبيبته بمأمن من أقوال الوشاة وتهم المرجفين وهو يعترف بذلك  
 في نفس القطعة :

يقولون مشغوف الفؤاد مروع      ومشغوفة تدعى به فتجيب  
 وما علموا أنا على غير ريبة      بقاء الليالي نفتدي ونؤوب

جاذبته فضل العتاب وبيننا      كبر المملول وذلة المملول  
ولحظت عقد نطاقه فكأنما      عقد الجمال بقرطق (١٦) مملول  
جدلان ينفض من فروج قميصه      أعطاف غصن البانة المملول  
من لي به والدار غير بعيدة      من داره والمال غير قليل

وفي هذه الأبيات اعتراف آخر بعلاقة غرامية أكيدة وإلا فأبي  
شاعر يحدثك عن حبيبته فيقول لك انها قبلت يده • هذا الى ان  
الشريف يفصل بقوله : ( من لي به والدار •• البيت ) ما أجمل بقوله  
( قتيلة شوق والحبيب قريب ) • والواقع أن هذه الاعترافات الصريحة  
ثبت بصورة لا تقبل الجدل أن بطلة هذا النسيب لم تكن من عرائس  
الخيال وانما كانت من بنات حواء وأنها عاقرت الشريف كأس الحب  
وشاظرته آلامه وأشجاناه ، وقد عرفنا موقفه منها فيما سبق وهو موقف  
تكتنفه الحيطة ويسوده التحفظ فما موقفها هي الأخرى منه ؟ اننا اذا  
سألناه عن ذلك أجاب بأنها لا تقل عنه حرصاً على الكرامة واعتداداً  
بالنفس ومحافظةً على الشرف : ( وصونك من دون الرقيب رقيب ) •  
أحبك حباً لوجزيت ببعضه      أطاعك مني قائد وجنيد

•••

جاذبته فضل العتاب وبيننا      كبر المملول وذلة المملول  
هي إذن عاشقة معشوقة ومقامها يستدعي أن تلقى الشريف من  
حين لآخر وان تقبل يده اجلالاً واعظاماً ، ولكنها مع ذلك لا تنيله  
شيئاً سوى الصدود والاعراض • وقد رأيت ان صاحبنا يطلب منها  
الجزء فما تظن أنه يطلب ؟ اننا اذا صدقناه ولا مانع لدينا من تصديقه

(١٦) قرطق كجندب شيء تتشع به المرأة .

فانه لا يطلب سوى النظرة الزهية البريئة :  
عشقت ومالي يعلم الله حاجة سوى نظري والعاشقون ضروب  
وبعد : ألا تظن أن بين قول الشريف ( أقل سلامي ٠٠٠ البيت )  
وقوله :

ولقد أطلت الى سَلوكِ شقتي وجعلت هجرِكِ والتجنبِ زادي  
قراءةً محكمة الأواصر ؟ وأن لقوله ( جاذبته فضل العتاب ٠٠٠  
البيت ) صلة أي صلة بقوله :

كم ليلة جرعتَه في طولها غصص الملام ومؤلم التقريع  
تقلي أنامله التراب تعلاًّ وأناملي في سني المقروع  
لو حيث يستمع السرار وقفتما لعجبتما من عزه وخضوعي  
إذا لم يخطيء ظني فأننا قد عثرنا على مفتاح غزل الشريف واهتدينا  
الى سره الذي لا غبار عليه ، ولم يبق سوى أن نعين العناصر التي  
تغذيه وتشيع فيه الحيوية والجمال واللفظ وهذه عبارة عن ما رأيت  
من منع لا هواده فيه ولا رحمة ، ولوعة مشبوبة تحسها في كل قصيدة  
ومقطوعة منه وعفة صادقة لا تعمل فيها ولا تكلف تعصم صاحبنا من  
الانغماس في الآثام والانحدار إلى مزالق الشهوات كلما واتته الظروف  
وتهيأت له القرص (١٧) ♦

(١٧) تحدث الشريف في شعره عن طهارة حبه مرارا عديدة . فمن  
طريف ما وقع له في هذا الباب قوله :

وكم ليلة بتنا على غير ريبة علينا عيون للنهي ومسامع  
نفض حديثا عن ختام مودة معاقلها أحشاؤنا والأضالع  
يكاد غراب الليل عند حديثنا  
يطير ارتياحا وهو في الوكر واقع  
خلونا فكانت عفة لاتعفف وقد رفعت في الحي عنا الموانع  
سلوا مضجعي عني وعنهما فاننا رضينا بما يخبرون عنا المضاجع

ولست أنكر أن هناك عقولاً كثيرة يصعب عليها أن تتصور رجلاً وامرأة متحابين لا تربطهما عقدة الزواج يقضيان الليل معاً وهما في نجوة من الرقباء ثم يفترقان على غير ريبة ، ولكنني أومن بهذا وأدين بأمكانه واعتقد أنه جرى قبل الشريف وبعده وسيظل جارياً ما دامت هناك قلوب تتبادل الحب وعقول ترقبها بدقة وتسوسها بحكمة وصرامة . وقد امتازت حجازيات الشريف كما أمتاز سائر غرامياته بهذا المثلث الفذ الذي يتألف من المنع واللوعة المبرحة والعفة الصادقة ولك أن تقرأ حجازياته وغرامياته الأخرى واحدة واحدة لتتبين أنني لم أكذبك الحديث •

رثاؤه : وكما امتاز الشريف بغزله الرقيق المفعم صباية وكآبة امتاز كذلك برثائه البليغ المفعم صفاءً ومودة ووفاءً وإخلاصاً • هذا الى أن رثاءه الجيد من الكثرة بحيث يثير دهشة الناقد • إن لأبي تمام والبحثري والمنتبي مرثي بليغة ولكن الجيد من رثاء كل منهم قليل : فأنت لا تستطيع مثلاً ان تعد لأبي تمام خمس مرث من الطراز الاول • وقل مثل ذلك عن البحثري والمنتبي • ولكن مرثي الشريف الممتازة تعد بالعشرات •

إقرأ رثاءه لوالده ووالدته وعمه أحمد بن موسى وللصاحب بن عباد وأبي اسحق الصابي وابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني وأبي حسان المقلد زعيم بني عامر وابن ليني داعيته في البادية وعميد الجيوش أبي علي وابي منصور المرزباني الكاتب تجد أنه أجاد في رثائهم جميعاً اجادة فائقة • وما يصح في رثائه لهؤلاء يصح في أغلب مرثيه • ومما هو جدير بالذكر أن أكثر مرثي الرجل على جانب كبير من طول النفس،

فلاميته في رثاء الصاحب بن عباد اثنا عشر ومئة بيت وميميته في رثاء والده تسعة وثمانون بيتاً وداليتها في رثاء أبي اسحق الصابي اثنان وثمانون بيتاً ، وهمزيتها في رثاء والدته تسعة وستون بيتاً ، ولكنك لا تكاد تعثر في هذه المراثي الطوال على ما تعيبه أو تستهجنه . على أن أهم ما يمتاز به رثاء الشريف عاطفة صادقة تجيش في قلبه نحو من يريد أن يخلده في شعره وصورة حية من شخصية الفقيه تمثله أتم تمثيل وأصدق . توفي الصاحب بن عباد وكان ملء الأفواه والأسماع والابصار غزارة علم وغفارة جود ورجاحة عقل وفصاحة لسان ونباهة ذكر وجلالة قدر ، وكان الى هذا محباً للشريف معجبا بفضله وأدبه وقد عبر عن ذلك الحب وهذا الاعجاب بطلبه اليه نسخة من ديوانه فما كان من صاحبنا إلا أن بكاه بقصيدة عصماء اقتطف لك منها الأبيات التالية:

|                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| أكذا المنون تقطر الابطالا      | أكذا الزمان يضعضع الاجبالا   |
| أكذا تصاب الأسد وهي مدلّة      | تحمي الشبول وتمنع الأغيالا ؟ |
| أكذا تقام عن الفرائس بعدما     | ملأت هماهما الورى أوجالا ؟   |
| أكذا تحط الزاهرات عن العلى     | من بعد ما شأت العيون منالا ؟ |
| أكذا تكب البزل وهي مصاعب       | تطوي البعيد وتحمل الأثقالا ؟ |
| أكذا تغاض الزاخرات وقد طغت     | لججاً وأوردت الظماء زلالا ؟  |
| ياطالب المعروف حلق نجمه        | حط الرجال (١٨) وعطل الاجمالا |
| وأقم على يأس فقد ذهب النبي     | كان الأنام على نداء عيالا    |
| من كان يقري الجهل علماً ثاقباً | والنقص فضلاً والرجاء نوالا   |
| خبر تمخض بالأجنة ذكره          | قبل اليقين وأسلف الببالا     |

(١٨) في الديوان ط . ب ( الحمول ) .

حتى إذا كشف الضنون يقينه  
الشك أبرد للحشا في مثله  
ياطود كيف وأنت عادي الذرى  
كم حجة في الدين خضت غمارها  
بسنان رمحك أو لسانك موسعاً  
عط القلوب وأسقط الأحمالاً (١٩)

ما كنت أخشى أن تزَل لحادثٍ  
قدم جعلت لها الركاب قبلاً

طرح الرجال لك العمائم حسرةً  
قالوا وقد فجنوا بنعشك سائراً  
وتبادروا عَطَّ الجيوب وعاجلوا  
ما شققوا إلا كسالك وألتموا  
لما رأوك تسير أو إجلاً  
من ميل الجبل العظيم فمالاً  
عض الأنامل يمنة وشمالاً  
إلا أنامل نلن منك سجلاً (٢١)

ألا ترى أن هذه الأبيات صورة صادقة من شخصية الصاحب بن  
عباد في أبهته وعظم سلطانه وسعة معرفه ووفرة علمه وأدبه وفي منزلته  
من قلوب معاصريه ؟ ثم ألا ترى أنها مثل رائع من ولاء الشريف له  
واعجابه به وجزعه على فقده ؟

اتريد مثلاً آخر من هذا الرثاء الذي يمتاز بصدق عواطف الشاعر

(١٩) في الديوان ط . ب « جلى » بدلا من كشف و « صدع » بدلا  
من « عط » .

(٢٠) الفنيق : الفحل ، التخمط : الجلبة .

(٢١) يعجبني أن أروي هنا كلمة للمرحوم السيد عبد المطلب الذي  
ترجمت له في نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر يقرض بها هذه  
القصيدة وهي قوله « ان لامية الرضي في رثاء الصاحب بن عباد سيدة  
القرىض لانه ليس فيها على طولها بيت ركيك واحد » .

المتفجع واتقانه تصوير مواهب المرثي وسجاياه إتقاناً تاماً ؟ هاك طرفا من  
قصيدةٍ رثى بها الشريف صديقه أبا اسحق الصابي . قال :

أعلمت من حملوا على الأعواد ؟      أرأيت كيف خبا ضياء النادي ؟  
جبل هوى لوخرّ في البحر اغتدى      من وقعته متتابع الأزباد  
ما كنت أعلم قبل حظك في الثرى      أن الثرى يعلو على الأطواد  
بعداً ليومك في الزمان فانه      أقذى العيون وفّت في الأعضاء  
لا ينفذ الدمع الذي يبكي به      إن القلوب له من الأمداد  
كيف انمحي ذاك الجناب وعظمت      تلك الفجاج وضلّ ذاك الهادي

منها :

ثكلتك أرض لم تلد لك ثانياً      أنى ومثلك معوز الميلاد  
من للبلاغة والفصاحة إن همى      ذاك الغمام وعب ذاك الوادي  
من للملوك يجز في اعدائها      بظبي من القول البليغ حداد  
من للممالك لا يزال يلتمها      بسداد أمر ضائع وسداد  
من للجحافل يستزلّ رماحها      ويرد رعلتها بغير جلال (٢٢)  
من للموارق يسترد قلوبها      بزلازل الابراق والارعاد  
وصحايف فيها الأراقم كمن      مرهوبة الاصدار والايراد  
حمر على نظر العدو كأنما      بدم يخط بهن لا بسداد  
يقدم من إقدام الجيوش وباطل      أن ينهزم من هزائم الأجناد

• • •

ألا تلمس في هذه الأبيات عواطف الصديق الأمين يبكي صديقه

(٢٢) رعلتها : كثرتها .



بدموع الوفاء وينثر على قبره زهر الولاء والاخلاص ؟ ألا تتبين فيها  
من ناحية أخرى شخصية الكاتب العبقرى الذى خدم الدولة بعلمه  
ومواهبه أصدق خدمة ، وأفادها بخبرته وتجربته أكبر فائدة ، فساهم  
فى حل ازمان كثيرة وتذليل صعوبات جملة وأعان على إخماد فتن عديدة  
فى غير اراقاة دماء ولا ازهاق نفوس ؟ هذا الى أنه مثل فى لطافة الاداء  
وبراعة الانشاء • على أنى قد لا أنصف الشريف إذا لم أرو لك ولو  
أبياتاً قليلة جداً من رثائه لوالدته ذلك الرثاء الذى لم تؤد حقوق  
الأمومة البارة ولم تصور عواطف البنوة المفجوعة فيما أعلم بأصدق  
ولا أبلغ منه • اليك مثلاً من هذا الرثاء :

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| أبكىك لو نقع الغليل بكائي | وأقول لو ذهب المقال بدائي  |
| وأعوذ بالصبر الجميل تعزيا | لو كان بالصبر الجميل عزائي |
| طورا تكاثرني الدموع وتارة | آوي الى أكرومتى وحيائي     |
| كم عبرة موهتها بأناملي    | وسترتها متجملا بردائي      |
| أبدي التجلد للعدو ولو درى | بتملمي لقد أشتفى أعدائي    |
| ما كنت أذخر فى فداك رغبة  | لو كان يرجع ميت بفداء      |
| فارقت فيك تماسكي وتجملي   | ونسيت فيك تعزى وابائي      |
| ♦ ♦ ♦ ♦                   | ♦ ♦ ♦ ♦                    |

|                          |                       |
|--------------------------|-----------------------|
| كم زفرة ضعفت فصارت أنة   | تمتها بتنفس الصعداء   |
| لهفان أنزو فى حبائل كربة | ملكى على جلادى وغنائى |
| ♦ ♦ ♦ ♦                  | ♦ ♦ ♦ ♦               |
| كيف السلو وكل موقع لحظة  | أثر لفضلك خالد بأزائى |
| ♦ ♦ ♦ ♦                  | ♦ ♦ ♦ ♦               |

فخره : ولم يكن الشريف أبلغ من نظم النسيب والرثاء فحسب،  
بل انه أبرع من نظم الفخر غير مدافع ولكن ما عناصر فخره ؟ وبعبارة  
أخرى ما موضوعات هذه القصائد والمقطعات الفخرية التي تؤلف جزءا  
غير يسير من ديوانه ؟ \*

انك اذا تأملتھا مليا ودرست ما فيها من مقاصد وأفكار رأيت أن  
الشاعر شديد الفخر بأبائه دائب الاشارة الى تاريخهم الحافل بعظائم  
الامور وجلائل الاعمال كثير التحدث بما له من مضاء العزيمة وعلو  
الهمة وبعد المطامح يمزج ذلك بشكوى مرة من الزمن الذي ييرم به  
دائما ويحمله تبعة الحيلولة بينه وبين دست الخلافة وتذمر شديد من  
أبنائه الذين يصفهم مرة بالجهل وتارة بالجبن وآونة بالخيانة وطورا  
بعبادة المال وأحيانا كثيرة بالرياء \* وقد يتمثل بكبار الاباة الذين  
كرهوا الذل وآثروا العز كمصعب بن الزبير ويزيد بن المهلب وشبيب  
ابن شيبة ، فيبدي اعجابه بهم ويشني على ابائهم وأنقتهم أحسن الثناء \*  
أما الأمنية القصوى التي ما فتئت تشغل ذهنه وتأسر له وتحتل المكان  
الاول من قصائده فهي اثاره حرب شعواء تثل العروش وتحل معاقد  
التيجان وتقيم صرح دولة الحق على أنقاض دولة الباطل \* ويلوح أن  
مصائر كثير من العلويين الذين ثاروا في مختلف الاطراف فلم يقدر لهم  
الفوز ما برحت ماثلة في مخيلة الرضي ، لذلك لم يسترسل في الجري  
وراء أمانيه ولم يداعب شبح الفوز وما يمكن أن ينشأ عنه من نتائج  
براقة وانما افترض في كثير من الاحيان فشل محاولته ولكنه عزى نفسه  
بأنه ان لقي حتفه في هذا السبيل فانه يموت في سبيل الواجب ويضحى  
نفسه على مذبح الكرامة والشرف :

هبنى الرمح بكفى فارس بطل أكرهه حتى انحطم  
هبنى العضب ذليقا حده ثلم البيض ضرابا واثلم  
وسأذكر مثلا من فخره عند الكلام على لغته وأسلوبه •

مديحه : وعلى ماذا ينطوي مديح الشريف !!?

يمتاز هذا المديح على العموم بخلوه من الغلو والاسراف في تصوير  
مواهب الرجال وأخلاقهم وأعمالهم لانه لا يقال طلبا لجوائز الملوك  
وغيرهم من العظماء • وما ظنك بشاعر يمدح الصاحب بن عباد ليعبر  
عن شعوره الودعي الصادق نحوه ثم لا يرسل المدحة اليه خشية أن  
يتهم بطلب المال (٢٣) بل ما ظنك بشاعر يمدح الخليفة العباسي فيقول  
له في أثناء مديحه :

عظفا أمير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا تتفرق

• • • • الأبيات •

ستقول والى ماذا يرمي المترجم اذن في مديحه ؟ واجيب بأنه  
يرمي الى غرضين كبيرين : أحدهما توثيق أوامر القربى أو المودة كأن  
يمدح أباه أو أخاه أو عمه أو بعض أساتذته أو أحد اصدقائه الأصفياء •  
وثانيهما مجاملة أولي الكلمة النافذة في الدولة سعيا وراء تحقيق  
مطامح سياسية :

واني لأرجو من علائك دولة تذل لي فيها الرقاب العواند  
ويوما يظل الخافقين بمزنة رذاذ غواذيهما الرؤوس الشوارد  
لاعقد مجدا يعجز الناس حمله وتنحل من هام الاعادي معاقد  
فمن ذا يراميني ولي منك جنة ومن ذا يدانيني ولي منك عاضد

(٢٣) مطلع القصيدة التي تشير اليها هذه الفقرة هو :

أباء أقام الدهر عني واقعدا وصبر على الايام انأى وابعدا

لغته وأسلوبه : قلت لك ان الشريف حفظ القرآن وفسره وشرح  
مجازاته في كتابين جليلين • وانه جمع من كلام جده النبي ستين وثلاثة  
مئة حديث يشتمل كل منها « على مجاز طريف أو كناية دقيقة » في  
كتاب أسماء المجازات النبوية • وجمع كذلك مختار خطب جده الامام  
علي وكتبه وحكمه في كتاب أسماء نهج البلاغة • وأقول لك الآن ان هذه  
الممارسة الدائمة للقرآن والحديث وكلام الامام علي قد أثرت في لغته  
وأسلوبه أحسن تأثير فصفت ديباجته ورقت حاشيته ووضحت عبارته  
وجمع بين جزالة اللفظ وفخامته ومتانة التعبير وعذوبته وخلا شعره من  
الفضول والحشو فكان مصداق قوله :

لا يفضل المعنى على لفظه شيئا ولا اللفظ على المعنى  
وشيء آخر أحب أن الفت انتباهك اليه وهو ملائمة لغته لكل  
موضوع يطرقه ، فهي لغة مرنة ذات أجراس مختلفة ونبرات عديدة  
متباينة ترق وتلين وتظرف في موضوع ، وتصلب وتشتد وتجلجل في  
موضوع آخر ، ( تسمعك سجع الحمام ) في حين ( وتسمعك زئير  
الاسد ) في حين آخر ، ولك أن تتذوق ما فيها من رقة وعذوبة في هذه  
القصيدة الغرامية الفياضة بالعواطف وهي :

يا صاحب القلب السليم (٢٤) أما اشتفى

ألم الجوى من قلبي المصدوع  
لأسأت (٢٥) بالمشتاق حين ملكته

وجزيت نرط نزاعه بنزوع

(٢٤) في الديوان ( ط . ب ) الصحيح .

(٢٥) في الديوان ( ط . ب ) أسأت .

هيهات لا تتكلفن لي الهوى

فضح التطبع شيمة المطبوع  
كم قد نصبت لك الجبائل طامعا  
فنجوت بعد تعرض لوقوع  
وتركتني ظمآن أشرب لوعتي (٢٦)  
أسفا على ذلك اللمي المنوع  
قلبي وطرفي منك هذا في حمى  
قيظ وهذا في رياض ربيع  
قمر اذا استخجلته بعتابه  
لبس الغروب ولم يعد لطلوع (٢٧)  
غصص الملام ومؤلم التفرع  
كم ليلة جرعته في طولها  
حتى أضاء بثغره ودموعي  
أبكي ويسم والدجى ما بيننا  
وأنا ملي في سني المقروع  
تفلي أنامله التراب تعللا  
لو حيث يستمع السرار وقتما  
لعجبتما من عزه وخضوعي  
أبغى هواه بشافع من غيره  
شر الهوى ما نلته بشفيع  
ما كان الا قبلة التسليم أر  
دفعها • الفراق بضمة التوديع  
كمدى قديم في هواك وانما  
تاريخ وصلك كان من اسبوع

أهون عليك اذا امتلأت من الكرى

أني أبيت بليلة الملسوع  
قد كنت أجزيك الصدود بمثله  
لو أن قلبك كان بين ضلوعي  
وفي هذه الايات التي اقتطفها لك من احدى حجازياته :  
وما مغزل ادماء تزجي بروضة  
طلا قاصرأ عن غاية السرب وانيا (٢٨)  
لها بغمات خلفه تزعج الحشا  
كجس العذارى يختبرن الملاهيها

(٢٦) في الديوان ( ط . ب ) غلتي .

(٢٧) هذا البيت هو العاشر في رواية الديوان ( ط . ب ) وهو خطأ .

(٢٨) المغزل : ذات الغزال . وأدماء ذات لون يضرب الى البياض

أو السواد .

يحور اليها بالبغام فتتشبي  
بأروع من ظمياء قلبا ومهجة  
تودعنا ما بين شكوى وعبرة  
فلم أر يوم النفر<sup>(٣٠)</sup> أكثر ضاحكا  
كما التفت المطلوب يخشى الاعاديا<sup>(٢٩)</sup>  
غداة سمعنا للتفرق داعيا  
وقد أصبح الركب العراقي غاديا  
ولم أر يوم النفر أكثر باكيا

♦ ♦ ♦

اما ما فيها - أي لغة الشريف - من صلابة وجلجلة وفخامة فما  
أشك في أنك تحسه خلال هذه الايات التي يفخر فيها بأبائه :-  
فيمن تعيرني بفيك رغامها  
أبتالدي في المجد أم بطريقي  
أبعشري وهم الألي عاداتهم  
في الروع ضرب طلي<sup>(٣١)</sup> وخرق صفوف  
من كل وضاح الجبين مغامر  
عند العظام باسمه مهتوف  
فاذا قرعت فهم ( صدور ذوابلي )  
ومن العدو معاقلي وكهوفي  
فاذهب بنفسك حاسما أطماعها  
عن صل واد او هزبر غريف<sup>(٣٢)</sup>

♦ ♦ ♦

وفي ثنايا هذه الايات التي يعلن فيها تصميمه على اثاره حرب

- (٢٩) يحور : يرجع .  
(٣٠) يوم النفر : هو يوم نفور الحجاج من منى .  
(٣١) الطلي : بضم الطاء جمع طلية وهي العنق أو أصلها .  
(٣٢) الغريف : بيت الأسد .

شعواء :

لست للزهراء ان لم ترهما      كوعول الهضب يعجمن اللجم  
تستجن البيد من فرسانها      بين بغداد الى أرض الحرم  
بعجاج يملأ الافق دجى      وطعان يخضب الارض بدم  
شرعا تفتت عن اعناقها      قتل القور وغيطان الأكم (٣٣)  
كالردي أقدم والغيث همى      والدجى طبق والسيل هجم  
حاملات كل غضبان به      من لمم الغيض مس ولم (٣٤)  
كالصقور الغلب الحاظهم      كالجذى يلمعن من خلف اللثم (٣٥)  
أعتقد أن لغة النسيب ولغة الفخر في الامثلة التي تقدمت سيان  
من حيث نوع الكلمات ورنينها مفردة ومركبة ؟ اني اذن لفي ضلال  
مبين !! •

أما نصيب الشريف من المجاز والطباق وما يجري مجراها من  
المحسنات البيانية فموفور ، إلا أنه لا يدل بحال من الأحوال على أنه  
يعصر ذهنه في سبيل شيء من هذه الزخرفة وإنما يأخذ منها ما جرى  
على لسانه عفواً وما أظنك تحس شيئاً من التكلف في هذا الطباق ( فعز  
اشتياقي والدموع خواضع ) وفي هذا الطباق ( ونهض بالآمال والجد  
قاعد ) وفي هذا التشبيه الذي يصور يوم حرب عبوسا :

لم يبق غير شفاقة (٣٦) من شمسه      كمضيق وجه الفارس المتلثم

(٣٣) تفتت : تضحك . والاعناق : ضرب من السير . والقلل : جمع  
قلة وهي أعلى الشيء . والقور : جمع قارة وهو جبل صغير . والغيطان  
ما انخفض من الارض .

(٣٤) اللمم : طرف من الجنون .

(٣٥) الغلب : غلاظ الاعناق ، والجذى جمع جذوة .

(٣٦) شفاقه : القية الضئيلة من كل شيء .

وفي هذا التشبيه :

ضاق الزمان فضاقت فيه تقلبي كالماء يجمع نفسه في الجدول  
وفي ما يزين هذين البيتين من مجازات واستعارات :  
أرسي النسيم بواديكم ولا برحت حوامل المزن في أجداثكم تضع  
ولا يزال - جنين النبت ترضعه على قبورك العراضة الهمس  
وما من شك في أن صاحبنا جمع الموضوعات المختلفة في قصائد  
كثيرة جرياً وراء تقاليد عصره الأدبية ، ولكنه من ناحية أخرى نظم  
قصائد كثيرة وكثيرة جداً لم يتطرق فيها إلى أكثر من موضوع واحد  
من ذلك حجازياته التي بلغ عددها الأربعين وسائر غرامياته وطائفة  
كبرى من فخرياته ومراثيه للأقرباء والأصدقاء وهي تعد بالعشرات  
كما أسلفت • وهذا الجزء من شعره يؤلف ديواناً ضخماً لا تقع فيه عين  
القارئ على قصيدة لم تراع فيها وحدة الموضوع •

#### د - خانمة :

ولكن ما منزلة الشريف بين شعراء اللغة العربية ؟  
يقول الثعالبي في اليتيمة « هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن  
غير على كثرة شعرائهم المقلين • ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعده عن  
الصدق (٣٧) » ويشايحه بن خلكان في هذا •  
أما أنا فأزعم أنه من الظلم للشريف أن يقتصر في تقديمه على  
شعراء آل أبي طالب أو شعراء بني هاشم أو شعراء قريش عامة وإن  
(٣٧) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٩٧ طبع دمشق .



كان بينهم عمر بن أبي ربيعة ويزيد بن معاوية والوليد بن يزيد وعبدالله  
ابن المعتز وأزعم كذلك أنه في طبيعة شعراء اللغة العربية كافة صدق  
عاطفة ، ورقة شعور ، وخصب خيال ، وفصاحة لغة وصفاء أسلوب .  
وأنه فارس حلبتي الرثاء والفخر الذي لا يشق له غبار وإمام الغزل  
العذري العفيف في كل زمان وفي كل مكان .

\*\*\*

## الفصل الرابع

### مهيار الديلمي

أ - حياته : اسمه ونسبه وكنيته • ما تقوله كتب التراجم عنه • قلته •  
استنباط حياته من ديوانه • منزلته • احتيال طائفة من  
العظماء على مديحه • منحه الجوائز سلفاً وتكرارها  
أحياناً • الحصول على مديحه بوعود كاذبة • هجاؤه لمن  
فعل هذا به •

ب - أخلاقه : طمعه • عفته • وفاؤه • إخلاصه •

ج - تعريبه : غلبة الثقافة عنده على العرق •

د - شعره : لمحة تاريخية • مقارنة بين ديوانه المطبوع بمصر وبين  
نسخة مخطوطة منه • أبوابه • غزله • مادته • مثل منه •  
إخوانياته • مميزاتهما • مثل منها • مديحه • الباعث على  
نظمه • خاصته • مثل منه • رثاؤه • سر تفوقه فيه •  
عناصره • ميزته • مثل منه •

هـ - خاتمة : مقارنة بينه وبين استاذة الشريف •

أ - حياته :

حدثت في الفصل الماضي عن شاعر عربي صميم • عربي في نسبه  
ودمه ولغته وأدبه • وأحدثت الآن عن شاعر فارسي في نسبه ودمه ،  
عربي في لغته وأدبه •

هذا الشاعر الفارسي دماً ونسباً والعربي لغةً وأدباً هو تلميذ الشريف الوفي أبو الحسن وقيل أبو الحسين مهيار الديلمي بن مرزويه أحد شعراء العراق الأفاضل في القرنين الرابع والخامس للهجرة \* وأخباره في كتب التراجم قليلة جداً : فكل ما يحدثنا به ابن خلكان عنه إذا استثنينا بعض عبارات الثناء والاطراء التي صاغها له والتي اقتبسها عن دمية القصر للباخري هو : ( أنه كاتب فارسي ) وأنه ( كان مجوسياً فأسلم ) « ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي وهو شيخه وعليه تخرّج في نظم الشعر وأن الخطيب البغدادي رأى الناس يقرأون ديوانه عليه في جامع الخلفاء وأنه توفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة عام ٤٢٨ للهجرة (١) » أما ما يحدثنا به ابن الجوزي في الجزء الثامن من كتابه « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » فيزيد على ما تقدم أن مهيار « أسلم سنة ٣٩٤ للهجرة وأنه صار علوياً متطرفاً وأن امرأة كانت تخدمه عثرت في بيته على هميان فيه ألفا دينار تركه بعض الحجاج الخراسانيين فأخبرته بذلك فلم يتغير وإنما اكتفى بأن عاتبها على نبشه عتاباً رقيقاً ، وأن ساعياً سعى به إلى جلال الدولة البويهى فقبض عليه وأطلقه (٢) » \*

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠ طبعة المطبعة الميمنية بمصر .

(٢) كان موضوع هذه السعاية اتهام مهيار بمال كثير يجب أن ينزل عنه لجلال الدولة لأنه لا حق له في أن يكون مشرياً كما يظهر - وقد استطاع الشاعر أن يسريء نفسه من هذه التهمة فأطلقه الملك البويهى واعتذر له . وفي ذلك يقول من قصيدة مدح بها جلال الدولة :

أعرف يا مولى الملوك قصة      بليت بها بالامس والحر يبتلى  
أبعد قنوعي بالثمد تعففا      وهجري أبواب الملوك تعزلا  
وظلمي فضلي واهتضامي توحيدي      مخافة أن أؤذى وان اتبذلا  
يسيء رعاع الناس عندك سمعتي      ويشعر أني حزت مالا مؤثلا

وأنت ترى أن هذه الأخبار القليلة لا تدلنا على مسقط رأس  
الرجل ولا تذكر لنا تأريخ ولادته ولو بصورة تقريبية ولا تروي لنا  
شيئاً عن دراساته الأولى إذ لا يعقل أنه تلقى على الشريف الرضي مثلاً  
مبادئ النحو والصرف وما يجري هذا المنجى من المعلومات الأولية .  
ولكن الديوان يعوضنا عن بعض هذه الخسارة : فهو يحدثنا بأشياء  
كثيرة يتصل بعضها بمنزلة الشاعر الأدبية وبعضها بنصيبه من الحياة  
الدنيا وبعضها بأخلاقه : فأما ما يحدثنا به مما له علاقة بمنزلته الأدبية  
فكثير ، وهو يدل بمجموعه على أن الرجل واسع الشهرة بعيد الصيت  
حائز لأعجاب المتأدين من ملوك عصره ووزرائه وسائر عظمائه متمتع  
بجوائزهم ، بل إن هؤلاء كانوا يخطبون وده ويتفننون في الحصول  
على مدائحه ويجزلون صلته أحياناً قبل الحصول عليها : فمن ذلك أن  
جلال الدولة البويهى أنعم على وزيره « الأستاذ الأجل أبي سعد بن  
عبد الرحيم » بلقب « عميد الكفاة » وخلع عليه خلعاً سنياً تتألف من  
ثياب فاخرة وفرس سابق في حلته الذهبية ودواة محلاة بالذهب أيضاً ،  
وكان يومئذ بواسطة فكتب الوزير إلى مهيأر يصف له ما أعقد عليه  
من الألفاظ ويحتال عليه في حمله على تهنته ووصف ما خص به من  
الهدايا والخلع وذلك بأن زعم له « أنه رأى في المنام أنه ينشد قصيدة

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| ويغري بافقاري وأنت الذي ترى | ثلي أن يغنى وأن يتمسولا       |
| ولكنها ما غيرت لك شيمة      | كرمت بها الا قليلا كسلا ولا   |
| حسبت ولكن كان حبسا مشرفا    | أناف بذكري واعتقالا مجملا     |
| ولم أر مثلي مستضاما مكرما   | ولا كاسبا للعز من حيث ذللا    |
| لئن عد قوم نكبة حبس ليلة    | لقد كنت منكوبا من الناس مقبلا |
| سيعلم من جر السعاية أنه     | بكرهي الى ما ساق نفعي توصلا   |

بوصف هذه الحادثة السارة » وكان مهيار عند حسن ظن صديقه الوزير  
به فكتب إليه يهنئه ويصف التحف التي أهديت إليه بقصيدة رنانة  
مطلعها :

أيقظني للبرق وهو نائم جهالةً والعربي حازم  
ومن هذا القبيل ما فعله مؤيد السلطان حاكم عمان في الخليج  
العربي فقد كان هذا يكاتب مهيار ويقضي حوائجه ، وقد حدث أنه  
بعث له بهدية نفيسة أنفذها إليه دون أن يسبقها مديح مع رسول خاص  
اسمه « وشاح » إلا أن الرسول خان الأمانة وقاسم الشاعر الهدية فما  
كان من هذا إلا أن أرسل الى مؤيد السلطان قصيدة عصماء يشكر  
فيها معروفه ويشكو الرسول ويطالب بالتعويض ، أروي لك منها  
الآيات التالية :

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| رغائب من يديه فاجأتني    | وفين رضىً بآمالي الرغاب |
| وزدن على حساب مناي لكن   | وشاح لم يكن لي في حساب  |
| أمرت بها كعرضك لهم يدنس  | بلاغش يشوب ولا ارتياب   |
| من الذهب الصريح فصار مما | يبدل في يديه إلى الذهب  |
| وقاسمني مناصفةً عليه     | وجاهدني ليحبسه كتنابي   |
| مكارم سقتهن إلى محب      | ففاز بها مغير لم يحاب   |
| بعثت بها الخؤون فضاع سرب | أمنت عليه غائرة الذئاب  |
| ولولا أن خدمته وقتبه     | وحرمة عز بابك والجناب   |
| لما سلم البعوض على عقاب  | ولا عض الهزبر بشرّ ناب  |
| أدل بكم فأفحمني وكانت    | نواحيه مأكلا للسباب     |
| فجمل عن الهجاء بذلك عندي | وقل بما أتاه عن العتاب  |

ثلاث سنين حولاً بعد حول بكف « وشاح » مقتصم نهايي  
وأنت خفير مالك أو يؤدي إليّ ولو بمنقطع التراب  
إذا أنصفتني فعليك ديناً غرامة ما تجمع في الحساب

ومما يجب التنويه به في هذا المقام سفارة أبي الحسن المختار  
ابن عبيد الله الذهبي وهو من أولى الفضل والوجاهة بين مهيار وبين  
بعض الأمراء والكبراء فقد سفر هذا الأديب الوجيه المعجب بمهيار  
بينه وبين الصاحب « عميد الحضرة » أبي طاهر بن حماد فحمل الأخير  
على مطالبة الشاعر بالمديح وإرسال الجائزة اليه سلفاً • وقد لبي الشاعر  
الطلب ومدح عميد الحضرة بقصيدة مطلعها :

نظرة منك ويوم بالجريب حسب نفسي من زمان وحبيب  
وسفر بينه وبين الكاتب الجليل أحمد بن عبد الله فحمله على  
ابتدائه بالزيارة والعطاء وبتكرارهما وقد نوّه مهيار بهذا في قصيدة  
مطلعها :

هوى لي وأهواء النفوس ضروب • •

يقول فيها :

أأنسى لك النعمى التي تركت فمي يصعد يبغى شكرها ويصوب ؟  
ملكك فؤادي عند أول نظرة كما صاد عذرياً أغنّ ريب  
وكنت أخاف البابليّ وسحره ولم أدر أن الواسطي خلوب  
وغناك أقوام بوصف مناقبي فرّح نشوان وحن طروب  
رفعت منار الفخر لي بزيارة وسمت بها مغناي وهو جديب  
وكنت لداً جئتني منه عائداً شفاءً وبعض العائدين طيب  
وأنهلتني من خلقك العذب شربة حلت لي وما كل الدواء يطيب

ولما جلا لي حسن وجهك بشره تبين في وجه السقام قطوب  
أجبت وقد ناديت غيرك شاكياً وذو المجد يدعى غيره فيجيب  
بيد أنه إن كان بين معاصري مهيار من يزوره ويكرر زيارته دون  
سابق معرفة ، ويصله مرة بعد أخرى قبل أن يمدحه بشيء ، فقد  
كان بينهم من يشتهي مديحه ويبخل بصلته ، فيسأله المديح ويعده  
الجائزة السنوية حتى إذا نزل على رغبته ومدحه بما أراد غدر به ولم  
يعطه شيئاً وقد انتقم مهيار لنفسه من هؤلاء فلذعهم بقوارص أروي  
لك منها قوله :

أمدح المثرين ظناً بهم ربما يقمر بالظن الكذوب  
كل وغد الكف منبوذ الحيا طيب المحضر مسبوب المغيب  
يمنع الرفد وتلقى وفده قحة البخل بادلال الوهوب  
يطلب المدح لأن يفضحه وهو قبل المدح مستور العيوب  
ولكن أكان مهيار فقيراً ؟ أم كان على العكس من ذلك ؟

تخبرنا كتب التراجم أنه كان كاتباً ! ولكنها لا تقول لنا متى تقلد  
هذا العمل الديواني وما نوعه ، وخصوصاً ما مقدار أجره عليه ؟ ومع  
ذلك فانتنا نعلم علماً لا شك فيه أن مهيار لم يكن فقيراً كما أنه لم يكن  
غنياً وإنما كان متوسط الحال ، وهو نفسه يحدثنا بهذا حيث يقول :

ما أبصر الدهر بما أريده لو كان في الحكم عليّ يقتصد !!  
أنزلي منزلة بين الغنى والفقر لم يبخل بها ولم يجد  
وشر أقسامك حظ وسط أرعن لم تخمل به ولم تسد

♦ ♦ ♦

## ب أخلاقه :

أما أخلاقه فمن الممكن استنباط أهمها من شعره إذ في مقدورنا أن نقرر استناداً الى هذا الاستنباط أنه يمتاز بالطمع والعفة والوفاء والاخلاص • وأوجب الكلام على إخلاصه للبحث عن اخوانياته كما أني أترك الكلام على القناعة التي قاده إليها جشعه والحافه في السؤال للبحث نفسه • وأتحدث اليك عن طمعه : فقد كان لسوء الحظ كثير الطمع شديد الجشع يدلك على هذا قوله :

صلونا فأنا مجذبون بمنزل يضيق على الأيام بالحر رجبه  
يعزّ عليكم كيف يرجع مرملاً غلام من الآداب والمجد كسبه

## وقوله :

يقولون دار الناس ترطب أكفهم ومن ذا يداري صخرة ويذبيها  
ولكنه أعني مهيار يؤكد لنا فيما عدا ذلك أنه عالي الأخلاق عفيف  
الذيل بعيد عن الخنا :

عذيري من باغ يوّد لنفسه نراهة أخلاقي ويمسي يعيها

## ومن نفس القصيدة :

ولله نفس من نهاها عدولها

ومن صونها - يوم العذيب - رقيبها (٣)

(٣) اخذ هذا من استاذة الشريف حيث يقول :  
عفاي من دون التقيّة زاجر وصونك من دون الرقيب رقيب



ومن أخرى :

يفسق كفي بينهن وفمي فتكاً ويمسي مئزري حصينا

أما حسنة مهيار الخلقية الكبرى فهي الوفاء وقد نوّه بهذا مراراً  
عديدة في شعره فمن قوله فيه :  
رعى الله قلبي ما أبرّ بمن جفا وأصبره في النائبات وأحملاً  
وكرم عهدي للصديق فانه قليل على الحالات أن يتحوّلاً  
ومن قوله فيه :

رعى الله قلباً ما أبرّ بمن جفا وأثبت عهداً والعهود طوائسح  
وأوسع ذرعاً بالوفاء وصونه إذا ضاق ما تطوى عليه الجوانح  
وقد أيدّ مهيار هذه الأقوال بأعماله الكثيرة المشرفة في هذا الباب  
فمن ذلك أنه أقام على ولائه لأبي طالب محمد بن أيوب أجزال ممدوحيه  
صلة له وأوفاهم نصيباً من مدحه عند إقصائه عن منصبه وتنكر الايام  
له واعراض الناس عنه وزاد على ذلك أن مدحه بقصيدة نفيسة مطلعها :  
لا عدالك الغيث يا دار الوصال كل منحل العرى واهي العزال (٤)

قال فيها :

حول الناس وجوهاً عنكم وتساقوا فيكم كأس التقالي  
وأبت نفسي على النأي فما اس طاع تحويلي ولا رام اتقالي  
ولما ترك الكافي الأوحاد ( وهو من ممدوحى مهيار الاسخياء )

(٤) فى الديوان طبعة مصر ( منهل )

ولاية الري اعتزل الناس في بروجرد إحدى مدن فارس الا أنه كان كثير  
الشوق الى مهيار يبعث اليه بتحياته مع كل من يمر به من زوار العراق •  
فما كان من المترجم إلا أن شد الرحال من بغداد الى بروجرد ليجدد  
العهد بممدوحه القديم ولينشده فصيدة رائعة أعرب فيها عن تمسكه  
بحبل ولائه وإقامته على عهده أيما اعراب اليك طرفاً منها :

اليوم أنجز ما طل الآمال      فأنتك طائفة من الأقبال  
بمنى وفين له وهن غوادر      ولقحن قريك بعد طول حيال  
قطع الفلا<sup>(٥)</sup> يستام ذاك بنفسه      مسترخصاً والدهر فيه يغالي  
فأتى يدوس الهول نحوك شوقه      والشوق مشاء على الاهوال  
يلقى الخطوب بمثلها من همة      قطعت جبالا في ابتغاء جبال

ويكاد رثاء مهيار كله يكون برهاناً صادقاً على وفائه فقد رثى  
أستاذه الرضي بقصيدتين هما من أنفس ما قيل في الرثاء لم يعز فيهما  
الشريف المرتضى ولم يمدحه ومعنى هذا أنه لم يقلهما ابتغاء أجر • ورثى  
المفيد المتقدم ذكره في ترجمة الشريف الرضي بقصيدة من أروع قصائده  
مع أنه لم يكن بينهما سوى مودة طفيفة أشار إليها بقوله :

ان كان حظي من وصالك قبلها      حظ المغب ونهزة المتقلل  
فلا عطينك من ودادي ميتاً      جهد المنيب ورجعة المتنصل

ورثى صديقه أحمد بن عبد الله الكاتب المتقدم ذكره بقصيدة هي  
من غرر شعره إن لم أقل من غرر القريض العربي كله ولم يفعل ذلك  
الا بدافع الوفاء • ولو استقصيت رثاء مهيار لأقمت براهين أخرى كثيرة

(٥) في الديوان طبعة مصر (المنى) •

على وفائه ، ولكن فيما تقدم كفاية .

ح - تعريبه :

ومع أن مهيار فخر غير مرة بفارسيته كما فخر كثير من الشعراء  
الغرباء بأنسابهم ، فالواقع أنه تعرب بروحه وشعره الى حد بعيد . فقد  
قال وهو يصف إحدى قصائده :

متى تكن سلول أو باهلة      آباء شعر فأبوهـا دارم  
وفال في وصف أخرى :

حاضرة تحسبها بادية      تدّيرت دارات خبت فالبرق

وقال يصف شعوره نحو شبه جزيرة العرب :

ولقد أحن إلى زرود وطينتي      من غير ما فطرت عليه زرود  
ويشوقني عجب الحجاز وفد ضفا      ريف العراق وظله الممدود  
ويطرب الشادي فلا يهتزني (٦)      وينال مني السائق الغريد

وقال يحث على ترك المدن والعيشة في البادية :

رم العلا بين بيوت أهلها      مقلبا في طرفها مقللا  
ولا تكن إلا أبا صريمة      متى نبت دار به تحولا (٧)

بل انه ذهب الى أبعد من ذلك فتشبهه في فخره بأجواد البادية  
وادعى إيقاد النار للسايرين وعقر الكوم العشار للضيفان والقيام على  
خدمتهم بأسلوب حاتمي :

وطارق والليل قد مدّ له      على بياض الطرق الدجونا

(٦) هكذا في الديوان طبعة مصر وربما كان الصواب ( يهتاجني ) .

(٧) أشرت هذا البيت عملا بضرورة سياق الكلام وهو مقدم في

الديوان على سابقه .

فرفعت فاري له لسانها      تريه أي وجهة يأتينا (٨)  
 كأنها تخاف في ضلاله      أن يطرق البيت الذي يلينا  
 والكلب يستاف البيوت طاوياً      (٩) جنبه حتى يلج الدخينا  
 يكفر تحت كشحه خيشومه      تسمع من فباحه أنينا  
 قمت له من رقدة معسولة      أكره عنها الجنب والجفونا  
 ثم انخت خيرها عقيلة      بالسيف حتى أعترق الوتيننا  
 وقلت للجازر قم فاختر له      على مناه الرخص والسميننا  
 جدلاء (١٠) قدبات خماصاً أهلها      والضيف قد نام بها بطينا  
 والآن وقد أرينك مهيار بمظهره العاتمي أحب أن أعود بك إلى

أول القصيدة لتراه بمظهره العذري قال :

أمن خضوق البرق ترزميننا      حني فما أمنعك الحيننا  
 سرى يمينا وسراك شامة      فضلة ما تتلفتيننا  
 هب كما تخاطفت هندية      مخلصه أجهدت القيونا  
 فكم أراك بشيات الحمى      على البعاد الثغر والجيننا  
 وكم ذكرت روضه وغدره      والعمم الملتف والمعيننا  
 نعم تشاقين ونشتاق له      ونعلن الوجد وتكتميننا  
 فأين منا اليوم أو منك الهوى      وأين نجد والمعورونا

(٨) لا وجود لهذا البيت في الطبعة المصرية ولكني أرويه عن نسخة مخطوطة سأحدث عنها فيما بعد . أما البيت الذي يليه فإنه في غير هذا المكان في الطبعة المصرية ولكني رويته هكذا عن النسخة المخطوطة التي تقدمت لها الإشارة .

(٩) هكذا أرويه وفي الطبعة المصرية ( شطريه ) ويستاف يشتم ولم أجد فيما بين يدي من معاجم اللغة معنى لكلمة دخين وربما كانت موقد النار أو ما يقرب منه .

(١٠) الجدلاء : الشديدة الاسر .

سقى الحيا عهد الحمى أعذب ما تسقى السموات به الأرضينا  
ألا ترى في هذه الأبيات أعرايباً عاشقاً من أعراب عذرة يتطلع إلى  
برق تآلق من ناحية تقيم فيها حبيبته فهيج غرامه وحررك أشجاناه وأسال  
دموعه وأثار في نفسه شتى الخواطر والذكريات فأخذ يصعد الأنفاس  
الحارة ويتابع الزفرات الجياشة •

ألا تذكرك أي الأبيات - جميل بثينة وقيس لبنى ومجنون ليلى •  
قد تقول : وأين أثر العرق إذن ؟ والجواب على ذلك أن الثقافة  
أشد نفوذاً وأقوى أثراً من الجنس إذا كانت على جانب كبير من العمق  
والقوة وليس من شك في أن ثقافة مهيار العربية من العمق  
والقوة بحيث غلبت على عقله وسيطرت على ضميره ونفدت الى اعماق  
نفسه • أضف الى ذلك أن مهيار فخور بولائه في آل الرسول ( ص )  
وقد نوه بهذا مراراً كثيرة في شعره : فمن ذلك قوله من قصيدة رثى  
بها أهل البيت عليهم السلام :

حبكم كان فكّ أسري من الشر ك وفي منكبي له أغلال  
كم تزلت بالمذلة حتى قمت في ثوب عزكم أختال  
وقوله من قصيدة رثى بها الطاهر أبا أحمد والذ الشريف الرضي :  
رثاك نسيب وده وولأوه محق إذا زّن (١١) القصي بأبطال  
ومولاكم فيكم على ما شرطتم وإن بان عنكم في عموم وأحوال  
أفتشك بعد هذا أن مهيار عربي بروحه وأدبه عروبة صادقة ؟

د - شعره :

المعروف أن مهيار شاعر وكاتب ، ويستشف من كلام الباخريزي

(١١) زن : اتهم •

أنه كاتب ممتاز إلا أننا لم نقف حتى الآن على شيء من نشره وأكبر الظن أنه ضاع فيما ضاع من التراث العربي الأدبي • بيد أن شعره مجموع في ديوانه الضخم الذي يقع في أربعة مجلدات • ويظهر أن مهيار عني بشعره فجمعه وعلق عليه وأذاعه في الناس • فقد رأيت أن الخطيب يحدثنا أنه رآه في جامع الخلفاء والناس حوله يقرأون ديوانه عليه وهذا يعني أن شعره كان مجموعاً ومتداولاً في أيام حياته • وهنأ أحب أن أقول إني وقفت قبل نحو من خمسة وثلاثين عاماً على نسخة مخطوطة من ديوانه كتبت للسيد علي خان صاحب «أنوار الريح» و «سلافة العصر» المتوفى سنة ١١٢٠ أو ٢١ هـ • كانت في حوزة آل السيد حيدر الشاعر الحلبي الكبير ولم تكن هذه النسخة تشتمل على كل شعر مهيار إلا أن السيد حيدر عشر على ما ينقصها منه فكتبه بخطه وهكذا باتت أسرته تملك ديوان مهيار مخطوطاً بأكمله • ويؤسفني أن لاحظ أن النسخة التي طبع عليها ديوان مهيار بمصر عام ١٩٢٥ كثيرة النقص والخطأ بالقياس إلى نسخة آل السيد حيدر فمن أمثلة نقصها أن النونية التي مطلعها : « أمن خفوق البرق ترزمينا ••• الخ » لا تحتوي على هذا البيت الذي تقدمت روايته وهو « فرفعت ناري ••• البيت » • ومن أمثلة نقصها كذلك أن اللامية التي رثى بها مهيار المنقيد لا تحتوي على هذا البيت :

بكرت عليك بدرها ربعية وطفاء تحلب من ضروع حفل  
 أما أغلاطها ولا سيما الناشيء منها عن التصحيف فكثيرة جداً  
 ويكفي أن تتصفح الديوان لتقف على عدد غير يسير منها • ومع ذلك  
 أروي لك من تلك الأغلاط مثالين اثنين لتتمكن من تكوين فكرة عنها •

ورد في مطلع مرثية مهيار للطاهر أبي أحمد الديوان : - « كذا تنقضي  
الايام حالا على حال » والصحيح : « كذا ينقص الاسلام » • وورد  
البيت التالي في الديوان هكذا :

وتقول للعذال مغضبةً شيبته من حيث لا يدري  
والصحيح :

وتقول للعذال مرضيةً لسببته من حيث لا يدري  
ولكي تتحقق وجاهة هذا التصحيح أروي لك البيت الذي يتقدم  
البيت المذكور وهو :

واستسقيت لظماي ريقتها فاستشهدت بالآي في الخمر  
أفتري أن البيت « وتقول للعذال ••• الخ » يمكن أن يصح على  
الوجه الذي ذكره الديوان وبناءً على ما تقدم رأيت أن أعتمد على  
ذاكرتي فيما أورد هنا من شعر مهيار ما أمكنني ذلك على أن أثبت  
وجوه الخلاف بين ذاكرتي وبين الديوان في هوامش الصفحات حرصاً  
على أمانة النقل وسأشير الى طبعة مصر برمز ( ط • م ) • ويتألف معظم  
شعر مهيار من الغزل والمديح والثناء وشكوى الزمان والناس ونعرض  
فيما يلي لهذه الابواب •

غزله : ليس لمهيار غزل مستقل يعتد به ولكن له في مقدمات مدائحه  
وهي تؤلف الكثرة الكبرى من شعره : غزل قلما تفتقت عن مثله قريحة  
شاعر ووجود هذا الغزل في مقدمات المدائح يعني بالطبع أنه لا يعبر  
عن صباغة حقيقية ولكنه يستعيض عن العاطفة الصادقة بأمرين هما  
رقعة الخيال ودقة المعنى • فأنت تقرؤه دون أن تحس فيه ديبب الحب  
الصادق إلا أنه يستهويك بخيال كله لطف ورقة ومعانٍ رائعة بارعه

تبلغ منتهى الدقة أحيانا اسمع قوله :

أمكنت العاذل من قيادها      فانتزع الرحمة من فؤادها  
ولوّنت أخلاقها فقد غدا      بياضها يشفّ عن سوادها  
والغائيات عطفةً وصرفة      يجنى لك الحنظل من شهادها  
لا يملك الراقد من أحلامه      إلا كما يملك من وودادها

♦   ♦   ♦   ♦   ♦   ♦   ♦   ♦

آه على الرقة في خدودها      لو أنها تسري إلى أكبادها (١٢)  
بالبان لي دين على ماطللة      يميمس غصن البان في أبرادها  
سلطت الوجد على جوانحي      تسلط الخلف على ميعادها

فليس من شك في أن هذه القطعة لا تعبر عن حب يدل على نفسه  
كما يدل نفس اللطيمة على وجودها ♦ ولكن أظن أنك توافقني على  
أنها رقيقة الخيال دقيقة المعنى إلى حد بعيد ولعلك تشاطرنني خاصةً  
عجابي بهذين البيتين « آه على الرقة ♦♦♦ » و « سلطت الوجد ♦♦♦  
البيت » فتمني سريان الرقة من الخدود إلى القلوب وتسلط الوجد  
على جوانح المحب تسليط الخلف على مواعيد الحبيب معنيان جميلان  
جديدان هما على جانب عظيم من الرقة والدقة ♦ وما أزعمه في هذه  
القطعة أزعمه في الأبيات التالية التي اختارها لك من قصيدة أخرى قال  
مهيار :

بكر العارض تحدوه النعامي      فسقيت الغيث يا دار أماما (١٣)

(١٢) في الديوان « ط . م » فؤادها .

(١٣) في الديوان « ط . م » فسقاك الري . النعامي بضم النون :

ريح الجنوب أو هي بينها وبين الصبا .



وتمشت فيك أرواح الصبا يتأرجح بأنفاس الخزامى

أين سكانك ؟ لا أين هم أحجازاً يموها أم شأما ؟ (١٤)

صدعوا بعد التأم فعدت بهم أيدي الموامي تتراهم

يا لواة الدين عن ميسرة والضنينات وما كنّ لتاما

قد وقفنا بعدكم في ربعكم فنهنناه استلاماً والتثاماً (١٥)

قل لجيران الغضا آه على طيب عيش بالغضا لو كان داما

حملوا ريح الصبا نشركم قبل أن تحمل شيحاً وخزامى (١٦)

وابعثوا أشباحكم لي في الكرى ان أذنتهم لجفوني أن تناما

وقف الظاهي على أبوابكم أفريقي وهو لم يشف أوامبا

ما يبالي من سميتن اللمى منعن الماء عذبا والمدامبا

أشتكيكم والى من أشتكي أقتم الداء فمن يشفي السقاما

فتمنيات الشاعر لدار حبيته لا تقل طيبا عما يتمنى لها من أنفاس

الصبا العطرة وشكواه الى اللواتي يزعم أنهم سحرن عقله وصرمن

(١٤) في الديوان « ط . م » أقبلوها .

(١٥) في الديوان « ط . م » :

قد وقفنا قبلكم في ربعكم فنقضناه استلاماً والتزاماً

(١٦) في الديوان « ط . م » وثاماً .

حبله بالغة منتهى التلطف والترفق وتقييده زيارة الخيال بلاذن لجفونه  
في أن تنام معنى لم يسبق اليه فيما أظن • واليك الآن مثلا آخر من  
هذا النسيب المطرب المرقص • قال مهيار :

أما وهوها عذرة وتنصلا      لقد نقل الواشي اليها فأمحلا (١٧)  
سعى جهده لكن تجاوز حده      وكثر فارتابت ولو شاء قللا  
وقال ولم يقبل ولكن أسبه      على أنه ما قال الا ليقبلا (١٨)  
وطارحها أني سالت فهل رأى      له الذم مثلي عن هوى مثلها سلا  
أأنفض طوعا حبها عن جوانحي      وان كان حبا للجوانح مثقلا ؟  
أبي الله والقلب الوفي بعهده      وإلف اذا عد الهوى كان أولا  
أيا صاحبي نجواي يوم سهوية      أناة ! وان لم تسعدا فتجملا  
سلا ظبية الوادي وما الظبي مثلها      وان كان مصقول الترائب أكحلا  
أأنت أمرت البدر أن يصدع الدجى

وعلمت غصن البان أن يتميلا؟  
وحرمت يوم البين وقفة ساعة      على عاشق ظن الوداع محلا ؟  
جمعت عليه حرقه الدمع والجوى      وما اجتمع الداء ان الا ليقبلا  
هبي لي عيني واحملي كلفة الأسي      على القلب ان القلب أصبر للبلا  
أراك بوجه الشمس والبعد بيننا      فأقنع تشبيها بها وتمثلا  
وأذكر عذبا من رضائك مسكرا      فما أشرب الصهباء الا تعملا

\*\*\*

(١٧) تشير الايات الاولى من هذه القصيدة الى الوشاية الكاذبة  
التي أدت الى سجن مهيار ليلة واحدة والى نظم هذه القصيدة كما أوضحنا  
ذلك في حينه . وامحل : كذب .  
(١٨) في الديوان ( ط . م ) .  
وقال فلم تقبل ولكن تلومت      على أنه ما قال الا لتقبلا

ليس التحدث عن أقاويل الوشاة وأراجيفهم شيئاً جديداً في الأدب العربي ولكن يغلب على الظن أن هذا التحليل الذي أتى به مهيار لمسعى الواشي الأثيم جديد في بابهِ ولا سيما قوله بأن واشيه باء بالفشل ولكنه يسببه على سوء نيته ، وليست المقارنة بين وجه الحبيبة وبين الشمس ، وبين ريقها وبين الصهباء معنى مستحدثاً ولكن قناعة مهيار « برؤية » حبيبتة « في وجه الشمس » تشبيهاً وتمثلاً « وتعلله بشرب الصهباء لحرمانه من أمى تلك الحسناء زيادتان طريفتان غير مبتذلتين •

#### اخوانياته أو شعره في الزمان والناس :

وكثيراً ما شفع مهيار غزله في مدائحه بشكوى الزمان أو ذم الناس أو بهما معا وربما اشتد سخطه أحياناً فبدأ قصائده بشيء من هذه الشكوى أو ذلك الذم كما فعل في بائيته التي مطلعها :  
« قالوا رضيت قلت ما أجدى الغضب » الخ •••

وغني عن البيان أنه لم يكن أول من شكى الزمان والاخوان في القريض العربي وإنما سبقه إلى ذلك في الجاهلية والاسلام شعراء لا يحصون • ومع ذلك فشعره في هذا الباب جدير بأن يقرأ وأن يتمثل به لأنه مفعم اخلاصاً وحيوية • وقد رأيت أن غزله يستعيز عن صدق العاطفة برقة الخيال ودقة المعنى فلاحظ الآن أن اخوانياته أو كلماته في ذم الزمان والناس تعتمد على الامر الواقع ، والحقيقة الملموسة دون أن تستغني عن طرافة الخيال ودقة التصوير • وما هي الا أن تقرأها حتى تتبين خلالها النظرات المريرة والابتسامات الخادعة والمجاملات المعسولة الكاذبة والعبادة الاثيمة للمال والاستهانة المزرية بالفضيلة

المملكة • وأنت اذا تأملت شعر مهيار في هذا الباب رأيت أن نقيته  
الشديدة على الناس ناشئة عن سببين هما البخل والرياء • فمهيار شاعر  
متكسب ومعنى هذا أنه يعتمد في حياته على كرم الناس ، ولكن  
الاسخياء بالمال قليلون جدا ، وهذه القلة في عددهم تغيظ مهيار وتثير  
حنقه وتدفعه الى التذمر الشديد حينما والى القنوط حينما آخر • وقد  
مر بك من شعره عند البحث عن أخلاقه ما يؤيد ذلك • وهو اذا صدقناه  
سليم النية حسن السريرة يخلص لصديقه في البعد كما يخلص له في  
القرب ويمحضه الود في السر كما يمحضه اياه في العلانية •

ما أنا من صبغة أيامكم ولا الذي ان قلبوه انقلبوا  
ولا ابن وجهين ألم حاضرا من الصديق وألوم الغيبا  
قلبي للأخوان شطوا أو دنوا وللهموى ساعف دهر أو نبا  
وهو يطلب الى الناس أن يشاطروه حسن نيته ويشاركوه في صفاء  
طويته ولكن المخلصين من الناس أقل من الاسخياء منهم بالمال • وكان  
هذا يسوء مهيار أيضا ويحمله على الضيق بالناس وعلى المقت لهم ما  
وجد الى مقتهم سيلا • ويظهر أن نقيته مهيار الشديدة على الناس  
عادت عليه بأجزل الفوائد ، فقد انتهى به النفور من شحهم الى القناعة  
والاشمئزاز من ربايتهم الى الانفراد والعزلة • اسمع قوله في القناعة :  
وجد الجميم فعافه وتبقلا وجرى له الوادي فصدوا ووشلا (١٩)  
ورأى الكثير مع المذلة هادما حسب الكريم وعرضه فتنقلا (٢٠)

---

(١٩) الجميم : النبت الكثير : وتبقل طلب البقل وهو ما نبت في بذرة  
لا في أرومة ثابتة • وأوشل : طلب الوشل وهو القليل •  
(٢٠) في الديوان ( ط . م ) من المذلة •

تلحو على البخل الضنين بماله      أفلا تكون بماء وجهك أبخلا  
أكرم يدك عن السؤال فانما      قدر الحياة أقل من أن تسألا

ولقد أضم الي فضل قناعتي      وأبيت مشتملا بها متمملا  
وأري العدو على الخصاصة شارة      تصف الغنى فيخالني متمولا (٢١)

وقوله في الحث على القناعة والوحدة :

اني لأسغب زهدا والثرى عمم      نبنا وأظما وغرب الغيث مسكوب  
ولا أرق لحرص خاب صاحبه      سعيا ويعلم أن الرزق مكسوب  
عقبى الطماعة في مال يمن به      عصارة لا يغطي خبثها الطيب  
طهر خلالك من خل تعاب به      واسلم وحيدا فما في الناس مصحوب

وقوله وهو يتحدث عن وحدته :

يا من يلوم على اشتمالي قاعدا      والارض واسعة الفروج لنهضتي  
ويرى الرجال وكلهم متكثرا      بصحابة فيلومني في وحدتي  
اعذر أخاك فما تهجر شمسنا      حتى تقلص عنه ظل الدوحة  
كيف اعتراني بالصديق وكيف لي      بالفرق بين محبتي من بغضتي  
وقلوب أعدائي الذين أخافهم      مغلولة لي في جسوم أحبتي

مديحه :

وماذا يقال عن مديح مهيار هذا الذي تتقدمه طرائف الغزل •  
وترافقه الخواطر الاجتماعية القيمة ؟

أكذبك اذا قلت لك انه صادر عن أي شيء آخر • سوى الرغبة  
في الحصول على المال • ومهيار يعلن ذلك ويؤكد بصراحة ما بعدها

(٢١) في الديوان ( ط . م ) الغدو بدلا من العدو وتخالني بدلا من

يخالني •

صراحة كما رأيت • نعم !! إنه يعطيك فكرة صحيحة او شبه صحيحة  
 عن الممدوح • لأن مهيار يتوخى قدر الامكان وصف ممدوحه بما هو  
 فيه • او بما يتظاهر به امام الناس • فاذا مدح وزيراً محنكاً • ذا خبرة  
 سياسية واسعة • وصفه بالحنكة والدهاء وبعد النظر وما الى ذلك •  
 واذا مدح كاتباً ممتازاً من كتاب الدواوين • وصفه بأصالة الرأي وذكاء  
 الطبع • والقدرة على الانشاء • واذا مدح زعيماً شهماً غزير الجود  
 شديد البأس • وصفه بما يمثل شهرته ويدل على كرمه وشجاعته •  
 واذا وفق ممدوح فاضل على سبيل الفرض • الى الجمع بين كثير من  
 هذه المزايا المختلفة • صوره مهيار لقارئه بكل ما يمت الى أخلاقه  
 بصلة • فالوزير أبو الفرج مثلاً من حسن السياسة وحزم التدبير بحيث  
 يجمع بين الاضداد • فيتأخى في عهده الحمل والذئب • والطبى والاسد  
 • • « والاستاذ الجليل » أبو طالب محمد بن أيوب • من حدة الذهن •  
 وصفاء الطبع • بحيث « تكفيه أولى قدحة من رأيه » وشهاب الدولة •  
 منصور بن ديبس « عربي في نسبه وكرمه » « فارسي في سيرته ومنزله » •  
 على ان هذه الملاحظات تقريبية • لأنه ليس هناك ممدوح يرضى أن يمدح  
 بما هو فيه • او بما يتظاهر به فقط • وارضاء الممدوح • ضروري  
 للحصول على الجائزة كما تعلم • ومهما يكن من شيء • فهناك مثلاً من  
 مديح مهيار :

يا ساكناً ثائر العزيمة مس الصل من تحت لينة شب  
 قد علم الملك اذ دعاك وجبل الرأي واه والشمل منشعب  
 ان قلوباً غشاً تميل مع الدولة أهواؤها وتنقلب  
 وان سرّاً متى اصطفاك له أخلص ما في إنائه الذهب

لما تجلى وجه الحذار وليم ابن علي غدره وخيف أب  
رمى بك القصد سهم منجحة يسبق حرصاً حديده العقب  
لم يشن فآل الشهور عزمته لا صفر عائق ولا رجب

\* \* \*

سفرت فيها سفارة الليث لا يرجع إلا في كفه الطلب  
لسعيه ما أهمه الدم واللحم ولكن لغيره السلب  
حتى استقامت على تأودها وانتظمت في رؤوسها العذب<sup>(١)</sup>  
رثاؤه : بيد أنه ان كانت لشعر مهيار ذروة يجب أن نبلغها في  
الكلام عنه فهي رثاؤه . وليست مراثي مهيار كثيرة بالقياس الى مدائحه  
فانها احدى وعشرون مرثية بالضبط<sup>(٢٢)</sup> بينما تعد مدائحه بالمئات  
ولكنها لباب شعره وخيرة انتاجه لانها تعبر عن أصداق عواطفه وتمثل  
أرقى ما وصل اليه فنه من رعاية لوحدة الموضوع وعناية بترتيب الفكر  
وكفاية في استيفاء الغرض وقد يبدو غريباً أن مهيار مدح الناس طول  
حياته ثم لم يخرج بالمديح مما هو مألوف من تمهيد بالغزل وتطرق الى  
شكوى الزمان وذم الناس أو الفخر وانتقال موصول أو مقتضب الى  
الثناء والاطراء ولكنه نظم في فترات متقطعة طائفة يسيرة من المراثي  
فكانت واسطة عقده ومظهر شاعريته الاعلى الا أنك لا تشعر بشيء

(١) تشير هذه الابيات . الى ان حوادث سياسية خطيرة . كان من  
الممكن ان تحدث . لولا تدخل الممدوح . ولكن الديوان لا يشير الى هذا  
في طبيعته المصرية والبغدادية .

(٢٢) أريد بمراثي مهيار تلك الني رثي بها من عز عليه من معاصريه .  
اما مراثيه لأهل البيت عليهم السلام فانها لا تدخل في هذه القائمة لانها  
أشبه بالمدائح نظراً لابتدائها بالنسيب وانتهائها بالمديح والثناء معا على أنه  
اذا كان لا بد من أن أقول كلمة في هذه المراثي فهي في زعمي من متوسط  
شعر مهيار وما ظنك برثاء يبدأ بنسيب ؟ .

من الاستغراب اذا وقفت على سر هذه الظاهرة : فسبب تفوق مهيار في رثائه اخلاصه ! وأنت تعلم أن الشاعر لا يشب الوثبات الخالدة ولا يخلق الى أوج شاعريته الا متى اندفع في تيار عواطفه وانفعالاته وشغل بها عن التفكير بالناس ، وبعبارة أخرى الا متى أخلص لموضوعه اخلاصا لا تشوبه شائبة • وقد علمت أن مهيار لا يقول المديح الا للعطاء فلاحظ الآن أنه قلما نظم الرثاء الا للموفاء ! ومعنى هذا أنه شاعر كبير في المديح ولكنه مصنوع ، وشاعر كبير في الرثاء ولكنه مطبوع • وهو من هذه الناحية يشبه البحري الذي عاش قبله بنحو من ثمانين عاما شبها قويا ، فقد مدح هذا الشاعر آل حميد وأحسن مديحهم كما أنهم أحسنوا جزاءه ثم توالى عليهم النكبات فرثاهم بميميته الخالدة التي مطلعها « أقصر حميد لا عزاء لمغرم » فكانت هذه خير ما قال فيهم على الاطلاق • وانتظم في حاشية المتوكل على الله فظل يمدحه ويناديه نحوا من خمس عشرة سنة ملحه في أثنائها بعدد ضخم جدا من نفائس الشعر فلما كانت فاجعته التي شهدها بعيني رأسه رثاه برأيته التي قال عنها المبرد « ما قيلت هاشمية مثلها » وليس لهذا التحليق المنقطع النظير في الرثاء مع الاجادة في المديح اجادة معتادة سوى سبب واحد هو ما ذكره البحري من أنه : « يمدح للعطاء ويرثي للوفاء » •

والآن لننظر ماذا في مرثي مهيار على العموم ؟

في هذه المرثي خواطر وأفكار كثيرة مبتدلة منها ذم الدنيا والتزهيد في الحياة والقول بأنها ظل زائل وحلم كاذب، ومنها التنويه بقوة الفقيده الأدبية والمادية والزعم أنه لو كان من الممكن اتقاء خطر الموت بعلم أو عمل أو قوة بطش لا تقاه هو بما له من علم واسع وعمل صالح وبما تحت اشارته من خيل ملجمة وسيوف مصلثة ورماح مشرعة وغير ذلك ،



ومنها تمنى السقيا لتربة الفقيده وإهداؤه في ختام القصيدة أطيب التسليمات والتحيات ، ولكن الى جانب هذه الأقوال المكررة المألوفة نفثت حارة تنطوي على الاخلاص يصف بعضها مصيبة الناس بالفقيده وبعضها شخصيته ومواهبه ومناقبه ويعبر البعض الآخر منها عن شعور مهيار الخاص نحوه • وهذه النفثات النادرة المثال هي التي تعطي مرثي مهيار قيمتها الأدبية الممتازة • فمن تلك النفثات الملتهبة التي وصف فيها مهيار ما رأى من الفجائع التي أورت قلبه أسى وأجرت على لسانه نفثات الرثاء قوله في صدر ميميته التي رثى بها أستاذه الشريف •

من جب غارب هاشم وسنامها      ولوى لؤيًّا فاستزل مقامها  
وغزا قريشاً بالبطاح فلفها      بيد وقوض عزها وخيامها  
وأناخ في مضر بكلكل خسفه      يستام فاحتملت (٢٣) له ما سامها  
من حل مكة فاستباح حريمها      والبيت يشهد واستحل حرامها  
ومضى يثرب مزعجاً ما شاء من      تلك القبور الطاهرات عظامها ؟

الدين ممنوع الحمى من راعه      والدار عالية البنا من رامها ؟  
أتناكرت أيدي الرجال سيوفها      فاستسلمت أم أنكرت اسلامها ؟  
أم غالذا الحسين حامي ذودها      قدر أباح (٢٤) على الغدو سوامها ؟  
بكر النعي من الرضي بما لك      غاياتها متعود اقدامها  
كلح الصباح بموته عن (٢٥) ليلة      نفضت على وجه الصباح ظلامها  
صدع الحمام صفاة آل محمد      صدع الرداء به وحل نظامها  
بالفارس العلووي شق غبارها      والناطق العربي شق كلامها

(٢٣) في الديوان ( ط . م ) ( واحتملت ) .

(٢٤) في الديوان ( ط . م ) أراح : والسوام : الابل في مرعاها .

(٢٥) في الديوان « ط . م » ( من ليلة ) .

وقوله في داليتيه التي رثاه بها ايضاً •  
أقريش لا لقم أراك ولا يد فتواكلي غاض الندى وخلا الندي  
خولست فالتفتني بأوقص (٢٦) واسألي

من بز ظهرك وانظري من أرمـد  
وهبي الدخول فلست رائد حاجة  
تقضى بمطرور ولا بمهند  
خلالك ذوالحسين أنقاضاً (٢٧) متى  
تجذب على جبل المذلة تنقـد  
قمر الدنا أضحت سماؤك بعده  
أرضاً تـداس بحائر وبمهتدي  
فاذا تشادقت الخصوم فلجلجي  
يا ناشد الحسنات طووف فالياً (٢٩)  
واذا تصادمت الكماة فعردي (٢٨)  
عنها وعاد كأنه لم ينشد  
إهبط الى مضر فسل حمراءها  
من صاح بالبطحاء يا نار اخمدي ؟

وقوله من لامية رثى بها المفيد :

ما بعد يومك سلوة لمعلل بمنى (٣٠) ولا ظفر بسمع معذل  
سووي المصاب بك القلوب على الجوى

فيد الجليد على حشا المتلمل  
وتشابه الباكون فيك فلم يمين  
دمع المحق لنا من المتعمل  
كنا نعير بالحلوم اذا هفت  
جزعاً ونهزاً بالدموع الهمل  
فاليوم صار العذر للعاني أسي  
واللوم للمتماسك المتجمل  
رحل الحمام بها غنيمة فائز  
ما ثار قط بمثلها عن منزل

(٢٦) الأوقص : العنق القصير .

(٢٧) الانقاض : جمع نقض بكسر النون وهو المهزول من السير ناقة  
كان أم جملاً .

(٢٨) فعردي : فاجبني .

(٢٩) فاليا : باحثاً .

(٣٠) في اللديوان « ط . م » « منى ولا ظفرت بسمع معذل » .

كانت يد الدين الحنيف وسيفه فلا بكين على الأشلّ الأعزل  
وقوله في رثاء « عميد الجيوش » صاحب أبي علي :

يا مستضيم الملك أين الحامي      يا جذب ما فعل السحاب الهامي ؟  
حرم الامارة كيف حل سلوكه      من غير تلبية ولا احرام  
ما للعراق عقيب صحته اشتكى      سقماً يجاذب من ذيول الشام  
من غص من دار السلام انما (٣١)      هي حين تعمر بيضة الاسلام  
أصيب بالشمس الضحى أم خولست

فيها الليالي البيض بدر تمام  
أم هل هوى بأبي غني نجمها      رام تعود بالنجوم يرامي  
وقبل أن أنتقل بك الى مرحلة أخرى من هذا الحديث أحب أن  
ألتم نظرك الى هذه الألوان المختلفة التي يسبغها مهيار على هذه  
النفثات : فوفاة الشريف الرضي نكبة تهم قريش عامة وآل النبي  
خاصة • ووفاة المفيد نكبة اسلامية عامة • ووفاة عميد الجيوش نكبة  
سياسية بحتة •

والذي يهمني من هذا هو انطباق كلمات مهيار السالف ذكرها  
« على مقتضى الحال » كما يقول البلاغيون انطباقاً تاماً •  
أما ما يصف من هذه النفثات منزلة الفقيه وفضله وآدبه وسائر  
ما يمتاز به وصفاً أصيلاً رائعاً فإنه موجود في أغلب مرثي مهيار اليك  
منه قوله في أستاذه الشريف :

أبكيك الدينيا التي طلقتهما      وقد اصطفتك شبابها وعرامها (٣٢)

(٣١) في الديوان « ط . م » « من غص في دار السلام وانما » .

(٣٢) العرام : القوة .

ورميت غاربها بفضلة جبلها (٣٣)  
ولقولة عوصاء أرتجج بابها  
وقلائد قذفت بحارك درها  
هي آية العرب التي انفردت بها  
حمتت حتى قيل صبّ دماءها  
ماتت بموتك غير ما خللته  
قد كنت ترضاني اذا سومتها

زهداً وقد ألت اليك زمامها  
ففتحته لما ولجت خصامها  
وقضى لسانك رصفها ونظامها  
راعيت فيها عهدنها وذمامها  
وغزلت حتى قيل صب مدامها  
في الصحف اذ أمددته أقلامها  
تبعاً وأرضى أن تسير أمامها

#### وقوله فيه من قصيدة أخرى :

رضي الموافق والمخالف رغبةً  
ما أحرزت قصباتها وتراهننت  
تبعتك عاقدة اليك أمورها  
ورآك طفلاً شبيها وكهولها  
أنفقت عمرك ضائعاً في حفظها  
كالنار للساري الهداية والقرى

بك واقتدى الغاوي برأي المرشد  
الا ظهرت بفضلة من سؤدد  
وعرى تميمك (٣٤) بعد لما تعقد  
فتزحزحوا لك عن مكان السيد  
وعققت عيشك في صلاح المنفسد  
من ضوائها ودخانها للموقد

#### وقوله في المفيد :

يا مرسلًا ان كنت مبلغ ميت  
فلج الثرى الراوي فقل لمحمد

تحت الصفائح قول حبي مرسل  
عن ذي فؤاد بالفجيعة مشعل

(٣٣) في الديوان « ط . م » ( بفضلة معرض ) .

(٣٤) التميم : جمع تميمة وهي خزرات تنظم في السير ثم تعقد في

عنق الصبي اتقاء للعين .

من للخصوم اللد بعدك غصة  
من للجبال اذا الشفاه تقلصت  
من بعد فقدك رب كل غريبة  
من للطروس يصوغ في صنعاتها  
يبقين للذكر المخلد رحمة  
أين النواد الندب غير مضعف  
تفري به وتحز كل ضريبة

بقي أن نعرف وصف مهيار ما يشعر به من ألم ذاتي ناشيء عن فقد من رثى من عظماء عصره وعلمائه وأدبائه ، وهذا سهل لأنه لا تكاد تخلو مرثية من مرثي الرجل من أبيات كثيرة أو قليلة تعبر عن مثل هذا الألم الذاتي تعبيراً واضحاً قوياً . لكنني أؤثر أن أقتصر على مثال مطول واحد يخيل الي أنه أبلغ وأروع ما جرى على لسان مهيار في هذا الباب وروايته على طوله لا تسمح بإيراد مثال آخر معه هذا المثال هو

قوله في رثاء أحمد بن عبد الله الذي تقدمت له الإشارة :

سل الموت : هل أودعته من ضغينة  
له كل يوم حول سرحي غارة  
سلافة اخواني وصهوة اخوتي  
فليت عفا عن أحمد فادياً له  
أألا نلما اشتد متني بوده  
وجممت لآمالي العطاش حياضه  
تنقم منها فهو بالوتر طالبي  
يشرد فيها بالصفايا النجائب  
ونخبة أحبائي وجل قرأبي  
بمصرمة (٣٦) مما اقتنيت وحالب  
وردت ملاء من نداءه حقائب  
وكانت تحلى عن نطاف المشارب

(٣٥) في الديوان « ط . م » : « الصعب » .

(٣٦) المصرمة : الناقة كوي ضرعها فانقطع لبنها .

فجعت به غضن الهوى حاضر الجدى

جديد قميص الود سهل المجاذب

كأنني على العهد القريب اعتلقته بطول اختياري أو قديم تجاربي

♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦

فقيد بميسان استوت في افتقاده مشارق آفاق العلا بالمغارب

♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦

تنافت عن جمر الغضا نادباته كأن فؤادي في حلوق النوادب

بكت أدمعا بيضا ودمت جباهها فتحسبها تبكي دما بالحواجب

♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦

وكنت اذا ما الدهر شل معاطني (٣٧)

دعوتك فاستنقذت منه سلائبي

ذخيرة أنسي يوم يوحشني أخي وبابي اذا سدت علي مذهبني

♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦

سلام على الافراح بعدك انها - وان عشت ليست اربة من ما ربي

اذا دنس الحزن السلو غسلته فعاد جديدا بالدموع السواكب

وان أحدثت عندي يد الدهر نعمة ذكرتك فيها فاغتدت من مصائبني

أداري عيون الشامتين تجلدا وأبسم منهم في الوجوه القواطب

أريهم بأنني ثابت الريش ناهض

وتحت جناحي جانفات (٣٨) المخالب

لا أريد أن أقول ان مهيار نم يسبق الى شيء مما ورد في هذه

النفثات ولكني أدعي أنه أحس كل ما فيها وشعر به شعورا تاما حتى

(٣٧) معاطن : جمع معطن وهو مبرك الابل حول الحوض .

(٣٨) جانفات : جائرات .

جرى على لسانه في غير ما تعمل ولا تكلف \* ولذلك فمن الحق أن نعتبر  
هذه النفثات جديدة في مجموعها أو شبه جديدة على أني لا أستبعد  
أن يكون مهيار قد ابتكر كثيرا من المعاني التي مرت بك كقوله :  
تنافث عن جمر الغض نادباته كأن فؤادي في حلق النواذب  
وكقوله :

بكت أدمعا بيضا ودمت جباهها فتحسبها تبكي دما بالحواجب  
وكقوله :

فان أحدثت عندي يد الدهر نعمة ذكرتك فيها فاغتندت من مصائبى  
فاذا أضفت الى هذا ما أسبغ على هذه النفثات من جمال اللغة  
ولطف الاسلوب تبينت بوضوح أني لم أجازف كثيرا باحلال مرثي  
مهيار أول محل من شعره \*

لغته واسلوبه : وتسالني رأبي في لغة مهيار واسلوبه فأقول لك :  
انه احتذى في هذا مثال أستاذه الشريف الرضي ونسج على منواله  
فكان له صفاء ديباجته ورقة حاشيته ووضوح عبارته وخلو كلامه من  
الفضول والحشو \* وملاءمة لغته لموضوعاته واعتداله في استعمال  
المحسنات البيانية \* وقد مر بك من شعره ما يؤيد هذا كله تأييدا تاما \*

د خاتمة :

قلت لك مرارا عديدة ان مهيار تلميذ الشريف الرضي عنه أخذ  
وعليه تخرج \* فلنتبين الآن أبلغ التلميذ مدى استاذه أم قصر عنه فلم  
يلحق له شأوا ولم يدرك له مدى ؟ \*

لا شك أن غزل مهيار على رقة خياله ودقة معانيه دون غزل الشريف  
بمراحل ، لأن العاطفة الصادقة التي هي مصدر جمال غزل الشريف غير  
موجودة فيه - والعاطفة الصادقة كما تعلم - أول مصادر الجمال في  
الغزل . ولا شك كذلك أن اخوانيات مهيار دون أخوانيات أستاذه  
فلست أعرف له قصيدة في هذا الباب تبلغ من نبل الشعور وسمو العاطفة  
ما تبلغه تلك البائية الفذة التي كتب بها الشريف الى أبي الحسن البتّي  
والتي مطلعها :

أبا حسن أتحسب ان شوقي يقل على معارضة الخطوب (٣٩)  
ومعلوم أنه بعيد كل البعد عن أن يجاري الرضي في الفخر بل لعل  
بعض كلماته فيه يدعو الى الابتسام بدلا من الاعجاب ، من ذلك فخره  
في فونيته التي مطلعها : « أمن خفوق البرق ترزمينا الخ . . . » ولكننا  
قد لا نخطيء كثيرا اذا لاحظنا ان مهيار يبذ استاذه في الرثاء . حرارة  
عاطفة . ورقة خيال . ودقة تفكير . وجمال تعبير . وهذا مع علو كعب  
الشريف في هذا المضمار .

---

(٣٩) لم أتحدث عن اخوانيات الشريف في اثناء كلامي على شعره  
لان ناقدا معاصرا كتب عنها ما فيه كفاية . ولم اتحدث كذلك عن وصفه  
لسبب مماثل .



## خاتمة الكتاب : الأدب العباسي مائه وما عليه

قلت لك عند الكلام على النثر العباسي انه نسج على منوال القرآن من حيث مذايبه وأساليبه في الأداء . وعند الكلام على الشعر العباسي انه أنشئ على غرار الشعر الجاهلي من حيث صورته وأشكاله ومن حيث مقاصده وأغراضه في كثير من الأحيان . وأقول لك الآن ان النثر العباسي بقي بمكانه فلم يتقدم في مختلف العصور العباسية تقديما يذكر بالنسبة الى ما كان عليه في القرن الاول للهجرة . فليس لابن المقفع ، ولا للجاحظ ، ولا للخوارزمي ، ولا لأحد غيرهم من كبار الكتاب العباسيين ما يضارع مختار القرن الاول للهجرة ورسائله وحكمه ، خطورة معنى وبراعة مبنى . ولكن الشعر على علاقته تقدم تقدما لا بأس به ، فتحدثت عن الحرب والسياسة والشؤون الاجتماعية والفردية بأسلوب أقوى ونفس أطول وتفصيل أتم ولغة أسهل وأجمل مما كان عليه قبل ظهور الدولة العباسية .

أما أثر الموالي في كل من الشعر والنثر فقد كان ضئيلا ، ذلك أن هؤلاء الغرباء كانوا يتتقفون بالثقافة العربية ويصبغون عقولهم بالصبغة العربية الخالصة، ويعملون طوعا أو كرها على أن يكونوا عربا في افكارهم وعواظهم كما كانوا عربا في لغتهم .

وأنت تعلم أن بشارا على شعوبيته كان يفاخر بأنه نشأ « في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ » ، وأن أبا نواس الذي لا يقل شعوبية عنه تخرج على والبة بن الحباب

الشاعر الكوفي الاسدي ، واستكمل ثقافته اللغوية في بادية بني أسد ودرس في البصرة دراسة عربية خالصة . وأن مهيار الديلمي ذهب في انتحال العروبة الى أبعد من هذا ، فادعى ايقاد النار تحت دياجر الليل للسايرين ، ونحر الكوم العشار لهم تشبها بأجواد البادية كما انتحل مظاهر الحب البدوي العذري ومميزاته وخصائصه . هذا الى انهم لم يغيروا قافية ولم يستحدثوا وزنا ، ولم يصطنعوا أسلوبا خاصا فضلا عن أن يطرقوا موضوعا جديدا ، أو يعالجوا غرضا غير مألوف .

ومما ينبغي التنويه به لخير الادب العباسي أن تأريخه عرف ثلة من كبار الشعراء في طليعتهم ابن المعتز وأبو فراس والشريف الرضي ، قرضوا الشعر للشعر ، وخدموا الفن للفن ، وتركوا في الوصف والثناء والغزل والحكم والأمثال صفحات أصيلة رائعة يستطيع الأدب العربي أن يفاخر بها . على أن الشعراء التقليديين الذين تكسبوا بالشعر واتخذوه صناعة لا رسالة ، تركوا هم أيضا غررا ومحاسن لها من المزايا الادبية والتاريخية ما يجعلها جديرة بالتقدير والثناء .

وليس معنى هذا أن نفلد أولئك أو هؤلاء فننتحل مقاصدهم وأغراضهم ونصطنع مذاهبهم وأساليبهم كائنة هذه ما كانت . كلا ! فان مهمتنا الآن هي أن ننهض بأدبنا نهضة قوية صادقة وان نجدده في موضوعاته وصوره وأغراضه تجديدا يجمع بين الجرأة والاعتدال . ويجمع كذلك بين حسنات الماضي والحاضر وينبذ سيئاتهما على السواء . وقد فعلنا مثل ذلك في النشر وبقى ان نفعله في الشعر . ولكننا نقول الذي نقواه في شعراء السلف تقريراً للحقيقة وخدمة للتاريخ وتنويها بالدور الحسن الذي لعبوه في خدمة اللغة والادب .

## مصادر الكتاب

- ١ — ابن الرومي حياته من شعره للاستاذ العقاد • الطبعة الثانية سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م •
- ٢ — ابو فراس الحمداني : للسيد محسن الامين العاملي : الطبعة الاولى ١٩٤١ م — ١٣٦٠ هـ •
- ٣ — ابو نواس : للسيد محسن الامين العاملي : الطبعة الاولى ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م •
- ٤ — اخبار أبي تمام لابي بكر الصولي : الطبعة الاولى ١٩٢٧ م •
- ٥ — اخبار أبي نواس لابن منظور : الطبعة المصرية ١٩٢٤ م •
- ٦ — ادباء العرب في العصر العباسية للاستاذ بطرس البستاني : الطبعة الاولى ١٩٤٧ م •
- ٧ — الادب العربي وتاريخه : للاستاذ محمود مصطفى الطبعة الثانية مصطفى البايي الحلبي ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م •
- ٨ — أمراء البيان : للاستاذ محمد كرد علي : الطبعة الاولى •
- ٩ — امراء الشعر في العصر العباسي : للاستاذ أنيس المقدسي : الطبعة الاولى •
- ١٠ — الاغاني : لأبي الفرج الاصبهاني : طبعة مطبعة التقدم بمصر •
- ١١ — أمالي السيد المرتضى : الطبعة الاولى ١٢٢٤ هـ •
- ١٢ — الاوراق للصولي : الطبعة المصرية ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م •
- ١٣ — البديع لابن المعتز : الطبعة المصرية ١٩٤٥ م •
- ١٤ — بشار للمازني : طبعة مصر ١٩٤٤ م •

- ١٥ — البخلاء لدجاحظ : طبعة دارالكتب المصرية ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م
- ١٦ — البيان والتبيين للجاحظ : طبعة مطبعة الفتوح الادبية بمصر ١٣٢٢ هـ
- ١٧ — تاج العروس الطبعة الاولى ١٣٠٦ هـ \*
- ١٨ — تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان : طبعة مصر ١٩١٣ هـ \*
- ١٩ — تاريخ الامم والملوك للطبري : طبعة المطبعة الحسينية بمصر \*
- ٢٠ — تاريخ بغداد الخطيب البغدادي : طبعة مطبعة السعادة بمصر  
\* ١٣٤٩ هـ
- ٢١ — تطور الاساليب النثرية : للاستاذ أنيس المقدسي : الطبعة الاولى
- ٢٢ — حديث الاربعاء للدكتور طه حسين : طبعة البابي الحلبي ١٩٣٧ م  
والمعارف ١٩٤٥ م \*
- ٢٣ — الحيوان للجاحظ : طبعة مطبعة البابي الحلبي بمصر \*
- ٢٤ — خزائن الادب للبغدادي طبعه بولاق \*
- ٢٥ — ديوان المتنبي : طبعتي صادر وعزام \*
- ٢٦ — ديوان أبي تمام : طبعة مصر لسنة ١٩٤٢ م \*
- ٢٧ — ديوان أبي فراس : طبعة الدهان \*
- ٢٨ — ديوان ابي نواس : طبعة المطبعة الحميدية بمصر ١٣٢٢ هـ \*
- ٢٩ — ديوان ابن المعتز : طبعة بيروت ١٨٩١ م \*
- ٣٠ — ديوان ابن الرومي : طبعة كامل كيلاني الاولى ١٩٢٤ م \*
- وطبعة محمد شريف سليم الاولى ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م \*
- ٣١ — ديوان الشريف الرضي : طبعة بيروت ١٩١٠ م \*
- ٣٢ — ديوان المعاني لابي هلال العسكري : طبعة القاهرة ١٣٥٢ هـ \*
- ٣٣ — ديوان مهيار : طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ — ١٩٣٠ م \*

- ٣٤ — ديوان البحثري : طبعة مطبعة هندية بمصر ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م .  
• وطبعة دار المعارف ١٩٦٣ م .
- ٣٥ — ذكرى أبي الطيب بعد الف عام للدكتور عبد الوهاب عزام :  
• طبعة مطبعة الجزيرة — بغداد ١٩٣٦ م .
- ٣٦ — رسائل البلغاء لمحمد كرد علي : طبعة مصر ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م .
- ٣٧ — رسائل بديع الزمان الهمذاني : طبعة مطبعة هندية ١٣١٥ هـ — ١٨٩١ م .
- ٣٨ — رسائل الجاحظ للسندوبي طبعة مصر ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .
- ٣٩ — رسائل الخوارزمي : طبعة المطبعة العثمانية بمصر ١٣١٢ م .
- ٤٠ — الروائع للبستاني : عدد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .
- ٤١ — زهر الآداب : طبعة المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م .
- ٤٢ — شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة : طبعة دار الكتب الكبرى  
بمصر .
- ٤٣ — الشعر والشعراء لابن قتيبة : طبعة مطبعة التقدم بمصر ١٣٢٢ هـ .
- ٤٤ — طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء لابن المعتز : طبعة  
مطبعة جامعة كمبردج ١٩٢٩ م .
- ٤٥ — الصبح المنبئي للبديعي : طبعة مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٥٠ هـ .
- ٤٦ — ضحى الاسلام للدكتور احمد امين : الطبعة الاولى ١٣٥١ هـ — ١٩٣٣ م .
- ٤٧ — عبقرية الشريف الرضي للدكتور زكي مبارك : طبع بغداد ١٩٣٨ م .
- ٤٨ — العقد الفريد : طبعة العريان ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م .
- ٤٩ — العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق : طبعة مطبعة السعادة  
١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م .
- ٥٠ — عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب : طبع النجف ١٣٥٠ هـ .

- ٥١ — فصول التماثيل في تباشير السرور لابن المعتز طبعة مصر ١٩٢٥ م .  
٥٢ — فهرست ابن انديم : طبعة المطبعة الرحمانية سنة ١٣٤٩ هـ .  
٥٣ — فوات الوفيات : طبعة بولاق ١٢٩٩ هـ .  
٥٤ — القاموس المحيط للفيروزبادي : طبعة المطبعة الحسينية بمصر  
١٣٣٠ هـ .  
٥٥ — الكامل في التاريخ لابن الاثير : طبعة ١٢٩٠ هـ .  
٥٦ — الكامل في اللغة والادب للمبرد : طبعة مصر ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م .  
٥٧ — كليله ودمنة لابن المقفع : الطبعة المصرية الخامسة .  
٥٨ — المجازات النبوية للشريف الرضي : طبعة مصر ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م .  
٥٩ — معاهد التنصيص : طبعة المطبعة البهية ١٣١٦ هـ .  
٦٠ — مع المتنبي للدكتور طه حسين : طبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر ١٩٣٦ م .  
٦١ — معجم الأدباء لياقوت : طبعة مصر ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م .  
٦٢ — مقامات الحريري : طبعة مصر ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م .  
٦٣ — من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين : طبعة مصر ١٩٣٦ م .  
٦٤ — المنتظم في تاريخ الملوك والامم : طبعة حيدر آباد ١٣٥٦ هـ .  
٦٥ — الموازنة بين أبي تمام والبحثري للامدي : طبعة مصر ١٣٢٩ هـ .  
٦٦ — الوزراء والكتاب للجهمي : الطبعة الاولى .  
٦٧ — وفيات الاعيان لابن خلكان : طبعة المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٠ هـ .  
٦٨ — تيسمة الدهر المثعالي : طبعة دمشق .

## أهم كتب المؤلف المطبوعة

- ١ - تاريخ القضية العراقية ( جزءاً آن ظهر في بغداد في سنتي ١٩٢٣ م و ١٩٢٤ م )
  - ٢ - شعر كورني الغنائي ( بالفرنسية طبع بمونبيلية سنة ١٩٣٧ م )
  - ٣ - بعث الشعر الجاهلي ( طبع ببغداد سنة ١٩٣٩ م )
  - ٤ - نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر ( طبع ببغداد سنة ١٩٤٦ م )
  - ٥ - عصر القرآن ( طبع ببغداد سنة ١٩٤٧ م ) و اعيد طبعه سنة ١٩٥٥ م
  - ٦ - الموشح في الأندلس وفي المشرق ( طبع ببغداد سنة ١٩٤٨ م )
  - ٧ - في الأدب العباسي ، هذا • طبع ببغداد سنة ١٩٤٩ م و اعيد طبعه في سنة ١٩٥٥ م
  - ٨ - خطرات : مجموعة خواطر أدبية وسياسية واجتماعية « صدر الجزء الاول منها ببغداد سنة ١٩٥٢ م »
  - ٩ - البركان : ديوان شعر سياسي « طبع على نفقة المعلم الجديد ببغداد سنة ١٩٥٩ م »
  - ١٠ - سوانح : وهو مجموع خطب ومحاضرات ومقالات في السياسة والاجتماع والادب • صدر الجزء الاول منه ببغداد « سنة ١٩٦٧ م »
- اما كتب المؤلف المخطوطة فاهمها
- ١ - زبد الامواج : « ديوان شعر يحتوي على اغلب انواع الشعر المعروفة »
  - ٢ - سوانح : « الجزء الثاني »
  - ٣ - خطرات : « الجزء الثاني »

## الفهرست

| الصفحة  | الموضوع  |
|---------|--|
| ٤ - ٣   | المقدمة  |
|         | الباب الأول - في انكتاب المترسلين                  |
| ٦ - ٥   | تمهيد في تاثر النشر العباسي بمذاهب القرآن واساليبه |
| ٨ - ٧   | الفصل الأول - ابن المقفع                           |
| ١٤ - ٨  | حياته  |
| ١٦ - ١٤ | اخلاقه   |
| - ١٦    | آثاره  |
| ٢٠ - ١٦ | الأدب الصغير                                       |
| ٢٣ - ٢٠ | الأدب الكبير                                       |
| ٣٢ - ٢٣ | كليلة ودمنة  |
| - ٣٢    | رسالة الصحابة                                      |
| ٣٨ - ٣٣ | لغة المترجم وأسلوبه                                |
| - ٣٨    | لماذا أدرسه  |
| ٣٩ - ٣٨ | مصادر شهرته  |
| - ٣٩    | خاتمة • الفصل ل في أمره                            |
| ٤١ - ٤٠ | الفصل الثاني - الجاحظ                              |
| ٤٦ - ٤١ | حياته  |
| ٤٩ - ٤٦ | صفاته  |



| الصفحة  | الموضوع                                  |
|---------|--|
| ٤٩ — ٥٠ | آثاره — اقسامها                          |
| ٥٠ — ٥٢ | مساوؤها                                  |
| ٥٢ — ٥٤ | محاسنها                                  |
| ٥٤ — ٥٧ | لغته وأسلوبه                             |
| ٥٧ — ٥٨ | عذره فيما يؤاخذ فيه من هنات              |
| ٥٨ — ٦٠ | مثل من مختار كلامه                       |
| ٦١ — ٦٢ | مقارنة بينه وبين عبد الله بن المقفع      |
| ٦٢ —    | خاتمة                                    |
|         | الباب الثاني • في كتاب الاسجاع والمقامات |
| ٦٣ — ٦٤ | الفصل الأول — ابو بكر الخوارزمي          |
| ٦٤ — ٦٧ | حياته                                    |
| ٦٧ — ٧٠ | صفاته                                    |
| ٧٠ —    | آثاره • نثره                             |
| ٧٠ — ٧١ | لغته وأسلوبه                             |
| ٧١ — ٧٢ | فارسيته                                  |
| ٧٢ — ٧٥ | مثل من احاسن كتبه                        |
| ٧٥ — ٧٧ | شعره مثل منه                             |
| ٧٧ —    | خاتمة • غلبة النثر على أدبه              |
| ٧٨ —    | الفصل الثاني — بديع الزمان الهمذاني      |
| ٧٩ — ٨٦ | حياته                                    |
| ٨٦ — ٨٨ | صفاته                                    |

| الصفحة    | الموضوع   |
|-----------|---|
| — ٨٨      | آثاره   |
| ٨٩ — ٨٨   | نشره  |
| — ٨٩      | لغته وأسلوبه  |
| ٩٤ — ٨٩   | مثل من مختار رسائله                                 |
| ٩٧ — ٩٤   | مقاماته • المقامة القزوينية                         |
| ٩٨ — ٩٧   | شعره • مثل منه                                      |
| — ٩٨      | خاتمة — الفصل بينه وبين الخوارزمي                   |
| — ٩٩      | الفصل الثالث — الحريري                              |
| ١٠٣ — ١٠٠ | حياته   |
| ١٠٤ — ١٠٣ | صفاته   |
| ١٠٥ — ١٠٤ | آثاره • مقاماته • راويتها • خاصته • بطلها • مميزاته |
| ١٠٦ — ١٠٥ | حظوه هذه المقامات لدى القدماء                       |
| — ١٠٦     | شروحها  |
| ١٠٧ — ١٠٦ | أهليتها لما نالت من الحظوة                          |
| ١٠٨ — ١٠٧ | قيمتها في العصر الحاضر                              |
| ١١٠ — ١٠٨ | لغتها وأسلوبها • احاسنها • مثل منها                 |
| ١١٦ — ١١٠ | المقامة الحرامية                                    |
| — ١١٧     | خاتمة • الحريري والتاريخ                            |
|           | الباب الثالث — في شعراء القرن الثاني للهجرة         |
| ١١٩ — ١١٨ | تمهيد في الشعر العباسي وتأثره بالشعر الجاهلي        |
| ١٢١ — ١٢٠ | الفصل الأول — بشار بن برد                           |

| الصفحة    | الموضوع |
|-----------|---------|
| ١٣٥ — ١٢١ | حياته   |
| ١٣٨ — ١٣٥ | صفاته   |
| ١٣٩ — ١٣٨ | شعره    |
| ١٤٢ — ١٣٩ | غزله    |
| ١٤٤ — ١٤٢ | مديحه   |
| ١٥٠ — ١٤٤ | هجاؤه   |
| — ١٥٠     | رثاؤه   |
| ١٥١ — ١٥٠ | فخره    |
| ١٥٤ — ١٥٢ | حكمه    |

خاتمة — مقارنة بينه وبين جرير والحطيئة : هل كان مجدداً :

نفي هذا الزعم — ١٥٤

| الصفحة    | الموضوع                                     |
|-----------|---|
| ١٥٦ — ١٥٥ | الفصل الثاني — ابو نواس                     |
| ١٧٠ — ١٥٦ | حياته                                       |
| ١٧١ — ١٧٠ | صفاته                                       |
| ١٧٢ — ١٧١ | شعره  |
| ١٧٥ — ١٧٣ | غزله  |
| ١٨٠ — ١٧٥ | مديحه                                       |
| ١٨٢ — ١٨٠ | هجاؤه                                       |
| ١٨٩ — ١٨٣ | خمرياته                                     |
| ١٩٠ — ١٨٩ | خاتمة — الفصل في شاعريته وقدرته على التجديد |

الباب الرابع — في شعراء القرن الثالث للهجرة

| الصفحة    | الموضوع                            |
|-----------|------------------------------------|
| ١٩٢ - ١٩١ | الفصل الأول - ابو تمام             |
| ١٩٨ - ١٩٢ | حياته                              |
| ٢٠١ - ١٩٨ | صفاته                              |
| ٢٠٢ - ٢٠١ | مذهبه السياسي الديني               |
| ٢٠٢ -     | شعره                               |
| ٢٠٥ - ٢٠٢ | فخره                               |
| ٢٠٩ - ٢٠٥ | وصفه                               |
| ٢١١ - ٢٠٩ | رثاؤه                              |
| ٢١٤ - ٢١١ | مديحه                              |
| ٢١٥ - ٢١٤ | هجاؤه                              |
| ٢٢١ - ٢١٥ | لغته وأسلوبه                       |
| ٢٢١ -     | خاتمة : ما يفيد ومالا يفيد من شعره |
| ٢٢٣ - ٢٢٢ | الفصل الثاني - البحتري             |
| ٢٣٢ - ٢٢٤ | حياته                              |
| ٢٣٥ - ٢٣٢ | اخلاقه                             |
| ٢٣٧ - ٢٣٦ | رأيه في الدين والسياسة             |
| ٢٣٧ -     | شعره                               |
| ٢٤٠ - ٢٣٧ | غزله                               |
| ٢٤٥ - ٢٤٠ | مديحه                              |
| ٢٤٩ - ٢٤٥ | رثاؤه                              |
| ٢٥٣ - ٢٤٩ | فخره                               |

| الصفحة    | الموضوع  |
|-----------|--|
| ٢٥٤ — ٢٦٢ | وصفه   |
| — ٢٦٢     | هجاؤه  |
| ٢٦٢ — ٢٦٣ | عتابه  |
| ٢٦٣ — ٢٦٤ | فلسفته   |
| ٢٦٤ — ٢٦٨ | لغته وأسلوبه                                     |
| — ٢٦٨     | خاتمة — أهمية شعره • فائدة درسه وتوجيهه •        |
| ٢٦٩ — ٢٧٠ | الفصل الثالث — ابن الرومي                        |
| ٢٧٠ — ٢٧٤ | حياته  |
| — ٢٧٤     | اخلاقه   |
| — ٢٧٥     | شعره   |
| ٢٧٥ — ٢٧٧ | غزله   |
| ٢٧٧ — ٢٨٠ | مديحه  |
| ٢٨٠ — ٢٨١ | هجاؤه  |
| ٢٨١ — ٢٨٣ | عتابه  |
| ٢٨٣ — ٢٨٥ | رثاؤه  |
| ٢٨٥ — ٢٨٧ | وصفه   |
| ٢٨٧ — ٢٩١ | لغته وأسلوبه                                     |
| ٢٩١ — ٢٩٢ | خاتمة — ابن الرومي من حيث هو رجل ومن حيث هو شاعر |
| ٢٩٣ — ٢٩٤ | الفصل الرابع — ابن المعتز                        |
| ٢٩٤ — ٢٩٨ | حياته  |
| ٢٩٨ — ٣٠٢ | صفاته  |

| الصفحة    | الموضوع                                     |
|-----------|---|
| ٣٠٣ — ٣٠٢ | آثاره                                       |
| ٣٠٤ — ٣٠٣ | شعره  |
| ٣٠٧ — ٣٠٤ | غزله  |
| ٣١١ — ٣٠٧ | وصفه  |
| ٣١٨ — ٣١١ | شعره السياسي                                |
| ٣١٩ — ٣١٨ | حكيمه وخواطره                               |
| ٣٢٠ — ٣١٩ | لغته وأسلوبه                                |
| ٣٢١ — ٣٢٠ | خاتمة — منزلته بين الشعراء                  |
|           | الباب الخامس — في شعراء القرن الرابع للهجرة |
| ٣٢٣ — ٣٢٢ | الفصل الأول — أبو الطيب المتنبي             |
| ٣٤٣ — ٣٢٤ | حياته                                       |
| ٣٥٢ — ٣٤٣ | صفاته                                       |
| — ٣٥٢     | آثاره                                       |
| ٣٥٥ — ٣٥٢ | غزله  |
| ٣٥٧ — ٣٥٥ | فخره  |
| ٣٦١ — ٣٥٧ | وصفه  |
| ٣٦٨ — ٣٦١ | مديحه                                       |
| ٣٦٩ — ٣٦٨ | هجاؤه                                       |
| ٣٧٠ — ٣٦٩ | عتابه                                       |
| ٣٧١ — ٣٧٠ | رثاؤه                                       |
| ٣٧٤ — ٣٧١ | فلسفته                                      |

| الصفحة    | الموضوع                                    |
|-----------|--|
| ٣٧٤ - ٣٧٨ | لغته وأسلوبه                               |
| ٣٧٨ - ٣٧٩ | خاتمة : مقارنة بينه وبين أبي تمام والبحتري |
| ٣٨٠ -     | النصل الثاني - ابو فراس الحمداني           |
| ٣٨١ - ٣٨٨ | حياته                                      |
| ٣٨٨ - ٣٩١ | اخلاقه                                     |
| ٣٩١ -     | علويته                                     |
| ٣٩٢ -     | شعره                                       |
| ٣٩٣ - ٣٩٤ | غزله                                       |
| ٣٩٤ - ٣٩٧ | مديحه                                      |
| ٣٩٧ - ٣٩٩ | فخره                                       |
| ٣٩٩ -     | اخوانيته                                   |
| ٣٩٩ - ٤٠٢ | روحياته                                    |
| ٤٠٢ - ٤٠٤ | لغته واسلوبه                               |
| ٤٠٥ -     | خاتمة : منزلته بين شعراء الفروسية          |
| ٤٠٦ - ٤٠٧ | الفصل الثالث - الشريف الرضي                |
| ٤٠٧ - ٤١٤ | حياته                                      |
| ٤١٤ - ٤١٥ | اخلاقه                                     |
| ٤١٥ - ٤١٧ | آثاره : ما نشر منها وما لم ينشر            |
| ٤١٧ -     | شعره                                       |
| ٤١٧ - ٤٢١ | غزله                                       |
| ٤٢١ - ٤٢٥ | رثاؤه                                      |
| ٤٢٦ - ٤٢٧ | فخره                                       |

| الصفحة    | الموضوع                                      |
|-----------|--|
| ٤٢٧ —     | مديحه  |
| ٤٣٢ — ٤٢٨ | لغته وأسلوبه                                 |
| ٤٣٣ — ٤٣٢ | خاتمة : منزلته بين شعراء اللغة العربية       |
| — ٤٣٤     | الفصل الرابع — مهيار                         |
| ٤٣٩ — ٤٣٤ | حياته  |
| ٤٤٣ — ٤٤٠ | اخلاقه                                       |
| ٤٤٥ — ٤٤٣ | تعربه  |
| ٤٤٧ — ٤٤٥ | شعره   |
| ٤٥١ — ٤٤٧ | غزله   |
| ٤٥٣ — ٤٥١ | اخوانياته او شعره في الزمان والناس           |
| ٤٥٥ — ٤٥٣ | مديحه  |
| ٤٦٣ — ٤٥٥ | رثاؤه  |
| — ٤٦٣     | لغته وأسلوبه                                 |
| ٤٦٤ — ٤٦٣ | خاتمة — مقارنة بينه وبين استاذه الشريف الرضي |
| ٤٦٦ — ٤٦٥ | خاتمة الكتاب — الادب العباسي ماله وما عليه   |
| ٤٧٠ — ٤٦٧ | مصادر الكتاب                                 |
| — ٤٧١.    | ثبت كتب المؤلف —                             |



## جدول الخطأ والصواب

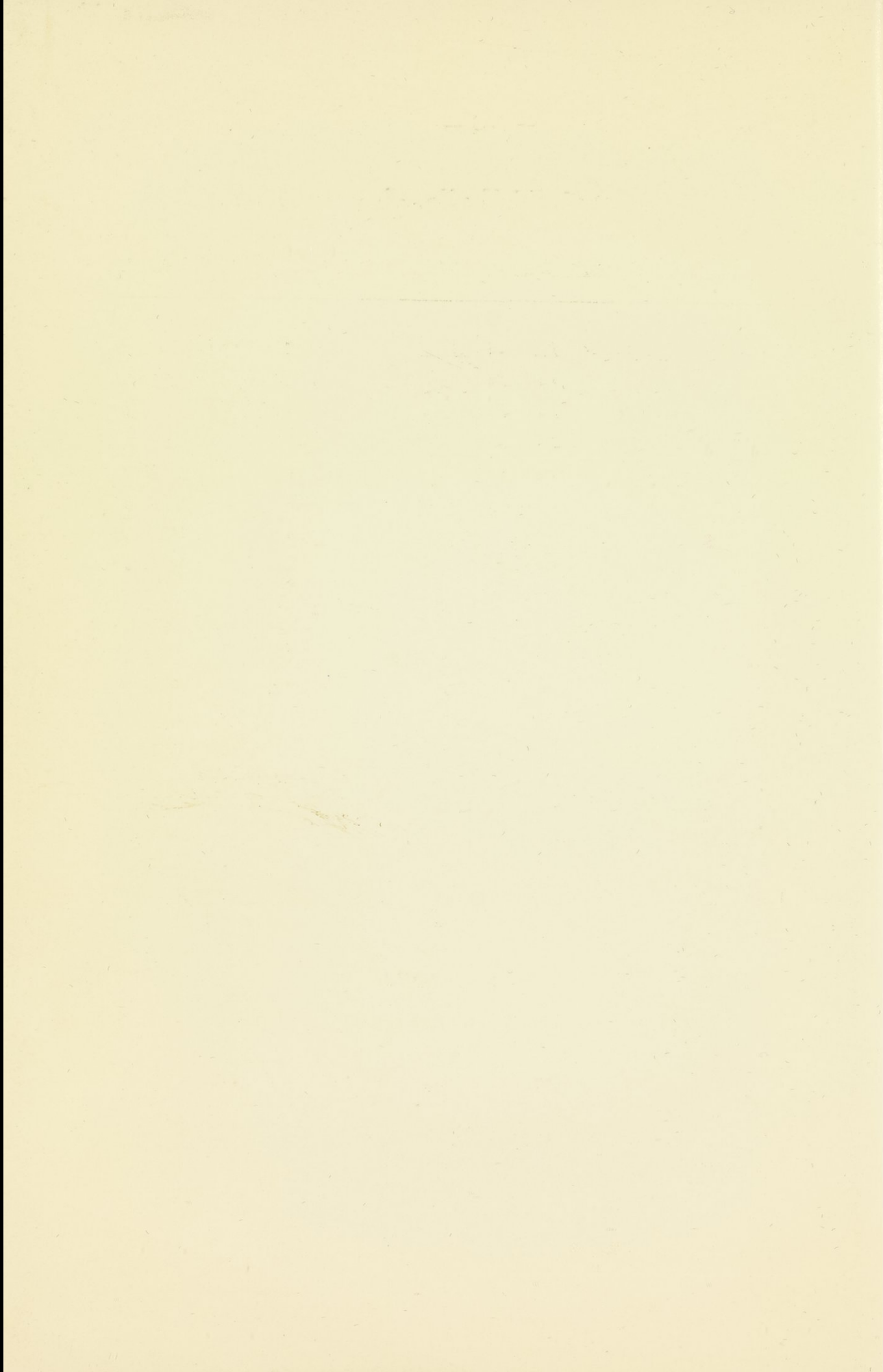
| الخطأ                             | الصواب            | الصفحة السطر الخطأ | الصواب | الصفحة السطر     |
|-----------------------------------|-------------------|--------------------|--------|------------------|
| ان يحمل قوله                      | أن يحمل عليه قوله | ٨٩                 | ١٠     | ١٦٨ ٩ حاشية      |
| مهراً                             | مطهراً            | ١٠١                | ١٩     | ١٨٨ ١٦ والتنويه  |
| خشمت                              | خشعت              | ١٠٨                | ١٦     | ٢٠٩ ٤ فطنه       |
| الامنان                           | الافنان           | ١٠٩                | ٨      | ٢٥٥ ٨ طيفاً      |
| واقاضي                            | واقضي             | ١١١                | ٥      | ٢٥٨ ٧ لا يمن     |
| سبينة                             | سبيئة             | ١١٣                | ٥      | ٢٩٧ ٤ المرحلة    |
| ولرافة                            | وطرافة            | ١٣٤                | ٨      | ٢٩٧ ١٠ يحبهما    |
| برولها                            | يرويهها           | ١٤٦                | ١٠     | ٢٩٧ ١٠ وله معهما |
| (١) يضاف الى الحاشية              | ١٥١ حاشية ٣٧      |                    |        | ٣١٧ ٢ وقائع      |
| رقم ٣٧ صفحة ١٥١ ماياتي ( جمع      |                   |                    |        | ٣٢٥ ١٣ تفناها    |
| شائلة وهي الناقة في بعض حالاتها   |                   |                    |        | ٣٥٢ ١١ والواحد   |
| وفي الاغاني « وبالشوك » )         |                   |                    |        | ٤٣٥ ٥ من         |
| (٢) وجه الصواب في الحاشية رقم     |                   |                    |        |                  |
| ٣٨ صفحة ١٥١ : السبائب جمع         |                   |                    |        |                  |
| سببية . وهي شقة رقيقة من          |                   |                    |        |                  |
| الكتان . والمراد بها هنا . الراية |                   |                    |        |                  |
| يقول : نحن بنو الموت تخفق علينا   |                   |                    |        |                  |
| راياته                            |                   |                    |        |                  |

ملاحظة : - هناك ضبط غير صحيح لعدد محدود من الكلمات . واغلاط الاملائية قليلة : ولم يكن كل ذلك سوى خطأ مطبعي . يمكن ان ينتبه له القاريء بسهولة .

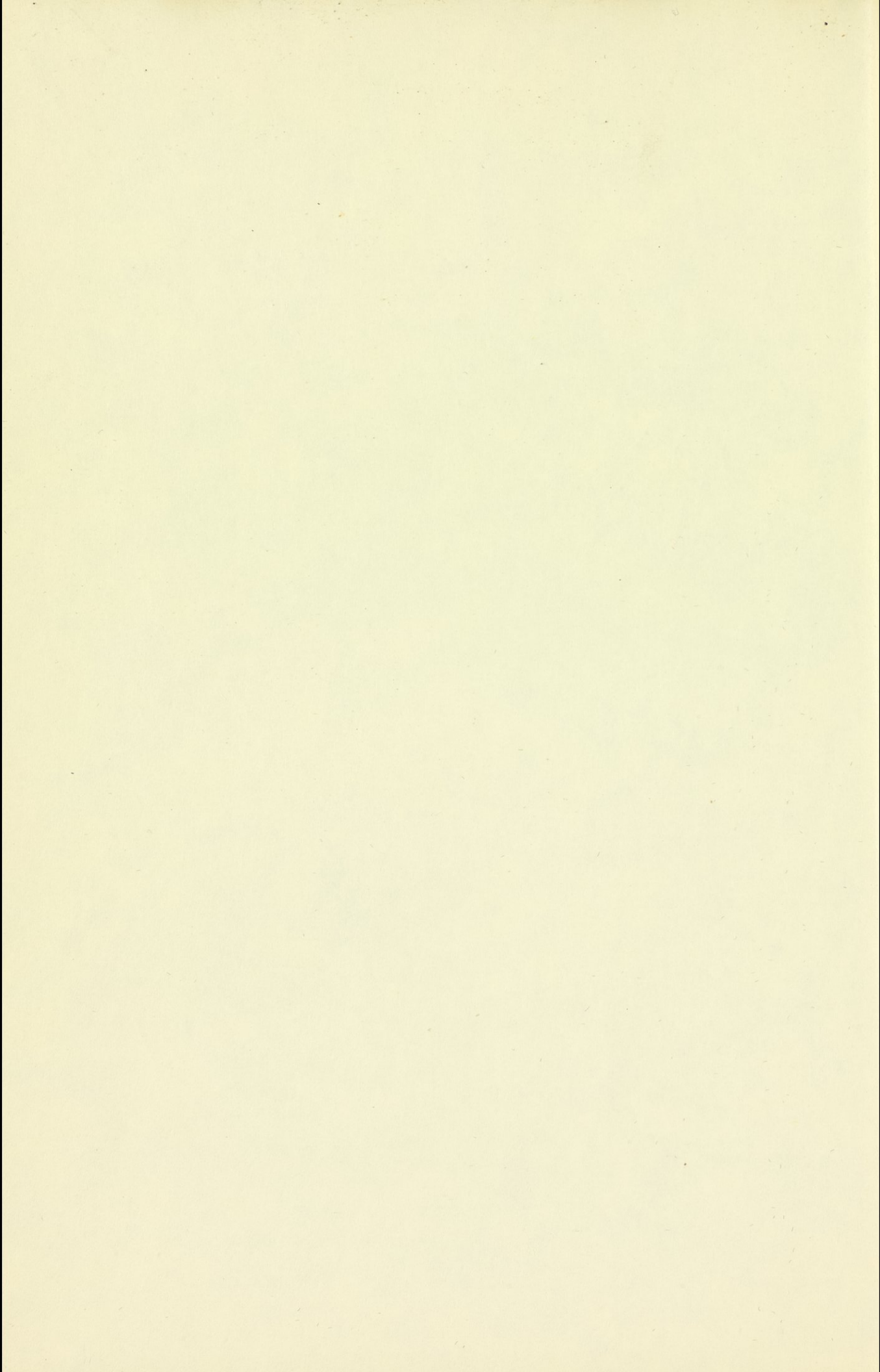
### بازرسی و تعمیرات

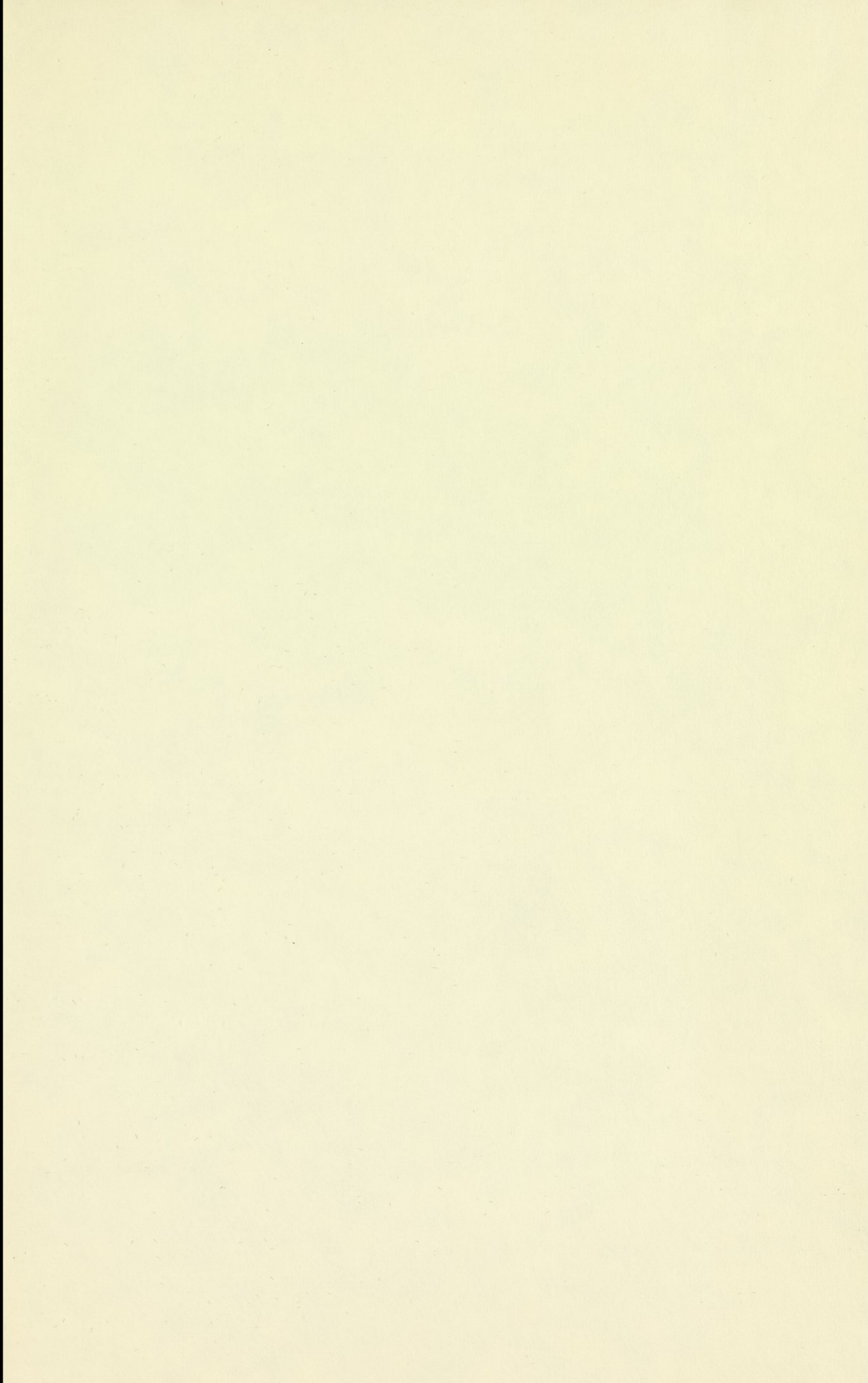
تاریخ: ...

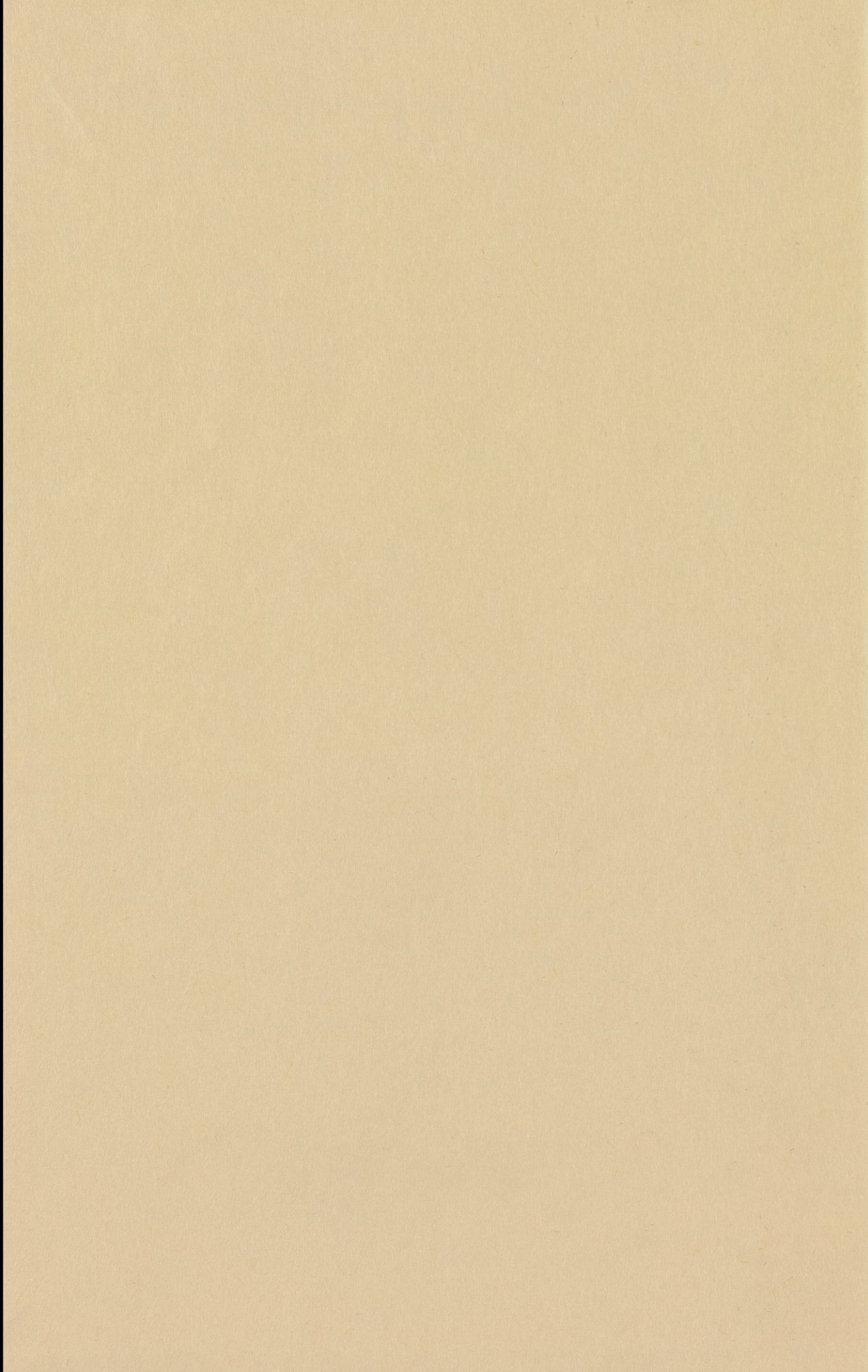
| ردیف | شرح           | تاریخ      |
|------|---------------|------------|
| ۱    | بازرسی موتور  | ۱۳۸۸/۰۵/۰۱ |
| ۲    | تعمیرات جزئی  | ۱۳۸۸/۰۵/۰۲ |
| ۳    | تست عملکرد    | ۱۳۸۸/۰۵/۰۳ |
| ۴    | بازرسی روغن   | ۱۳۸۸/۰۵/۰۴ |
| ۵    | تنظیمات اولیه | ۱۳۸۸/۰۵/۰۵ |
| ۶    | بازرسی سیستم  | ۱۳۸۸/۰۵/۰۶ |
| ۷    | تعمیرات اساسی | ۱۳۸۸/۰۵/۰۷ |
| ۸    | تست نهایی     | ۱۳۸۸/۰۵/۰۸ |
| ۹    | بازرسی کلی    | ۱۳۸۸/۰۵/۰۹ |
| ۱۰   | تعمیرات جزئی  | ۱۳۸۸/۰۵/۱۰ |
| ۱۱   | تست عملکرد    | ۱۳۸۸/۰۵/۱۱ |
| ۱۲   | بازرسی روغن   | ۱۳۸۸/۰۵/۱۲ |
| ۱۳   | تنظیمات اولیه | ۱۳۸۸/۰۵/۱۳ |
| ۱۴   | بازرسی سیستم  | ۱۳۸۸/۰۵/۱۴ |
| ۱۵   | تعمیرات اساسی | ۱۳۸۸/۰۵/۱۵ |
| ۱۶   | تست نهایی     | ۱۳۸۸/۰۵/۱۶ |
| ۱۷   | بازرسی کلی    | ۱۳۸۸/۰۵/۱۷ |
| ۱۸   | تعمیرات جزئی  | ۱۳۸۸/۰۵/۱۸ |
| ۱۹   | تست عملکرد    | ۱۳۸۸/۰۵/۱۹ |
| ۲۰   | بازرسی روغن   | ۱۳۸۸/۰۵/۲۰ |

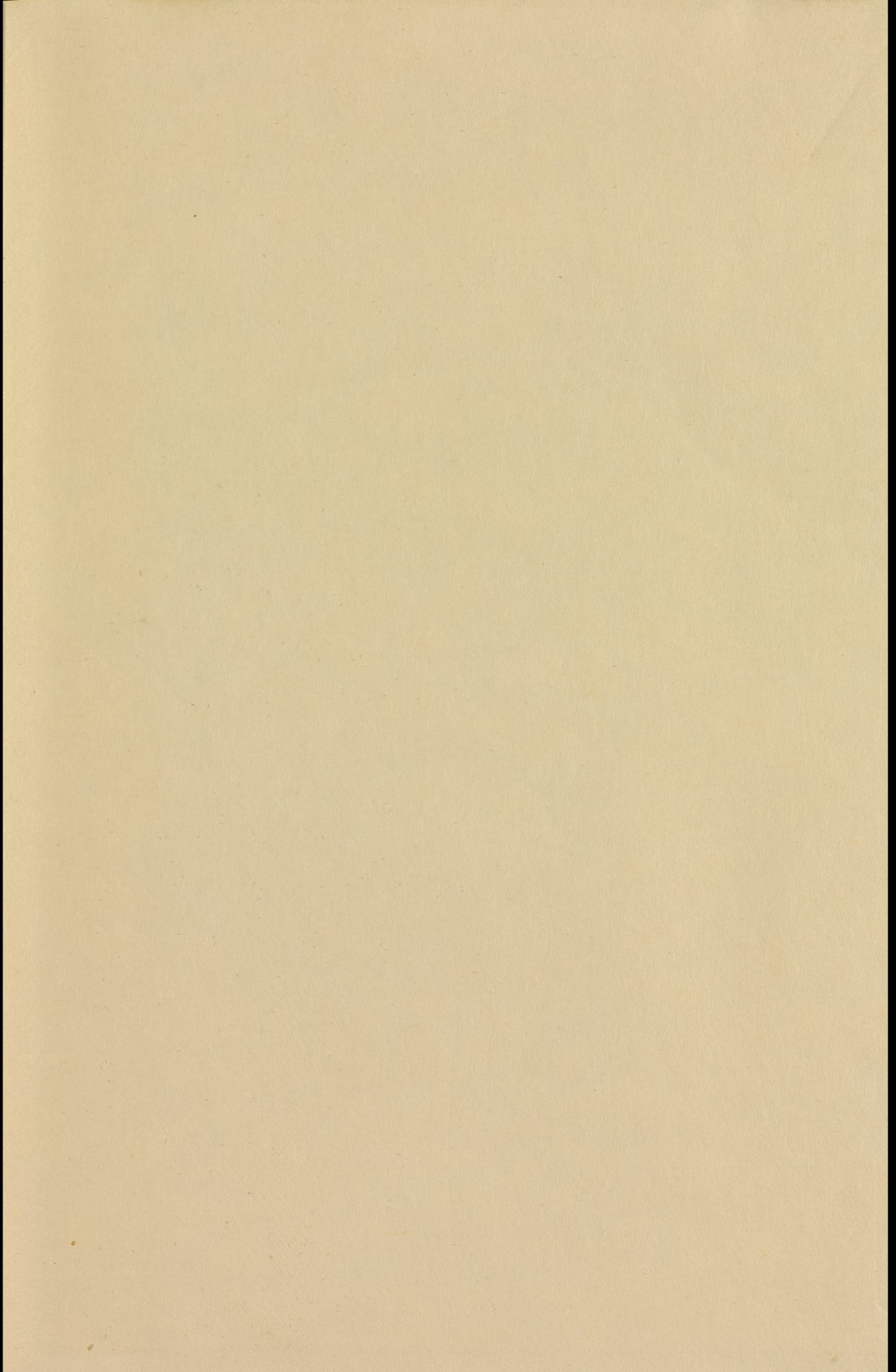


✓  
1887. 4











COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036760722

2505470

